

مُؤَرِّخُ الْمَغُولِ الْكَبِيرُ
رَسِيدُ الدِّينِ فَضْلُ اللَّهِ الرَّهْمَنِيُّ

تَأَلَّفَ

الدُّكْتُورُ فُؤَادُ عَبْدِ الْمُعْطَى الصَّيَّادُ

الأستاذ المساعد بكلية الآداب بجامعة عين شمس

الطبعة الأولى

١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

الناشر

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالقاهرة

مَوْزَخُ الْمَغُولِ الْكَبِيرِ
رَشِيدُ الدِّينِ فَضْلُ اللَّهِ الرَّهْمَنِيُّ

مَنَّا لِفَتْ
الدُّكْتُورُ فَوَّازُ عَبْدِ الْمُعِطِيِّ الصَّيَّارِ
الطَّبَّاسَةُ السَّاعِدَةُ بِكَلِمَةِ الدَّعَاءِ بِمَجَامِعَتِهِ عَمِينَ شَـ

الطبعة الأولى

١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م

الناشر
دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالمطاهرة

تَصْدِير

حرصت الأمم المتحضرة في جميع العصور على أن يترك كل جيل منها للأجيال التي تعقبه صورة من حياة رجاله العظماء الذين امتازوا في ميدان العلوم أو الآداب ، إذ قد شعر الناس بأن أبسط علامات الوفاء نحو عالم كرس لياليه لتثقيف جيله والأجيال المقبلة أن يحيطوا اسمه بسياج يرد عنه غوائل النسيان .

ولكن إذا كان الرجل لم يكتف بالكتابة والتأليف لسداد الدين الذي يدين به كل إنسان نحو المجتمع الذي هو عضو من أعضائه ، بل قام أيضاً بوظائف هامة ، وحقق الثقة التي وضعها مليكه في عنقه ، وإذا كان قد جمع إلى الثقافة والآداب مهام الإدارة الشاقة وتفصيلها الشائكة ، وإذا كانت مؤلفاته الفائقة التي قد لا يشك القارئ في أنها استغرقت كل حياته ، لم تكن إلا ثمرة لأوقات فراغه الحافلة ، فإنه يستحق أن يحيا حياة مضاعفة في ذاكرة بني الإنسان ، وأن يحصل على ذلك النوع من الشهرة الذي يؤهله له التاريخ الصادق لأعماله ومؤلفاته . فكل هذه النواحي من الفضل تجتمع في شخص رشيد الدين .

(من مقدمة كاترمير . ترجمة الأستاذ الدكتور محمد محمد القصاص)

فهرست الموضوعات

صفحة

تصدير :	من مقدمة المستشرق الفرنسي كاترمير	(٥ - ٣)
مقدمة :	الأستاذ الدكتور يحيى الخشاب	(ف - خ)
مقدمة المؤلف	(١٧ - ١)

الباب الأول

عصر رشيد الدين قبل توليه الوزارة

(ص ١٩ - ٨٥)

تمهيد :	تصوير موجز للعصر الذي عاش فيه رشيد الدين	...	٢١
الفصل الأول :	حملة هولاكو على إيران والقضاء على الإسماعيلية	...	٢٧
	تكليف منكو أخاه هولاكو بقيادة الحملة على إيران	...	
	الخطوة التي رسمها منكو لهولاكو	...	
	الأسباب التي جعلت المغول مهاجمون طائفة الإسماعيلية	...	
	مهاجمة قلاع الإسماعيلية والاستيلاء عليها	...	
	تسليم خورشاه حاكم الإسماعيلية وسقوط هذه الطائفة	...	
الفصل الثاني :	سقوط الخلافة العباسية	...	٣٢
	أول اتصال لهولاكو بالخليفة	...	
	رسالة هولاكو إلى الخليفة ورده عليها	...	
	سير الحملة	...	
	تسليم الخليفة وسقوط بغداد	...	
	ما أحدثه المغول من تخريب في هذه المدينة	...	

كيف عامل المغول الخليفة وعلى أى نحو قتلوه ؟ ...
نتائج سقوط بغداد ...

٤٦ الفصل الثالث : حملة هولاكو على سورية ...

العوامل التى شجعت المغول على فتح الشام ...
تحرك الجيش المغولى وفتح سورية الإسلامية ...
أسباب رحيل هولاكو عن الشام وبقضاء قائده كيتوبوقا
لإكمال فتح فلسطين ومصر ...
رسالة هولاكو إلى السلطان المملوكى قطز وموقف
هذا السلطان ...
تصميم المصريين على السير للقاء المغول ...
انتصار المصريين الحاسم على المغول فى موقعة عين جالوت .
كفاح المصريين فى سبيل الدفاع عن العروبة والإسلام ...

٥٨ الفصل الرابع : أبناء هولاكو خان وأحفاده : ...

١ - السلطان آباقاخان وأهم الأحداث التى جرت فى

٥٩ عهده : ...

أسرة الجوينيين - محاربة آباقا للمصريين
وانتصارهم عليه فى موقعة أبلستين - وفاته ...

٢ - السلطان أحمد تكودار وأهم الأحداث التى جرت فى

٦٠ عهده : ...

اعتناقه الإسلام وأثر ذلك فى سياسة الدولة - تحزب
المغول ضده وانتهاء الأمر بقتله ...

٣ - السلطان أرغون خان وأهم الأحداث التى جرت فى

٦١ عهده : ...

سياسته المعادية للمسلمين - التحاق رشيد الدين بخدمته -
إختيار سعد الدولة اليهودى وزيراً له ، وتمصب
هذا الوزير لليهود واضطهاد المسلمين - كراهية

أمراء المغول لسعد الدولة وتحالفهم مع المسلمين
للخلاص منه - قتل سعد الدولة والانتقام من اليهود -
سياسة أرغون الخارجية - وفاته... ..

٤ - السلطان كيخاتو خان وأهم الأحداث التي جرت في

٦٨

عهده :
ارتفاع منزلة رشيد الدين - أحمد الخالدي
الزنجاني وزير كيخاتو - إسراف السلطان والوزير
وأثر ذلك في سياسة الدولة المالية - استعمال أوراق
النقد الصينية « الخاو » - مقاومة الرعايا لهذه
العملة ، وماجره ذلك من كساد في التجارة - إبطال
التعامل بهذا الورق - قتل كيخاتو

٥ - السلطان بايدو خان وأهم الأحداث التي جرت في

٦٩

عهده :
تنصيب جمال الدين المستجرداني وزيراً له -
نشوب الحرب بينه وبين الأمير غازان بن
أرغون وانتهاء الأمر بقتل بايدو

٦ - السلطان محمود غازان خان وأهم الأحداث التي جرت

٧٠

في عهده :
إسلامه وإعلانه الإسلام ديناً رسمياً للدولة - أثر
ذلك في تاريخ إيران وحضارتها - صفات غازان
وثقافته - تنصيب صدر الدين أحمد الخالدي
الزنجاني وزيراً له - غضب غازان على الأمير
نوروز والخلص منه - ظهور شخصية رشيد الدين
في بلاط غازان - سقوط الوزير صدر الدين
الزنجاني وموقف رشيد الدين - اختيار رشيد الدين
ليكون وزيراً لغازان

الباب الثاني

التعريف برشيد الدين

(ص ٨٧ - ١١٢)

صفحة

٨٩	تمهيد : قلة المعلومات عن فترة طفولته ونشأته وأسباب ذلك ...
٩٠	الفصل الأول : اسمه ولقبه ومولده
٩٤	الفصل الثاني : ما ثار بشأن معتقده
١٠٥	الفصل الثالث : ثقافته
١١٠	الفصل الرابع : مبادئه وأخلاقه

الباب الثالث

رشيد الدين الوزير

(ص ١١٣ - ١٨٨)

١١٥	تمهيد : تطور منصب الوزارة منذ عهد الدولة العباسية إلى قيام دولة المغول - الأخذ بهذا النظام في عهد المغول وإسناده إلى الفرس غالباً - رغبة الوزراء في الإصلاح والعقبات التي صادقتهم - التغييرات التي طرأت على منصب الوزارة في عهد غازان وعيوب هذا النظام .
١٢٤	الفصل الأول : وزارته لغازان وما اقترن بها من أحداث إشراك سعد الدين الساوجي مع رشيد الدين في الوزارة . مدى مساهمة رشيد الدين في الإصلاحات التي تمت في عهد غازان . الدور الذي لعبه رشيد الدين أثناء حملة غازان على سورية . انتصار المصريين على المغول في موقعة مرج الصفر ... تأثير الهزيمة على نفسية غازان ومرضه ثم وفاته ...
١٤٠	الفصل الثاني : وزارته لأوجلايتو وما اقترن بها من أحداث ...

تكليف رشيد الدين وسعد الدين بالقيام بأعباء الوزارة .
الأبنية والمؤسسات التي أقامها أولجايتو ، واختيار
رشيد الدين للإشراف عليها
المؤامرة التي دبرت ضد الوزيرين ، وثبات براءتهما مما
نسب إليهما ومعاقبة المتآمرين
فتح أولجايتو إقليم جيلان ، والمهمة التي كان يقوم بها
رشيد الدين
ارتفاع شأن رشيد الدين ، وتدخله لحماية اثنين من كبار
علماء الشافعية ونجاحه في مهمته
تحول أولجايتو إلى المذهب الشيعي ، وتأثير ذلك على
رشيد الدين
النزاع بين رشيد الدين وسعد الدين
نهاية الوزير سعد الدين
تولية علي شاه منصب الوزارة
حادثة مقتل « تاج الدين أبي الفضل » نقيب الأشراف
وحقيقة موقف رشيد الدين منها
حملة أولجايتو على سورية والدور الذي لعبه رشيد الدين .
بدء النزاع بين الوزيرين رشيد الدين وعلي شاه
وفاة السلطان أولجايتو

الفصل الثالث : وزارته لأبي سعيد حتى مقتله :
تكليف رشيد الدين وعلي شاه بالقيام بأعباء الوزارة
عودة الوزيرين إلى النزاع ، وإقصاء رشيد الدين عن منصبه .
محاولة الأمير چوپان استرضاء رشيد الدين لكي يعود
إلى الوزارة ونجاحه في هذه المهمة
شروع علي شاه في تدبير المؤامرات من جديد ضد
رشيد الدين للخلاص منه

محاكمة رشيد الدين بتهمة إعطاء السلطان الراحل شراً ساماً
سبب وفاته
إعدام رشيد الدين ، وما تبع ذلك من أحداث
مناقشة ما جاء في المصادر العربية والفارسية بخصوص
التهمة الموجهة ضد رشيد الدين
ما لاقاه المتآمرون على رشيد الدين
ارتفاع شأن على شاه في بلاط أوجلايتو ومرضه ثم وفاته

الباب الرابع

أبناء رشيد الدين وأحفاده

(ص ١٨٩ - ٢١٤)

تمهيد : نبذة مختصرة عن أبناء رشيد الدين الذين كانوا يتولون
أسمى المناصب في دولة المغول

الفصل الأول : الخواجه غياث الدين محمد بن رشيد الدين ، ووزارته لأبي سعيد
اضطراب شئون الدولة بسبب ضعف الوزراء
غضب السلطان أبي سعيد على الأمير جويان والقضاء عليه .
اختيار غياث الدين محمد بن رشيد الدين للقيام بأعباء الوزارة .
نجاحه في تسير دفة الأمور طوال عهد أبي سعيد
تنازع الأمراء على ولاية العرش بعد وفاة أبي سعيد
وموقف غياث الدين محمد
اعتلاء أرباخان عرش المغول ، وثورة الأمراء عليه
ووقوف غياث الدين إلى جانبه
انتصار أمراء المغول على أرباخان ، والخلص منه
والقضاء على غياث الدين

الفصل الثاني : صلاته بالعلماء والأدباء

الكتب والمنظومات التي أهديت إليه :
كتاب ترجمة محاسن إصفهان - كتاب درة الأخبار ولعة الأنوار -
كتاب تاريخ كزنده - منظومة جام جم - كتاب مجمع
الأنساب - رعاية غياث الدين للشاعر سلمان الساوحي ...

الفصل الثالث : بقية أبناء رشيد الدين وأحفاده :
جلال الدين - شمس الدين عبد اللطيف - عز الدين إبراهيم -
پير سلطان - شرف الدين أحمد - الأمير علي - الأمير محمود -
عبد المؤمن - الأمير شهاب الدين - الخواجه سعيد - سعد الدين -
مجد الدين - الخواجه شمس الدين محمد زكريا - نجيب الدين .

الباب الخامس

رشيد الدين المؤرخ

(ص ٢١٥ - ٣٧٠)

الفصل الأول : أ - ازدهار فن التاريخ في عصر المغول :
عرض عام لحالة العلوم والآداب في هذا العصر -
تقدم النثر الفارسي وارتقائه - الإقبال على تأليف
الموسوعات التاريخية وأسباب ذلك

ب - مصادر تاريخ المغول قبل رشيد الدين :
دراسة نقدية لأهم المصادر الإسلامية التي ألفت في
تاريخ المغول قبل كتاب جامع التواريخ :
الكامل في التاريخ - سيرة جلال الدين منكبرتي -
طبقات ناصري - جهانگشاي - نظام التواريخ -
تاريخ الوصاف

الفصل الثاني : تأليف كتاب جامع التواريخ :

العوامل التي دعت إلى تأليف هذا الكتاب

أهم المصادر التي اعتمد عليها رشيد الدين

الطريقة التي سار عليها رشيد الدين في تأليف كتابه

مناقشة الآراء المختلفة حول تاريخ الشروع في كتابة مؤلفه

وتاريخ الانتهاء منه

تبرئة رشيد الدين من تهمة السرقة الأدبية

الفصل الثالث : أقسام كتاب جامع التواريخ ومنابعها :

الخطة التي سار عليها المؤلف في تقسيم كتابه

تفصيل الموضوعات التي اشتمل عليها كتاب جامع التواريخ

والكشف عن مصادرها

مناقشة الآراء المختلفة حول المجلد الثالث المتضمن جغرافية

العالم ، والقسم المتعلق بتاريخ أوجلايتو

الفصل الرابع : قيمة كتاب جامع التواريخ :

كتاب جامع التواريخ خير مثل للاتجاه إلى التأليف في

التاريخ العام

منهج رشيد الدين في كتابة التاريخ

هل كان رشيد الدين متحيزاً في كتابته عن المغول ؟

كيف أرخ رشيد الدين للأهم الوثنية واليهودية والمسيحية ؟

هل رجع رشيد الدين حقاً إلى المصادر التاريخية الفريدة

للشعوب التي أرخ لها ؟

الأهمية الحقيقية لكتاب جامع التواريخ

القيمة الفنية لهذا الكتاب

الفصل الخامس : المصادر التاريخية التي تأثرت بكتاب رشيد الدين : ...
مدى تأثير رشيد الدين في معاصريه وفيمن جاء بعده من
المؤرخين
المؤرخون الذين استمدوا معلوماتهم من كتاب رشيد الدين :
البنائكي - حمد الله القزويني - سيف بن يعقوب
الهروي - حافظ آبرو - ميرخواند - خواندمير
- حيدر الرازي - ابن الفوطي
المؤرخون الغربيون يستقون معلوماتهم عن المغول من
كتاب جامع التواريخ ، ويقتدون به في كتاباتهم عن
التاريخ العام

الفصل السادس : ما نشر من كتاب جامع التواريخ ، وضرورة نشره
بأكمله ، المجلد الأول من هذا الكتاب يحظى باهتمام
المستشرقين ، فيستقر رأيهم على المبادرة بطبعه
الأقسام المختلفة التي قام المستشرقون بنشرها مع بيان ما فيها
من محاسن وعيوب
المدرسة الروسية الحديثة ، ومحاولة إعادة طبع هذا
الكتاب ودراسة القسم الذي نشر دراسة نقدية
ظهور طبعة طهران الحديثة المشتملة على المجلد الأول
بأكمله
الأقسام التي ظهرت في تركيبتين المجلد الثاني المتعلق بالتاريخ
العام

الأسباب التي تدعو إلى إعادة طبع هذا الكتاب ...
 ضرورة تكوين لجنة تضم أعلام المستشرقين وكبار العلماء
 في الأقطار الإسلامية لطبع الكتاب طبعة علمية صحيحة ...
 الاقتراح الذي قدمه المستشرق الإنجليزي «براون» لإعادة
 طبع الكتاب - المخطوطات الهامة لكتاب جامع التواريخ
 التي يمكن أن توضع تحت أنظار اللجنة ...

الباب السادس

رشيد الدين العالم الأديب

(ص ٣٧١ - ٤٥٠)

الفصل الأول : مؤلفاته العلمية ...
 كتاب طب أهل الخطا ...
 كتاب بيان الحقائق ...
 كتاب الآثار والأحياء ...

الفصل الثاني : مؤلفاته الدينية ...
 السبب الذي دعا رشيد الدين إلى التأليف في المسائل الدينية ...
 لماذا لم يكتب رشيد الدين هذه المؤلفات إلا في سن متأخرة ؟
 أهم هذه المؤلفات : ...
 التوضيحات ...
 مفتاح التفاسير ...
 السلطانية ...
 لطايف الحقائق ...

المجموعة الرشيدية التي تضم هذه المؤلفات - وصف نسخها الخطية -
 ما تعرض له المؤلف من مطاعن بسبب التأليف في هذه
 الموضوعات ، وتفنيد هذه المطاعن - اشتداد الهجوم
 عليه على أثر ظهور كتابه التوضيحات - دعوته مائتين
 من العلماء لقراءة هذا الكتاب ونقده - إجماعهم على

استحسانه - نماذج من تقریظات هؤلاء العلماء ...
كتاب أسئلة وأجوبة وأهم محتوياته ...

٤١٨

الفصل الثالث : مؤلفاته الأدبية : مجموعة رسائله : ...
أهمية هذه الرسائل - المستشرق الإنجليزى ريوين لى
يشكك فى قيمة الكثير من هذه الرسائل وردنا عليه -
فائدة هذه الرسائل فى استقاء المعلومات الصحيحة من
النواحى التاريخية والسياسية والأدبية - أهم ما تضمنته
هذه الرسائل - رسائله إلى أولاده ، وما كانت تحويه
من نصائح ومثل لما ينبغى أن يتبعوه فى شئون السياسة
والحكم - الرسائل التى تكشف عن صلات رشيد الدين
برجال العلم والأدب وتلك التى تطلعنا على مدى ثقافته
وسعة اطلاعه

٤٣٢

الفصل الرابع : ١ - الربع الرشيدى والمؤسسات الأخرى : ...
المكان الذى شيد فيه هذا الربع - وصف تفصيلي
لأهم محتوياته - طوائف العلماء والطلبة والعمال
والخدم الذين يقطنون هذا الربع - تمييز العلماء
وتمهيد الحياة المستقرة لهم - توفير سبل الراحة
لجميع سكان الربع - اهتمام رشيد الدين بالخدمات
الطبية للسكان - وسائل الترغيب التى كان يلجأ
إليها لتشجيع الطلاب الممتازين على دراسة الطب -
خدماته الجليلة فى سبيل نشر الثقافة، والنهضة بالفنون
الجميلة - صدق عظمة هذا الربع فى شعر الشعراء -
ما آل إليه أمر هذه المؤسسة على أثر مقتل رشيد
الدين - المؤسسات الأخرى التى شيدها رشيد الدين .

٤٤٥

٢ - جهود رشيد الدين فى سبيل المحافظة على آثاره :
الوصية التى تركها رشيد الدين - ضرور الاحتياطات
العديدة التى اتخذها فى سبيل المحافظة على تراثه -
إخفاق هذه الجهود وضياح الكثير من مؤلفاته .

الخلاصة

(ص ٤٥٣ - ٤٦٢)

صفحة

٤٥٥	الحكم على رشيد الدين بعد دراسته : '
	رشيد الدين رجل ذو مبادئ قوية ، تتجلى فيه أنبل المواطف
	رشيد الدين الوزير شخصية واضحة المعالم ، تبرز عن كفاءة ممتازة
	رشيد الدين رجل مثقف ثقافة واسعة مستنيرة
	رشيد الدين مؤرخ يمتاز بعمق مباحثه ودقة أخباره ، وإفادته في شرح
	أحوال المفول - المزاي التي امتاز بها كتابه جامع التواريخ

مصادر البحث

(ص ٤٦٥ - ٤٨٦)

٤٦٧	المصادر الفارسية والتركية
٤٧٥	المصادر العربية
٤٨٢	المصادر الأوربية

كشاف الكتاب

(ص ٤٨٩ - ٥٤١)

٤٩١	أسماء الرجال
٥٢٢	أسماء البلدان والأمكنة
٥٣٦	أسماء القبائل والشعوب

مقدمة

الأستاذ الدكتور يحيى الخشاب

رشيد الدين فضل الله يعد من أقوى الشخصيات الإسلامية التي أثرت في العصر المغولي (أيام الایلخانيين) ؛ فهو بجانب الطب الذي نبغ فيه وأكسبه شهرة واسعة ، والوزارة التي لبث فيها قرابة عشرين عاما ، وهي فترة ليست قصيرة بالنسبة لمن عملوا مع سلاطين المغول — هو بجانب هذا مؤلف في الدراسات الإسلامية ومؤرخ ممتاز .

والكتاب الذي يسعدني أن أتحدث عنه في هذه المقدمة كتبه منذ اثني عشر عاما الدكتور فؤاد عبد المعطى الصياد عن رشيد الدين مؤرخ المغول حين كان يتقدم للجامعة عين شمس لنيل درجة الدكتوراه . وكان صديقي الصياد يعنى بدراسة المغول ومؤرخهم قبل ذلك بسنوات . وأحسب أن دراسته في جامعة طهران من ١٩٤٩ إلى ١٩٥١ كانت مكرسة لهذا الموضوع . فلما أكمل بعثته وعاد إلى الجامعة أخذ يفكر في الكتابة عن رشيد الدين مؤرخ المغول . ونجح في أن يكتب هذا البحث القيم بإشراف الصديق الزميل المغفور له الأستاذ الدكتور إبراهيم أمين الشواربي الذي حالت ظروف السفر البعيد دون أن يتمكن من حضور لجنة مناقشة الرسالة التي أشرف عليها ثم حال انتقاله إلى رحمة الله دون تقديمها إلى القراء . ولاشك أن الدكتور الصياد قد أفاد فائدة كبيرة من إقامته في طهران حيث اتصل بأساتذة لهم في موضوع المغول دراسات جادة متعمقة ، وحيث المراجع الكثيرة المطبوعة والمخطوطة . كما أنه أفاد من إشراف الأستاذ الدكتور الشواربي فائدة تبدو

واضحة جدا في هذه الدقة وهذا الإتقان اللذين امتازت بهما أعماله رحمه الله
واللذين ظهرت آثارهما واضحة في توجيه هذا الكتاب .

وكانت رسالة الدكتور الصياد فاتحة خير للتاريخ الإسلامى ولتاريخ
بعض شعوب آسيا ، فإنه بعد السنوات العديدة التى قضّاها فى دراسة حياة
رشيد الدين وكتابه عن المغول أصبح متخصصا فى موضوع هذا الكتاب
والم لا ما تاما بكل مايتصل به خاصة وبتاريخ المغول عامة . ومن هنا بدأ
يخطط لترجمة كتاب « جامع التواريخ » متابعا فى ذلك الخطوات التى
سبقته فى هذه الفكرة . وأشهد - وكان لى حظ الإشراف على هذه الترجمة
ومراجعتها - أن الدكتور الصياد له فى هذه الترجمة نصيب يفوق كثيرا
ما كان يخصص له ؛ فقد أبى عليه حبه لدراسة تاريخ المغول إلا أن يتقدم
بترجمة منسقة صحيحة . ولذلك رأيتّه يبذل من الجهد لتجويد الترجمة
لا ترجمته فحسب ولكن ترجمة بعض زملائه المتعاونين معه . ثم دفعه هذا
التخصص إلى الحرص على إخراج الترجمة العربية إخراجا علميا حتى يكون
الانتفاع بها على أحسن وجه ممكن ، فأنفق الأيام الطوال والليالى فى تصحيح
التجارب وإعداد الفهارس التى بدونها لا تتحقق الفائدة المرجوة من الكتاب .
وقد ظهر جزءان من ترجمة هذا السفر وتليهما بقية الأجزاء إن شاء الله .

والجهد الذى بذله الدكتور الصياد فى هذا لم يقتصر على الترجمة بالمعنى
الدقيق ولكنه تعدى ذلك إلى ترجمة العالم المدقق المحيط إحاطة تكاد تكون تامة
بالوضع الذى ينقله إلى اللغة العربية فهو يعلق على كل ما ينبغى التعليق عليه
ويقف ويتأمل ثم يدون ملاحظاته كلما اقتضى الموضوع ذلك . ترى هذا
واضحا فى الحواشى القيمة التى كتبها ، وفى الحواشى القيمة التى نقلها
أيضا عن المستشرقين الذين سبقوه فى نشر بعض أجزاء من « جامع التواريخ » .
وتبلور هذا كله فى كتاب وضعه عن « المغول فى التاريخ » . يعد بحق أول
ماكتب بالعربية كتابة علمية مقارنة عن المغول .

وإذن فقد كان من الضرورى أن تنشر هذه الرسالة التى أدت إلى ترجمة
« جامع التواريخ » إلى العربية ، لكى يعرف العرب وقراء العربية رشيد الدين

فُضِّلَ الله الذى يعد كتابه أحد كتب ثلاثة هى أهم ماكتب عن تاريخ المغول .

تقرأ فى هذا الكتاب معلومات قيمة عن عصر رشيد الدين ، وقد رجع المؤلف إلى عهد هولاكو الذى على يديه تم القضاء على قلاع الإسماعيلية فى الموت وغيرها . ثم سقطت الخلافة العباسية ، وألم ببغداد العذاب ثم استشرى الظلم وعم الخراب سائر بلاد الخلافة الشرقية . وقد تحدث المؤلف باستفاضة عن دخول المغول بغداد ، وقتل الخليفة المستعصم على طريقة المغول : « فهم لا يريقون على الأرض دماء السلاطين والأمراء الذين يحكم بقتلهم » .

ونقل الدكتور الصياد عبارة من رسالة فتح بغداد المنسوبة إلى الخواجه نصير الدين الطوسى والملاحقة بكتاب « تاريخ جهانگشاى » . وهذه العبارة تمثل رأى هولاكو فى ثراء الخليفة ، وهى جديرة بالذكر لما فيها من عظة لمن أراد أن يتعظ . يقول : « وأمر هولاكو بحرمان الخليفة من الطعام فلما عضه الجوع طلب طعاما . فقدم له هولاكو طبقا مملوءاً بالذهب وأمره أن يأكل . قال الخليفة : كيف يؤكل الذهب؟... فأجابه هولاكو : إذا كنت تعرف أن الذهب لا يؤكل فلم احتفظت به ، ولم توزعه على جنودك حتى يصونوا لك ملكك الموروث من هجمات جيشنا الغازى . ولم لم تحول تلك الأبواب الحديدية إلى سهام وتسرع إلى شاطئ جيحون لتحول دون عبورى ؟.. فرد الخليفة قائلاً : هكذا قدر الله . قال هولاكو : وما سوف يجرى عليك إنما هو كذلك تقدير الله » .

وذكر المؤلف بعض ما قاله الشعراء من رثاء فى هذا الحادث ، ومن ذلك قصيدة تاج الدين إسماعيل بن أبى اليسر التى يقول فيها :

لسائل الدمع عن بغداد إخبار فما وقوفك والأحباب قد ساروا
نازائرين إلى الزوراء لانفسدوا فما بذاك الحمى والدار ديار
وقصيدتان لسعدى الشيرازى إحداهما فارسية والثانية عربية ، وقد قال فى الأخيرة :

حبست بجفئى المدامع لا تجرى فلما طغى الماء استطال على السكر
نسيم صبا بغداد بعد خرابها تمنيت لو كانت تمر على قبري
ويبين الدكتور الصياد الظروف التي دخلت فيها أسرة الحوينيين في خدمة
المغول . ولم يكن هذا عجيبا فإن الحياة العملية حملت كثيرين على الالتحاق
بركب الغزاة ؛ وحجتهم في ذلك أنهم عملوا على تخفيف وطأة المغول على
المسلمين ، وأنقذوا بذلك كثيرين من القتل كما جنّبوا بعض الكتب والمساجد
التدمير والحريق . ولكن الذي نلاحظه أن المغول بدّأوا يؤمنون بأن حكم
شعب مسلم دون أن يكون الحاكم مسلما أمر يثير متاعب كثيرة . وقد كان
لصمود المصريين في وجههم ، وما أبدوه من القوة في قتالهم وغلبهم أثر
كبير في إقناعهم بأن الشعوب الإسلامية المقهورة تجد في مصر من يدفع
عنها وعن الإسلام . ثم كان لوجود المسلمين الذين قبلوا السير في ركب
الغزاة أثر في إقناع هؤلاء بالإسلام . ومهما يكن من أمر إسلام المغول
عن عقيدة كان أو لظروف سياسية عملية ، فإن الواضح أن سلوك المغول
بعد إسلامهم قد تحسن كثيرا .

مضى الدكتور الصياد في كتابه يتابع إسلام المغول فتحدث عن إسلام
أحمد تكودار (١٢٨٢/٦٨١ - ١٢٨٤/٦٨٣) وعن نفور أمراء المغول من
تصرفه حتى قتلوه ولما يمضى على حكمه عامان . وكانت الردة في عهد
أسلافه : أرغون خان (١٢٨٤/٦٨٣ - ١٢٩١/٦٩٠) وكيخاتوخان
(١٢٩١/٦٩٠ - ١٢٩٤/٦٩٤) ثم بايدوخان (١٢٩٤/٦٩٤) . أما الأول
فقد نكل بالمسلمين وخاصة بمن تعاون مع السلطان أحمد ، فقتل شمس الدين
الحويني ، صاحب الديوان ، ثم قتل أفراد أسرته جميعا . واختار سعد الدولة
اليهودي وزيرا له فزاد المسلمين ظلما وإرهاقا ، وامتد شره فمس أمراء
المغول أنفسهم . وقد قتلوه قبيل وفاة حاميهِ أرغون . وأما الثاني فقد أعاد
منصب الوزارة إلى المسلمين فاستوزر صدر الدين الزنجاني (صدر جهان)
وبذلك استعاد ثقة رعاياه بعض الشيء إلا أن سلوكه وإسرافه وإصداره
قانونا باستخدام أوراق النقد (چاو) بدلا من الذهب والفضة أثار الأمراء
عليه فقتلوه . وأما الثالث فاستوزر بدوره مسلما وأعفى أوقاف المسلمين

من الضرائب ، وأرسل ابنه ليصلي مع المسلمين في المساجد . ولكنه هو نفسه كان مسيحياً . وقد ثار عليه غازان خان مطالباً بدم عمه كيخاتو ، وانضم الأمراء إلى غازان فقتل بايدو ، وولى العرش غازان (٦٩٤/١٢٩٤-٧٠٣/١٣٠٣) .

أسلم غازان قبيل توليه العرش ، وسمى نفسه «محمود» . وكان إسلامه بدعوة من الأمير نوروز بن ارغون الذي كان حريصاً على إدخال المغول في المذهب الذي آمن به . «وقد التف حوله الناس ونثروا عليه الذهب واللؤلؤ والفضة وأقبلوا عليه يقبلون يديه ورجليه ويتبركون به ، ويصيحون من كثرة الفرح وهو ينظر إليهم ويضحك» . وكان هذا طبيعياً فإن الرجل لم يكن يعرف عن الإسلام إلا قليلاً مما تسلم به الفطرة السليمة وإنما دفعه للإسلام اعتقاده بأن حكم أمة إسلامية يستلزم إسلام من يحكمها . ولكنه منذ أسلم اتبع شعائر الدين فكان إسلامه صحيحاً رغم جهله بأصوله . ويرى رشيد الدين أن غازان كان صادق النية في إسلامه لأنه كان في غنى عن مراعاة الناس بإظهار أمر لا يؤمن به .

ناقش الدكتور الصياد هذه القضية مناقشة علمية هادئة رجع فيها إلى المصادر الأصلية التي عاصرت هذه الفترة كما نقد آراء المؤرخين المتأخرين وناقش بعد هذا - في أصالة وتمكن ودقة - آراء المستشرقين . وانتهى إلى صحة إسلام غازان .،

ومهما يكن فقد ترتب على إسلام غازان أن أصبح الإسلام دين الدولة . ولبس المغول المسلمون العمامة تمييزاً لهم . وبدأت حركة اضطهاد عنيفة ضد المسيحية واليهودية وأحس المغول الذين لم يسلّموا بهوان دياناتهم البوذية أو الشامانية فامتألت قلوبهم حقداً على الإسلام ، وأخذوا - مع اليهود والنصارى - يتربصون به الدوائر .

وفي عهد أولجايتو كاد الخلاف بين الحنفية والشافعية يحمل المغول على الردة . فإن الحنفية شكوا إلى السلطان تشهير الشافعية بهم ، فأراد هذا أن يحسم النزاع بين أهل المذاهبين فدعا أئمتهم إلى مناظرة في قصره ، ولم يكتب

المتناظرون بإبداء آرائهم ولكنهم - في تنطع المتعصبين - أخذوا في التشيع بعضهم على بعض ، وفقد المجلس وقار الدين ، واتسم بالمهاترة والسباب والتناول . وأدى هذا إلى نفور أمراء المغول من الإسلام نفسه ، فأبدوا أسفهم على ترك دينهم والعدول عن الياسا وتمنوا العودة إلى ما كانوا عليه من دين واتباع قانون جنكيز . وانتشر هذا بين المغول فرحبوا به ، واتضح الميل إلى الردة والعود إلى الوضع قبل إسلام غازان . ولكن السلطان أولجياتيو تردد وقال إنه لا يستطيع أن يترك الإسلام دفعة واحدة بعد الذي بذل من جهد على هديه . وكما أنقذ المسلمون الشيعة الإسلام والمسلمين أيام هولاءكو كذلك أنقذوه أيام أولجياتيو والردة وشيكة الوقوع . فقد تقدم أمير مغولى من الشيعة الإمامية فشرح مذهبه للسلطان أولجياتيو وزين له اتباعه وبين له زيف مايقول به أصحاب الفرق الأخرى وخاصة من الذين اشتركوا في المناظرة وتهاتروا ، ونجح الأمير الشيعي في مقصده ، واستمسك السلطان بالإسلام وعدل عن الردة ، وانتقل من المذهب السنى إلى التشيع .

وأعان الأمير في إقناع السلطان بالاستمسك بالإسلام وبمذهب الشيعة الإمامية شيخان من كبار رجال الدين في ذلك الوقت هما : تاج الدين الآوجي وجمال الدين المطهر الحلى . وإليهما وإلى الأمير طرمطاز يرجع الفضل في إبقاء السلطان ومن تبعه على الإسلام .

ورشيد الدين نفسه كان يهوديا وأسلم ، أو كان من أصل يهودى على أية حال . واختلف الكتاب في أصل دينه ، فذهب كاترمير Quatremère إلى أن جده كان مسلما وهو أحد ثلاثة قابلوا هولاءكو حين استولى على قلعة ميمون دز . وقد أمن هولاءكو لهم فأمر بإخراجهم من القلعة وألحقهم بخدمته . كان أحدهم موفق الدولة جد رشيد الدين لأبيه . وذهب كاترمير إلى احتمال كون أجداده من اليهود مما يفسر حديثه المستفيض عن الديانة اليهودية وتقاليدها . وإن كان من المسلمين الخالص من عنوا بهذه الدراسة على نفس المستوى بل وعلى مستوى أرق من الناحية العلمية .

وذهب بلوشيه Blochet إلى صعوبة إبداء رأى في حقيقة دين رشيد

الدين ، ورجح أنه كان يهوديا . وأما المصادر الفارسية فمنها ما يذهب إلى أنه كان يهوديا ، وأنه أسلم في عهد السلطان اوجلاتيو . إلى هذا ذهب الشبانكارى صاحب مجمع الأنساب (مخطوط) .

وأما المصادر العربية فمنها - كرحلة ابن بطوطه - ما ذهب إلى أن الرحالة قابل الخواجه غياث الدين محمد بن رشيد الدين وزير السلطان أبى سعيد ، وذكر أن أباه كان من مهاجرة اليهود ، وأن السلطان اوجلاتيو (محمد خدا بنده) استوزره .

ومنها - كالبداية والنهاية لابن كثير - ما ذهب إلى أن أصله كان يهوديا عطارا فتقدم بالطب وشملته السعادة حتى كان عند خدا بنده (خربنده عند ابن كثير) الجزء الذى لا يتجزأ .. وكان قد أظهر الإسلام .

وتنص رواية « تالى وفيات الأعيان » للصقاعى على قول تنسبه لرشيد الدين دفاعا عن نفسه : « كيف أقتل الملك وأنا كنت رجلا يهوديا عطارا ضعيفا بين الناس فصرت فى أيامه وأيام أخيه متصرفا فى المملكة وأموالها .. »

وجاء الدكتور الصياد فناقش هذه الآراء كلها مناقشة علمية حقة وانتهى إلى أن « مسألة اتهام رشيد الدين باليهودية ثابتة ومفروغ منها » ، وإلى « أنه كان يسير فى حياته الرسمية سيرة المسلم الخالص الكامل ، وأن علماء لاسبيل إلى الشك فى حسن نيتهم وكفاءتهم شهدوا بصحة عقيدته فى كتاباته وفى حياته وأن أعماله كلها كانت خيرا وبركة على الإسلام والمسلمين » .

ونقرأ فى هذا الكتاب خلاصة لسير بعض الايلخانيين ، وتعريفا برشيد الدين منذ صباه ثم بحثا قويا عن منصب الوزير . فرشيد الدين لم يكن صاحب وزارة فحسب بل إن أسرته ظلت مذكورة فى أهم مناصب الدولة فترة طويلة من بعده ؛ شأنها فى ذلك شأن أسرتى البرامكة ونظام الملك .

ونقرأ فى هذا الكتاب أشمل بيان عن كتاب جامع التواريخ : أسباب تأليفه ومصادره ، والطريقة التى سار عليها واضعه ، وأقسامه ، وقيمته التاريخية ، والمصادر التاريخية التى تأثرت به ، ونقد الأجزاء التى نشرت منه

وجهد المدرسة الروسية الحديثة في محاولة طبع الكتاب كاملا . واقترح الدكتور الصياد تكوين لجنة تضم أعلام المستشرقين المختصين والعلماء في البلاد الإسلامية لدراسة إمكان إخراج هذا السفر النفيس في طبعة علمية كاملة . وهو اقتراح جدير بالنظر في مؤتمر المستشرقين القادم .

وتحدث الدكتور الصياد في الفصل الأخير من كتابه عن «رشيد الدين العالم الأديب» فذكر الآثار العلمية لهذا الوزير ، ووصف «المجموعة الرشيدية» .

إن المصادر التي رجع إليها الدكتور الصياد في كتابه هذا ، عربية وفارسية وتركية وانجليزية وفرنسية وألمانية تدل على الجهد الذي بذله في إنجازها ، وهو يستوعب هذه المصادر كلها ويفيد منها . وقد رجع إلى مخطوطات عديدة منها مخطوطات خاصة استطاع أن يصل إليها لصلاته الطيبة بأصحابها . ولا شك أن ما اتصف به صديقي الصياد من دماثة الخلق ورقة الشمائل قد يسر له الكثير مما قد يشق على غيره .

وختاما فإني ليسعدني أن أقدم هذا الكتاب إلى طلاب الدراسات العليا بجامعاتنا ليفيدوا من خطتها ومنطق البحث فيها ، وإلى علماء الدراسات الشرقية الذين يلقونها مرحبين بما فيها من دراسة قيمة لموضوع أضفى عليه الدكتور الصياد من النور ما جعله واضحا وبما فيها من حث على إعادة النظر في تاريخ المغول عامة والأيلخانيين خاصة .

يجي الحساب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

لم تكن هناك فترة ملائمة لكتابة التواريخ العالمية والتواريخ العامة أكثر من القرن الذى تلا تكوين الإمبراطورية الآسيوية على يد جنكيز خان ، ولم تتوافر الظروف التى ساعدت على تحقيق تلك الفكرة فى أى مكان آخر أكثر مما توافرت فى إيران . وقد كانت الفتوحات المغولية بالرغم مما صحبها من تضحيات عظيمة فى الرجال - سبباً فى توسيع الأفق البشرى إلى درجة لا مثيل لها . كما أنها ساعدت على كشف الغطاء الذى كان ينجم من قبل على أقاليم الشرق الأوسط والشرق الأقصى ، وأدت إلى وجود علاقة وثيقة نسبياً بين آسيا الغربية وأوروبا . وهكذا ظهرت قارة أوراسيا لأول مرة فى التاريخ حقيقة ملموسة أمام البشرية .

وبالرغم من أن الصين وإيران كانتا دعامتى الإمبراطورية المغولية فإن إيران بسبب موقعها المتوسط كانت ملتقى المصالح السياسية والاقتصادية والثقافية . ولهذا لعبت أهم دور للوساطة بين الشرق والغرب .

ولإذن فليس مما يدهشنا أن تكون إيران هى التى بدأ فيها فى بداية القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) أول مجهودات بذلت لكتابة مؤلفات عن تاريخ العالم . وفى الواقع إن الأنظار تتجه إلى أول محاولة ، تلك التى قام بها رشيد الدين بتأليف كتابه جامع التواريخ :

فى النصف الثانى من القرن السابع وأوائل القرن الثامن الهجرى كان يعىش فى إىران مؤرخ عالم أديب هو رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة أبى الخير بن موفق الدولة الهمدانى . كان جده موفق الدولة يعىش مع الخواجه نصير الدين الطوسى فى قلاع الإسماعيلية بقهستان ، ثم التحق بخدمة هولاكو على أثر استيلائه على تلك البقاع .

ولد رشيد الدين فى همدان سنة ٦٤٥ هـ ، وأمضى فترة شبابه هناك فى تحصيل العلوم المختلفة وخاصة الطب ، واشتغل طبيباً فى بلاط أباقا خان (٦٦٣ - ٦٨٠) وصار يترقى شيئاً فشيئاً إلى أن عين وزيراً فى عهد غازان خان (٦٩٤ - ٧٠٣) واستمر يتقلد أعباء هذا المنصب فى عهد أوجلايتو (٧٠٣ - ٧١٦) وأبى سعيد (٧١٦ - ٧٣٦) .

وفى أوائل عهد أبى سعيد وقع رشيد الدين فريسة الدس والمؤامرات التى كان يحكيها له زميله فى الوزارة على شاه الجيلاى ، وانتهى الأمر بقتله فى جمادى الأولى عام ٧١٨ هـ وهو فى الثالثة والسبعين من عمره . وعلى أثر مقتله نهبت جميع أمواله وممتلكاته ، وخربت محلة الربع الرشيدى التى كان قد أقامها شرقى تبريز .

كان رشيد الدين رجلاً واسع الأفق غزير الثقافة ، يعرف كثيراً من اللغات والثقافات الفارسية والعربية والعبرية والتركية والمغولية . وعندما تولى غازان خان عرش المغول وعرف فى مؤرخنا النبوغ والذكاء ، ولمس فيه الإخلاص والوفاء لم يكتف بتقليده منصب الوزارة فحسب بل كلفه بعمل أدبى كبير هو تأليف كتاب جامع فى تاريخ المغول .

وحتى تكتمل عناصر النجاح لهذا المشروع وضع غازان خان تحت تصرف رشيد الدين خير المصادر وأندرها فى الإمبراطورية المغولية كالوثائق والسجلات التى كان على رأسها « التون دبتر » أى (الكتاب الذهبى) المشتمل على التاريخ الرسمى للمغول . كذلك استطاع رشيد الدين أن يحصل على الكثير من الروايات الشفوية التى كان يدور معظمها على لسان غازان نفسه والأمير بولاد جينك سيانگك سفير الخان الأعظم فى بلاط غازان خان . وكان كلا

الرجلين قد اشتهر بمعارفه الواسعة وتجاربه الممتدة والإحاطة التامة بتاريخ المغول . وهكذا تهيأت الفرصة لرشيد الدين لأن يكتب كتاباً مدعماً بخير الوثائق ، كتاباً يمكن اعتباره فريداً في نوعه في تاريخ المغول منذ أقدم الأزمنة حتى عصر التأليف .

اهتم رشيد الدين بهذا الأمر غاية الاهتمام ، ووضع نصب عينيه أن ينجز مهمته على الوجه الأكمل . ورغم أنه لم يكن متفرغاً تماماً لهذا العمل الشاق إذ كانت تشغله مهام الدولة المتشعبة التي كان يفرضها عليه منصبه الخطير فقد استطاع أن يقطع شوطاً بعيداً في تأليف هذا الكتاب الذي أطلق عليه اسم « تاريخ غازاني » . وبينما كان رشيد الدين على وشك الفراغ من مهمته مات فجأة السلطان غازان خان في زهرة شبابه في شوال عام ٧٠٣ ، وتولى أخوه أولجايتو عرش المغول فأبقى رشيد الدين في منصبه وكلفه بأن ينجز تاريخ المغول وأن يستمر في إهدائه إلى غازان اعترافاً بالجميل نحو ذكرى هذا الراحل الذي بفضله عمل هذا المؤلف . وفي الوقت نفسه أمره بمهمة جديدة ليست أقل صعوبة من الأولى وهي أن يكتب مجلداً ثانياً يشتمل على تاريخ لجميع الشعوب التي اتصل بها المغول أثناء فتوحاتهم :

وفي هذه المرة أيضاً استطاع رشيد الدين بمساعدة العلماء الذين كانوا يقطنون تبريز والسلطانية في ذلك الوقت وكان منهم الصينيون وأهل التبت والأويغوريون (١) والفرنج — أن يفرغ من تأليف كتابه وكان ذلك في سنة ٧١٠ هـ . وأطلق على العمل بأكمله اسم « جامع التواريخ » فكان واحداً من أمهات كتب التاريخ وخاصة تاريخ البلاد الإسلامية والفارسية . وأهميته كبيرة في حدود الكتابة التاريخية بأسرها ، وهي أهمية يعترف لها بها المستشرقون وغير المستشرقين . ثم إن هذا الكتاب هو أول تاريخ عالمي معروف بالمعنى

(١) قوم من الأتراك يدينون بالمسيحية والبوذية والمناوية . وهم بصفة عامة أكثر أقوام الأتراك والمغول تمدناً . كانوا يقطنون شمال شرق تركستان وشمال نهر تاريم . وأهم مدنها تورفان وبيش باليغ وبرقول وقره شهر وآمالايغ . وكان لهم خط خاص بهم هو الخط الاوينغوري . وعندما اختلط بهم المغول أخذوا عنهم هذا الخط ودونوا به كتاباتهم (انظر عباس إقبال : تاريخ مفصل إيران ، ص ١٦ وما بعدها) .

الصحيح وأول مجموع منظم للتطور التاريخي لكل الأوطان التي في قارة أوراسيا من المحيط الهادى إلى المحيط الأطلسى .

لم يكن رشيد الدين مؤرخاً فحسب ، بل كان كذلك عالماً أديباً له مؤلفات عديدة امتدت إلى كثير من أنواع المعارف الإنسانية فقد ألف في الطب وفي علم الأحياء والاقتصاد الزراعى والدين والأدب ، وترك في كل ذلك آثاراً قيمة كانت إلى جانب مؤلفه التاريخي دليلاً قوياً ، على عظمة هذا الرجل وعمق تفكيره .

وما زال تراث رشيد الدين فريداً بين آثار التفكير الإسلامى ، وما زال يحتفظ — رغم كثر العصور ومر الزمان — بقيمته وروعته ، وفائدته ، ويتبوأ مقامه بين تراث التفكير العالمى . ومع هذا ظل تراثاً مطموراً في بطون المخطوطات مدة طويلة لا يكاد العالم يعرف عنه شيئاً حتى هب المستشرقون فنفضوا عنه كما نفضوا عن غيره — غبار النسيان وأظهروا للناس مافيه من روعة وابتكار وقوة تأليف .

ومن الإنصاف لهؤلاء الذين كان لهم فضل السبق في الكتابة عن رشيد الدين أو نشر جزء من كتاباته أن أعرض ما فعلوه في سرعة وفي إنجاز مبيناً أوجه الكمال والنقص في محاولاتهم حتى يتسنى للقارئ الوقوف على مدى ما أضافه هذا البحث من معلومات جديدة عن رشيد الدين وعن أثره الخالد كتاب « جامع التواريخ » .

عند ما حاول المستشرقون دراسة رشيد الدين دراسة جدية ، كان أول ما استرعى أنظارهم كتابه جامع التواريخ وكانوا على صواب فيما ذهبوا إليه لأن شهرة رشيد الدين كمؤرخ كانت تأتي في المقدمة ، وكتابه التاريخي هو الذى أذاع صيته وأعلى ذكره ورفع اسمه في الخافقين .

لقد أخذ اسم رشيد الدين يسمع في العالم الغربى في القرن السابع عشر الميلادى منذ أن كتب « دربلو » موسوعته الشرقية في سنة ١٦٩٧ م وخص مؤلف رشيد الدين « المجموعة الرشيدية » ببضعة سطور (١) . ثم مضى بعد

ذلك أكثر من قرن قبل أن يعنى التفكير الغربى (١) بشأنه ؛ ففى سنة ١٨٣٦ م نشر المستشرق الفرنسى « كاترمير » (٢) القسم المتعلق بتاريخ هولاكو مع ترجمة فرنسية للمتن الفارسى . وقد صحب المتن والترجمة كثير من الحواشى تدل على اطلاع واسع وعلم غزير ، وما زالت تحتفظ بأهميتها وروعها من ناحية الدراسة التاريخية والأدبية . صدرت هذه الطبعة بمقدمة ضافية كتبها كاترمير عن حياة رشيد الدين وآثاره ، فيها تبدو الجهود الجبارة التى بذلها هذا الكاتب فى دراسة رشيد الدين . وإن قيمة هذا العمل الرائع لتتضح بصفة خاصة فى المخطوطات العديدة التى رجع إليها .

إلا أننا مع اعترافنا بأهمية تلك المقدمة ؛ نرى أن كاترمير لم يفتن إلى وجود مصادر أخرى تمدنا بمعلومات جديدة عن حياة رشيد الدين ، وتساعد فى إعطائنا صورة صحيحة عنه ؛ فثلاً لم يحاول كاترمير أن يستفيد بمجموعة رسائل رشيد الدين التى تحوى كثيراً من التفصيلات عنه وعن آثاره مع أنه تنبه إلى وجود مخطوط بمكتبة بطرسبورج الإمبراطورية يشتمل على مجموعة من هذه الرسائل عددها خمس وعشرون رسالة (٣) .

ثم إن كاترمير حينما تناول كتاب جامع التواريخ بالبحث ، لم يكن يعرف إلا المجلد الأول منه المتعلق بتاريخ المغول فقط (٤) ، فجاء وصفه لهذا

(١) انظر بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ، ترجمة الدكتور أحمد السعيد سليمان ، ص و- ز من مقدمة المترجم ، القاهرة ١٩٥٨ ؛ رشيد الدين فضل الله الهمداني ، جامع التواريخ ، المجلد الثانى - الجزء الأول ، تاريخ هولاكوخان ، الترجمة العربية ، ص ب - ج من مقدمة الأستاذ الدكتور يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٦٠ .

(٢) Etienne-Marc Quatremère (١٧٨٢ - ١٨٥٧) مستشرق فرنسى كان يعرف اللغتين العربية والفارسية معرفة جيدة . انتخب عضواً فى المجمع الفرنسى عام ١٨١٥ ثم ولى تحرير المجلة الآسيوية وكلف بتدريس اللغات الشرقية فى كبرى المدارس . نشر وترجم كثيراً من المؤلفات التاريخية والأدبية باللغتين العربية والفارسية (انظر فرهنك خاور شناسان ، ص ٢٦٨ ؛ نجيب العتيق : المستشرقون ، ص ٤٣) .

(٣) انظر Quatremère: Histoire des Mongols de la Perse, p. CXX

(٤) انظر Morley: Descriptive Cat. p. 3 On the Discovery of Jami'al-tawarikh

for the first time in 1838.

الكتاب ناقصاً يحتاج إلى مزيد من الإيضاح والتفصيل . وحتى كلامه على المجلد الأول كان موجزاً مجملاً ذلك لأنه لم يدرس رشيد الدين على أنه مؤرخ فحسب بل درسه على أنه مؤرخ عالم أديب ترك في كل هذه الفروع آثاراً كثيرة باقية متصلة البقاء .

كذلك لاحظت أن كاترمير كان يكتفى بذكر اللغة التي كتب بها المخطوط دون أن يشير إلى اسم ذلك المخطوط أو إلى اسم مؤلفه . وهذا كثيراً ما يجعل المسائل تلتبس على الباحث الأجنبي الذي يود أن يتابع هذه الدراسات ابتغاء الحصول على المزيد من الاطلاعات .

يضاف إلى ما ذكر أن هذا الكتاب الضخم على الرغم من طبعته الأنيقة وورقه المصقول الجيد وكتابته الواضحة يفقر إلى فهرس . ولاشك أن هذا يصعب مهمة الباحث ويقلل من الاستفادة بتلك المعلومات الغزيرة .

وخلال السنوات القليلة التي أعقبت موت كاترمير ، أعد برزين (١) العالم الروسي العدة لنشر جزء آخر من كتاب جامع التواريخ وهو يتعلق بنشر المتن الفارسي وترجمته الروسية للقسم الذي كتبه رشيد الدين عن القبائل التركية والمغولية وعن أجساد جنكيز خان وتاريخ جنكيز نفسه وفتوحاته وغزواته ، ويسبق هذا القسم المقدمة التي كتبها رشيد الدين في بدء تاريخ جنكيز خان وأحفاده وحكام المغول ، ونشر برزين هذا القسم في ثلاثة أجزاء من الحجم المعتاد في بطرسبورج عام ١٨٦١ - ١٨٨٨ :

وقد كتب برزين لهذه الطبعة مقدمة باللغة الروسية وصف فيها كتاب رشيد الدين وصفاً مختصراً وعدد المخطوطات التي اعتمد عليها في نشر هذا القسم . وبعد ذلك اقتصر فقط على شرح أسماء الأعلام المغولية والتركية .

(١) Ilya Nikolayevitch Berezine (١٨١٨ - ١٨٩٦) هو من أشهر أساتذة الاستشراق الروس درس اللغات الشرقية وأحرز لقب أستاذ فيها في سنة ١٨٤١ ، وأرسل إلى الشرق ثلاث سنوات فطاف إيران ومناطق ما بين النهرين وآسيا الوسطى وسورية ومصر والقسطنطينية . ولما عاد من رحلته عهد إليه بتحرير القسم الإسلامي في الجريدة الروسية ، وتولى إدارة المطبوعات الشرقية في قازان وصار يتقلد هذا المنصب حتى وفاته (انظر بارتولد : مجلة العالم الإسلامي ، ص ٥٩ ؛ نجيب العقيلي : المستشرقون ، ص ١٢٩) .

ورغم الدقة التي تحراها برزين في طبعته ، نراه قد أخذ عليه أنه أسقط جميع الفصول المعترضة التي تتعلق بتاريخ الأمم غير المغولية مع أنها كانت موجودة في الأصل الفارسي . وبذلك يكون قد اقتصر على نشر تاريخ المغول فقط .

وفي سنة ١٩٠٦ قر قرار لجنة أوقاف جب التذكارية على نشر انجند الأول من كتاب جامع التواريخ المشتمل على تاريخ المغول نشرًا علميًا صحيحًا وذلك لإتمام العمل الذي قام به كاترمير وبرزين ، وعهد بهذه المهمة إلى المستشرق الفرنسي (بلوشيه) (١) .

وبالرغم من أن بلوشيه كان سيء الظن كثيراً بعمل سلفه برزين لأنه أسقط من طبعته الأقسام المعترضة المتعلقة بالدويلات التي كانت تعاصر المغول (٢) فإن رأى اللجنة قد استقر على أن ينشر بلوشيه القسم الذي يتلو ما نشره « برزين » أي أنه يبدأ من حيث انتهى برزين إلى أن يصل إلى أول القسم الذي نشره كاترمير . ولكنه وجد أنه من الضروري قبل ذلك أن يكتب مقدمة لدراسة تاريخ المغول يتم فيها التحقيقات التي بدأها كاترمير فيما يتعلق برشيد الدين خصوصاً وأنه عثر على مصدر هام آخر لم يعرفه كاترمير ، ولأنه كان يريد أن يعالج عدة مسائل تاريخية ، لا تتصل بالتاريخ الأدبي فحسب بل تناول أيضاً الناحية السياسية . وفي رأيه أنه إذا لم تبحث هذه المسائل فإنه لا يستطيع الوقوف على فكرة اتساع الإمبراطورية المغولية (٣) . ولهذا كتب مؤلفه « مقدمة تاريخ المغول » ونشره في لندن عام ١٩١٠ .

ولا شك أن هذه المقدمة قد أفادت فائدة كبيرة في دراسة أثر قديم

(١) Edgard Blochet (١٨٧٠ - ١٩٣٧) درس اللغتين العربية والفارسية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس ، ثم اتجه إلى دراسة التاريخ والآثار القديمة ، وأمضى نحو الأربعين سنة موظفاً بالمكتبة الأهلية بباريس فمكف على نفائس المخطوطات العربية والفارسية بالنشر والتعليق ، وكتب فهرسه الجامع عن المخطوطات الفارسية في أربعة مجلدات ، كما ألف كثيراً من المؤلفات في الفنون الإيرانية والإسلامية . وهذا عدا الفهارس والمؤلفات الأخرى التي ألفها في شتى الموضوعات التاريخية والأدبية (انظر مجلة يادگار ، السنة الثانية ، العدد ١٠ ص ١٠ - ١٩) .

(٢) انظر Blochet: Introduction à l'Histoire des Mongols, p.1.

(٣) انظر نفس المصدر ص ٦ .

هام لتاريخ تلك الفترة التي ما زالت تحتاج إلى عدد كبير من المؤلفات والدراسات الخاصة (١).

فهذه المقدمة تشتمل على كثير من المعلومات ولو أنها غير مرتبة (٢). كما أن مؤلفها يبدى رأيه واضحاً صريحاً إزاء المسائل المعقدة التي تتناول النواحي الأدبية والتاريخ السياسية. وإن كثيراً من صفحات هذه المقدمة تمتلئ بالنصوص الكثيرة المتنوعة من مختلف اللغات فكثيراً ما نجد الحروف اللاتينية تجاور الحروف الروسية والعربية والصينية والمغولية والفارسية. ومن هنا نستطيع أن نقول إن بلوشيه بهذه الاطلاعات الواسعة يبدو شاذاً نادراً بين معاصريه من المستشرقين.

ولكن إذا كان بلوشيه في دراسته لرشيد الدين قد توصل إلى معرفة مصدر رئيسي لم يعرفه كاترمير ألا وهو كتاب تاريخ أوبلخايتو لعبد الله الكاشاني (٣) الذي كان معاصراً لرشيد الدين، فقد فاتته أن يستفيد بمعلومات مصادر أخرى كثيرة كانت معاصرة أيضاً لهذا المؤرخ، ولا يمكن أن تقل في أهميتها عن كتاب الكاشاني. فنحن نجد في مقدمة «بلوشيه» أسماء لمؤرخين منهم وصاف الحضرة والبناكتي وحمد الله القزويني ولكنه لم يحاول أن يستشير مؤلفاتهم في دراسة الموضوع الذي يعالجه، مع أنها تم التحقيقات التي كان يهدف إليها بل وتوضحها توضيحاً كاملاً.

وفي إيران في القرن الثامن الهجري كان يوجد مصدر هام آخر لم يذكر بلوشيه عنه شيئاً رغم ما له من أهمية كبيرة في الكشف عن شخصية رشيد الدين هذا الكتاب هو مجمع الأنساب لمحمد بن علي الشبانكارى (٤).

وكنا ننتظر من بلوشيه عند حديثه على كتاب جامع التواريخ أن يتناول

(١) انظر بارتولد : مجلة العالم الإسلامي، ص ٧٢.

(٢) ليس هناك فهرس تفصيلي للاستفادة بمعلومات الكتاب في سهولة ويسر، وإنما هناك فقط حواشي مجملة.

(٣) انظر Storey: Persian Literature, Section II, P. 78.

(٤) انظر Rieu: Catalogue of the Persian Manuscripts in the British

Museum, Vol.I pp. 83.sq.

هذا الكتاب بالدراسة النقدية المفصلة لكنه مع الأسف لم يفعل ، وكان متسرعا في إبداء حكمه على هذا الكتاب مما أدى إلى تضارب أقواله وتناقضها . وقد بينا التناقض في موضعه من هذا البحث .

أتبع بلوشيه مقدمته بنشر قسم آخر من المجلد الأول من كتاب جامع التواريخ في ليدن عام ١٩١١ ، وهو يأتي مباشرة بعد القسم الذى نشره برزين ، ويتضمن تاريخ أبناء جنكيز خان وخلفائه الذين كانوا يحكمون في منغوليا والصين وتركستان والقبچاق وجنوب روسيا أى أولئك الذين كانوا يحكمون في غير إيران .

وقبل أن ينشر بلوشيه كتابيه حرر المستشرق الإنجليزى « براون » (١) في عام ١٩٠٨ — مقالا في المجلة الآسيوية الملكية بعنوان : « اقترح بنشر كامل لكتاب جامع التواريخ تأليف رشيد الدين فضل الله » (٢) قدم فيه تصميماً لطبع الكتاب بأكمله ، وبين كيفية تقسيمه إلى مجلدات مختلفة متقاربة في الحجم والمقدار ، وتحدث عن أهم المخطوطات التى يمكن أن يعتمد عليها في تنفيذ هذا المشروع .

وفي عام ١٩١٢ نشر المستشرق الروسى « بارتولد » (٣) مقالا علمياً

(١) Edward G. Browne (١٨٦٢ - ١٩٢٦) كان أحد الأساتذة المبرزين في جامعة كبريدج ، ومن أغزر المستشرقين إنتاجاً وتأليفاً . ظل طول حياته يجب إيران حبا صادقا مجردا عن الأغراض والأهواء ، فلا غرو أن كان يتفانى في نشر الثقافة الفارسية والإشادة بها . كان يجيد اللغات الفارسية والعربية والتركية . ألف كثيرا من الكتب أهمها كتابه الخالد « التاريخ الأدبى لإيران » ، نشره في أربعة مجلدات فيما بين سنوات ١٩٠٢ - ١٩٢٤ . كما أنه قام بتصحيح ونشر عدة كتب فارسية في الأدب والتاريخ والتراجم (انظر مقدمة تاريخ أدبيات إيران از آغاز عهد صفويه تا زمان حاضر ، ترجمة رشيد ياسنى ، ص ٨ وما بعدها) .

(٢) Suggestions for a complete edition of the Jami'ul Tawarikh of Rashid

d'Din Fadl Allah, in the J.R.A.S., January, 1908.

(٣) بارتولد Barthold (١٨٦٩ - ١٩٢٧) هو أحد كبار العلماء الذين أنجبهم روسيا القيصرية تخصص في دراسة تاريخ الإيرانيين والآراك ، وتخرج من كلية اللغات الشرقية بجامعة بطرسبورج عام ١٨٩١ هـ ، وتولى منصب التدريس فيها إلى أن عين أستاذاً بها كما عين عضواً في معهد العلوم الروسى . له مؤلفات كثيرة في شتى الموضوعات التاريخية الشرقية (انظر بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ترجمة الأستاذ حمزة طاهر ، الطبعة الثانية ص ١٠ - ١٢ من مقدمة المترجم) تم جمعها عن علم غزير وثقافة واسعة . توفى بارتولد في أغسطس سنة ١٩٢٧ .

رائعاً في مجلة « Mir Islama » (العالم الإسلامى) الروسية نقد فيه مقدمة « بلوشيه » وصحح بعض الأخطاء التي وقع فيها . وهذه المقالة على صغرها حوت آراء قيمة وتناولت جوانب هامة في حياة رشيد الدين ، ولكنها تبدو مقتضبة جداً إذا ما قيسست بالمسائل العديدة التي عالجتها ، حتى إن القارئ ليشعر بأن كاتبها ينتقل من نقطة لم يستوفها إلى أخرى لم يمهد لها .

وفي عام ١٩٣٧ كتب الدكتور « و. فيشيل » مقالا بالألمانية (١) ناقش فيه مسألة « أصل رشيد الدين اليهودى » في ضوء ما عثر عليه من أقوال بعض المصادر العربية .

وفي لندن عام ١٩٤٠ نشر المستشرق « كارل يان » القسم المتعلق بتاريخ غازان ضمن مجموعة أوقاف جب . كما نشر الفصول المشتملة على تاريخ آباقا وأحمد تكودار وأرغون وكيخاتو في براغ عام ١٩٤١ .

وفي عام ١٩٤٥ نشر « محمد شفيق » في لاهور مجموعة رسائل رشيد الدين (٢) التي كان يحررها في شئون الإدارة والحكم والمسائل المالية والاجتماعية والأدبية ، ويرسلها إلى عماله وأبنائه الذين كانوا يتولون أرفع المناصب في دولة المغول ، ثم إلى أصدقائه من ساسة العصر وعظمائه وعلمائه وأدبائه الذين كانوا يقطنون مختلف البقاع في إيران وخارج إيران . وقد علق الناشر على هذه الرسائل ، وكتب لها حواشى مفيدة . ولكن لوحظ على هذا الكتاب أنه يوجد فيه نقص في عدة مواضع من المقدمة وبعض الصفحات الأخرى .

وفي العام التالى لنشر كتاب « مكاتبات رشيدى » كتب المستشرق الإنجليزى « ريوبن ليثى » مقالا في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية (٣) يشكك في قيمة بعض هذه الرسائل لأنها موضوعة على رشيد الدين ، ولهذا لا يصح الاعتماد عليها في الكشف عن الحقائق التاريخية .

Dr. W. Fischel: Rashid al daula judischen Ursprung Monatschrift für (١)
geschichte und Wissenschaft des Judenthums, Janaury, 1937.

(٢) « مكاتبات رشيدى » ، طبع لاهور ، سنة ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥ م .

Reuben Levy: The Letters of Rashid al Din Fadl-Allah in the Journal (٣)
of the Royal Asiatic Society, April 1946

وفي عام ١٩٥١ نشر المستشرق « كارل يان » تاريخ الإفرنج أحد أقسام المجلد الثاني من كتاب جامع التواريخ المشتمل على التاريخ العام ، ونشر ترجمة له بالفرنسية ، وقدم له بمقدمة هامة عن قيمة هذا القسم من تاريخ رشيد الدين والمصادر التي يمكن أن يكون قد رجع إليها المؤلف .

هذا أهم ما كتب عن رشيد الدين . فإذا كان هناك آخرون قد كتبوا عنه فإن كتاباتهم تكون إما جاءت عرضاً أثناء دراستهم لعصر المغول ، وفي هذه الحالة يلاحظ عليها أنها ينقصها التخصص والعمق والتفصيل ، وإما أنها جاءت تلخيصاً لما سبق أن ذكره كاترمير وبلوشيه فهي لا تحوى شيئاً جديداً جديراً بالعناية .

وإذا كانت الأبحاث التي تمت حول رشيد الدين قد كشفت عن بعض الجوانب في شخصية هذا المؤرخ ، فإن هناك جوانب أخرى ما زالت غامضة في حياته كما أن كتابه جامع التواريخ كان لا يزال في حاجة إلى دراسة نقدية مستفيضة .

ولكن على أية حال يجب أن نعترف في صراحة بأن رشيد الدين الذي عرفه المستشرقون منذ أكثر من قرن ، وعكفوا على دراسة كتابه بالنشر والترجمة والتعليق . رشيد هذا يغمط في الشرق حقه ، ويكاد يغمر ذكره وينسى تراثه . فبينما ظهرت في الغرب عنه وعن تراثه تراجم وبحوث إذا به لا يكاد يظفر بشيء من ذلك في الشرق مع أنه موطنه وصاحب تراثه .

كذلك إذا نظرنا إلى عصر المغول الذي عاش فيه المؤرخ ، فإننا نلاحظ أنه يمثل فترة هامة في التاريخ الإسلامي ، حافلة بالفرص الواسعة للمؤلفين والباحثين .

وإذا عرفنا أنه في هذا العصر أيضاً كانت تقوم العلاقات بين مصر وإيران في الحروب التي حدثت بين المماليك والمغول ، وكان مسرحها بلاد الشام ، وأن مؤرخنا كان يصحب الملوك الإيلخانيين في هذه الحروب التي أسفرت — لحسن الحظ — عن انتصار ساحق للمصريين واندحار ماحق للمغول .

ولإذا وجدنا المكتبة العربية - بفضل توجيه وزارة الثقافة - تحرص على أن تضم أروع مافى تراث رشيد الدين الخالد « جامع التواريخ » ترجمة ونشراً ، فنظهر منه الأجزاء متتابعة وفق الخطة (١) التى وضعها أستاذنا الكبير الدكتور يحيى الخشاب رئيس قسم اللغات الشرقية بكلية الآداب بجامعة القاهرة والمشرف على هذا العمل .

إذا عرفنا كل ذلك ، فإن الدلائل كلها تدل على أهمية الموضوع الذى نطرقه .

وأذكر أنه قد اتجه تفكيرى إلى هذه الناحية من الدراسة منذ أن كنت طالباً بمعهد اللغات الشرقية بجامعة القاهرة حين اطلعت على تلك المقالة القيمة (٢) التى كتبها أستاذنا المرحوم الدكتور إبراهيم أمين الشواربى (٣) .

(١) انظر جامع التواريخ ، تاريخ هولاء ، المجلد الثانى - الجزء الأول ، الترجمة العربية ، ص (ص) وما بعدها من المقدمة .

(٢) مصادر فارسية فى التاريخ الإسلامى ، مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة (فؤاد الأول سابقاً) المجلد السابع سنة ١٩٤٤ .

(٣) الدكتور إبراهيم أمين الشواربى هو ابن محمد أمين الشواربى الذى كان يشغل منصب كبير المهندسين بوزارة الأشغال العمومية ، وهو سليل أسرة الشواربى المشهورة التى تقيم فى « قلوب » إحدى المدن بمحافظة القليوبية من ضواحي القاهرة .

ولد فى أكتوبر ١٩٠٩ ودرس الآداب والحقوق ، وحصل على أرقى الشهادات والدبلومات من مصر وإنجلترا . ثم تدرج فى سلك أعضاء هيئة التدريس بالجامعة إلى أن شغل منصب كرسى الأستاذية فى اللغات الشرقية ، وكان رئيساً لقسم الدراسات الشرقية بكلية الآداب بجامعة عين شمس . كان مطلعاً على كثير من اللغات والثقافات الشرقية والغربية . فبالإضافة إلى اللغة العربية كان يجيد معرفة اللغات الفارسية والتركية والانجليزية والفرنسية . خلف فى الدراسات الشرقية آثاراً قيمة تدل على علم غزير وثقافة واسعة ودراسة جادة ورصينة أهمها :

١ - كتاب القواعد الأساسية لدراسة الفارسية : وهو أول كتاب وضع بأسلوب علمى حديث لتعليم اللغة الفارسية لأبناء العربية . وقد ظهرت الطبعة الأولى فى القاهرة عام ١٩٤٣ ثم طبع بعد ذلك عدة طبعات .

٢ - كتاب حافظ الشيرازى - شاعر الغناء والغزل فى إيران : وهو عبارة عن دراسة واسعة مستفيضة لأحوال هذا الشاعر الإيرانى الكبير ، تضمنت وصفاً مسهباً لموطنه وعصره وظروف حياته ، ومواضيع فلسفته ومحتويات ديوانه . طبع هذا الكتاب بدار المعارف ومطبعها ، القاهرة ١٩٤٤ .

درست رشيد الدين فى ضوء المصادر الحديدية التى عثرت عليها من
تراث المؤرخ نفسه وفى مقدمتها :

١ - مجموعة رسائله التى كان يبعث بها إلى أبنائه وعماله وأصدقائه
من الأدباء والعلماء وساسة العصر والحكام . وهى تحوى كثيراً من المعلومات
عن صفات مؤرخنا ، وتكشف عن سياسته فى إدارة شئون إمبراطورية
المغول المترامية الأطراف ، كما أنها توقفنا على الأعمال والإصلاحات التى
قام بها .

٢ - مفتاح التفاسير : فى بيان إعجاز القرآن وفصاحته وأحوال
المفسرين والشروط التى ينبغى للمفسر رعايتها ، وبيان الخير والشر والخبر
والقدر ، وإبطال التناسخ وإثبات الحشر وتفسير بعض آيات القرآن . وقد
عثرت على نسخة خطية مكتوبة باللغة العربية فى مكتبة دار الكتب المصرية
تحت رقم ١٣٣ م تفاسير .

٣ - لطائف الحقائق : كتاب يشتمل على أربع عشرة رسالة تتعلق
بموضوعات مختلفة من تفسير لآيات القرآن ، ومسائل كلامية وصوفية . الخ
وحينما كنت فى طهران وجدت نسخة محفوظة بمكتبة ملك .

وفضلاً على المادة الغزيرة والثقافة الواسعة التى تتجلى فى مادة هذين
المصدرين ، فقد استفدت بما حوته مقدماتهما التى كان يتحدث فيها رشيد
الدين عن نفسه وثقافته .

= ٣ - أغاني شيراز أو غزليات حافظ الشيرازى فى : جزئين كبيرين وهو عبارة عن أول
ترجمة عربية لديوان حافظ الشيرازى. وقد ترجمت أشعاره كلها فى أسلوب نثرى رفيع . كما
ترجمت مختارات منها بالشعر العربى ، طبع بلجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٤ - ١٩٤٥
كذلك قام بترجمة عدة كتب فى الأدب والتاريخ والحضارة من أهمها كتاب تاريخ
الأدب فى إيران (من الفردوسى إلى السعدى) : وهو عبارة عن الجزء الثانى للكتاب الخالد
الذى نشره أصلاً بالانجليزية المستشرق الانجليزى الكبير « إدوارد براون » ، طبع بالقاهرة
١٩٥٤ .

والدكتور الشواربى غير ذلك ، الكثير من البحوث والمقالات القيمة الكفيلة بأن تحقق له
عظمة الخلود، وتجعل اسمه لامعاً بين العلماء البارزين. توفى - رحمه الله - فى ليلة ٢١ من فبراير
عام ١٩٦٤ .

— ٤ كتاب « أسئلة وأجوبة » : وهو مخطوط قيم يحتفظ به الأستاذ « جعفر سلطان القرأى » فى مكتبته الخاصة بطهران . كما يوجد لهذا الكتاب أيضاً مخطوطان محفوظان بمكتبات تركيا . هذا الكتاب يشتمل على جميع الأسئلة التى كان يوجهها جهابذة العلماء إلى رشيد الدين فى شتى الموضوعات وإجابته عليها فهو بذلك يعطينا صورة واضحة عن نشاط مؤرخنا العلمى والثقافى ، ويبين لنا ما كان يتمتع به من عقلية جبارة وأفق واسع مستنير .

وليس هناك ما يدعو لأن نؤكد الأهمية الكبيرة لهذه المصادر ، ذلك لأن أدق مصدر للدراسة أى شخص هو تراثه نفسه .

ولقد عنيت بأن أتبع حياة هذا المؤرخ ، وأن أفصل الحوادث السياسية التى اشترك فيها واتصل بها . ولما كانت حياته قطعة من تاريخ دولة الإيلخانيين فى إيران إذ لبث نحو خمسين سنة شخصية بارزة فى هذه الدولة يؤثر بأعماله ونفوذه فى تطوراتها ومصايرها ؛ رأيت أن أتناول الأحداث الهامة فى تاريخ هذه الدولة فى الحقبة التى عاشها المؤرخ ، وأبين مؤثراتها فى حياته .

ونظراً للعلاقات التى كانت تقوم بين المغول والمصريين بسبب الحروب التى نشبت بين الفريقين ، كان على كذلك أن أبرز هذه الصلات ؛ فشرحت شرحاً وافياً الدور الذى لعبته مصر فى هذه المعارك ، وكشفت عن الموقف المشرف الذى وقفه المصريون وحدهم فى عهد المماليك — فى ميدان الشرف والكرامة يذودون عن حياض الإسلام ، ويحافظون على الحضارة الإسلامية ويحولون بينها وبين الفناء ، ويقون البقية الباقية من العالم الإسلامى شر الغارات الهمجية التى ظل يواصلها المغول منذ أن خرجوا من قلب آسيا بقيادة جنكيزخان وهكذا ثبتوا هولاء البرابرة فى موقعة عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ ، وألقوا عليهم درساً قاسياً . ومنذ ذلك التاريخ اعتصم المصريون بالإيمان والشجاعة والصبر ، فلم يستطع المغول تحقيق أطماعهم فى الشام ومصر رغم محاولاتهم المتكررة .

بعد هذا وجهت عناية خاصة للدراسة مؤلف رشيد الدين جامع التواريخ فأحطت به من جميع نواحيه ، وقرأت كل ما كتب عنه ، وتحدثت عن العوامل التى دعت إلى تأليفه ، وتكلمت على أقسامه ومنابعه وأبنت عن

قيمته الحقيقية ومكانته بين المؤلفات التاريخية المعاصرة ، وعرفت بالمدرسة التي تأثرت به ، ثم دعوت كما دعا غيرى إلى إعادة نشر هذا الكتاب على أسس علمية صحيحة حتى يعم نفعه ، ويفيد منه الباحثون والدارسون .

وأخيراً وجدت أن لرشيد الدين مؤلفات وآثاراً أخرى لها أهمية كبيرة في إكمال معلوماتنا عن هذا الرجل ، فتحدثت عنها حديثاً مجملاً حتى تتم الصورة التي يجب أن نعرفها عنه .

ولما كنت قد أمضيت عامين في طهران ملتحقاً بجامعة ، تهيأت لي فرصة ثمينة للاطلاع على نفائس الكتب والمخطوطات الفارسية الموجودة بمكتباتها الخاصة والعامة ، واستطعت أن أجمع المادة العلمية لهذا البحث من مصادرها الأولى .

وهنا أذكر بمزيد الامتنان والعرفان بالجميل جامعة طهران ، إذ تفضلت بضيفي طوال تلك المسدة مع نخبة ممتازة من شباب العالم شرقيه وغريبه للارتشاف من منهل الثقافة الفارسية العريقة على نفقتها الخاصة ، فكانت فرصة نادرة لتبادل الآراء والأفكار من النواحي الثقافية . وهكذا ربط العلم بيننا بأقدس رابطة وأظهر صلة على الرغم من فروق الأجناس والألوان والأديان .

فإلى هذه الجامعة ممثلة في أساتذتها الأعلام أتوجه بوافر الشكر وعظيم التقدير . وأخص بالذكر أستاذي الكبير « سعيد نفيسي » ذلكم العالم الشهم النبيل الذي كان يضع عن طوعية واختيار - جميع ما تحويه مكتبته النفيسة من شتى المصادر تحت تصرف طلاب العلم وعشاق الثقافة . وبالإضافة إلى تلك المعاونة القيمة ، كان له فضل الإشراف على هذا البحث أثناء إقامتي في طهران .

كذلك لن أنسى فضل الأساتذة الأجلاء : « جعفر سلطان القرأى » الذي أطلعني على مخطوط قيم لرشيد الدين كان يحتفظ به في مكتبته الخاصة بطهران .

و « محمد صادق نشأت » الأستاذ بجامعة طهران والذي كان منتدباً بكلية الآداب بجامعة القاهرة لما لقينته منه من مساعدة .

و « فلاديمير مينورسكى » « Vladimir Minorsky » الأستاذ بجامعة
كمبردج سابقاً ، وأحد أعلام المستشرقين المعاصرين لتفضله بإرشادى إلى
بعض المصادر القيمة المفيدة .

فإلى هؤلاء جميعاً أتوجه إليهم من أعماق قلبى بخالص شكرى مع تحياتى
الممزوجة بالثناء الحسن الجميل .

وفى مصر بعد عودتى من طهران ، كان المرحوم الأستاذ الدكتور إبراهيم
أمين الشواربى هو المشرف على هذا البحث الذى تقدمت به للحصول على
درجة الدكتوراه . وقد استمر هذا الإشراف قائماً إلى أن أئتدب عام ١٩٥٦
للسفر إلى الصين الشعبية رئيساً لأول بعثة ثقافية فى هذه البلاد . وهنا أجد
لزماً على ، وفرضاً مقدساً فى عنى أن أشيد بما لقيته من هذا العالم الكبير
من غالى النصيح وحسن التوجيه . رحمه الله رحمة واسعة ، وأنزله منازل
الأبرار والشهداء جزاء ما قدم لأمته ولطلبته من جلائل الأعمال ، وجعل
سيرته طيبة فى الناس ، ومثلاً صالحاً للعاملين الجادين .

وبعد سفر الدكتور الشواربى إلى الصين ، تفضل الأستاذ العالم الحليل
الدكتور محمد مهدى علام عميد كلية الآداب بجامعة عين شمس سابقاً
ورئيس قسم اللغة العربية بها فباشر الإشراف فى مرحلته الأخيرة ، وقدم لى
الكثير من الإرشادات والمساعدات ، فجزاه الله عن العلم وطلابه أحسن
الجزاء .

وأما زميلى الأستاذ الدكتور محمد محمد القصاص أستاذ الدراسات
السامية ورئيس قسم الدراسات الشرقية بكلية الآداب بجامعة عين شمس فلن
أنسى — ما حييت — معاونته القيمة لى إذ كان يضحى بجزء كبير من وقته
فى ترجمة كثير من النصوص المكتوبة باللغة الفرنسية التى أنارت أسمى السبيل
وأفادتنى فى البحث أما فائدة . فأرانى إزاء ما غمرنى به هذا الزميل الكريم
من أفضال عاجزاً عن شكره والثناء على كرمه .

وهنا أيضاً لن يفوتنى أن أشكر زميلى الدكتور حسين مجيب المصرى
الذى تفضل بمعاونتى فى ترجمة بعض النصوص المكتوبة باللغة الروسية .

وأما أستاذى الكبير الدكتور يحيى الخشاب أستاذ اللغات الشرقية ورئيس قسم الدراسات الشرقية بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، فقد قدم لى من عوامل التشجيع والتوجيه ما كان خير معين لى على إخراج هذا الموضوع فى صورته النهائية .

وإنى فى الحقيقة مهما كتبت من ضروب الشكر وعبارات الثناء ، فلن أستطيع أن أوفيه حقه منهما . فعزاه الله عن العلم وأهله خير ما يجزى به العاملين المخلصين .

وأخيراً لا يفوتنى فى هذا المقام أن أثنى ثناء عاطراً على القائمين بالأمر فى الدار القومية للطباعة والنشر أولئك الذين كان لهم فضل إظهار هذا الكتاب فى ثوبه الأنيق من الدقة والتنسيق فوجب على أن أنوه بجهودهم الموفقة فى سبيل خدمة العلم وتيسير سبله للدارسين والباحثين .

وبعد . . . فانى أرجو أن يكون هذا البحث المتواضع قد أضاف حلقة جديدة إلى سلسلة المحاولات التى بذلت من قبل ، وحقق هدفاً كان ينشده المشتغلون بالدراسات الشرقية والتاريخية فى مصر . والله ولى التوفيق .

فؤاد عبد المعطى الصياد

البَابُ الأول

عصر رشيد الدين قبل توليه الوزارة

تمهيد :

ولد رشيد الدين وعاش فترة شبابه في عصر مضطرب هبت فيه عاصفة هوجاء على العالم الإسلامى فزلزلت أركانه ، وهدت كيانه ، وأخلت بالتوازن النسبى الذى كان يقوم بين دوله .

هذه العاصفة كانت تتمثل فى غارات المغول وهى فى أشد حالات بطشها وعنفها ، بحيث أن الإسلام لم يعرف من بين ما نزل به من الخطوب والويلات خطباً أشد هولاً من تلك الغزوات .

ولكن حينما انتقل مؤرخنا إلى مرحلة الرجولة كان قد طرأ على موقف المغول تغيير كبير إذ اعتنقوا الإسلام ، وتخلوا عن عاداتهم الوثنية ، وعرفوا حياة الاستقرار فقبلوا المدنية الإيرانية ، وساهموا بنصيبهم فى نهضتها والعمل على رقيها .

وقد شاءت المقادير أن يلعب رشيد الدين دوراً خطيراً فى تاريخ الأمة المغولية فيقلد منصب الوزارة لثلاثة من أعظم السلاطين الإيلخانيين ، ويظل كذلك حتى كهولته — محافظاً على هذا المنصب إلى أن يقتل نتيجة الدس والتآمر .

ولاشك أنه كان للأحداث التى عاصرها مؤرخنا طفلاً وشاباً — نتائج خطيرة غيرت كثيراً من معالم العالم الإسلامى ، كما كان لها أكبر الأثر فى نشأة رشيد الدين وتوجيهه ، وأخذة بمختلف الأسباب التى جعلته يشق طريقه وسط محيط مضطرب ملئ بالأشواك ، حافل بالوقائع الجسام .

ثم إن هذه الأحداث هى التى أمدت مؤرخنا بجزء كبير من المادة الحية التى اشتمل عليها كتابه الخالد جامع التواريخ ، فلقد تناول شرح هذه الأحداث بنظرة الفاحصة ، ووصف ما كان يقع تحت حسه وبصره وصفاً دقيقاً .

فلا غرو إذا رحنا نتتبع أهم الأحداث التي مهدت السبيل أمام مؤرخنا ليتبوأ أكبر منصب في الإمبراطورية المغولية خصوصاً وأن عمدتنا في تأريخ تلك الفترة هو ما كتبه عنها رشيد الدين نفسه .

إننا إذا ألقينا نظرة عامة على العالم الإسلامي في ذلك الوقت ، ألقينا القسم الأكبر منه في إيران قد دخل تحت سيطرة المغول . ولكن على الرغم من ذلك كان القسم الغربي من آسيا لا يزال في أيدي المسلمين إذ لم يستطع المغول حتى ذلك التاريخ أن يحتلوه .

فهناك طائفة الإسماعيلية الذين كانوا يستوطنون الجبال في ولاية طالقان « وروذبار ألموت » (١) ، وكان لهم في تلك المناطق قلاع حصينة تبلغ الخمسين أشهرها وأمنعها ثلاثة : ألموت (٢) وميمون دز ولنبه سر (٣) .

وكان الإسماعيليون يتخذون قلعة الموت عاصمة لهم وقاعدة لملكهم منذ أن تمكن زعيمهم حسن بن الصباح من الاستيلاء على هذه القلعة في سنة ٤٨٣ . كما كانت لهم قلاع أخرى محكمة في غير روذبار ألموت في قومس وقهستان يحكمها حاكم يقال له « محتشم » :

والإسماعيليون رجال محاربون أشداء بثوا الرعب في النفوس ، وعاثوا في الأرض فساداً ، وقاوموا سلاطين السلاجقة ، واهتزت بسببهم الخلافة فلا غرو أن كان العداء مستحكماً بينهم وبين سائر المسلمين خصوصاً وأنهم عبثوا بالأحكام الإسلامية ، وكانوا يفسرونها وفق أهوائهم ، وتصرفوا فيها بالزيادة والنقصان حتى أفسدوها .

(١) المحل الرئيسي لتجمع الإسماعيلية ويفصله عن قزوين ستة فراسخ .

(٢) ذكر القزويني في كتابه آثار البلاد ص ٢٠٠ « أن الموت قلعة حصينة من ناحية روذبار بين قزوين وبحر الخزر على قلة جبل وحوها وهاد لا يمكن نصب المنجنيق عليها ولا النشاب يبلغها وهي كرسى ملك الإسماعيلية . قيل إن بعض ملوك الديلم أرسل عقاباً للصيد وتبعه فرآه ووقع على هذا الموضع فوجده موضعاً حصيناً اتخذته قلعة وسماها آله آموت (آله بمعنى عقاب وآموت تخفف من آموخت) أى تعليم العقاب بلسان الديلم . ومنهم من قال اسم القلعة بتاريخها لأنها بقيت في سنة ست وأربعين وأربعمائة وهي م . و . ت .

(٣) انظر حمد الله القزويني : نزهة القلوب ، ص ٦١ .

ولما كانوا يعتقدون بأن كل من يخالفهم كافر يستباح دمه وماله (١) استشرى ضررهم ، وأزهقوا كثيراً من الأرواح ، وقضوا على كثير من الشخصيات البارزة من خلفاء ووزراء وقضاة . وكانت القاعدة عندهم أنه إذا ظهر حاكم قوى أسرع الفدائيون منهم إلى اغتياله ليأمنوا جانبه .

وأما في بغداد فكان يتولى الخلافة « المستعصم بالله » آخر الخلفاء العباسيين منذ أن بويج بها في سنة ٦٤٠ هـ بعد وفاة أبيه « المستنصر بالله » .

وبالرغم من أن الخليفة كان ضعيفاً لاحول له ولا قوة ، وكانت الخلافة قد تقلص ظلها ، إلا أن سلطته الروحية كانت لا تزال قوية في نفوس المسلمين الذين كانوا يعتبرونه أمير المؤمنين ورئيسهم الديني ، وكانت أوامره مطاعة ورأيه محترماً حتى بين أمراء الأقاليم التي انفصلت عن الدولة العباسية وذلك في سبيل المحافظة على الخلافة لتكون مظهراً للوحدة الدينية بين الممالك الإسلامية . كما أن بغداد كان ينظر إليها دائماً على أنها كعبة العالم الإسلامي وقلبه النابض .

فاذا جاوزنا هاتين السلطتين : سلطة الإسماعيلية وسلطة الخليفة وجدنا مصر والشام في يد سلاطين الأيوبيين . وكان هؤلاء منقسمين على أنفسهم ينازع كل منهم الآخر . وفي الوقت نفسه كانوا في جهاد مع الصليبيين .

هذه هي البقية الباقية من العالم الإسلامي في المشرق ، وهي كلها عبارة عن مناطق تسودها الفتن والدسائس وتتنازعها الأهواء والأغراض ، وتصطرح فيها المذاهب والآراء ، وتدب فيها عوامل الفرقة والحسد . وبالرغم من أن الدرس الذي تلقاه المسلمون على يد المغول أثناء محاربتهم للملوك الخوارزميين كان قاسياً فإنهم لم يعرفوا الاتحاد وتناسى الأحقاد للوقوف سداً منيعاً يحول دون تقدم المغول . وبذلك كانت كل الدلائل تؤكد قرب وقوع تلك الكارثة التي حلت بالعالم الإسلامي على أثر سقوط بغداد .

وفي الحقيقة بعد أن انتصر المغول على السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه وقع أحسن أقسام إيران تحت نفوذ المغول الذين لم يجدوا مقاومة

(١) الشبانكارى : مجمع الأنساب ، مخطوط الأستاذ سعيد نفيسى ، ص ١١٢ .

تذكر في تسخير هذا القسم ، ولم تبق هناك قوة تستطيع أن تقف أمام هؤلاء الغزاة لتصد هجماتهم ، ذلك لأن السلطان محمد كان قد استولى على البلاد وقتل ملوكها وأفنائهم ، وبقي هو وحده سلطان البلاد جميعها . فلما هزمه المغول لم يبق في البلاد من يمنعهم ولا من يحميها (١) .

ولقد كان الحكام المسلمون خارج إيران يعرفون تمام المعرفة أهمية قيام الدولة الخوارزمية ، وليس أدل على ذلك من أنه لما قتل جلال الدين منكبرتي ذهب بعض خواص الأشرف موسى الأيوبي يهتونه بمقتل عدوه . فرد عليهم : « تهتوني به وتفرحون ، سوف ترون غبه ، والله لتكونن هذه الكسرة سبباً لدخول التتار إلى بلاد الإسلام . ما كان الخوارزمي إلا مثل السد الذي بيننا وبين يأجوج ومأجوج » (٢) .

كان المغول قد بثوا الرعب وأشاعوا الفرع في قلوب المسلمين بسبب ما اقترفوه من قتل وسفك وتخريب وتدمير . والمؤرخون الإسلاميون من أمثال ابن الأثير والمنشي النسوي وعطا ملك والجوزجاني وغيرهم يصورون لنا تلك الحوادث أروع تصوير حتى إن ابن الأثير نفسه كاد يغفل تأريخ تلك الفترة استفظاعاً لبشاعة ما ارتكبه المغول ، واستنكاراً لما فعلوه بالعالم الإسلامي من ضروب القسوة والهمجية ؛ فكتب العبارة المؤثرة التالية التي تعبر أصدق تعبير عما كان يعانيه المسلمون من آلام ومحن : « لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها ، كارها لذكرها ، فأنا أقدم رجلاً وأؤخر أخرى ، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك ، فيأليت أُمى لم تلدني وياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً . إلا أنني حثني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف ، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدى نفعاً . . . هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى . . . فلو قال قائل إن العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً ، فإن التواريخ لم

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ص ٣٣٠ طبع المكتبة التجارية بالقاهرة .

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ٦ ص ٢٧٧ .

تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها . . . وهؤلاء لم يبقوا على أحد بل قتلوا النساء والرجال والأطفال وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الأجنة ، فإننا لله وإننا إليه راجعون . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، لهذه الحادثة التي استطار شررها وعم ضررها ، وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح « (١) » .

وأما السيوطي فحين يتحدث عن غزو جنكيزخان للشرق الإسلامي يقول : « هو حديث يأكل الأحاديث ، وخبر يطوى الأخبار ، وتاريخ ينسى التواريخ ، ونازلة تصغر كل نازلة ، وفادحة تطبق الأرض وتملؤها ما بين الطول والعرض » (٢) .

والمؤرخون الأوروبيون يؤمنون بما جاء في المصادر الشرقية من تصوير ما لاقاه العالم الإسلامي على أيدي أولئك البرابرة المتوحشين . تلك الوحشية التي كانت تتمثل على وجه الخصوص في جهات ما وراء النهر وخوارزم وخراسان :

أما جهات جنوب إيران فقد سلمت من بطشهم ، لأن القائمين عليها وهم أتابكة فارس ، قد رأوا أنه من الحكمة أن يهادنوا المغول ، وأن يدخلوا في طاعتهم والابتعاد عن مقاومتهم ، والتسليم بدفع الجزية لهم حتى يأمنوا شرهم ، ويخلصوا أنفسهم وإقليمهم من الدمار المحقق ، فأدوا بذلك خدمة جليلة للأدب الفارسي إذ صار إقليم فارس ملجأ العلماء والأدباء الذين يفرون من وجه المغول ، ناجين بأنفسهم ، فكانوا يجدون من حكام هذا الإقليم الحماية والرعاية ، كما كانوا يلقون التشجيع والتكريم . يقول بارتولد : « إن ولايات الجنوب بايران فارس وكرمان سلمتا من عادية الجيش المغولي ودامت الحياة القديمة في المدن الكبرى وخاصة في شيراز ، فلهذا اكتسبت خطورة عظيمة لم تنلها من قبل من حيث الحصار الإيرانية » (٣) .

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ص ٣٢٩ .

(٢) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٦٧ نشر المكتبة التجارية بالقاهرة .

(٣) بارتولد : تاريخ الحصار الإسلامية ، ترجمة الأستاذ حمزه طاهر ، ص ٩٤ الطبعة

وها هو سعدى شاعر الفرس الكبير الذى تغنى بمحامد هذه الأسرة
وأشاد بذكرها وخصها بأسمى قصائده ، يشير إلى هذا المنهج السديد فى مصالحة
المغول على مال ، وذلك فى قصيدته التى يمدح فيها الأتابك أبا بكر بن سعد
حيث يقول (١) :

سكندر بديوار روئين وسنگ بكرد از جهان راه ياجوج تنگ
ترا سد ياجوج كفر از زراست نه روئين چوديوار اسكندراست
الترجمة :

— بسد من الحديد والحجارة
ضيق الإسكندر طريق ياجوج ومأجوج عن الدنيا
— أما سدك دون ياجوج الكفر (يقصد المغول) فهو من الذهب
وليس من الحديد مثل سد الإسكندر

وقبل ذلك الوقت بقليل كان ينزل فى كنف هذه الأسرة ، « شمس
الدين محمد بن قيس الرازى » الذى فر من وجه المغول أثناء حملتهم الأولى
واستقر فى شیراز فوجد من أمراء هذه الأسرة كل ترحيب ولقى منهم كل
معاونة (٢) . وهناك استطاع أن يفرغ لإكمال مؤلفه فى علم الشعر والعروض
الفارسي (٣) . وهذا ينبها إلى أى حد كانت شیراز بيئة صالحة من حيث
الهدوء والبعد عن أسباب الاضطرابات التى كانت تسود غيرها من الأماكن
فى العالم الإسلامى فى ذلك الوقت .

وبعد فنخلص من هذا التمهيد بأن نقرر أن أهم الأحداث التى علينا
أن نبرزها ، ونحدث عنها لارتباطها بحياة مؤرخنا هى :

- (١) حملة هولاكو على إيران والقضاء على الإسماعيلية .
- (٢) سقوط الخلافة الإسلامية .
- (٣) حملة هولاكو على سوريا .
- (٤) أبناء هولاكو الذين اتصل بهم رشيد قبل أن يلى الوزارة .

(١) انظر بوستان سعدى ، ص ٩ نشر فروغى ، طهران ١٣١٦ هـ . ش .

(٢) انظر المعجم فى معايير أشعار المعجم ، ص ٧ ، ٩ ، طهران ١٣١٤ هـ . ش .

(٣) انظر نفس المرجع : مقدمة الناشر العلامة قزوینی ، ص ز - ح .

الفصل الأول

حملة هولاكو على إيران
والقضاء على الإسماعيلية

لم يكن هولاكو خان قد جاوز السادسة والثلاثين من عمره حينما عهد إليه أخوه « منگوقاآن » (١) بقيادة الحملة على إيران . وكان يقدر عدد جيشه بنحو ١٢٠ ألف جندي من خيرة محاربي المغول ، وكان يضم الأمراء والعظماء منهم من أمثال جورماغون وبايجو والأمير أرغون :

وقد رسم منگو الخططة لأخيه هولاكو ، وتلخص في أن يقيم العادات والطقوس والقوانين الجنكيزخانية ، وأن يجعل هدفه إدخال البلاد ابتداء من ضفاف نهر جيحون حتى أقاصي بلاد مصر في دائرة نفوذ المغول فكل من يبدي الخضوع والطاعة ، يعامل معاملة طيبة ، وأما من يعصى فيغرق في الذلة والمهانة مع جميع ما يتعلق به . . . وحتى الخليفة نفسه إذا لم يقدم فروض الطاعة فعلى هولاكو أن يزيحه من طريقه ويلحقه بالآخرين من المالكين (٢) .

(١) تختلف المصادر اختلافا كبيرا في كتابة أسماء الأعلام المغولية فهذا الاسم يكتب في بعض المصادر منكوومونكا . وفي بعضها الآخر مونككا ومانجو وقد نصب « منگو » خانا أعظم للمغول في سنة ٦٤٨ (انظر جامع التواريخ ، نشر بلوشيه ، ص ٢٨٣) .

(٢) « ورسوم يوسون وياساء جنكيزرا در كليات وجزويات أمور اقامت كن واز جيحون آمويه تا باقاصي بلاد مصر ، هرکه اوامر ونواهي ترا منقاد ومطيع گردد ، اورا بنواز وبانواع عاطفت وسيورغاميشي مخصوص گردان ، وآن که گردن کشي وسرافرازي نمايد اورا بازن وفرزند وخويش وپيوند دردست پايمال قهر واذلال گذار . . . واگر خليفه بنفاد بخدمت وطاعت مبادرت نمايد ، اورا بهيچ وجه تعرض مرسان . واکر تکبر کند ودل وزبان رايك ندارد ، اورا نیز بدیگران ملحق گردان » . (جامع التواريخ ، نشر کاترمير ، ص ١٤١ - ١٤٢) .

عبر هولاءكو بجيشه نهر جيحون في أواخر سنة ٦٥٣ (١) ، فلما بلغ الشاطئ الفارسي ، تلقى الثناء والترحيب من ممثلي أتباعه الجدد ابتداء من شمس الدين كرت ملك هراة ، ومن السلغرى أبي بكر سعد بن زنكي أتابك فارس إلى السلجوقيين القائمين في آسيا الصغرى وهما كيكائوس الثاني وقلج أرسلان الرابع (٢) .

وابتدأ هولاءكو طبقاً للبرنامج الذي وضع خطوطه منكو ، بمهاجمة الإسماعيلية في قلاعهم التي اتخذوها في رودبار الموت وقهستان لأن المغول حينما فكروا في إزالة الدولة العباسية ، أدركوا أن طائفة الإسماعيلية ستكون شوكة في ظهورهم تحول دون تحقيق إطماعهم في السيطرة على الشرق الإسلامي لذلك أوصى منكوفا آن أخاه هولاءكو بالقضاء على هذه الجماعة قبل مسيره إلى بغداد (٣) ، قضاء مبرماً فيخرب قلاعهم ، ويجعل أعاليها أسافلها ولا يبقى منها أى أثر حتى ولو كومة من تراب .

بكن گرده كوه و دز لنبه سر سرش زیر گردان تنش را زبر
 ممان هیچ کاندز جهان دز بود نه يك توده خاك هرگر بود (٤)
 ولا شك أن العامل الأول الذي شجع المغول على مهاجمة الإسماعيلية هم المسلمون أنفسهم الذين كانوا تحت حكم المغول ، فقد ضج هؤلاء بالشكوى من الملاحدة لما لاقوه منهم من عنف وإرهاب ، وظلم وجور ، ولا سيما أهل قزوين الذين كانوا يجاورون الملاحدة ، وكانوا في نضال دائم معهم ، لأنهم كانوا يعتنقون مذهب أهل السنة ، وكانوا يغالون ويتعصبون لهذا المذهب يذكر صاحب طبقات ناصري (٥) أن القاضي شمس الدين أحمد الكافي

(١) انظر نفس المصدر ، ص ١٥٢ .

(٢) انظر. Grousset: L'Empire des Steppes, P. 427.

(٣) Von Hammer : Histoire de L'Ordre des Assassins, p. 257.

(٤) جامع التواريخ ، نشر كاتر مير ص ١٤٢ ومعنى هذين البيتين :

— اجعل كرد كوه وقلعة لنبه سر ، بحيث تكون رأسها إلى أسفل وجسدها إلى أعلى .

— ولا تبق في الدنيا قلعة قط ، ولا كومة من التراب مطلقا . . .

(٥) انظر الجوزجاني : طبقات ناصري ، ص ٤١٣ - ٤١٤ .

القزويني كان على اتصال بالمغول ، وكان إماماً وعالمًا كبيراً . ذهب مرة إلى منكوخان ، وطلب منه أن يضع حداً لشر الملاحدة ، ويخلص الناس من فسادهم ، وفي أثناء حديثه وبينما كان مندفعاً بحماسة المسلم المتدين صدرت منه كلمات جافة أغضبت منكوخان وكان لها أثر عميق في نفسه إذ نسب إليه الضعف والعجز ، لأنه لم يستطع أن يستأصل شأفة هذه الطائفة ، الذين يدنون بدين يخالف ديانات المسيحيين والمسلمين والمغول ، وما ذلك إلا لأنهم استطاعوا أن يغفروا منكوخان بالمال على حين أنهم يتحينون فرصة ضعف دولته فيخرجون من الجبال والقلاع ليقضوا على البقية من المسلمين ويعفوا آثارهم .

فأثر هذا الحديث في نفس منكوخان ، وأمر بتخريب قلاع الملاحدة . سار هولاكو للقضاء على الإسماعيلية ، وانضم إليه أرغون حاكم المغول في بلاد فارس ، فلما صار وجهاً لوجه أمام تلك القلاع المنيعة الجبارة ، أخذ هو وقواده يعملون على تخريبها وتحطيمها . فاستطاعوا بعد لأي أن يتغلبوا على أكثرها ولم يستعص عليهم أول الأمر إلا قلعتا ميمون دز وألموت ، إذ طال حصارهم لهاتين القلعتين ، وأخيراً وجد « ركن الدين خورشاه » آخر حكام الإسماعيلية أن الأمر قد خرج من يده ، ولم تعد له طاقة على المقاومة ، كما أن اليأس قد تطرق إلى نفوس رجاله المحاصرين ، وفقدوا كل أمل في الصمود فنزل من قلعة ميمون دز التي كان يقيم فيها ، وسلم نفسه إلى هولاكو مظهراً الطاعة والخضوع .

وبذلك دالت دولة هذه الطائفة بعد أن عمرت نحو ١٧١ سنة (١) وكان ذلك في أول ذي القعدة سنة ٦٥٤ وقد نظم الخواجه نصير الدين الطوسي هذين البيتين في تاريخ هذه الواقعة .

سال عرب چوششصد وپنجاه وچارشد
يك شنبه اول مه ذي القعدة بامداد
خورشاه پادشاه سماعيليان زتخت
برخاست پيش تخت هولاكو بايستاد

(١) انظر تاريخ جهانگشای ، ج ٣ ص ٢٧٣ حاشية ٢ طبع ليدن .

ومعناها :

لما صارت سنة العرب أربعاً وخمسين وسنة ، وفي صباح يوم الأحد الموافق غرة ذى القعدة ، قام خورشاه ملك الإسماعيلية من على عرشه ووقف بن يدى هولاكو .

يذكر ميرخواند أنه أثناء حصار هولاكو لقلع الإسماعيلية كان الأصدقاء الثلاثة الخواجه نصير الدين الطوسي ورئيس الدولة وموفق الدولة يقيمون محيزين في قلعة ميمون دز ؛ فلما تحقق هولاكو من ذلك ، أمر بإخراج هؤلاء الثلاثة مع جميع متعلقاتهم وألحقهم بنخدمته (١) .

وكان هؤلاء أكبر الأثر في حمل خورشاه على التسليم لهولاكو لأنهم كانوا قد سثموا الحياة عند الملاحدة أشبه بالمسجونين وودوا لو تخلصوا من جورهم وظلمهم . فلما جاء هولاكو مالوا إليه ، وأظهروا له الانقياد والطاعة ومهدوا له الانتصار على الإسماعيلية . يقول رشيد الدين : « لما وضع لهولاكو صدق الخواجه نصير الدين الطوسي ، ورئيس الدولة ، وموفق الدولة وأبنائهما الذين كانوا أطباء مشهورين وأصلهم من همدان ، تعطف عليهم وأحسن معاملتهم ، وأمر بإخراجهم مع أهلهم وذويعهم وخدمهم وحشمهم وجميع ما يتعلق بهم ، وألحقهم بنخدمته فصاروا هم وأبنائهم مقربين من هولاكو ومن أبنائه المشهورين (٢) » . وما هو جدير بالملاحظة أن موفق الدولة هذا كان جد مؤرخنا رشيد الدين (٣) .

ولكن على الرغم من استسلام حاكم الإسماعيلية ، فقد رفض قائد الموت الخضوع واستمر في المقاومة حتى سقطت هي الأخرى في يد المغول بعد قتال مرير ، فاستطاعوا بذلك أن يقتحموا الوكر الأصلي للحسن بن الصباح وخلفائه وحطموا ما وجدوه من الأسلحة وأدوات القتال ، واستولوا على الكنوز والأموال ، ووقعت في أيديهم تلك المكتبة النفيسة التي تعب الإسماعيليون في إعدادها ، وصرفوا في ذلك سنوات عديدة ، حتى طبقت شهرتها الآفاق ، وكانت عاملاً هاماً في إذاعة صيت تلك الجماعة .

(١) ميرخواند : روضة الصفا ، ج ٥ ص ٧٦ طبع لكهنو .

(٢) جامع التواريخ ، نشر كاترمير ص ٢١٦ .

(٣) Quatremère, Hist. des Mongols de la Perse., p. VI.

وقد استأذن المؤرخ عطا ملك الجوينی « هولاکو » فی أن یطلع علی محتویات تلك المكتبة لیبقی منها الصالح ، ویحرق ما دون ذلك مما یتناول عقائد الإسماعیلیة الفاسدة . وهکذا استطاع أن یجمع المصاحف والکتب النفیسة وآلات النجوم والرصد (۱) . وكان من بین الکتب القیمة التي عثر علیها کتاب « سرگذشت سیدنا » الذی یتضمن شرح أحوال الحسن بن الصباح وخلفائه من بعده ، وقد ضمن الجوينی خلاصة هذا الکتاب فی الجزء الثالث من مؤلفه « تاریخ جهانگشای » فحفظ لنا بذلك تاریخ هذه الجماعة من الضیاع .

ولقد كان لاندحار هذه الطائفة رنة فرح وسرور عمت العالم الإسلامی رغم ما كان یعانيه علی أیدی المغول ، ورغم ما كان یتوقعه منهم من أحداث أخرى جسام ، وما ذلك إلا لأن هذه الفرقة التي قاومت فی القرن السادس كل جهود سلاطین السلاجقة ، واستطاعت أن تفرع الخلفاء وترهبهم ، كانت سبباً من أسباب الفساد المعنوی والتفرق فی العالم الإسلامی . فإذا كان هولاکو قد أبادها أخيراً ، فإنما یكون قد أدى بذلك خدمة کبيرة لقضية النظام والحضارة (۲) . یقول الجوينی : « لقد كان هذا العمل مرهماً لجراح المسلمین وتدارکاً للذین من الخلل . وإن الناس الذین یبقون من هذا العهد یعرفون إلى أی حد بلغت فتنة هذه الطائفة ، وإلى أی مدى بلغ اضطراب الناس وانزعاجهم وإن الشخص الذی كان علی وفاق معهم منذ عهد الملوك السالفین حتی ملوک هذا العصر إنما كان مدفوعاً بدافع الخوف منهم ، وإذا عاداهم كان علیه أن یعیش لیله ونهاره سجيناً خوفاً من رعاعهم . لقد كان کأساً طافحاً ، وربحاً عاتية ولكنها أحمدت » (۳) .

(۱) تاریخ جهانگشای ، ج ۳ ص ۲۷۰ .

(۲) Grousset: L'Empire des Steppes, p. 457.

(۳) « وراستی آن بود که این کارمرهم جراحتهای مسلمانی بود ، وتدارک خللهای دینی . جماعی که بعد ازین دور وعهد دررستند ، بدانند که فتنه ایشان تابچه حد کشیده . کسی را که با ایشان دم موافقت بودی از عهد پادشاهان گنشته تاوقت شاهان وقت خوف وبیم بودی ، واز محاصمت ایشان شب وروز در مضیق زندان از ترس زندان ایشان ، پنهان بود که بسر آمد وبادی می نمود که بسته شد » . (تاریخ جهانگشای ج ۳ ص ۲۷۸) .

الفصل الثاني

سقوط الخلافة العباسية

بعد أن حقق هولاكو هدفه الأول وهو القضاء على طائفة الإسماعيلية سار لتحقيق هدفه الثاني وهو القضاء على الخلافة العباسية في بغداد . وكان أول اتصاله بالخليفة عندما صمم على مهاجمة الملاحدة إذ أرسل إليه يطلب أن يمدّه بجيش ليعاونه في القضاء على تلك الطائفة . فلما شاور الخليفة أتباعه حذروه من أن يقدم على هذا العمل ، وأدخلوا في روعه أن هولاكو يريد بهذه الوسيلة أن تخلو بغداد من الجيش حتى يسهل عليه أن يستولى عليها في أى وقت يشاء دون أن يجد صعوبة أو مشقة ، فوافقهم الخليفة ، وامتنع عن إرسال المدد إلى هولاكو (١) . فلما فرغ الإيلخان من حرب الملاحدة قصد همدان . وفي شهر رمضان سنة ٦٥٥ أرسل رسولا يحمل رسالة إلى الخليفة مصاغة في قالب من التهديد والوعيد لامتناعه عن إرسال المدد . ولم يكن هذا الاحتجاج في الواقع إلا ذريعة للمطالبة بالسلطة الزمنية التي سبق أن منحت في بغداد للأمراء البويهيين ثم لسلطين السلاجقة . « لا بد أنه قد وصل إلى سمعك على لسان الخاص والعام ما حدث للعالم على أيدي الجيوش المغولية منذ جنكيز خان ، وعلمت أية مذلة لحقت بأسر خوارزمشاه والسلاجقة وملوك الديلم والأتابكة وغيرهم من كانوا أرباب العظمة وأصحاب الشوكة ومع ذلك لم يغلق باب بغداد قط في وجه أية طائفة من تلك الطوائف التي تولت هنا السيادة . فكيف يغلق هذا الباب في وجوهنا رغم مالنا من قدرة وسلطان ؟ . وقد نصحنالك قبل هذا . والآن نقول لك : تجنب الحقد والحصام والضعينة ولا تحاول أن تقف في سبيلنا لأنك ستتعب نفسك عبثاً .

(١) انظر الرسالة الصغيرة في فتح بغداد المنسوبة إلى الخواجه نصير الدين الطوسي والملحقة

بكتاب تاريخ جهانگشای ، ج ٣ ص ٢٨٠ ؛ ابن العبری : مختصر الدول ، ص ٤٧١ .

«ومع هذا فقد مضى ما مضى ، فعليك أن تهدم الحصون ، وتطم الخنادق وتسلم ابنك المملكة ، ثم تتوجه لملاقاتنا . وإذا كنت لا تريد ذلك فأرسل إلينا الوزير وسليمانشاه والدويدار ليوصلوا رسالتنا إليك بغير زيادة ولا نقصان فإذا أطعت أمرنا فلا حقد ولا ضغينة ونبقى لك ولايتك وجيشك ورعيتك .

وأما إذا لم تنتصح ، وسلكت طريق الخلاف والجدال ، فأعد جيشك وعين جبهة للقتال فإننا مستعدون لمحاربتك . واعلم أنني إذا غضبت عليك وقدت الجيش إلى بغداد فسوف لا تنجو مني ولو صعدت إلى السماء أو اختفيت في باطن الأرض .

وأما إذا أردت أن تظل رئيساً لأسرتك العريقة فعليك أن تسمع نصيحتي وإلا فسرى كيف تكون إرادة الله» (١) .

فرد الخليفة بالرفض على هذا التحذير الرسمي من المغول ، وعارض إمبراطوريتهم بالسيادة الروحية للخلافة الإسلامية فقال : « يأبى الغر الذى لم يخبر الأيام بعد ، والذى يتمنى قصر العمر ، والذى أغرته إقبال الأيام ومساعدة الظروف فتخيل نفسه مسيطراً على العالم ، وحسب أن أمره قضاء مبرم وأمر محكم . لم تبحث عن شيء لا طائل وراءه ؟ هل جهلت أنه من المشرق إلى المغرب يدين لى بالطاعة عباد الله جميعهم غنيهم وفقيرهم شيخهم وشابهم . وإننى أستطيع أن أصدر إليهم أمراً بالاحتشاد فأستولى على إيران ، ثم أتوجه إلى توران ، وأضع كل شخص فى موضعه فتتألب عليكم كل أمم الأرض ؟ .

غير أنى لا أود أن أسير وراء البغضاء ، ولا أن أشتري أذى الناس ولا أبتغى من وراء تردد الجيوش مدحاً ولا ذمّاً .

فلو كنت تزرع بذور المحبة كما أفعل أنا لما كان لك دخل بخنادق رعيتي ولا بحصونهم . فاسلك طريق الود، وعد إلى خراسان وإلا فالقتال دونك» (٢) .

(١) جامع التواريخ ، نشر كاتمير ، ص ٢٣٠ - ٢٣١ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٣٤ .

هذا الحوار كما يتمثل في هاتين الرسالتين يعد من أعظم الحوار في التاريخ نظراً لما ترتب عليه من النتائج الخطيرة التي أودت بحياة الخليفة ، والقضاء على الخلافة الإسلامية . وقد حفظ لنا كتاب « جامع التواريخ » هاتين الرسالتين على نحو مفصل لم أره في أى مصدر آخر ، لهذا حرصت على أن أنقلهما إلى العربية .

ونحن إذا أمعنا النظر في رسالة الخليفة نجد أنه هو الآخر كان حريصاً على التهديد والوعيد أكثر من حرصه على المسألة والمهادنة ، وربما كان يظن أن ذلك قد يرعب هولاًكو ، ويجعله يفكر ملياً قبل أن يقدم على خطوته . ولكنه كان واهماً لأنه لم يكن له سند حقيقى من قوة حتى يمكنه أن يقف هذا الموقف المتشدد من قوم محاربين جبابة ، دوخوا الممالك ، وقوضوا العروش في مدة قليلة من الزمن ، ثم إنه إذا كان يعتمد على العالم الإسلامى الذى يدعى أنه رهن إشارته ، فقد أخطأه التوفيق كذلك ، لأن المستعصم كان أول من يعلم حقيقة العالم الإسلامى في ذلك الوقت . كان يعلم أنه يعانى الأثرة والأنانية والتفكك والانحلال ، فلا يعقل أن يهب لنجدته مهما كانت الأسباب . وكان من الطبيعى إذن ألا تجدى تلك التهديدات ، بل يكون لها على العكس أسوأ الأثر في نفس هولاًكو ، فيصمم قبل كل شئ على فتح بغداد وهذا ما حدث بالفعل .

وصل رسل الخليفة إلى هولاًكو ، وكان على رأسهم شرف الدين عبد الله بن الجوزى (١) ، فلما اطلع هولاًكو على رسالة الخليفة ، وعلم بما لحق رسله من أذى العامة في بغداد ، غضب غضباً شديداً وأعاد رسل الخليفة قائلاً لهم : « إننى متوجه إلى بغداد بجيوش كالنمل والجراد ، فإذا تغيرت الأحوال فذلك تقدير الله العظيم » (٢) .

(١) هو شرف الدين عبد الله بن محيى الدين أبو محمد يوسف وحفيد أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزى العالم المشهور ، كان محتسب بغداد ومدرسا بالمدرسة البشيرية كما كان مبعوث المستعصم إلى هولاًكو عدة مرات قبل وصوله إلى بغداد وفي أثناء حصاره لها . (انظر تاريخ جهانگشای ، جلد سوم حواشى وإضافات ص ٤٦٣ - ٤٦٦) .

(٢) جامع التواريخ ، نشر كاتمير ص ٢٣٨ .

وقبل أن يقدم هولاءكو على غزو بغداد استشار كبار رجال دولته فيما يتعلق بأحكام النجوم وطوالع السعد والنحس . فلما طمأنه الخواجه نصير الدين الطوسي بأنه لا توجد موانع تحول دون إقدامه على الغزو (١) ، أصدر أمره بأن تتحرك جيوش جرماغون وبايجو من أطراف بلاد الروم عن طريق إربل والموصل متجهة نحو بغداد لتحاصرها من الجهة الغربية ، وتنتظر حتى تصل إليهم جيوش هولاءكو من الناحية الشرقية .

أما كيتوبوقا أحسن قواد هولاءكو ، فقد اتجه بالجناح الأيسر إلى العاصمة العباسية عن طريق لرستان وخوزستان . كما أنفذ إليها بعض أمراء المغول بصحبة « سونجاق نويان » (٢) عن طريق كردستان الحالية .

وفي أوائل المحرم سنة ٦٥٥ هـ نزل هولاءكو من همدان إلى دجلة عن طريق كرمانشاه وحلوان ، وكان معه في تلك الغزوة ، الأمير أرغون والخواجه نصير الدين الطوسي والوزير سيف الدين البيتكجي (٣) وعلاء الدين عطا ملك الجويني . واستطاع هولاءكو أن يستميل إلى جانبه سكان الأماكن الجبلية المتاخمة للعرق بواسطة الأموال التي كان يبدلها بينهم ، كما استطاع أن يضم إليه كثيراً من جنود سليمانشاه (٤) . وكان بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل والأتابك أبو بكر في إقليم فارس ممن أمدوا هولاءكو بالمال والرجال (٥) .

(١) نفس المصدر ص ٢٦٠ - ٢٦٢ ؛ تاريخ وصاف ص ٣٠ - ٣١ .

(٢) يكتب كذلك سوغنجاك وسوغونجاك وسقنجاك وسوقنجاك .

(٣) هو الأمير سيف الدين البيتكجي بهادر بن عبد الله الخوارزمي وزير هولاءكو ومدير مملكته . قدم مع هولاءكو حينما جاء بمحملته على إيران عام ٦٥٣ . وبعد أن فرغ هولاءكو من فتح بغداد طلب إليه سيف الدين أن يرسل مائة نفر من المغول إلى النجف ليحافظوا على قبر أمير المؤمنين علي ، والسكان القاطنين هناك (انظر جامع التواريخ ، نشر كازمير ص ٣١٠) .

(٤) سليمانشاه بن برچم الايوائي هو أحد قواد المستعصم المشهورين ، يقرن اسمه بحادثة سقوط بغداد إذ كان أحد الأشخاص الثلاثة الذين آلت إليهم مقاليد الأمور في دولة المستعصم : سليمانشاه والدويدار الصغير ومؤيد الدين بن العلقمي وذلك بعد وفاة إقبال الشرائي والدويدار الكبير . وسليمانشاه هو الذي أشار على المستعصم برفض مهادنة المغول والاستعداد للقاءهم . ونظراً لأهميته في دولة المستعصم كان هولاءكو في رسائله إلى الخليفة يطلب إليه أن يرسل سليمانشاه فكان الخليفة يعتذر دائماً . وهكذا إلى أن صار النصر محققاً للمغول فأجبر الخليفة على إرساله مع الدويدار الصغير إلى هولاءكو . وما يؤثر عن سليمانشاه أنه كان له إلمام بعلم النجوم والكواكب كما كان ينظم الشعر الفارسي (انظر تاريخ جهانگشاي ج ٣ ص ٤٦١) .

(٥) طبقات ناصري ، ص ٤٢٣ .

ولما انتهى حشد القوات المغولية ، وأقام هولاءكو معسكره في ظاهر بغداد من الشرق ، حاول الجيش الصغير الذي أعده الخليفة بقيادة مجاهد الدين أبيك الدويدار الصغير أن يحول دون استقرار المغول في أماكنهم فكان نصيبه الهزيمة المنكرة ، وقتل عدد كبير من الجنود لقوا حتفهم على يد المغول ، فلم يسع مجاهد الدين إلا الهرب مع قليل من أتباعه .

وفي يوم الثلاثاء ٢٢ المحرم أحكم الحصار حول مدينة بغداد واستمر حتى نهاية هذا الشهر ، وفي خلال تلك الفترة كان المغول يطلقون يد التخريب في المدينة ، ويفتحون الأبراج حتى استولوا بهجماتهم على القسم الشرقي من التحصينات . ولما رأى الخليفة حرج موقفه ، أراد أن يهديء المغول ويثنيهم عن عزمهم عن إتمام الفتح وذلك بإرسال الرسل والهدايا ، ولكن هولاءكو لم يستجب لهذا النداء ، وأرسل نصير الدين الطوسي إلى الخليفة يأمره بإحضار سليمانشاه والدويدار ، فوجد الخليفة نفسه مضطراً إلى إطاعة هذا الأمر وطلب إلى الشخصين المذكورين أن يذهبا لمقابلة هولاءكو ، فلما وصلا إليه أعادهما إلى بغداد لاصطحاب أتباعهما وكل ما يخصهما بحجة أنهم سينفون جميعاً إلى مصر والشام ، فخرج معهما جند بغداد وكثير من السكان ظانين أن ساعة الخلاص قد حانت . فلما خرج هذا الجمع أمر هولاءكو بقتلهم عن آخرهم . وفي يوم ٢ من صفر قتل الدويدار الصغير وسليمانشاه مع سبعمئة شخص من أقاربه وأتباعه ، وكذلك قتل تاج الدين بن الدويدار الكبير وأرسلت رعوس هؤلاء الثلاثة إلى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ليعلقها على أسوار مدينته ورغم أن بدر الدين كان صديقاً لسليمانشاه ، فإنه لم يكن في وسعه إلا أن يذرف الدمع ، وإلا أن يدعن للأمر فيعلق تلك الرعوس خوفاً من بطش هولاءكو وتجنباً لنقمته (١) .

في ذلك الوقت كان القتال مستمراً على أشده ، فلم يبق أمام المحاصرين إلا أن يستسلموا وحاول جند الحامية الهرب ، فأدركهم المغول وقتلهم عن آخرهم .

وفي يوم الأحد ٤ من صفر سنة ٦٥٦ خرج الخليفة من بغداد وسلم

نفسه وعاصمته للمغول بلا قيد ولا شرط ، بعد أن وعده هولاء بالآمان .
يذكر صاحب طبقات ناصري أن سليمان شاه ومجاهد الدين أبيك ذهب
إلى الخليفة على أثر هزيمتهما وأخبراه بما حدث ، وأفهماه أنه لا طاقة لمن بقي
من جيوش المسلمين على قلة عددهم على الصمود أمام المغول البالغ عددهم
٢٠٠ ألف أو ما يزيد على هذا العدد ، ولذا فهما يقترحان على الخليفة أن
ينقل خزائنه ونسائه ويبحر في سفينة يعبرون بها نهر دجلة حتى يصلوا إلى
البصرة حيث يقيمون في إحدى الجزر حتى تسنح الفرصة ويأتيهم نصر الله .
ولكن الوزير ابن العلقمي خدع الخليفة ، وأقنعه بأنه لا داعي للانتقال لأنه مهد
طريق الصلح ، وسوف يأتيه هولاء هولاء والمغول طائعين متقادين ، ثم حث
الخليفة على أن يرسل ابنه أبا بكر إلى المغول ليعجم عودهم وليرى مصداق
ما يقول ، فاستصوب الخليفة رأى وزيره . وفي الوقت نفسه طلب ابن
العلقمي إلى هولاء أن يسرّ أن يحسن معاملة أبي بكر ، ويخذه بمعسول القول
حتى يتم حبك المؤامرة ، فلما مثل أبو بكر بين يدي هولاء ورأى منه
حفاوة بالغة ولمس معاملة طيبة ، رجع إلى أبيه وأخبره بكل ما رأى وسمع
ففرح أبوه ، ولم يشك في حسن نية المغول نحوه ، وخرج من بغداد للقاء
هولاء ببناء على إشارة الوزير واصطحب معه ١٢٠٠ شخص من عليّة القوم
من قضاة ووجهاء وتجار وصناع فلما وصلوا إلى معسكر الإيلخان ، أمر بوضعهم
في مكان خاص وتقسيمهم جماعات وقبض على المستعصم ، وطلب إليه
أن يكلف أتباعه والمقربين إليه بأن يخرجوا من بغداد حتى إذا اكتمل عددهم
في قبضة المغول قتلوا عن آخرهم (١) .

على أن الرواية الشائعة تذكر أنه على أثر الهزيمة التي منى بها جيش
الخليفة خرج الوزير مؤيد الدين بن العلقمي إلى هولاء فوثق منه لنفسه
وعاد إلى المستعصم وأخبره أن هولاء يبقيه في الخلافة ، كما فعل بسلطان
الروم ويريد أن يزوج ابنته من ابنه أبي بكر (٢) وحسن له الخروج إلى هولاء

(١) منهاج سراج : طبقات ناصري ، ص ٤٢٧ - ٤٢٨ .

(٢) تاريخ وصاف ص ٣٧ ؛ أبو الفداء ج ٣ ص ٢٠٣ ؛ الحافظ شمس الدين أبو عبد

الله الذهبي : دول الإسلام ، ج ٢ ص ١٢٢ - ١٢٣ ؛ تاريخ ابن الوردي ج ٢ ص ١٩٦ .

فخرج من بغداد يوم الأحد ٤ من صفر سنة ٦٥٦ هـ ومعه أبنائه الثلاثة وهم : أبو الفضل عبد الرحمن وأبو العباس وأحمد ، فلما وصلوا إلى هولاكو لم يجد أثراً للغضب بل أخذ يلاطفهم ويطيب خاطرهم ثم طلب إلى الخليفة أن ينادى في الناس بإلقاء أسلحتهم والخروج من المدينة لإحصائهم ، فلما ألقى الناس أسلحتهم وخرجوا قتلوا جميعهم .

ثم وضع الخليفة وأولاده وكل ما يتعلق به في معتقل محاذ لباب كلواذى وعين بعض الجنود لحراستهم وكان الخليفة يرى أنه هالك لا محالة (١) .

وفي يوم ٧ من صفر أعلنوا الهجوم العام على المدينة ودخلوها في يوم ٩ من هذا الشهر وأباحوا القتل والنهب وسفك الدماء فأوقعوا بالسكان ما تقشعر لهولة الأبدان . ويقال إن عدد القتلى بلغ ٨٠٠ ألف نسمة . وقد استمرت هذه الغارة مدة أربعين يوماً ، اندلعت فيها ألسنة النيران في كل جانب فالتهمت كل ما صادفها وأتت على الأخضر واليابس ، وخربت أكثر الأبنية وجامع الخليفة ، ومشهد الإمام موسى الكاظم ، وقبور الخلفاء في الرصافة (٢) .

وحينما دخل هولاكو مدينة بغداد ، قصد قصر الخلافة وجلس في الميمنية واحتفل مع الأمراء بذلك اليوم ، وأمر بإحضار الخليفة وقال له : « أنت المضيف ونحن الضيوف ، فيجب عليك أن تقوم بواجب الضيافة . فصدق الخليفة قوله وكان يرتعد فرقاً وخوفاً ، واستولت عليه الدهشة واعتراه الذهول لدرجة أنه لم يعد يعرف أين وضع مفاتيح خزائنه ، فأمر بكسر الأقفال وإخراج ألفين من الثياب وعشرة آلاف دينار ونفائس ومرصعات وجواهر عديدة ، قدمها هدية إلى هولاكو الذي لم يعر تلك الأشياء التفاتاً ، ووزعها على أتباعه ، ثم قال للخليفة : « هذه الأموال التي تملكها على سطح الأرض أمرها واضح ، وهي تعد غنيمة فتكون من نصيب جنودنا . والآن نريد أن تكشف لنا عن الأموال والدفائن — فما هي وأين

(١) مختصر الدول ، ص ٤٧٥ .

(٢) Le Strange : بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ترجمة بشير يوسف فرنسيس

توجد ؟ فاعترف الخليفة بوجود حوض مملوء بالذهب وسط القصر ، فلما حفروا ذلك المكان ، وجدوه مملوءا بالذهب الإبريز ، وكانت كل قطعة منه تزن مائة مثقال . ثم أمر هولاء أن يحصوا حرم الخليفة وحاشيته ، فوجدوا سبعمائة من النساء والسرايا وألفاً من الخدم (١) . وعندما وقف الخليفة على تعداد نسائه قال في تضرع : « امنحنى تلك النسوة اللاتي لم يكن يطلع عليهن ضوء الشمس ولا نور القمر » . فأمر هولاء أن يختار من بينهن مائة امرأة وأن يدع الباقي . وهكذا أخذ معه مائة من النسوة ممن هن من أقاربه والمحبات إليه . ورجع هولاء إلى معسكره ليلاً . وفي الصباح كلف قائده « سونجاق » بأن يذهب إلى المدينة ليضبط أموال الخليفة ويخرجها . فجمع هذا كل ما كان الخلفاء العباسيون قد ادخروه خلال خمسة قرون (٢) .

وأخيراً بعد أن سفك هولاء من الدماء ما سفك ، وبعد أن خرب ما خرب أصدر أمره بالكف عن القتل وبأن ينصرف كل إلى عمله .
والآن ننظر كيف عامل المغول الخليفة المستعصم قبل أن يقدموا على قتله وعلى أى نحو قتلوه ؟.

أما عن المسألة الأولى فتذكر المصادر أن هولاء أمر بحرمان الخليفة من الطعام ، فلما أحس بالجوع طلب طعاماً فقدم له هولاء طبقاً مملوءاً بالذهب وأمره أن يأكل . فقال الخليفة : « كيف يمكن أكل الذهب ؟ » فرد عليه هولاء : « إذا كنت تعرف أن الذهب لا يؤكل فلم احتفظت به ولم توزعه على جنودك ، حتى يصونوا لك ملكك الموروث من هجمات هذا الجيش المغير ؟ ولم لم تحول تلك الأبواب الحديدية إلى سهام وتسرع إلى شاطئ نهر جيحون لتحول دون عبوري ؟ » فقال : الخليفة « هكذا كان تقدير الله . فرد عليه هولاء : « وما سوف يجرى عليك إنما هو كذلك تقدير الله » (٣) .

(١) ذكر في رسالة فتح بغداد أن عدد الخدم كان ١٣٠٠ (انظر تاريخ جهانگشای ، ج ٣ ص ٢٩٠) وأما ابن العبري فيذكر أن عددهم كان ٣٠٠ فقط .

(٢) انظر جامع التواريخ ، نشر كاتر مير ص ٣٠٠ - ٣٠٢ .

(٣) « خليفه در جواب گفت : تقدير خدای چنین بود ، پادشاه گفت : آنچه بر تو خواهد رفت هم تقدير خدايست » (انظر رسالة فتح بغداد الملحقه بكتاب تاريخ جهانگشای ج ٣ ص ٢٩٠) .

وفى رواية الوصاف أن هولاء كولو لما ووجه هذه الأسئلة إلى الخليفة لزم الصمت ولم يجر جواباً (١) .

هذه الحادثة كانت مشهورة وذائعة فى الأقطار الإسلامية فى ذلك الوقت ويمكننا أن نطمئن إليها ونسلم بصحتها .

أما عن الكيفية التى قتل بها المستعصم فإنها ما زالت يكتنفها الغموض إذ تضاربت فيها روايات المؤرخين ، واختلفت إلى حد كبير . ولعل أبأ الفداء يمثل لنا اختلاف هذه الروايات بخصوص قتل المستعصم تمثيلاً واضحاً حين قال : « ولم يقع الاطلاع على كيفية قتله ، فقل خنق ، وقل وضع فى عدل ورفسوه حتى مات ، وقل غرق فى دجلة » . ويحتم عبارة بقوله : « والله أعلم بحقيقة ذلك » (٢) .

وبين هذه الروايات المتناقضة تبرز رواية قتل المستعصم بوضعه فى غرارة ثم رفسه إلى أن مات فتكون بذلك أشهر الروايات وأكثرها تداولاً (٣) . وإنما قتل المغول المستعصم بهذه الطريقة جرياً على عادتهم كما أشار إلى ذلك ابن خلدون إذ يقول فى هذا المقام : « وتقبض على المستعصم فشدخ بالمعاول فى عدل تجافياً عن سفك دمه بزعمهم » (٤) .

ويروى بوتيه Pauthier نقلاً عن النويرى فى كتابه نهاية الأرب أن المغول لا يريقون على الأرض دم السلاطين والأمراء الذين يحكم بقتلهم (٥) . ويشرح ماركوپولو الكيفية التى تم بها قتل أحد الأمراء من المغول المسمى « نايان » على يد قوبلاى قاآن بما يؤيد رواية النويرى (٦) .

ولقد أوقع سقوط بغداد العالم الإسلامى فى فزع وذ هول وحيرة

(١) انظر تاريخ وصاف ، ص ٣٩ - ٤٠ .

(٢) أبو الفداء ، ج ٣ ص ٢٠٣ .

(٣) انظر منهاج السراج : طبقات ناصرى ، ص ٤٣٠ ؛ ابن القوطى : الحوادث

الجامعة ، ص ٣٢٧ ؛ تاريخ وصاف ، ص ٤٠ .

(٤) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج ٥ ص ٥٤٣ .

(٥) انظر Pauthier : Le livre de Marco Polo Vol. I, P. 50

(٦) انظر نفس المصدر ، ص ٢٤٩ .

فسارع حكامه المستضعفون إلى الطاغية هولاءكو يقدمون فروض الطاعة والتهنئة بمناسبة انتصاره الساحق على الخليفة ويتملقونه خوفاً من بطشه واتقاء لشره ، فكان ممن حضر لتهنئته في مراغة أتاك الموصل الهرم بدر الدين لؤلؤ وذلك في ٢٩ من رجب سنة ٦٥٦ هـ . وأرسل أبو بكر أتاك فارس ابنه سعداً للغرض نفسه . ووصل كذلك إلى معسكر هولاءكو الذي كان وقتئذ قرب تبريز - اثنان من سلاطين سلاجقة الروم وهما الأخوان المتنافسان : السلطان عز الدين كيكاوس الثاني والسلطان ركن الدين قلع أرسلان الرابع . وكان يرتجف رعباً لأن جنوده حاولوا أن يقفوا أمام القائد المغولي « بايجونويان » فدحرهم في آقسرا (١) . فلما سقطت بغداد على يد هولاءكو أحس عز الدين بحرج مركزه ، وخشى بطش الخان فحاول أن يخلص نفسه من تلك الورطة بنوع مبتكر من التملق الذي يحمل طابع الخضوع والذلة ، وذلك أنه رسم صورته على نعل زوج من الأحذية ، وقدمها للخان الساخط وقال له : « عبدك يأمل أن يتفضل الملك فيشرف رأس عبده بوضع قدمه المباركة عليها » (٢) ولاشك أن ذلك الموقف المخزى يصور لنا الحد الذي بلغه هذا الرجل من الاستئلال والمهانة . نتيجة خوره وضعفه .

نتائج سقوط بغداد :

يعد سقوط بغداد وانقراض الخلافة العباسية التي استمرت قائمة أكثر من خمسة قرون ، من أكبر الوقائع التي حدثت في تاريخ الإسلام . ولقد كان لهذا الخبر أسوأ الأثر في نفوس المسلمين جميعاً ، واعتبرت هذه المأساة لظمة قاسية ، وبلاء شديداً سلط على رأس المسلمين إذ انتهكت حرمتهم على يد المغول أهل الكفر والشرك الذين صوبوا طعنة نجلاء إلى مقام الخلافة المقدس ، وإلى أسرة الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فلا غرو أن كان لهذا الحادث نتائج خطيرة نلخصها فيما يأتي :

(١) انظر Grausset: L'Empire des Steppes, p. 433.

(٢) « مامول بنده آنست كه پادشاه بقدم مبارك سراين بنده را بزرگ گرداند (جامع التواريخ ، نشر كاترمير ، ص ٣٢٢) .

١ - كان المسلمون ينظرون إلى الخلافة على أنها رمز للممالك الإسلامية جميعها يجب أن يظل قائماً ، وكانوا ينظرون إلى الخليفة نظرة إجلال واحترام . وعلى هذا كان نفوذه الديني بعيد الأثر في نفوس المسلمين جميعاً . فلما سقطت بغداد وقتل الخليفة ، قضى على هذا النفوذ ، وزال ما كان لتلك العاصمة من مكانة دينية ممتازة .

٢ - كانت بغداد مركزاً هاماً للعلوم والآداب والفنون ، ومعهداً كبيراً يهرع إليه العلماء وطلاب العلم للتزود بالثقافة الإسلامية التي كانت تتمثل هناك بأجلى معانيها . أجل كانت تلك المدينة غنية بعلمائها وأدبائها وفلاسفتها وشعرائها . وكان كل هؤلاء بمثابة أساتذة وقادة لرجال العلم والأدب في مختلف أنحاء الشرق الإسلامي . فلما حلت النكبة ببغداد على أيدي المغول قتل آلاف من العلماء والشعراء ، وشرّد من نجا منهم فلبجأوا إلى مصر والشام وغيرهما من البقاع (١) ، وأحرقت المكتبات ، وخربت المدارس والمعاهد ، وقضى على الآثار الإسلامية التي تعب الفنانون المسلمون في إبداعها . كل هذا التراث الحبيب قد أصبح في التراب أثراً بعد عين ، كما يقول الجويني :

هزراكنون همه درخاك طلب بايد كرد

زآنكه درخاك نهانند همه پرهبران (٢)

وقصارى القول أن سقوط بغداد بعد أن سقطت بخارى ونيسابور والرى وغيرها من مدن العلم والأدب ، كانت جناية كبيرة حقاً على الحضارة والثقافة إذ فقدت اللغة العربية تلك المكانة التي كانت تتمتع بها قبل الغزو في ميادين الثقافة العلمية والأدبية (٣) ، وأدى ذلك فيما بعد إلى ظهور فترة من فترات الضعف في تاريخ آداب هذه اللغة .

٣ - كانت بغداد قبل حملة المغول مركزاً للنشاط السياسي في جميع أنحاء الشرق الإسلامي ، يؤمها وفود الحكام والأمراء الإسلاميون . وكانت

(١) انظر جورجى زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ٣ ص ١١١ - ١١٢ ، دار الهلال بالقاهرة ، ١٩٣٠ .

(٢) الجويني : تاريخ جهانگشاي ، ج ١ ص ٣ .

(٣) انظر Browne: Literary History of Persia, Vol ii, p. 467 .

الروابط تربط بينها وبين مختلف العواصم . فلما سقطت في أيدي المغول صارت مدينة عادية ثانوية ، يعين عليها وال ، وانتقل النشاط كله إلى مدن الشمال في أذربيجان إذ أنها أخذت تلعب دور العواصم ، ففقدت بغداد بذلك أهميتها السياسية ، ودخل الشرق الإسلامي عامة في عهد جديد آلت فيه السيطرة من بعد هولاكو إلى أبنائه الذين صاروا يستقلون تدريجياً عن المغول في قراقورم وأسسوا لأنفسهم دولة في إيران عرفت باسم « دولة الإيلخانيين » .

٤ - تأثر المسلمون أشد التأثر لسقوط الخلافة ، وخلو الأرض من وجود خليفة يكون له المقام الروحي المرموق . فلما تولى الظاهر بيبرس عرش مصر استطاع أن يعثر على أحد أفراد الأسرة العباسية ، ونصبه خليفة في مصر سنة ٦٥٩ ، وصار أعقابه يعرفون باسم « الخلفاء العباسيين في مصر » وكان لهم شبه سلطة روحية في مدينة القاهرة . وبهذا انتقل النشاط السياسي والثقافي إلى مصر التي أصبحت قبله أنظار المسلمين (١) . وكان الظاهر يرمى من وراء إحياء الخلافة العباسية في مصر إلى أن يكسب سلطنته صفة شرعية بفضل التقليد الذي حصل عليه من الخليفة ، وأن يمد ملكه ويوسع سلطانه بمساعدته ، باعتباره حامى الدين (٢) . وقد استمر هذا الوضع قائماً في مصر إلى أن استولى عليها السلطان العثماني سليم الأول عام ٩٢٣ فألغى منها الخلافة العباسية ، وأعلن نفسه خليفة للمسلمين . وبذلك انتقلت الخلافة إلى القسطنطينية حاضرة العثمانيين .

٥ - أثار حادث سقوط بغداد الحزن العميق والجزع الشديد في جميع أنحاء البلاد الإسلامية ، وكان له صدى في نفوس الشعراء من عرب وعجم فهاجت شاعريتهم ، ونظموا قصائد كانت ترجماناً صادقاً لما يحسه المسلمون إزاء هذه النكبة التي حلت بهم جميعاً .

فن المراثي العربية الرائعة التي نظمت في تلك المناسبة ، مراثية دامعة

(١) انظر Nickolson: Literary History of the Arabs, p. 442.

(٢) انظر الدكتور حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص ١٣٠ .

تسيل العبرات ، وتشيع الأسى فى النفس ، وتثير الشجون ، وردت فى كتاب تاريخ الإسلام للذهبي ، ونشرت فى مجلة : Bulletin of the School of Oriental Studies (١) والقصيدة تنسب إلى تاج الدين إسماعيل بن أبي اليسر (٢) ، وهى تعد نموذجاً حسناً للمراثى الجيدة ، فضلاً عن أنها مصاغة فى قالب شعري محكم ؛ لهذا رأيت أن أنقلها هنا برمتها :

<p>لسائل الدمع عن بغداد إخبار يا زائرين إلى الزوراء لا تفدوا تاج الخلافة والربع الذى شرفت أضحى لعطف إبلى فى ربه أثر يا نار قلبي من نار لحرب وغى علا الصليب على أعلى منابرها وكم حريم سبته الترك غاصبة وكم بدور على البدرية انخسفت وكم ذخائر أضحت وهى شائعة وكم حدود أقيمت من سيوفهم ناديت والسبي مهتوك تجرهم وهم يساقون للموت الذى شهدوا والله يعلم أن القوم أغفلهم فأهملوا جانب الجبار إذ غفلوا يا للرجال بأحداث تحدثنا من بعد أسر بنى العباس كلهم ما راق لى قط شئ بعد بينهم لم يبق للدين والدنيا وقد ذهبوا</p>	<p>فما وقوفك والأحباب قد ساروا فما بذاك الحمى والدار ديار به المعالم قد عفاه إقفار وللدموع على الآثار آثار شبت عليه ووافى الربع إعصار وقام بالأمر من يحويه زنار وكان من دون ذاك السر أستار ولم يعد لبدور منه إبدار من النهاب وقد حازته كفار على الرقاب وحطت فيه أوزار إلى السفاح من الأعداء دعار النار يارب من هذا ولا العار ما كان من نعم فيهن إكثار فجاءهم من جنود الكفر جبار بما غدا فيه إعذار وإنذار فلا أنار لوجه الصبح إسفار إلا أحاديث أروها وآثار سوق لمجد وقد بانوا وقد باروا</p>
--	--

(١) B.S.o.S. Vol. VII Part I, 1933 A Qasida on the Destruction of Bagdad

by the Mongols pp. 41-48.

(٢) انظر فوات الوفيات ج ١ ، ص ١٢ - ١٤ .

إن القيامة في بغداد قد وجدت وجدها حين للإقبال إدبار
آل النبي وأهل العلم قد سبوا فمن ترى بعدهم تحويه أمصار
ما كنت آمل أن أبقى وقد ذهبوا لكن أتى دون ما أختار أقدار

ولم يكن هذا الشعور قاصراً على شعراء العرب وحدهم ، بل شاركهم
في هذا الميدان شعراء الفرس كذلك ، حتى إننا لنجد الشاعر الكبير سعدى
الشيرازى الذى كان يعيش في ذلك الوقت في شیراز آمناً مطمئناً بعيداً عن
ميدان المعركة لا يستطيع أن يخفى تأثره لهول هذا المصاب فينظم قصيدة فارسية
يرثى فيها المستعصم ويبدى تحسره وتأسفه على زوال الخلافة العباسية وهذا هو
مطلع القصيدة :

آسمانرا حق بود گر خون بریزد برزمین
برزوال ملک مستعصم أمير المؤمنين (١)

ومعناه :

للسماء حق إذا بكت على وجه الأرض دماً لزوال ملك المستعصم
أمير المؤمنين .

كما نظم هذا الشاعر قصيدة أخرى عربية في نفس الموضوع كانت من
أروع قصائده وكأنه أراد أن ينعى بهاتين القصيدتين الخلافة الإسلامية للمسلمين
أجمعين الفرس منهم والعرب على السواء (٢) .

حبست بجفنى المدامع لا تجرى فلما طغى الماء استطال على السكر
نسيم صبا بغداد بعد خرابها تمنيت لو كانت تمر على قبرى (٣)

(١) انظر كليات سعدى ، ص ٤٨٦ ، طبع طهران ١٣٢٨ هجرية شمسية ، براون :
تاريخ الأدب في إيران من الفردوسى إلى السعدى ترجمة الأستاذ الدكتور إبراهيم أمين الشواربى
ص ٤١ - ٤٢ .

(٢) الدكتور إبراهيم أمين الشواربى : العربية في إيران ، مجلة كلية الآداب ، جامعة عين
شمس (جامعة إبراهيم باشا الكبير سابقاً) ، ج ١ ص ٤٥ لسنة ١٩٥١ .

(٣) انظر كليات سعدى ، ص ٤١١ ، ٤١٤ ، طبع طهران ١٣٢٨ هـ . ش .

الفصل الثالث

(١) حملة هولاكو على سورية (ب) علاقة المغول بالمصريين

بعد أن فرغ هولاكو خان من فتح قلاع الملاحدة والاستيلاء على بغداد بقي عليه من البرنامج الذي رسمه له منقوفاً أن يخضع الشام ومصر . كانت الشام في ذلك الوقت تنقسمها سلطات ثلاث : هي سلطة الفرنج وسلطة الأرمن المسيحيين ، وسلطة الحكام المسلمين الذين كانوا يتمثلون في الأمراء الأيوبيين ، وكان هؤلاء الأمراء يحكمون في مدن ميفارقين وحصن كيفا والكرك وحلب ودمشق وحماة وحمص ، وهم ينتسبون إلى الأسرة الأيوبية القديمة التي أسسها صلاح الدين الأيوبي في مصر في الثلث الأخير من القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ، وكانت ترجع إلى أصل كردى .

ومما يؤسف عليه أن كل واحد من هؤلاء الأمراء ، كان يعتبر نفسه مستقلاً ، فلا وفاق بينهم ، ولا سلطان لأمر منهم على أمير . وكانوا في نزاع دائم وخلاف مستمر حتى في الوقت الذي بدأ فيه شبح المغول يظهر خفياً مرعباً ، وأصبح هذا الخطر ماثلاً للعيان على أثر فتح بغداد . ولو قدر لهؤلاء الأمراء فاتحدوا وتكتلوا لاستطاعوا أن يكونوا سداً منيعاً يدرءون به خطر المغول عن تلك البلاد . يقول ابن العبري أثناء تأريخه لحوادث سنة ٦٥٦ : « وفيها توجه الأشرف بن الملك الغازي بن الملك العادل صاحب ميفارقين إلى الملك الناصر صاحب حلب يطلب منه نجدة ليمنع المغول من الدخول إلى الشام ، فاستخف برأيه ولم يسمع مشورته بل صرفه بكلام وسرحه من عنده بالأمان » (١) . ولم يقف الناصر عند هذا الحد من التخاذل بل أظهر الضعف

والخنوع إذ نجده على أثر فتح بغداد يهادن المغول فيرسل ابنه العزيز إلى هولوكو يحمل إليه الهدايا والتحف ويقدم صك العبودية عن طوعية واختيار بل ويطلب إليه على لسان أبيه أن يمده بنجدة تساعد في الاستيلاء على مصر وتخليصها من المماليك (١) .

كان من الطبيعي ألا يرضى الأمراء الآخرون عن هذا السلوك ، فأظهروا العداء السافر للملك الناصر ، الأمر الذي دفعه إلى الاستنجاد بالمغول فكان هذا عاملاً مشجعاً لهولوكو على المسير إلى تلك البلاد .

وهناك عامل آخر شجع المغول على فتح الشام ومصر ذلك هو التحالف الذي تم بين الحكام المسيحيين في غرب آسيا من جهة وبين المغول من جهة أخرى فقد رأى « هيتوم » Hèthoum ملك أرمينية (٢) أن الفرصة سانحة للانضمام إلى المغول لاستخلاص الشام بوجه عام وبيت المقدس بوجه خاص . ولما كان بوهيمند Bohèmond السادس ملك أنطاكية حليفاً وفيماً لجاره هيتوم ، وكان قد تزوج من ابنته ، دخل هو الآخر في الحلف المغولي (٣) . ومما هو جدير بالذكر أنه كان لزوجة هولوكو المسيحية « دوقوز خاتون » أكبر الأثر في توطيد أواصر الصداقة بين الزعماء المسيحيين وبين هولوكو . وهكذا اتخذت حملة هولوكو سمات الحرب الصليبية الأرمينية المغولية ذلك لأن ملك الأرمن هيتوم ، كان في علاقته بالمغول لا يتحدث عن نفسه فقط ، وإنما كان يتحدث عن صهره الفرنجي بوهيمند .

وحينما عزم هولوكو على غزو الشام ، أرسل رسله إلى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل يأمره بأن يرسل ابنه الصالح نيابة عنه نظراً لكبر سنه ليضرب جيوش المغول أثناء حملتهم على الشام ومصر .

(١) المقرئى : السلوك ، ج ١ قسم ٢ ص ٤١١ . ويلاحظ أن الملك الناصر هذا (٦٤٠ - ٦٥٩) كان أكثر أمراء الأيوبيين قوة واقتداراً في ذلك الوقت .

(٢) المقصود أرمينية الصغرى أو بلاد قيليقية . وقد جاء في كتاب السلوك للمقرئى

ج ١ قسم ٢ ص ٥١٠ حاشية ١ أن هيتوم انضم إلى هولوكو رغبة منه في حماية مملكته من السلاجقة الروم بالشمال ودولة المماليك بالجنوب وصارت تلك المملكة بذلك ولاية تابعة لدولة التتر بفارس .

(٣) انظر Grousset: L'Empire des Steppes, p. 434.

وفي شهر رمضان سنة ٦٥٧ ، تحرك الجيش المغولي الكبير من أذربيجان قاصداً سورية . وكان يقود الطلائع القائد المغولي « كيتوبوقا » (١) وكان ياجمو وسنقر يقودان الجناح الأيمن ، وأما الجناح الأيسر فكان يقوده سونجاق . وأخيراً القلب وكان يقوده هولأكو . وفي الوقت نفسه أرسل ابنه يشموت وسونتاي نويان لمحاصرة ميافارقين^٢ ، وعهد إلى الملك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ بفتح آمد .

حاصر المغول ميافارقين ، وكانت في ذلك الوقت تحت سيطرة أحد الأمراء الأيوبيين المسمى الملك الكامل محمد بن الملك المظفر شهاب الدين غازي بن العادل أبي بكر بن أيوب . وقد اشتركت مع المغول فرقة أرمينية مسيحية إذ كان مسيحيو الشرق حين يتحدون مع المغول لمحاربة المسلمين يحسون أنهم إنما يشاركون في حرب صليبية . وقد استمر الحصار مدة عامين أظهر خلاهما المدافعون عن المدينة ضروباً من الشجاعة المنقطعة النظير حتى نفدت عندهم الأزواد ، وعم القحط ، وانتشر الوباء ، واضطر الناس إلى أن يأكل بعضهم بعضاً ، حتى هلك أكثر سكان المدينة . ولما وجد الملك الكامل عدم جدوى المقاومة ، استسلم للمغول فقتلوه شر قتلة (٢) .

ولما تم لهم فتح ميافارقين ، تقدموا نحو ماردين وكانت في قبضة الملك السعيد الذي أبي إلا أن يقاوم ، فاستمر المغول يحاصرونها مدة ثمانية أشهر دون أن ينجحوا في احتلالها . وأخيراً حاول أحد أبناء الملك السعيد أن يثني أباه عن عزمه ويحمله على التسليم للمغول ، فلما لم يفلح لم ير بداً من قتل أبيه حقناً لدماء المسلمين ، وسلم القلعة للمغول فنصبوه والياً على ماردين بدلا من أبيه .

وفي أثناء حصار ميافارقين كان هولأكو يغزو سورية الإسلامية إذ نزل من كردستان إلى الجزيرة ، وأخذ نصيبين واستسلمت له حران والزها وقتل

(١) هو صهر هولأكو ويرد هذا الاسم بصيغ مختلفة مثل كيتوبوقا وكتوبوقا ، وكتوقا وكتبغا ، وكتبوغا .

(٢) انظر جامع التواريخ ، نشر كاترمير ، ص ٣٧٤ .

أهل سروج عن آخرهم لأنهم قاوموه ثم احتل البيرة ، وعبر الفرات وأغار على منبج حيث سفك دماء الكثيرين من أهلها .

وفي يوم الأحد ٢ من صفر سنة ٦٥٧ سار الجيش المغولي يقوده هولاكو بنفسه ويعاونه الأرمن والفرنج . وعلى أثر ذلك ابتداء حصار حلب ، وأرسل إلى واليها الملك المعظم تورانشاه يطلب إليه أن يسلمه البلد ووعد بأن يؤمنه ويؤمن أتباعه فلم يجبه تورانشاه إلى طلبه وصمم على محاربته . أما السلطان الناصر صاحب حلب فبدلاً من أن يبقى ليدافع عن المدينة آثر الهرب إلى دمشق فحمل عنه عبء الدفاع الملك المعظم تورانشاه . وفي ذلك الوقت كان رئيس أساقفة حلب هو المؤرخ ابن العبري ، فسارع إلى المغول وبذل طاعته لهولاكو .

نصب المغول عشرين منجنيقاً وحاصروا المدينة سبعة أيام قتلوا خلالها خلقاً كثيراً حتى امتلأت الطرقات بالقتلى وأسروا النساء ونهبوا الأموال . وأما قلعة حلب فقد استعصت عليهم واستمرت تقاوم مدة ثلاثين يوماً ثم سلمت في النهاية في يوم الاثنين ١١ من ربيع الأول من هذه السنة ، واستغل هيتوم ملك أرمينية تلك الفرصة فأحرق الجامع الكبير بينما احترم الكنيسة اليعقوبية .

ولما استقرت الأمور أصدر هولاكو أمره بوقف تلك المذابح ، وأعطى ملك الأرمن جزءاً من الأتقال ، وأعاد إليه الأقاليم والقصور التي كان قد استولى عليها مسلمو حلب ، كما رد إلى بوهيمند السادس جميع الأراضي التي كان المسلمون قد اقتطعوها منه (١) .

ونتيجة لهذه الانتصارات السريعة الحاسمة وما صاحبها من قتل وتشريد وتخريب وتدمير ، عم الرعب كل بلاد سورية الإسلامية فسارع الأمراء الآخرون بتقديم الطاعة إلى المغول فكان ممن جاء إلى هولاكو وهو عند أسوار حلب ، الأيوبي الأشرف موسى ملك حمص سابقاً . وكان الناصر قد انتزعها منه في سنة ٦٤٦ هـ فأعادها هولاكو إليه . (٢)

(١) انظر Grousset: L'Empire des Steppes, p. 436.

(٢) أبو الفداء ، ج ٣ ص ٢١١ .

بعد ذلك تقدم المغول نحو دمشق وكان المدافعون عنها قد هجروها كما أن الملك الناصر لم يحاول أن يحصى المدينة ، إذ كان قد فر إلى مصر عندما سمع بسقوط حلب . وأما أهالي دمشق فقد عرفوا ما حل بمدينة حلب ، وكانوا يخشون أن يبطش المغول بهم إذا حاولوا مقاومتهم؛ ولهذا سارع ذوو الرأي والوجهاء منهم إلى هولاكو وقدموا له الهدايا والتحف وسلموه مفاتيح المدينة وأظهروا له الانقياد والطاعة فدخل المغول المدينة دون إراقة دماء (١) ، بينما امتنعت عليهم قلعة دمشق فحاصروها وأقاموا عليها المجانيق إلى أن استسلمت لهم في منتصف جمادى الأولى من تلك السنة ونهبوا جميع ما فيها (٢) .

وفي الأسابيع الثلاثة التي أعقبت فتح دمشق أتم المغول فتح سورية الإسلامية فدخلوا مقاطعة السامرا وقتلوا حامية نابلس لأنهم قاوموهم . ثم تقدموا إلى غزة دون أن يلقوا مقاومة تذكر ، واستسلمت لهم حامية عجلون .

وعلى أثر فتح دمشق سنحت للمسيحيين الفرصة للتشفي والانتقام من المسلمين ، فنظموا مواكب عامة كانوا ينشدون فيها الأناشيد ، ويحملون الصليبان ويجبرون المسلمين على أن يقوموا احتراماً لها ، ومن يمتنع منهم كان يتعرض للسب والإهانة . وبلغ بهم التحدى أقصاه فدقوا النواقيس وتظاهروا بالخرم في نهار رمضان ورشوه على ثياب المسلمين في الطرقات ، كما صبوه على أبواب المساجد ولم يستثنوا حتى الجامع الأموي فضجر المسلمون من تلك الفعال ، ورفعوا شكواهم إلى كيتوبوقا نائب هولاكو ، فلم يحفل بهم بل أهانهم وضرب بعضهم . وأخذته حالة من التقوى فجعل يزور الكنائس ويعظم رجالها على اختلاف مذاهبهم (٣) .

انتصار المصريين على المغول :

هذه الانتصارات المتتابة التي أحرزها المغول كانت قد حيرت الناس

(١) نفس المصدر ، ص ٢١٢ .

(٢) انظر جامع التواريخ ، نشر كاتمرير ، ص ٣٣٨ .

(٣) انظر شمس الدين أبي عبد الله : دول الإسلام ، ج ٢ ص ١٢٥ ؛ المقرئ :

السلوك ، ج ١ قسم ٢ ص ٤٢٥ .

وتركت في نفوسهم أثراً عميقاً ، وجعلتهم يميلون إلى الاعتقاد بأن هؤلاء المغول إنما هم بلاء من الله سلطه على المسلمين ، ولن تستطيع قوة ما على ظهر الأرض أن تقف أمامهم فلقد أخضعوا سورية الإسلامية بأسرها ، ولم يبق أمامهم إلا مصر آخر معقل للإسلام في الشرق .

ولكن فجأة وقعت حادثة قطعت هذا التسلسل وقلبت الفكرة رأساً على عقب إذ اضطر هولوكو إلى ترك الميدان والعودة إلى إيران لسببين : — أولهما : علم ب وفاة أخيه الأكبر منگوقاآن في الصين وكان عليه أن يحضر « القوريلتاي » ليزكى ترشيح أخيه الأوسط قوبيلاي حتى يختار « خاناً أعظم » .

ثانيهما : كان مهتداً من جهة الحدود القوقازية من قبل ابن عمه « بركه خان » الذي كان يحكم في القبجاق ، خصوصاً وأنه كان قد اعتنق الإسلام (١) فحقن على هولوكو بسبب المذابح الرهيبة التي راح فيها ألوف من الضحايا المسلمين ولتجرئه على مقام الخلافة وقتل الخليفة .

عاد هولوكو إلى إيران وكان في نيته أن يكتفي بما تم من فتح ، ولا يترك خلفاً له يكمل برنامجه في الاستيلاء على فلسطين ومصر . غير أن إلحاح المسيحيين الذين كانوا يريدون استرداد بيت المقدس من المسلمين جعل هولوكو يوافق على أن يترك قائده « كيتوبوقا » وتحت إمرته عشرة آلاف مقاتل لإتمام هذا المشروع (٢) ، كما عهد هولوكو إلى هذا القائد بإدارة شئون الحكم في سورية .

وقد عرف عن القائد « كيتوبوقا » أنه كان يكن أحسن النوايا للمسيحيين لا لأنه كان مسيحياً فقط بل لأنه فيما يبدو قد فهم المصلحة من قيام حلف فرنجي مغولي ، وبالرغم من أن بوهيمند السادس أمير أنطاكيا كان يشارك كيتوبوقا هذا الشعور فإن بارونات عكا ظلوا ينظرون إلى المغول كبرابرة لا يمكن أن يفضلوا في نظرهم المسلمين . وحدث أن هاجم أحد هؤلاء البارونات المسمى الكونت « جوليان الصيداوى » Julien de Sidon دورية مغولية

(١) نفس المصدر الأخير ، ج ١ قسم ٢ ص ٣٩٥ .

(٢) Lamb: The Crusades: The Flame of Islam, p. 340.

وقتل ابن أخى كيتوبوقا فسخط المغول ، وتألوا جداً بسبب وقوع هذا الحادث ، وتوجهوا لتخريب صيداً ، فكان هذا إيذاناً بانتهاء الحلف الصريح أو الضمنى بين الفرنج وبين المغول (١) .

وفى ظل هذا التنافر عادت للمسلمين فى مصر شجاعتهم وثقتهم بأنفسهم . وكان على المغول أن يدركوا أنه إذا كانت سلطنة حلب ودمشق قد سقطت فى أيديهم ، فإنه قد بقى عليهم أن يغلبوا قوة إسلامية عظيمة هى قوة المماليك أصحاب السيطرة فى مصر . والمماليك — كما نعلم — كانوا غرباء عن البلاد وأهلها ، وهم من أصل تركى فى الغالب (٢) ، اضطروا الأيوبيون إلى الاستعانة بهم ، فكانوا يشترونهم بالأموال ، ويجعلونهم نواة جيوشهم . وما هى إلا فترة وجيزة حتى نشأ من بين زعماء هؤلاء الصنائع جبل جديد استطاع أن يستأثر بملك البلاد فى عام ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م) . وفى الفترة التى نوّرخها كان السلطان المملوكى قطز ، ثالث هؤلاء المماليك هو الذى يحكم فى القاهرة .

وهنا يجب أن ننتبه إلى حقيقة هامة هى أن هؤلاء المماليك جلبوا إلى مصر أطفالاً صغاراً ، فنشأوا وسط بيئة عربية خالصة ، وتعلموا منذ نعومة أظفارهم اللغة العربية ، وتلقوا أصول الديانة الإسلامية على أيدي مجموعة مختارة من الفقهاء والمشايع العرب ، فشبهوا لا يعرفون ديناً غير الإسلام ولا وطناً غير الوطن العربى . وبعبارة أخرى فإن هؤلاء المماليك قد استعربوا منذ طفولتهم ، وتشربوا العروبة وروحها منذ حداثتهم ، فصاروا جزءاً لا يتجزأ عن المحيط العربى الكبير ، وأخذوا يحسون بالأحاسيس نفسها التى شعر بها معاصروهم من العرب جميعاً نحو الأخطار الخارجية الكبرى التى هددت الوطن العربى الكبير فى ذلك العصر (٣) فوضعوا أيديهم فى أيدي أبناء مصر والشام ، وسار الجميع تحذوهم فكرة الجهاد فى سبيل الله والوقوف صفاً

(١) . Grousset: L'Empire des Steppes, p. 437.

(٢) انظر الدكتور على إبراهيم حسن : دراسات فى تاريخ المماليك البحرية ، ص ٢٢ الطبعة الثانية .

(٣) انظر كتاب المجتمع العربى تأليف مجموعة من أساتذة كلية الآداب بجامعة القاهرة ، ص ٩٢ .

واحداً في وجه المغول حتى كالت جهودهم بالنصر والظفر على النحو الذي نشرحه الآن .

فقبل أن يبرح هولاءكو الشام في سنة ٦٥٨ ، أرسل رسالة إلى السلطان قطز يدعوه إلى الاستسلام ونحن نجتزئ من تلك الرسالة الفقرات الآتية : « من ملك الملوك شرقاً وغرباً القان الأعظم . باسمك اللهم باسط الأرض ورافع السماء . يعلم الملك المظفر قطز ، الذي هو من جنس الممالك الذين هربوا من سيوفنا(١) إلى هذا الإقليم يتنعمون بأنعامه ، ويقتلون من كان بسلطانه بعد ذلك يعلم الملك المظفر قطز ، وسائر أمراء دولته وأهل مملكته بالديار المصرية وما حولها من الأعمال ، أنا نحن جند الله في أرضه ، خلقنا من سخطه وسلطنا على من حل به غضبه . فلکم بجميع البلاد معتبر ، وعن عز منا مزدجر فأنعظوا بغركم ، وأسلموا إلينا أمرکم ، قبل أن ينكشف الغطاء ، فتندموا ويعود عليكم الخطأ »(٢) .

فلما وصلت تلك الرسالة ، استشار قطز الأمراء ، فاستقر الرأي على قتل الرسل والمسير للقتال ، ذلك لأنه أدرك أن الظروف قد أصبحت ملائمة ، وأن كيتوبوقا بجيشه الذي لا يزيد على عشرة آلاف جندي بعد رحيل هولاءكو بمعظم الجيش ، لم يكن ليستطيع أن يحتفظ بفتوحاته إلا عن طريق تحالفه بالفرنجة النازلين على الشاطئ . وما دام هؤلاء الفرنج قد نفصوا أيديهم من هذا الحلف ، فقد أصبحت الفرصة مواتية للوقوف أمام الغزاة وقفة موفقة ، بل صار الأمل كبيراً في الانتصار عليهم .

وعلى هذا التصميم تقدمت طلائع المصريين يقودهم الأمير بيبرس البندقداری قاصدين فلسطين ، بينما كانت الحامية المغولية الصغيرة بقيادة بايدر

(١) يشير هنا إلى أصل السلطان قطز محمود بن مودود ، وأمه أخت السلطان جلال الدين خوارزمشاه ، وأبوه ابن عم السلطان جلال الدين ، وكان قد أسر في حروب التتر ، وبيع بدمشق للسلطان الملك المعز أيوب ثم انتقل إلى القاهرة (انظر ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ / ص ٣٧٩ ؛ المقرئی : کتاب السلوك ج ١ / قسم ٢ / ص ٤٣٥) .

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ / قسم ٢ / ص ٤٢٧ - ٤٢٨ .

تحتل غزة فلقها بيبرس ودمرها بعدده الوفير وأجلاها حتى شاطئ نهر العاصي (١) أما الفرنج في عكا ، فإنهم بدلا من أن يتفقوا مع كيتوبوقا ، سمحوا للمماليك بأن يعبروا أرضهم ويمونوا أنفسهم منها عند أسوار عكا . يقول المقریزی : « ثم نزل السلطان بالعساكر إلى غزة وأقام فيها يوماً ، ثم رحل من طريق الساحل على مدينة عكا وبها يومئذ الفرنج ، فخرجوا إليه بتقادم وأرادوا أن يسيروا معه نجدة . فشكرهم وأخلع عليهم واستحلفهم أن يكونوا لاه ولا عليه ، وأقسم لهم أنه متى تبعه منهم فارس أو راجل يريد أذى عسكر المسلمين رجع وقتلهم قبل أن يلقي التتر » (٢) .

ولا شك أن السماح لجيش المماليك باتخاذ الطريق الساحلي الفرنجي واحتشاد الجيش هناك بفضل تموين الفرنج له ، كان ميزة كبيرة أساسية تمتع بها المصريون إذ أتاحت لهم فرصة ذهبية للقاء العدو وهم على أتم الاستعداد . هذا فضلا عن كثرتهم العددية بالقياس إلى تعداد جيش المغول .

وحينما علم القائد المغولي كيتوبوقا باندحار بايدر ، صار كالمرجل يغلي من الغضب وتقدم للانتقام واثقاً من نفسه ، مزهواً بقوته ، معتمداً على أن الجيش المغولي لا يمكن أن يقهر . وتجمع المماليك عند عكا كما ذكرنا من قبل ثم اتجهوا عبر بلاد الجليل الفرنجية نحو نهر الأردن ، وتقدم نحوهم كيتوبوقا ومعه بعض النجندات الأرمينية فالتقى الجمعان عند عين جالوت (٣) في يوم الجمعة ١٥ من رمضان سنة ٦٥٨ (٣ سبتمبر سنة ١٢٦٠ م) حيث دارت الحرب بين الفريقين ، فأُسفرت المعركة عن هزيمة المغول هزيمة منكرة لأول مرة في تاريخهم ، بعد أن كانت القلوب قد يئست من النصرة عليهم لاستيلائهم على معظم البلاد الإسلامية ، ولأنهم ما قصدوا إقليماً إلا فتحوه ولا عسكراً

(١) جامع التواريخ ، نشر كاتمير ، ص ٣٤٦ .

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٣٠ .

(٣) ورد اسمها في معجم ياقوت « عين الجالوت » وهي بلدة بين بيسان ونابلس من

أعمال فلسطين (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٧٦٠) .

إلا هزموه (١) . إلى أن كانت هذه الموقعة التي رجحت فيها كفة المصريين إذ استطاعوا أن ينتقموا من المغول شر انتقام ، فقتلوا عدداً كبيراً منهم وتعلق من سلم برعوس الجبال ، فتبعهم المسلمون وأفنؤهم ، وطاردوا من هرب منهم إلى أطراف البلاد الشرقية .

وأما عن قائد المغول « كيتوبوقا » فقد وقع أسيراً في قبضة المصريين بعدما أبدى في هذه الموقعة من ضروب الشجاعة والتضحية ما يجعل عن الوصف إذ بلغ من حماسه وشجاعته أنه كان يجري يميناً وشمالاً ، يسدد ضربات المريعة إلى الأعداء فلما أشير عليه بالهرب لينجو بنفسه ، رفض بإباء وشمم وقال : « لا بد من الموت هنا ، لأن الموت مع العزة والكرامة خير من الهرب مع الذلة والمهانة » (٢) ورغم أنه كان يقف وحيداً في ميدان المعركة فقد ثبت في مكانه يناضل ألف جندي من أعدائه إلى أن وقع حصانه في النهاية فعجز عن مسaire القتال ، وأخذ أسيراً وقيدت يده ، ثم أحضر أمام السلطان قطز الذي قال له بتشيف : « بعد أن سفكت الدم بغير حق ، وقلبت الأبطال العظماء بالوعود الكاذبة ، وأسقطت الأسر القديمة بالقول الزائف المزور ها أنت أيضاً قد وقعت أخيراً في الشباك » (٣) .

فرد عليه القائد المغولي رداً في غاية القوة والجرأة غير آبه بما ينتظره من مصير مخيف على يد قطز : « إني إن هلكت على يديك ، فإني أعلم أن الله لا أنت هو الذي أراد قتلي . فلا تنخدع بهذا النصر المؤقت ، لأنه لا يكاد يصل إلى هولاكو خان خبر موتي ، حتى يغلي غضبه كالبحر المضطرب فتطأ أرجل الخيل المغولية أرض البلاد ابتداء من أذربيجان إلى أبواب مصر » (٤) .

(١) أبو الفداء ، ج ٣ ص ٢١٤ .

(٢) « از مردن چاره نیست از بهر آن که بنام و ننگ بمیرند به از آن که بذل و خواری بگریزند (جامع التواريخ ، نشر كاترمير ص ٣٥٠) .

(٣) انظر جامع التواريخ ، نشر كاترمير ، ص ٣٥٠ .

(٤) « اگر بردست کشته شوم ، از خدای دایم نه از تو . بدین اتفاق یک لحظه و غرور یک دم فریفته مشو ، که چون خبر وفات من به بندگان هولاکو خان رسد دریای خشم او بجوش آید ، و از آذربایجان تا در مصر بسم اسپان مغول بست گردد (انظر نفس المصدر ونفس الصفحة)

وكانت آخر صيحة له أن سب هؤلاء السلاطين الممالك الذين ترفعهم الصدف والذين يتخذون قتل ساداتهم وسيلة للوصول إلى الملك ، ثم أشاد بالوفاء المغولي ومدى احترام المغول للقانون . فقال : « أنا منذ ولدت كنت عبداً للخان ، وليس لى أن أكون كما كنت أنت قاتلاً لسيدى » (١) . ثم طلب إلى قطز أن يقضى عليه سريعاً فأصدر أمره على الفور فاحتر رأسه وطيف به فى البلاد .

وبعد ذلك تابع الملك سيره بالجيش حتى دخل دمشق دخول الظافر المنتصر ودفع المسيحيون بهذه المدينة الثمن غالباً بسبب عطفهم السابق على المغول ولما اقترفوه من آثام ضد الأهالى المسلمين على أثر انتصار المغول . فقد وقع فى هؤلاء المسيحيين القتل والنهب ، وأحرقت كنيسهم العظمى (٢) . وبهذا النصر دخلت سوريا الإسلامية من الفرات إلى حدود مصر تحت سيطرة الممالك ، فدل ذلك دلالة قاطعة على أن الإيمان بالله والوطن والحق كفيل بأن يحقق النصر على الغزاة المعتدين مهما بلغت جيوشهم من كثرة العدد ووفرة القوة .

وإن أهمية معركة عين جالوت لتتضح فيما أسفرت عنه من نتائج (٣) ذات قيمة بالغة ليس فى تاريخ الشام ومصر فحسب ، بل فى تاريخ العالم الإسلامى كله .

ولاشك أن مصر وحدها هى التى حملت العبء كله فى الدفاع عن العروبة والإسلام ؛ فاستحقت عن جدارة — أن تتبوأ زعامة العالم الإسلامى إذ استطاعت فى ذلك الوقت أن تخلص العرب من طغيان عدوين خطرين الصليبيين من جهة والمغول من جهة أخرى .

ولقد عبر الرئيس جمال عبد الناصر عن هذه الحقيقة أصدق تعبير

(١) « من تابوده ام بنده پادشاه بوده ام ، نه چون شما مكار و غدار و خداوند گار

كش » (انظر نفس المصدر ، ص ٣٥٢) .

(٢) دول الإسلام ، ج ٢ ص ١٢٥ ؛ السلوك ، ج ١ قسم ٢ ص ٤٢٥ .

(٣) أنظر كتاب المغول فى التاريخ للمؤلف ، ص ٢٠٨ - ٢١٠ .

فقال (١) : « وقبل أن ينزل ظلام الغزو العثماني على المنطقة بأسرها كان شعب مصر قد تحمل ببسالة منقطعة النظير مسئوليات حاسمة لصالح المنطقة كلها » .
« كان قد تحمل المسئولية المادية والعسكرية في صد أول موجات الاستعمار الأوربي التي جاءت متسترة وراء صليب المسيح وهي أبعد ما تكون عن دعوة هذا المعلم العظيم » .
« وكان قد تحمل المسئولية المادية والعسكرية في رد غزوات التتار الذين اجتاحتوا سهول الشرق واجتازوا جباله حاملين الخراب معهم والدمار » .

(١) الميثاق ، الباب الثالث ، ص ٢٢ ، طبع مصلحة الاستعلامات بالقاهرة .

الفصل الرابع

أبناء هولاكوخان وأحفاده

تعاقب على عرش إيران سلسلة حاكمة أسسها هولاكو ظلت تحكم هذه البلاد من سنة ٦٥٤ إلى سنة ١٧٥٤ (١) على وجه التقريب . وقد عرفت هذه السلسلة في التاريخ باسم « الإيلخانيين في إيران » .

اتصل رشيد الدين بكثير من سلاطين هذه الأسرة ، ولم يكتف بأن يقف إزاء الأحداث موقف المتفرج أو موقف المؤرخ فحسب ، بل أعد نفسه ليلعب دوراً هاماً في إدارة هذه الدولة ، وليساهم بنصيب فعال في تكييف تلك الأحداث .

كان يشغل أول أمره طبيياً ، ومن المحتمل أن مهارته في الطب هي التي أوصلته إلى بلاط هولا السلاطين ، ثم صار يتدرج شيئاً فشيئاً إلى أن تقلد منصب الوزارة الذي كان يعد أكبر منصب في الدولة .

من هولا السلاطين الذين عاصروهم واتصل بهم :

أباقاخان : (٦٦٣ - ٦٨٠) ، تولى العرش بعد وفاة أبيه هولاكو واتخذ تبريز عاصمة له . وكان أول عهد مؤرخنا بخدمة المغول في أيام هذا السلطان ، إذ انتظم في سلك أطبائه وكان من المقربين إليه . وقد احتل عنده منزلة كبيرة وصار نجمه يلمع شيئاً فشيئاً ، ويزداد نفوذه ، ويشدد احترام السلطان له (٢) .

في ذلك الوقت كان يتولى المؤرخ عطا ملك الجويني (٣) حكومة العراق

(١) انظر زامبور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ، ج ٢ ، ص ٣٦٢ - ٣٦٣ .

(٢) انظر Quatremère p. VIII.

(٣) انظر تاريخ جهانگشای ، ج ١ مقدمة الناشر ، فوات الوفيات ج ٢ ص ٣٥ .

أما أخوه الخواجه شمس الدين محمد صاحب الديوان فقد عين وزيراً . كما احتل أبناؤهما عدة مناصب هامة ، فكانت هذه الأسرة في الدولة المغولية مثل أسر البرامكة في الدولة العباسية كلهم أهل فضل وأدب ، وأرباب جود وكرم وكانت مجالسهم محط رحال الأدباء والكتاب والشعراء ومناطق آمالهم . بذلوا كل ما في وسعهم لتعمير ما خربه المغول ، ولم يتأخروا عن تنفيذ كل ما هو نافع وصالح . ولكنهم مع الأسف لاقوا في النهاية نفس المصير المشؤم الذي سبق أن لاقاه البرامكة . ففي أواخر عهد آباقاخان ابتلى عطا ملك الجويني وأخوه بوشاية مجد الملك اليزدي (١) إذ نسب إليهما أنهما كانا على اتصال بملك مصر الظاهر بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦) وقد اتفقا معه على تسليم العراق له (٢) فغضب آباقاخان عليهما ، وكان هذا إيذاناً بأفول نجم تلك الأسرة وذهاب دولتها .

من الأحداث الأخرى الهامة في حياة هذا السلطان محاربته للمصريين في الشام إذ حاول أن يغسل الإهانة التي لحقت بالجيوش المغولية في موقعة « عين جالوت » فأعد جيشاً كبيراً التحم به في عدة معارك مع جيوش السلطان الظاهر بيبرس ولكنها أسفرت جميعها عن اندحار جيوش المغول ، وانتصار السلطان الظاهر بيبرس عليها انتصاراً رائعاً . وكان من أبرز تلك المواقع وقعة ابليستين (٣) Abulustayn سنة ٦٧٥ هـ ، إذ فقد من المغول في تلك المعركة ما يقرب عن ٧٠٠٠ نفس حتى إن آباقا عندما زار ميدان القتال وشاهد أشلاء القتلى من المغول تأثر تأثراً شديداً ولم يكن في وسعه إلا أن يذرف الدمع (٤) .

(١) كان من أهل يزد وأبوه صفى الملك . كان يتولى الوزارة لأتابكه يزد. وأما مجد الملك فقد التحق أول الأمر بخدمة بهاء الدين محمد بن شمس الدين الجويني الذي كان حاكماً على إصفهان. ثم اتصل بصاحب الديوان نفسه ودخل في خدمته فاهتم به وكان يكل إليه القيام بالأعمال الهامة ولكن سرعان ما دبّت في نفسه عوامل الحسد والغيرة وسول له شيطانه أن يستأثر بمنصب صاحب الديوان فصار يلفق التهم ويحيك المؤامرات ضد أسرة الجوينيين .

(٢) انظر تاريخ جهانگشای ، ج ١ ص لزوما بعدها من مقدمة الناشر .

(٣) تسمى كذلك « أبليستان » شرق قيسارية بين جبل طوروس والقسم العلوى من نهر

جيجان .

(٤) انظر براون : التاريخ الأدبي لايران ، ج ٣ ص ١٩ .

عمر آباقا نحو خمسين سنة إلى أن توفي في ٢٠ من ذى الحجة سنة ٦٨٠ هـ (١) .

أحمد تكودار : (٦٨١ - ٦٨٣ هـ) رقى العرش بعد وفاة أخيه آباقاخان وكان قد اعتنق الدين المسيحى فى صغره ، وتعمد فى صباه وتسمى منذ ذلك الحين باسم « نيقولا » . ويبدو أنه كان للمسيحيين نفوذ كبير فى بداية حكمه (٢) . ولكن على أثر اتصال هذا السلطان برعاياه من المسلمين صار يميل إلى الإسلام تدريجياً . فلما توطدت علاقته بعلماء المسلمين وعظمائهم أعلن إسلامه ولقب بلقب السلطان « أحمد تكودار » فكان بذلك أول إيلخاني المغول الذين اعتنقوا الدين الإسلامى فى إيران .

فى عهد هذا السلطان استرد الجوينيون حريتهم وأعيدوا إلى مناصبهم التى كانوا يشغلونها فى عهد آباقا ، وسنحت الفرصة للانتقام من عدوهم اللدود محمد الملك اليزدى فقتل أشنع قتلة فى جمادى الأولى سنة ٦٨١ هـ .

وقد ترتب على إسلام تكودار أن خلا الديوان من المسيحيين واليهود وحولت المعابد البوذية والكنائس إلى مساجد ، وأجبر كثير من المسيحيين على اعتناق الإسلام . كذلك خفت حدة التوتر بينه وبين السلطان قلاوون فى مصر . وتبدلت الرسائل الودية بين الطرفين فأمكن بذلك تناسى الأحقاد والضغائن ولم تقع حروب تذكر .

ولكن أمراء المغول الذين كانوا لا يزالون جد حريصين على التمسك بعقائدهم وتقاليدهم ، رأوا فى سياسة تكودار - خطراً يهدد كيانهم ويقوض بنيانهم ؛ فناصبوه العداء ، وجهروا بالثورة عليه لأنهم عدوا سلوكه مخالفة صريحة للياسا .

وكان من أشد الناقمين عليه الأمير أرغون خصوصاً وأنه كان يطمع فى أن يلى العرش بعد وفاة أبيه آباقاخان . وسرعان ما نشبت الحرب بينه وبين

(١) انظر تاريخ وصاف ، ص ١٠٥ .

(٢) انظر . Lane-Poole: Catalogue of the Collection of Arabic Coins

السلطان ، وانتهى الأمر بهزيمة تكودار وقتله في ليلة الخميس ٢٦ من جمادى الأولى سنة ٦٨٣ .

وبقتل تكودار قضى على شوكة المسلمين الإيرانيين الذين قوى نفوذهم في المدة القصيرة التي تولاها السلطان أحمد ، واستطاعوا خلالها أن يشلوا حركة المسيحيين والمغول . ولكن هذا التغيير الذي طرأ على الموقف كان بمثابة نكسة أحلت قوانين جنكير خان وتقاليده المغول مرة أخرى محل الشريعة الإسلامية .

أرغون خان : (٦٦٣ - ٦٩٠) اشتهر بسياسته المعادية للمسلمين وميله إلى اليهود والمسيحيين . كان مؤرخنا رشيد الدين يعمل طبيباً في بلاطه . وسرعان ما صار من خاصته والمقربين إليه . وهناك من المؤرخين من يرى أن أول عهد رشيد الدين بخدمة المغول كان في زمن هذا السلطان (١) غير أنه يستفاد من قول رشيد الدين نفسه أنه أمضى جزءاً من عمره في خدمة السلطان آباقاخان إذ كان يعمل طبيباً خاصاً له (٢) . وهذا هو ما اتفق عليه أغلب المؤرخين (٣) .

في عهد هذا السلطان قتل الخواجه شمس الدين محمد الجويني صاحب الديوان لأنه كان يقف في صف السلطان أحمد تكودار . وتبع ذلك موجة تقتيل عنيفة شملت جميع أفراد هذه الأسرة حتى استؤصلت شأفتهم (٤) .

اختار أرغون « سعد الدولة » اليهودي وزيراً له فتركت تصرفاته من جهة أعمق الآثار في نفوس المسلمين ، وألقى موقفه من جهة أخرى ضوءاً على الأحداث الخفية التي واجهها فيما بعد مؤرخنا رشيد الدين الذي كان يشبه من بعض الوجوه الوزير سعد الدولة ، فقد كان يشاركه أصله اليهودي

(١) انظر بلوشيه : مقدمة تاريخ المغول ، ص ٣٥ نقلا عن تاريخ اولجايتو لعبد الله الكاشاني .

(٢) انظر Quatremère, p. VIII.

(٣) انظر منتجب الدين : درة الأخبار ولعة الأنوار ، ص ١١٢ طبع طهران بـ خوند مير : دستور الوزراء ، ص ٣١٦ بـ العيني : عقد الجمان ، صور شمسية م ١ ج ٢٣ ورقة ١٦٣ دار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ .

(٤) انظر تاريخ جهانگشای ، ج ١ ص ساوما بعدها من مقدمة الناشر .

كما كان يتحد معه في مهنة الطب تلك المهنة التي مكنتهما من الالتحاق بخدمة المغول ، وعن طريقها وصل كلاهما إلى منصب الوزارة .

كان سعد الدولة ذا دهاء ومكر وحيلة ؛ حاول أول الأمر أن يستميل قلوب الناس إليه فأمر أن تجرى الأحكام وفق الشريعة الإسلامية ، وتوخي العدالة التامة وعمل على رفع الغبن عن المغبونين ، وأجرى الصدقات فعم الرخاء ، وشعر الجميع بالأمن والاستقرار ، فلا غرو أن لهج بذكره شعراء العرب والعجم ، ونظموا القصائد في مدحه والثناء عليه ، وكونوا من ذلك في مدة عامين كتاباً قدموه باسمه .

ولكن السلطة المطلقة التي كان يتمتع بها سرعان ما جعلت منه شخصاً مستبدّاً طاغية فكان ككل يهودى رجلاً متعصباً لأقاربه ، وأبناء جلدته من اليهود فولاهم المناصب الهامة ، وعهد إليهم بعظام الأمور حتى صاروا يسيطرون على كل صغيرة وكبيرة وارتفعوا إلى مرتبة الأمراء والسلاطين بعد أن كانوا أذلاء لافي العير ولا في النفير . ولقد صدق الشاعر العراقي الذي قال يصف ما وصلت إليه حالة اليهود في ذلك الوقت :

يهود هذا الزمان قد بلغوا	مرتبة لا ينالها فلك
الملك فيهم والمال عندهم	ومنهم المستشار والملك
يا معشر الناس قد نصحت لكم	تهودوا قد تهود الفلك
فانتظروا صيحة العذاب لهم	فعن قليل تراهم هلكوا (١)

وهكذا ظهر سعد الدولة في ثوبه الحقيقي ، وأظهر العدواة سافرة للمسلمين ، وركب في ذلك متن الشطط لدرجة أنه اقترح على السلطان أن يحول الكعبة إلى معبد للأصنام ، بل إنه كان يبغى القضاء على الإسلام والمسلمين نهائياً بفكرة جهنمية أوحى بها إلى أرغون إذ أدخل في روعه أن النبوة قد وصلت إليه بالوراثة عن جنكيزخان ، وأن قوام كل دين يتوقف على جهاد المخالفين واستئصال شأفتهم ، وإذن فيجب عليه أن يأمر بقتل كل شخص

(١) انظر تاريخ وصاف ، ص ٢٣٨ ؛ Browne: Literary History of Persia

يتخلف عن قبول ديانته ، ولا يقبل أن يحشر في زمرة أتباع الملة الجديدة (١).
لم يكن سعد الدولة جريئاً على المسلمين فقط ، بل كان شخصاً متعجرفاً
متعالياً حتى على الأمراء أنفسهم . ولما وجد هؤلاء أنهم قد أصبحوا معزولين
عن الدولة والسلطان ، وأن ذلك اليهودى هو الأمر الناهى نقموا عليه وفكروا
فى التخلص منه .

وهكذا ارتفعت الصيحة ضده فى كل مكان ، وكان فى مقدمة المتذمرين
الأمراء والعلماء المسلمون الذين كانوا يكرهون اليهود بوجه عام وسعد الدولة
بصفة خاصة . ولكن الجميع كانوا عاجزين عن زحزحته لأنه كان حائراً لثقة
السلطان أرغون الذى كان جباراً قوياً . وعلى هذا لم يستطع أى شخص مهما
علا قدره أن يمس سعد الدولة بسوء . فلم يكن بد من أن يترقب أعداؤه
الفرصة الملائمة للانقضاض عليه ، فصبروا على مضض متحملين منه كل
ما يصادفهم من إيذاء .

وبينما هو سادر فى غوايته ، مرض أرغون خان فى تبريز ، فقصد
« موقان » للاستشفاء ، ولكن المرض كان قد اشتد عليه ، وأعلن الأطباء
عجزهم عن معالجته . حينئذ أفاق سعد الدولة من غشيته ، ووضح له تمام
الوضوح أن حياته مرهونة ببقاء أرغون ، فأراد أن يحفظ لنفسه خط الرجعة
ويستعد لمفاجآت المستقبل ، فكان لابد من أن يعود سيرته الأولى من استمالة
الناس والتكفير عن سيئاته ، لعل هؤلاء فى غمرة مآثره ومكارمه ينسون
ما لاقوه على يده من صنوف العذاب والذلة ، ويكون سلوكه هذا شفيعاً له
من هلاك محقق .

وعلى هدى هذا التصميم شرع يرسل الرسائل تلو الرسائل يحث فيها
عمال الدولة على دفع الظلم وإصلاح حال الرعية ؛ وإطلاق سراح المسجونين
وإجراء الصدقات والخيرات فيقال إنه أرسل فى يوم واحد ٧٠ رسالة
وتصدق على أهل بغداد بمبلغ ٣٠٠٠٠ دينار وعلى أهل شيراز بمبلغ ١٠٠٠٠
دينار .

(١) نفس المصدر الأول ، ص ٢٤١ .

وكان يتظاهر بأنه يبغى من وراء هذه الصدقات دفع البلاء عن الإيلخان وطلب الشفاء له . والحقيقة أنه كان يحاول استرداد مكانته وجلب رضا الناس حتى لا يتعرضوا له بسوء عندما تأزم الأمور ويموت أرغون . ولكن الأوان كان قد فات ، إذ لم تترك أعماله السيئة مجالاً لتناسي الأحقاد ودفن الضعائس .

ولما كان أرغون يعتقد في « السحر والشعوذة والنجوم » (١) ، مثل أغلب سلاطين المغول ، فإن القائمين على تلك الأمور كانوا يتمتعون في عهده بمنزلة كبيرة . وعندما مرض حاول هؤلاء المشعوذون أن يعدوا معجوناً يطيل عمره ، ولكن هذا العمل أتى بنتيجة عكسية إذ اشتدت عليه العلة ، وأصيب بالفالج ، وساءت حالته . وكان مرضه مرتعاً خصيباً لترويج الإشاعات ونذيراً بما ينتظر سعد الدولة ومن ورائه اليهود من مصير نحيف وهلاك محقق

ولما رأى سعد الدولة أن أرغون قد قارب النهاية ، وأن الزمام قد أفلت من يده ، أراد أن ينقذ حياته في آخر لحظة ، فرمى بآخر سهم كان في جعبته إذ أرسل الرسل على الفور إلى غازان بن أرغون واستدعاه إلى أذربيجان ، وظن أنه بذلك ربما ينال عطف الأمير قبل موت أبيه ، فتكون هناك بارقة أمل في أن يذكر له هذا الجميل ، ويدافع عنه ضد أعدائه الذين يتربصون به الدوائر ولكن أعداءه فوتوا عليه اغتنام تلك الفرصة ، واجتمعوا في منزل الأمير طغاجار قبل أن يصل غازان خان إلى خراسان ، واتفقوا على ضرورة القبض على سعد الدولة والخلاص منه سريعاً . وقد تم لهم ما أرادوا إذ قبض عليه وأحضر إلى منزل طغاجار وقتل في شهر صفر عام ٦٩٠ هـ .

ولقد كان لنبا قتل سعد الدولة رنة فرح في جميع البلاد الإسلامية إذ كان شفاء لغيلهم من أكبر عدو لدود لهم ، وإيداناً بالقضاء على اليهود وتعقبهم بالقتل والتعذيب أينما حلوا ، فجرت فيهم مذابح رهيبة مروعة في جميع المدن ، ومثل بهم أشنع تمثيل ، وصودرت أموالهم ، وصارت طعمة للنهب والسلب ، وقتل في بغداد وحدها ما يزيد على المائة من زعمائهم (٢) .

(١) انظر كتاب المغول في التاريخ للمؤلف ، ص ٢٥٠ - ٢٥٢ .

(٢) Browne: Literary History of Persia, Vol III, p. 34.

ولم يبق بلد من بلاد العراق إلا وجرى فيه على اليهود من النهب مثل ما جرى في بغداد حتى أسلم منهم جماعة ثم عادوا بعد ذلك (١). يروى صاحب تاريخ الوصاف أن مدينة شيراز وحدها هي التي سلمت من تلك الغارات ورغم أن الوالى في ذلك الوقت كان هو شمس الدولة اليهودى ، فإن المسلمين لم يتعرضوا له بسوء لأنه كان يعدل فيهم ، ويترفق بهم ، ويؤازرهم ويحترم أئمتهم وعلماءهم (٢). وقد استمر شمس الدولة والياً على شيراز سنة أخرى بناء على أمر كيخاتوخان الذى خلف أرغون على عرش المغول :

ومما سبق يتبين إلى أى حد كان سعد الدولة مسئولاً عن سياسته التعسفية التى درج عليها فى عهد أرغون ، تلك السياسة التى جعلت المسلمين يفقدون ثقتهم فى اليهود فقداناً تاماً ، وملأت نفوسهم بالحقد عليهم ، فكانت النتيجة هذا الانتقام الشنيع الذى لاقاه اليهود على أيدى المسلمين . وإن التاريخ المنصف لا يمكن أن يعيب على المسلمين هذا الموقف لأنهم لم يكونوا بادئين بالعدوان بل على العكس رأيناهم يعظمون سعد الدولة ويحترمونه ويمدحونه عندما كانت سيرته حسنة فيهم . ولكن لما تكشفت لهم بعد ذلك حقيقة البشعة سافرة جليلة صحبوا تلك الثقة ، وفى الوقت المناسب أنزلوا به وباليهود أشد أنواع العقاب : والذى يجب أن ننبه إليه هو أن المسلمين حتى فى وقت غضبهم وانتقامهم لم يأخذوا الصالح بحريرة الطالح ، وأن تصرفهم مع شمس الدولة والى شيراز ليعد أكبر دليل يدفع فرية أولئك الذين يرمون المسلمين بالتعصب .

وقد نظم الإمام زين الدين على بن صاعد الواعظ الدمشقى قصيدة (٣) يصف فيها نكبة اليهود وما لحقهم من تشريد وتعذيب جزاء أفعالهم المنكرة ويمدح الأمير « طغاجار » لقضائه على سعد الدولة . وهذه القصيدة منظومة على نفس البحر والقافية للقصيدة السابقة :

(١) ابن الفوطى : الحوادث الجامعة ، ص ٤٦٦ .

(٢) انظر تاريخ وصاف ، ص ٢٤٧ .

(٣) انظر نفس المصدر ونفس الصفحة .

نحمد من دار باسمه الفلك
وقارن النجس سعد دولتهم
وشتت الله شمل ملكهم
كم حكموا في البلاد لا حكموا
أبكاكم الله عاجلاً أسفاً
سقاكم الحنف سادة خشن
واستخلصوا المال من ديارهم
يا أمة الكفر والضلال لقد
يا أخبت الطير يا بغاثُ لقد
فأنتم شر أمة سلفت
عبدتم العجل دون خالقكم
مهذب هذبوا بقتلتهم
لما رأوا رأسه يطاف به
فعجل الله روح خيرهم
ففي العذاب المذاب قد سبحوا
غاعثوا سادتي بمصرعهم
«طعاجر» هد ركن عزمهم
أبادهم عنوة بصارمه
إشارة الشيخ فيهم ظهرت
جمال دين الإله سيدنا
الزاهد العابد الخضوع لمن
هجوتهم أبتغي بهجوههم
رغمًا لمن قال في قصيدته

هذى اليهود القروود قد هلكوا
وافترضوا في البلاد وانتهكوا
وبالحسام الصقيل قد سبكوا
وارتكبوا الموبقات وانتهكوا
من بعد ما في زمانهم ضحكوا
فامتلات بالجماجم السكك
والحريم الحرام قد هتكوا
دار بنكم في حباله الشرك
صادكم في الحميلة الشبك
وأنتم شر أمة تركوا
فضل ذاك الإياب والنسك
جماعة في البلاد قد فتكوا
وقد علاه القتام والصهك
إلى جحيم ظلامها حلك
وفي الحديد المديد قد سلكوا
ثم اتل ياذا البيان «كم تركوا» (١)
ذاك الهمام الخلاخل الملك
وما عليه بذلكم درك
لما رأيهم بسهمه فتكوا
ذاك الولي المؤيد الملك (٢)
دانت له في بحارها السمك
جنان خلد يزينها البرك
«تهودوا قد تهود الفلك»

(١) إشارة إلى الآية الكريمة: «كم تركوا من جنات وعيون» (سورة الدخان، آية ٢٥) .

(٢) المقصود جمال الدين محمد بن سليمان النقيب المقدسي المتوفى سنة ٦٩٨ هـ .

سياسة أرغون الخارجية :

كان أرغون على العكس من السلطان أحمد يميل إلى اليهود والمسيحيين ولهذا أعاد تعمير الكنائس التي خربت في عهد السلطان أحمد ، كما توطدت العلاقات بينه وبين سلاطين أوروبا ، وتبادل معهم الرسائل ؛ فشجعت هذه الروابط الحسنة كثيراً من الرحالة الأوروبيين على ارتياد الأقاليم التي كان يحكمها المغول . ففي أواخر أيامه كان يقصد إيران بعض هؤلاء الرحالة مثل ماركو بولو الذي قام برحلة إلى الصين في سنة ٦٧٤ هـ (١٢٧٥ م) ، حيث أقام في بلاط قوبلاي قاآن نحو عشرين سنة ؛ فاتخذته مستشاراً له ، وكان يؤدي له أعمالاً إدارية هامة . ولما صار موضع ثقته أرسله في كثير من سفاراته . وفي سنة ٦٩٠ هـ رحل ماركو بولو إلى إيران ، ثم كتب رحلته الممتعة التي وصف فيها كل البلاد التي مر بها أو أقام فيها ، كما وصف البلاط المغولي وصفاً دقيقاً ينبئ عن وقوفه على أحوال الصين والممالك الشرقية وخاصة إيران .

كذلك كثرت في ذلك العهد البعثات التبشيرية المسيحية التي كانت تعمل على نشر الديانة المسيحية بين المغول .

وقصارى القول أنه نتيجة لتلك الاتصالات انتشر الدين المسيحي وذاقت الآداب الغربية في الشرق .

أما عن العلاقات بين أرغون وبين سلاطين الممالك في مصر والشام فقد كانت راكدة ولم تحدث حروب تذكر لأن كلا من الطرفين كان منصرفاً إلى نواحي أخرى شغلت كل وقته ، ولم تدع له فرصة لفتح ميدان آخر ؛ فالممالك من جهتهم تعرضوا لأزمات داخلية جرت على الخصوص بين السلطان قلاوون وبين أنصار الظاهر بيبرس . وأما أرغون فكان هو الآخر منهمكاً في جمع المال ورعاية العنصرين المسيحي واليهودي واضطهاد المسلمين والاهتمام بالكيماء والتنجيم .

وفاته :

ظل أرغون خان مريضاً من أول شوال عام ٦٩٠ إلى أوائل ربيع الأول من نفس السنة ؛ ولهذا السبب اضطربت شئون البلاد ، وتطرق كثير من

الخلل إلى الناس جميعاً . وأخيراً لقي أرغون حتفه في يوم السبت ٧ من ربيع الأول سنة ٦٩٠ هـ (١) .

كيخاتوخان : (٦٩٠ — ٦٩٤) تحدثنا المصادر التاريخية أنه في زمن هذا السلطان وقع الاختيار على مؤرخنا رشيد الدين ليتولى منصب الوزارة ولكنه كان يمتنع لأنه رأى من الصالح ألا يقبل هذا المنصب في ذلك الوقت . ومعنى هذا أن رشيد الدين كان يتمتع بنفوذ كبير لدرجة أن السلطان رأى أن يعهد إليه بهذا المنصب الخطير .

في عهد هذا السلطان عاد منصب الوزارة إلى المسلمين فتولاه الخواجة « صدر الدين أحمد الخالدي الزنجاني » (٢) ولقب بلقب « صدر جهان » أي « صدر العالم » . وقد أعطاه كيكخاتوسلطات واسعة مطلقة فصار هو الشخص الأول في الإمبراطورية الذي يستطيع أن يقف على قدم المساواة مع القائد العام لجيش المغول .

اطمأن كيكخاتو إلى وزيره وترك له الحبل على الغارب ، بينما عكف هو على ملذاته وانصرف إلى شهواته . هذا بالإضافة إلى ما عرف عنه من كثرة البذل والسخاء وكان الوزير هو الآخر على شاكلة رئيسه يبذل الكثير ويسلك طريق الإفراط والبذخ . وبلغ من إسرافه أنه اقترض خلال سنتين من توليه الوزارة ما يقرب من خمسمائة تومان (٣) فكانت النتيجة أن ارتبكت مالية الدولة ، وصارت الخزانة مهددة بالإفلاس .

ولتفريغ هذه الأزمة قدم اقتراح إلى الوزير يرمي إلى استعمال أوراق

(١) انظر رشيد الدين فضل الله الهمداني ، المجلد الثاني ، الجزء الثاني ، تاريخ أبناء هولاكو الترجمة العربية ، ص ١٦٢ .

(٢) كان شريكا لمجد الملك اليزدي في تدبير المؤمرات ضد أسرة الجوينيين وقبل أن يصل إلى منصب الوزارة كان يتولى حكومة فارس والمهمات الأخرى نائبا عن الأمير « طغاجار » القائد الأعلى لجيش المغول .

(٣) التومان عدد قدره عشرة آلاف . وهو في السكة يعادل عشرة آلاف قطعة نقود ذهبية يطلق على كل منها دينار .

النقد الصينية « الجاو » (١) بدلا من التعامل بالذهب والفضة وقد وافق عليه الوزير وصدر قانون الإيلخان في جمادى الأخرى سنة ٦٩٣ هـ يقضى بالتعامل بهذه الأوراق ولكن هذا الاقتراح فشل فشلا ذريعا لأن الناس لم يكونوا قد تعودوا بعد على استعمال هذه الأوراق (٢) فاضطربت أحوالهم وكسدت التجارة وتعذرت الأقوات ، وكادت الحالة تنذر بقيام ثورة جارفة قد تأتى على دولة المغول نفسها لولا أن سارع السلطان فأصدر قانوناً بإبطال التعامل بهذا الورق .

كان السلطان كيخاتو مغرمًا بالشراب ، كما كان مصاباً بالشذوذ الجنسي واللوواط فتضايق أمراء المغول لمسلكه الشائن هذا (٣) وثاروا عليه وقتلوه في جمادى الأولى سنة ٦٩٤ .

بايدوخان : (جمادى الأولى ٦٩٤ - ذو القعدة ٦٩٤) كان أول عمل قام به هو أن تخلص من أتباع كيخاتو ، وقرر إعادة الوظائف والحقوق إلى أصحابها ، وأعفى الأوقاف الإسلامية من الضرائب ، وعهد بأمور الجيش ورياسة الأمراء إلى الأمير طغاجار ونصب جمال الدين الدستجردانى وزيراً له فاختار لقب الوزارة بدلا من لقب صاحب الديوان (٤) .

ولكنه لم يكد يتولى العرش حتى قام غازان بن أرغون يطالب بدم عمه كيخاتو . وبعد أخذ ورد دارت رحى الحرب بينهما قال أكثر الأمراء إلى غازان وانتهى الأمر بهزيمة بايدو وقتله في ٢٣ من ذى القعدة سنة ٦٩٤ هـ .

وبالرغم من أن بايدو لم يكن لاهياً ولا فاسقاً كسلفه كيخاتو إلا أنه كان

(١) « جاو » بالجيم المثلثة عبارة عن النقود القرطاسية المعروفة عندنا بأوراق النقد يتعامل بها الناس بدلا من النقود الذهبية والفضية . وكانت تلك الأوراق شائعة في الصين في ذلك الوقت . (للحصول على مزيد من التفصيلات عن هذا الموضوع ، انظر شرفنامه ، ألفه بالفارسية شرف خان البدليسى ، ونقله إلى العربية المرحوم محمد على عوفى ، ج ٢ ص ١٣ - ١٤ ، القاهرة ١٩٦٢) .

(٢) انظر الحوادث الجامعة ص ٤٧٧ .

(٣) انظر ابن الوردي : بتمة المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ص ٢٣٦ .

(٤) انظر تاريخ وصاف ، ص ٢٨٤ .

ضعيفاً أطلق الحرية للأمرء فأساءوا استعمالها ولم يستطع أن يميز المخلصين منهم من غير المخلصين. ولما كان يدين بالمسيحية فقد عمل على إحياء آداب هذا الدين غير أنه في الوقت نفسه لم يكن يضمّر عداً للإسلام إذ كان يرسل ابنه ليصلي مع المسلمين كما يصلون (١).

محمود غازان خان (٦٩٤ - ٧٠٣) :

تبين لنا خلال الأحداث التي ذكرناها أن رشيد الدين قد نجح في تكييف سلوكه حسب الظروف ، كما استطاع أن يشق لنفسه طريق الرقي والرفعة إذ تمكن من أن يصير مقرباً لدى السلاطين الإيلخانيين الذين سبق أن خدم عندهم بالطب . ولكن كما يبدو لم يتقلد منصباً خطيراً حتى جاء السلطان غازان فاتصل به وتقدم عنده بالطب إلى أن استوزره فكان من حق الرجل الذي رفع قدر رشيد الدين وقدر فيه النبوغ والعبقرية أن نتناول أهم الأحداث التي جرت في عهده خصوصاً وأنها هي التي مهدت الطريق أمام مؤرخنا حتى أوصلته إلى منصب الوزارة .

نولى غازان عرش المغول في شهر ذى الحجة سنة ٦٩٤ هـ . وكان قد اعتنق الإسلام قبل ذلك بنحو أربعة شهور على يد الإمام الحليل صدر الدين إبراهيم بن حمويه الجويني (٢) في ٤ من شعبان من تلك السنة وهو لا يزال يحارب بايدو .

ويعود الفضل الأكبر في إسلام غازان إلى الأمير نوروز بن أرغون (٣) الذي كان يستغل شتى المناسبات ويرغب غازان في الإسلام ويحبيه إليه ويؤكد له أن اعتناقه الإسلام سيجعل قلوب المسلمين تلتف حوله وتتضاعف قوته وينتصر على عدوه بايدو بسهولة وكان مما قاله له : « إن الفلكيين والمتنبئين والعلماء وأهل الزهد والورع أعلنوا أنه سيظهر حوالى سنة ٦٩٠ هـ ملك يحمى

(١) انظر Howarth, III, p. 387.

(٢) هو ابن الشيخ الصوفي الزاهد سعد الدين محمد بن المؤيد بن حمويه الجويني الشافعي .

كان قد تزوج من إحدى بنات عطا ملك الجويني سنة ٦٧١ وارتفعت منزلته في عهد غازان . توفي سنة ٧٢٢ هـ .

(٣) أرغون هذا هو الذي كان حاكماً على إيران من قبل المغول قبلى مجيء هولاكو .

الإسلام وبعيد إليه مجده الغابر ويسعد أهله ويتمتع بالعرش سنوات عديدة .
وقد اعتقدت دائماً أنك أنت المشار إليه في هذه النبوة . فإذا اعتنقت الإسلام
صرت سيد إيران ، فيتخلص المسلمون في ظلال دولتك من حالة الذل
والعبودية ، ويتحررون من عار تبعيتهم للتتار الوثنيين وسوف ينصر الله
عساكرك جزاء هذا العمل الصالح » .

فتأثر غازان بما قاله نوروز وتذكر سابق وعده له باعتراف الإسلام .
وفي المنزل الريفي الذي كان أبوه أرغون كثيراً ما ينزل به في مراعى « لارداموند »
بالقرب من الري بر غازان بوعدة فتظهر ولبس ملابس جديدة ثم نطق
بالشهادتين وأعلن إسلامه وتسمى باسم محمود ، وتبعه جميع الأمراء والجنود
من المغول فأسلم ما يقرب من مائة ألف شخص (١) .

يقول الذهبي أثناء تأريخه لحوادث سنة ٦٩٤ : « وفيها دخل ملك التتار
غازان في الإسلام وتلفظ بالشهادتين بإشارة نائبه نوروز ونشر الذهب والولولؤ
على الخلق وكان يوماً مشهوداً . ثم لقنه نوروز شيئاً من القرآن ودخل رمضان
فصامه وفشا الإسلام في التتار » (٢) .

وقد أورد مؤلف كتاب « سلاطين الممالك » عرضاً رائعاً للكيفية التي
تم بها إسلام غازان خان وتأتى أهمية هذا العرض من أن المؤلف ينسبه إلى الشيخ
صدر الدين الذي أسلم غازان على يديه وإليك موجز ما قاله الشيخ هذا :
« أسلم جماعة من المغول قبل غازان خان على رأسهم الأمير نوروز زوج عمه
غازان (٣) وكان يحفظ الشيء الكثير من الزهديات والتواريخ والحكايات
والأخبار وهو رجل تركي يعرف الفارسية وكان هؤلاء المغول الذين أسلموا
حريصين على إسلام غازان . وحدث أن قابله نوروز وتحدث إليه بخصوص
إسلام غازان وفهم الشيخ من حديث نوروز أنه كان يخشى أن يخلف غازان
وعده ، وطلب إلى الشيخ أن يعاونه حتى يعلن إسلامه . فلما كان يوم الجمعة

(١) انظر حبيب السير ، م ٣ ج ٣ ص ٨٣ طبع بمباي .

(٢) دول الإسلام ج ٢ ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(٣) تزوج نوروز من إحدى أميرات البيت المالك هي بنت آباخان .

بمكان « لاردماوند » من أعمال الرى طلبه نوروز وأفهمه أن غازان وافق على أن يعلن إسلامه فى هذا اليوم . ثم حضر غازان وذهب إلى الحمام فأرسل إليه الشيخ قميصاً لبسه كما لبس الصوف وخرج إلى القصر يحف به معظم الجيش والخواتين كما التفت الناس حوله من كل جهة . ثم وقف الشيخ صدر الدين إلى جانبه وأنطقه بالشهادتين .

وبذلك تم إسلامه ، ونثروا عليه الذهب والفضة واللؤلؤ ، وأقبل الناس عليه يقبلون يديه ورجليه ويتبركون به ويصيحون من كثرة الفرح وهو ينظر إليهم ويضحك (١) .

ولقد كان تحول غازان إلى الإسلام تحولاً نهائياً لا رجعة فيه لأنه كان من غير شك يرى أن تحول الأسرة المغولية إلى الإسلام كان ضرورياً للحكم فى أرض إسلامية (٢) .

أما ما ذهب إليه بعض المؤرخين من أن إسلام غازان خان كان تظاهراً فقط وليس عن صدق وإخلاص (٣) أو أنه ما كان ليتحقق لولا مساعى نوروز المتواصلة فى هذا السبيل ، فإنه لم ينهض دليل قوى فى سيرة غازان يؤيد هذا الزعم ، بل على العكس رأيناه قد أخذ على عاتقه المحافظة على شعائر هذا الدين فى حماسة وغيره طوال عهده (٤) . ورشيد الدين وزير غازان ومؤرخ عصره يقرر فى وضوح أن غازان خان كان صادق الشعور فى اعتناقه الإسلام وأنه أبدى نيته تلك قبل اعتلائه العرش وكان ينوى ترك عقيدة الأصنام البوذية والدخول فى الإسلام إذ كان يرى أنه من الجرائم التى لا تغتفر أن تنحط قيمة الإنسان فيسجد لحجر ، وكان يعد خلاصه من البوذية واعتناقه الإسلام هداية وتوفيقاً من الله عز وجل (٥) . ثم يؤيد رشيد الدين بالبرهان صحة عقيدة غازان خان ورسوخ إيمانه فيقول : « لا يخفى على كافة العقلاء أن إسلام

(١) انظر كتاب تاريخ سلاطين الممالك ص ٣٤ - ٣٥ .

(٢) Grousset: L'Empire des Steppes, p. 464 .

(٣) انظر النهج السديد ، ص ٤٤٤ ، ٤٧١ .

(٤) انظر الدعوة إلى الإسلام ، ص ٢٠١ .

(٥) انظر رشيد الدين : تاريخ مبارك غازانى « داستان غازان » ص ١٦٦ - ١٦٨ .

غازان خان كان عن صدق وإخلاص مبرءاً من شوائب الرياء لأنه مع ما توافر لهذا السلطان من عظمة الملك وشوكته ومن كمال القدرة والنفوذ لا يتصور أن يكون في هذا إجبار وإلزام . كما أنه لا يمكن أن يكون هناك رياء ومراء في حالة عدم الاحتياج وفرط الاستغناء» (١) .

وقد قرر مؤلف « تاريخ سلاطين المماليك » على لسان الشيخ صدر الدين أن غازان كان عنده الاستعداد لتعلم شرائع الإسلام والصلاة والقيام (٢) . والكتاب الغربيون أنفسهم عندما ناقشوا مسألة إسلام غازان خان سلکوا نفس المسلك الذى سلکة الكتاب الشرقيون فدافعوا عن عقيدة هذا السلطان وأثبتوا أن إسلامه كان عن صدق وإخلاص لا عن تظاهر ونفاق فيها هو « ملكولم » يبين أن غازان بعد أن اعتنق الإسلام بتأثير نوروز تبعه مائة ألف من أتباعه ، تحولوا عن دينهم في الحال وتبعوا قائدهم بروح الجنود التتار الصادقة إلى حظيرة الإسلام ، وسرعان ما صاروا الدعائم القوية للدين الذى اعتنقوه فجأة ، وفي كلام غازان خان إلى أمراءه في المجلس العام الذى اختاره لإلخانة — ما يظهر تمسكه وإخلاصه لعقيدته ، وقد كان الأول من بين أفراد جنسه الذى رمى جانباً كل ولاء لخاقان التتار مشيراً إلى أن اسم الشخص الذى كان مضطراً إلى اعتباره كافراً يجب ألا ينقش في المستقبل على عملة إيران . ويرد ملكولم على أولئك المؤرخين الذين كانوا يؤكدون أن غازان خان كان يكره نوروز لأنه جعله يعتنق الدين الذى كان يكرهه وكانت حروبه مع سلطان مصر ترمى إلى القضاء عليه وبرهنون على ذلك باستعداده لإعادة المسيحيين إلى الأراضي المقدسة — يرد على أولئك المؤرخين فيقول إن كل وعود غازان لكبار المسيحيين كانت تملها السياسة لا الدين وأنه كان في حرب وفي حاجة إلى مساعدتهم ولذلك أبدى هذه الآراء ليستثير هممتهم لمساعدته . ويضيف

(١) نفس المصدر ص ٨٠ وهذه هي العبارة الفارسية . « برکافه عقلا پوشيده نيست که اسلام و ایمان پادشاه اسلام غازان خان از سر صدق و اخلاص بود و از شوائب ریا و رعونت مبرا و مصفا چه با وجود عظمت و شوکت پادشاهی و کمال قدرت فرمان روائی اجبار و الزام متصور نباشد و با عدم احتیاج و فرط استغناء ریا و مرا ممکن نه » .
(٢) انظر تاريخ سلاطين المماليك ، ص ٣٥ .

ملكولم أنه من المحتمل أيضاً أن تكون الحروب التي قامت باستمرار بين غازان وبين المماليك الذين كانوا يعتبرون في ذلك الوقت حماة الدين الإسلامي ضد العالم المسيحي هي التي قوت لديهم هذا الاعتقاد (١) .

وكذلك كان غازان في رأى المستشرق براون — ثابت اليقين في الإسلام ولم يكن ينقصه الحمس لمعتقداته الجديدة (٢) .

ولقد كان أول عمل قام به السلطان غازان خان هو أن أعلن الإسلام ديناً رسمياً للدولة المغولية في إيران ، كما غير المغول زيهم ولبسوا العمامة كشارة ملموسة لهذا الانقلاب . ثم أصدر غازان أمره بتدمير الكنائس المسيحية واليهودية ، وحطمت كذلك الهياكل والأصنام البوذية ، ومجموعات الصور المسيحية ، وضم حطامها بعضه إلى بعض وطيف به في شوارع تبريز على سبيل السخرية والاستهزاء . وحول كثير من الكنائس إلى مساجد ، وأجبر البوذيون على الدخول في الإسلام ، ولم يعد المسيحيون ولا اليهود بقادرين على أن يظهروا للناس إلا في ثياب متميزة فكانت علامة النصارى شد الزنار في أوساطهم واليهود خرقة صفراء في عمامتهم (٣) . وأنزل بهم المسلمون أفدح الخسائر وعاملوهم أسوأ معاملة ، وأطلقوا فيهم يد القتل والسفك . وكانت هذه التصرفات في الحقيقة بمثابة رد فعل إسلامي عنيف لما لاقاه المسلمون من ضروب المهانة والذلة نتيجة للسياسة التي كان يتبعها هولاء وأباقا وأرغون والتي كانت ترمى إلى إثارة المسيحيين واليهود وتفضيلهم على المسلمين . ويزعم براون أن الضغط العام هو الذي اضطر غازان إلى العطف على الإسلام واضطهاد المسيحيين (٤) .

ولقد كان إسلام غازان خان وخلفائه من بعده واتخاذهم الإسلام ديناً رسمياً للدولة أمراً بالغ الأهمية في تاريخ إيران وحضارتها وذلك للأسباب الآتية : —
١ — قضى على الهوية السحيقة التي كانت تفصل بين الحاكمين والمحكومين

(١) Malcolm, The History of Persia, I, pp. 275-277.

(٢) Browne: Persian Literature under Tartar Dominion, p. 40, 44.

(٣) ابن الفوطى : الحوادث الجامعة ، ص ٤٨٣ .

(٤) Browne (Laurence E): The Eclipse of Christianity in Asia, pp. 162-163.

بسبب اختلاف الدين ، وأصبح المحكومون ينظرون إلى الحكام المغول كما كانوا ينظرون إلى أمرائهم المحليين يتكاتفون معهم ويعاونونهم على النهضة ببلادهم وإصلاح أحوالهم .

٢ - أتاح للمغول فترة هدوء واستقرار كفوا فيها أيديهم عن القتل والغارة وعادوا إلى الحالة الطبيعية فزاد تأثيرهم بحضارة المغوليين وجدوا في إصلاح ما أحدثه آباؤهم من تخريب وتدمير وصاروا أكثر استعداداً للمساهمة بنصيبهم في إنهاض الحضارة الإسلامية من كبوتها .

٣ - وضع هذا التحول حداً لسياسة العطف على الأقلية المسيحية وتجاهل الأغلبية الإسلامية ، تلك السياسة التي كانت متبعة في عهد الإيلخانيين الوثنيين الأول ؛ وبهذا انتصر المسلمون على أقوى منافس لهم وهم المسيحيون الذين كان لهم تأثير كبير في دولة المغول قبل غازان .

٤ - يعتبر إسلام غازان خان نقطة تحول خطير في تاريخ المغول إذ كان فاتحة عصر مختلف بروحه ومميزاته عن سابقه ، عصر تطورت فيه مظاهر الحياة عندهم وارتقت نظمهم الاجتماعية ونبذوا عاداتهم الوثنية .

على أن بعض المؤرخين يرون أن تحول غازان وخلفائه إلى الإسلام جعلهم يخرجون على تسامحهم ويفقدون قوميتهم حتى قضى عليهم . يقول Grousset : « الواقع أن حكم غازان يحدد اللحظة التي تحول فيها هؤلاء البدو البدائيون شيئاً فشيئاً إلى الحياة المستقرة في إيران إلا أن هذا الاستقرار لسوء الحظ لم يتم دون أن يكون له مضار فإنهم حينما خرجوا عن تسامحهم العام إلى اعتناق دين خاص هو الإسلام وإلى اعتناق مذهب خاص فيه فإنهم لم يلبثوا أن فقدوا جنسيتهم وأن فقدوا معها مميزاتهم ، وأن تركوا أنفسهم للوسط الذي هضمهم وشربهم وأخفاهم . ولكن لم يكن الوقت قد اتسع ولا الوسيلة قد تهيأت لظهور هذه النتائج الضارة في أيام غازان الحازم » (١) .

كان غازان خان رجلاً قبيح المنظر قصير القامة ولكن كان له نشاط من حديد ومكر وقوة وقدرة على إخفاء أهدافه وصبر لا ينفد . وكان إدارياً

من الطراز الأول ، ممتلئاً بسلامة التفكير وصفاء الذهن ، ولكن كان قاسياً على أعدائه لا يأبه بحياة الناس كثيراً حين تتعارض مع تحقيق أهدافه السياسية وكان تتمتع بالسلطة المطلقة التي لا تعرف الحدود ولا القيود مصدراً لإنزال كثير من النكبات والمصائب بمرءوسيه خصوصاً أولئك الذين يتصلون به عن قرب . يقول D'Ohsson : « لا توجد صفحة من كتاب جامع التواريخ في الجزء الذي يتناول الحوادث التي وقعت في عهد غازان خان لم يتحدث فيها المؤلف عن قتل هذه الشخصية أو تلك من الشخصيات الرسمية البارزة » (١) . ولكن على الرغم من هذه القسوة البالغة كان إنساناً نبيلاً يحمل بين جوانحه أنبل معاني الإنسانية فمن عطف سابغ على البائس والفقير إلى ضروب شتى من الإصلاحات وطرق متعددة من صنوف الخير والبر خلدت اسمه على مر الأزمان وكر الدهور وجعلته أعظم ملوك المغول على الإطلاق . وإن ما قاله رشيد الدين وغيره من المؤرخين ليعتبر دليلاً قوياً على عظمة هذا السلطان .

كان غازان خان بالإضافة إلى ما سبق مثقفاً ثقافة واسعة ، ينظر إليه على أنه من أحسن الذين يحيطون إحاطة كاملة بعادات قومه وتقاليدهم ، وكان له إلمام بكل حرفة من الحرف المختلفة ، كما كان مطلعاً على العلوم المعروفة لدى المسلمين (٢) وهو الذي وضع فكرة تأسيس مرصد كبير لدراسة الفلسفة والطب والعلوم الطبيعية وكان يجمع أثناء خروجه للصيد بعض النباتات وبهذا تمكن من معرفة النباتات الطبية في إيران والتي كانت قد استوردت أول الأمر من الصين والهند وتركستان .

وأما من ناحية اللغات فقد كانت المغولية هي لغته القومية ، وإلى جانبها كان يعرف عدة لغات أخرى ليس فقط لغات الأقوام الذين يسيطر عليهم « الفارسية والعربية » بل كذلك اللغات الهندية ولغة كشمير والتبت والصين والفرنج (٣) .

(١) D'Ohsson: Histoire des Mongols, IV, p. 200.

(٢) انظر رشيد الدين : تاريخ مبارك غازاني ، « داستان غازان خان » ص ١٧٢ - ١٧٣

(٣) نفس المصدر ص ١٧١ وهذه هي العبارة الفارسية : وأما از لغتهای مختلف مغولی خود منسوب باوست وعربی وپارسی وهندوی وكشمیری وتبتي وختایي وفرنگی وسایر لغات از هر يك چیزی داند .

وأخيراً كان قائداً محنكاً وجندياً شجاعاً يذكرنا بعض الشيء بجنكيز خان رغم افتراق الدين .

كان غازان خان يعلم أنه ارتقى العرش بفضل معونة نوروز وتأيد المسلمين له ، لذا كان عليه أن يرضى هؤلاء جميعاً وفي مقدمتهم نوروز فولاه منصب أمير الأمراء وجعل له الرقابة العامة على شئون الامبراطورية . وكان يعمل بما يشير به فبناء على طلبه أصدر السلطان أمره بأن يغير شكل الخاتم الكبير « الأحمر » (آتمغا) (١) . فيصير مستديراً بدل أن كان مربعاً . وذلك قصد التيمن والتبرك والتفاؤل ، وأن تكتب عبارة « بسم الله الرحمن الرحيم » في بدء الفرمانات والرسائل ، وضربت السكة باسمه وكتب عليها أسماء الخلفاء الأربعة الراشدين على نحو ما كان متبعاً في عهد الخلفاء العباسيين . كذلك أصدر غازان أمره بتولية الخواجة صدر الدين أحمد الخالدي الزنجاني الوزارة منذ ارتقائه العرش سنة ٦٩٤ هـ . وقد سبق أن عرفنا هذا الرجل شريكاً لمجد الملك اليزدي في تدبير المؤامرات ضد أسرة الجوينيين وكان وقتئذ يتولى حكومة فارس والمهمات الأخرى نائباً عن الأمير طغاجار ثم اختير وزيراً لكيخاتو واقترن اسمه بتغيير العملة والتعامل بالأوراق النقدية « الجاو » في عهد هذا السلطان فلما تولى بايدوخان عرش المغول أقال صدر الدين من منصبه وأسند إليه مهمة ضبط الأموال في مملكة الروم (٢) واختار جمال الدين الدستجرداني ليكون وزيراً بدلاً من صدر الدين . فكان هذا داعياً لأن يحقد عليه ويناصبه العداء وينضم إلى خصمه غازان ويعاونه في القضاء عليه بشرط أن يعمل على نصرته الإسلام ويبقى الصدقات على ما كانت عليه في عهد أسلافه ، ويسلم أموال الذين يقتلون إلى ورثتهم (٣) .

فلما انتصر غازان خان على خصمه واعتلى عرش المغول ، عهد بمنصب

(١) آتمغا كلمة مغولية مركبة من آل بمعنى أحمر وتمغا بمعنى خاتم أى الخاتم الأحمر . وقيل تولية غازان كان هذا الخاتم مربع الشكل وتحتّم به المنشورات والفرمانات والأحكام بالمداد الأحمر (انظر تاريخ جهانگشای ج ١ ص يطاء من المقدمة) .

(٢) خوندميز : دستور الوزراء ، ص ٣٠٧ طبع طهران .

(٣) تاريخ وصاف ، ص ٣٢٢ ؛ خوندميز : دستور الوزراء ، ص ٣٠٨ .

الوزارة إلى صدر الدين . ثم حدث أن اتهمه الأمير نوروز عند السلطان بأنه يتلاعب بأموال الدولة فأمر غازان بعزله ، وتولية جمال الدين الدستجرداني ثم ما لبث أن اتهم صدر الدين بتدبير مؤامرة مع بعض الأمراء ضد غازان فقبض عليه وصدر الأمر بقتله ولكن الأمير « هرقداق » (١) تدخل في الموضوع واستطاع أن يقنع السلطان ببراءة صدر الدين مما نسب إليه فعفا عنه . ولم يقف حظه عند هذا الحد بل أسند إليه منصب الوزارة مرة أخرى في أول المحرم سنة ٦٩٦ بعد إقصاء الخواجه جمال الدين الدستجرداني وقتله في ٦ من ذى الحجة سنة ٦٩٥ هـ . وقد تم هذا التغيير على خلاف رغبة الأمير نوروز الذي كان لا يرتاح إلى صدر الدين ففهم من هذا أن نجم نوروز قد بدأ في الأفول ولم يعد له تلك المنزلة الكبيرة التي كانت له من قبل .

ولما عاد صدر الدين إلى الوزارة وضع نصب عينه أن ينتقم من الأمير نوروز لأنه تسبب في عزله في المرة الأولى . وفي هذا الوقت كان غازان نفسه قد استنقل وطأة الدكتاتورية التي كانت تتمثل في نوروز ، فلما اتهمه الخواجه صدر الدين وزير غازان بأنه متفق مع سلطان مصر على تسليم إيران (٢) بطشت به يد السلطان إذ أصدر أمره بالقبض على كل أتباع نوروز وأعدموهم على الفور دون محاكمة . ورغم أن نوروز كان قائداً لجيش خراسان ، فقد انفض جنوده من حوله ، وهزم بالقرب من نيسابور فالتجأ إلى هراة لائذا بحماية ملكها فخر الدين كرت ، وكان نوروز يثق بفخر الدين ويعتقد أنه يستطيع الاعتماد عليه ، لأنه كان يطوقه بمنته العديدة وأفضاله الكثيرة (٣) غير أن سياسة كرت كانت تهدف إلى المحافظة على نفسها وسط الحروب المغولية فلا غرو أن كانت تلتزم جانب الحياد الدقيق مع الميل إلى الطرف الأقوى إذا لزم الأمر .

وعلى هذا لم يكن لتلك الأسرة أن تقدم على الاصطدام بسلاطين المغول من أجل أمير معزول مهما كانت الأسباب . وهذا ما حدث بالفعل إذ لم يكن

(١) كان أحد قواد غازان .

(٢) انظر حمد الله القزويني : تاريخ گزیده ، ص ٥٩٣ .

(٣) انظر تاريخ و صاف ، ص ٣٤٣ - ٣٤٤ .

الجيش المغولي يحاصر هراة للقبض على نوروز حتى أسرع فخر الدين فأسلم
اللاجئ بكل بساطة وقتل في ٢٣ من شوال سنة ٦٩٦ (١) وأرسل رأسه إلى
غازان خان .

وبعد قتل نوروز خلا الجو للوزير صدر الدين ، فارتفع شأنه ، وصار
يتمتع بحب السلطان وعطفه إلى حد كبير .

كان رشيد الدين من الشخصيات البارزة في البلاط الإيلخاني في ذلك
الوقت . وقد عرف عنه أنه كان يضم إلى جانب خلقه القويم ثقافة واسعة
في العلوم والآداب . ولما كان غازان خان يعرف جيداً كيف يقدر أمثال
هؤلاء الرجال اصطفى رشيد الدين هذا وقربه إليه . وكان كثيراً ما يتحدث
إليه في شئون الدين الإسلامي ، وفي التفسير الصوفي لبعض أجزاء القرآن (٢) .

وربما يكون رشيد الدين قد استمر طبيباً للبلاط في عهد غازان ومن
أعقبه من سلاطين المغول غير أن هذه المهنة على كل حال لم تأت في المرتبة
الأولى من عنايته منذ أن اتصل بغازان خان . إذ ما كاد الوضع يستقر لهذا
السلطان حتى شرع يوجه عنايته ورعايته إلى رشيد الدين الطيب : وكان يوجد
رجل اسمه هبة الله (٣) من أهل تركستان قدم إلى إيران في الوقت الذي كان
فيه غازان خان والياً على خراسان من قبل أرغون وكيخاتو . وكان هبة الله
هذا متصفاً بمحاسن الأخلاق ، موفور العلم والصلاح كما كان يعرف اللغتين
السريانية والتركية ، مطلعاً على اصطلاحات المتصوفة والمشايخ ، وكان إلى
جانب ذلك يحفظ الكثير من الأمثال والحكايات . وقد مهدت له تلك
الصفات الاتصال بالأمراء والحكام فكان يعظهم وينذل لهم النصح ويفتيهم
كأنه فقيه (٤) .

تقرب هذا العالم إلى غازان خان ولزمه ، ولما تولى العرش أرسل في طلبه
على الفور وألحقه بخدمته ، وأغدق عليه العطايا والهبات ، ووصى رشيد الدين

(١) تاريخ مبارك غازاني (داستان غازان خان) ، ص ١١٦ .

(٢) انظر . Quatremère p. VIII .

(٣) لم يرد في المصادر غير اسمه فقط .

(٤) انظر خوندسيو : حبيب السير ، ٣ م ج ١ ص ١٠٣ .

بأن يعتنى بهذا الرجل مما يدل على مدى تأثير ثقافة رشيد الدين وعلمه على غازان خان . وفى الحقيقة أتاحت لرشيد الدين مزايا عديدة لمسها معاصروه من المؤرخين ، وقد نالت تلك المزايا تقدير المغول بوجه عام وتقدير غازان بوجه خاص .

وعلى هذا لم يكن رشيد الدين وحده هو الذى يتمتع بثقة السلطان . وهو نفسه يذكر أن الأطباء الصينيين كانوا يعالجون غازان خان قبل وفاته بستة أشهر (١) .

ولاشك أن مؤرخنا كان ينفذ رغبات السلطان غازان على أكمل وجه كما اهتم كثيراً بالعالم « هبة الله » ولكنه كان فى قرارة نفسه لا يبدى ارتياحاً لظهور منافس له وهو يذكر أن « هبة الله » مهما أوتى من العلم ، لم يكن علمه يعد شيئاً يذكر إذا ما قورن بما كان عليه غازان من غزارة العلم وسعة الاطلاع ورحابة الأفق . ولهذا كان يعجب لموقف غازان من هذا الرجل . كيف لا يعرف الفرق الشاسع بين علمه وبين علم هبة الله ؟ . وإذا كان يعرف فلم يقدره ويثق به ؟ (٢) .

ورغم هذا لم يكن رشيد الدين يجروء على مصارحة غازان بما كان يدور بخلفه إلى أن جاء اليوم الذى أظهر فيه غازان استيائه من هبة الله وتبرمه به إذ صرح بأنه رجل سطحى يعرف ظواهر الأشياء فقط ولكنه لا يستطيع أن يتعمق ولا أن يغوص وراء الحقائق . ويضيف رشيد الدين أنه كان يود من مدة طويلة أن يكشف السلطان بتلك الحقيقة ولكنه لم يكن يجروء على ذلك وأما الآن فقد اقتنع بأن السلطان عرف كيف يقدر كل شخص حق قدره . عندئذ أجاب السلطان : « لم أكن أستغرب أن يجهل هو أو من على شاكلته — هذه الأسرار ، غير أنى كنت أستحسن ما كانوا يعرفونه ولهذا كنت أعزهم (٣) . ونحن لا نعرف كيف قضى هبة الله هذا بقية عمره ولكن من المعروف أنه توفى فى عهد غازان خان .

(١) تاريخ مبارك غازانى (داستان غازان خان) نشر كارل يان ، ص ١٥٠ .

(٢) انظر نفس المصدر ، ص ١٧٠ .

(٣) نفس المصدر ونفس الصفحة .

سقوط الوزير صدر الدين الزنجاني :

بعد أن زال هبة الله من طريق رشيد الدين بقي على السلطان أن ينحى منافساً آخر له وهو الوزير صدر الدين أحمد الخالدي الزنجاني المعروف « بصدرجهان » . وقصة انهيار هذا الوزير جديرة بالتسجيل هنا لأنها هي التي فتحت الطريق أمام رشيد الدين ليثب من وظيفته الأولى كطبيب إلى وظيفة الصدر الأعظم ومؤرخ الدولة .

في يوم الجمعة ١٣ من جمادى الثانية سنة ٦٩٧ هـ ذهب السيد قطب الدين الشيرازي ومعين الدين الخراساني إلى السلطان وأفهاماه أن الوزير صدر الدين الزنجاني يخونه ويتلاعب بأموال الدولة . وكانت تقوم بين رشيد الدين وصدر الدين صداقة ومودة في أغلب الأوقات فأراد جماعة من أصحاب الديوان أن يوقعوا بين الصديقين ، فحاولوا أول الأمر أن يسمموا أفكار رشيد الدين من جهة صدر الدين ولكنهم أخفقوا إذ أن رشيد الدين لم يكن يلتفت إليهم ، ولا يصغي لوشاياتهم . فتحولوا إلى صدر الدين ، وصاروا يوغرون صدره ضد مؤلفنا فما كان منه إلا أن ذهب إلى السلطان غازان خان وشكا إليه زميله . فلما أراد رشيد الدين أن يدافع عن نفسه ، أشار عليه السلطان بأن يلزم الصمت قائلا له : « لا تلوث لسانك بالرد عليه ، وحافظ على سبرك وطريقتك » (١) .

ولما اتضح لصدر الدين بعد ذلك براءة رشيد الدين مما نسب إليه غضب من أولئك الذين كانوا يسعون في حق زميله بالباطل . ولكن على الرغم من ذلك كان يسىء الظن برشيد الدين ، وصار يدبر له المؤامرات . وقد هداه تفكيره إلى أن يوقع بين رشيد الدين وبين شخصية مغولية كبيرة هي شخصية الأمير « قتلغ شاه » قائد الجيش . وفي سبيل تحقيق هذا الغرض ذهب إلى السلطان غازان خان وشكا إليه قتلغ شاه وعماله ، واتهمهم بأنهم يسيئون استخدام سلطتهم ، فتسببوا في خراب ولاية الكرج . فما كان من السلطان إلا أن عاتب

(١) « توزبان خودرا بجواب أو آلوده مگردان ، وسيرت وطريقتة خودرا نگاه

الأمير قتلغ ، فلما قابل هذا الأمير الوزير صدر الدين سأله عن شكاه إلى السلطان ، فأجاب كذباً « إنه رشيد الدين الطبيب ؛ ففي هذه الأيام لا يوجد شخص غيره مقرباً إلى السلطان » (١) . بعد ذلك اتفق أن التقي الأمير قتلغ شاه برشيد فعاب سلوكه إزاءه ووشايته به عند السلطان رغم ما بينهما من صفاء ومودة . فما كان من رشيد الدين إلا أن نفي عن نفسه تلك التهمة نفياً باتاً وطلب إليه أن يذكر اسم الشخص الذي حمل إليه هذا الخبر الكاذب المغرض وإلا اضطر إلى أن يرفع أمره إلى السلطان . فلما لم يبيع قتلغ شاه باسم ذلك الشخص قصد رشيد الدين السلطان وقص عليه قصته . فأمر غازان باستدعاء الأمير قتلغ شاه على الفور وأرغمه على أن يذكر اسم ذلك الواشي الذي كذب على رشيد الدين . فلما اعترف قتلغ شاه بأن الذي فعل ذلك هو الوزير صدر الدين غضب غضباً شديداً وأصدر أمره بالقبض على صدر الدين وأخيه قطب الدين في يوم الأربعاء ١٧ من رجب سنة ٦٩٧ هـ .

وبعد يومين بدئ بمحاكمة الوزير صدر الدين الذي كان يتمتع بثقة غازان التامة بعد مقتل نوروز والذي سبق أن بلغ شأواً عظيماً في عهد كيخاتو إذ عندما دبرت مؤامرة ضده واكتشف أمرها ، فوض إليه كيخاتو الانتقام من هؤلاء المتآمرين فعفا عنهم بعد سجنهم عدة أيام (٢) .

ونحن إذا نظرنا إلى رشيد الدين نجده أكثر لباقة لأنه يسلك مع أعدائه سلوكاً مخالفاً لزميله إذ يقول عن صدر الدين : « كان يجيب إجابات مسكتة دون مبالاة وكان لا يتلطف مع القضاة . ولو تركوا له فرصة الكلام لخلص نفسه من تلك الورطة الهائلة ولكن السلطان أمر بأن يضع قتلغ شاه نهاية لحياة صدر الدين » (٣) ، ذلك لأن غازان كان قد ضاق ذرعاً بدسائس صدر الدين

(١) در جوابت گفت : « كه رشيد طبيب غير ازوكس درين ايام نزد پادشاه راه ندارد » (حيدر رازی : مجمع التواريخ ، ص ٥٦٣ . مخطوط الأستاذ سعيد نفيسي) .

(٢) انظر تاريخ و صاف ، ص ٢٤٩ .

(٣) « اوبى تحاشى جوابهاى مسكت مى گفت وبا يارغوچيان محابا نمى كرد . واگر اورا مجال سخن دادندى خودرا از آن ورطه هائل خلاص دادى . اما پاد شاه فرمودكه قتلغ شاه كار صدر الدين تمام كند » (تاريخ مبارك غازانى ، ص ١١٩) .

ومؤامراته فقد سبق أن أصدر أمره بقتله عندما اتهم باشتراكه مع بعض الأمراء في تدبير مؤامرة ضد السلطان ، ولم ينقذه منه سوى تدخل الأمير « هرقداق » الذى حاول جاهداً أن يبرئ ساحة صدر الدين من تلك التهمة حتى اقتنع السلطان فعفا عنه . وربما أبقي غازان على حياة صدر الدين ذلك الوقت لأنه رأى فيه منافساً خطيراً يحد من غلواء نوروز بل رأى فيه أداة طيعة يضعها في يده للقضاء على نوروز في الوقت المناسب . فاذا ما حقق غازان هدفه في القضاء على هذا الأمير وبدأ صدر الدين سعياته من جديد ضد رشيد الدين الذى كان يؤثره السلطان بحبه لم يغفر غازان لصدر الدين زلته في هذه المرة وتذكر سابق مواقفه فرأى أن الفرصة قد سنحت للخلاص منه نهائياً .

وبعد أن تمت إجراءات المحاكمة قتل صدر الدين وكان ذلك في يوم الأحد ٢١ من رجب سنة ٦٩٧ هـ . وفي الشهر التالى قتل أخوه القاضى قطب الدين الذى كان يطلق عليه « قطب جهان » .

ورشيد الدين لا يكتفى بإيراد قصة مقتل صدر الدين ، بل يتبع ذلك بإصدار حكمه عليه فيقول : « إنه قد أجهد نفسه كثيراً في سبيل رفع شأنه وأثار كثيراً من الفتن والقلاقل ، فلما وصل إلى بغيته لم يتمتع طويلاً » (١) .

وفي الحقيقة حينما كتب رشيد الدين تلك العبارة لم يكن يدور بخلفه قط ما نخبئه له الدهر في طبائمه وأنه قدر له في صفحاته أن يلقي نفس المصير الذى لقيه سلفه ، وأن هذه العبارة بعينها وبكل صدق يصح أن تكتب على قبره (٢) .

وكم كنا نود أن نعثر فيما كتبه رشيد الدين عن ذلك الحادث — على معلومات أكثر تفصيلاً توضح لنا مدى المسؤولية التى يتحملها مؤرخنا في قتل صدر الدين إلا أننا لم نجد في كتاب رشيد الدين ولا في غيره من المصادر — معلومات أكثر مما ذكر .

(١) تاريخ مبارك غازانى ، ص ١١٩ .

(٢) انظر بارتولد : مجلة العالم الإسلامى ، ص ٨٥ .

وعلى أثر قتل الوزير صدر الدين (١) خلا الجو لرشيد الدين فاختره السلطان غازان خان ليتقلد المنصب الأول في الإمبراطورية وعينه وزيراً له في ٣ من ذى الحجة سنة ٦٩٧ . ولا شك أن رشيد الدين قد احتل منصبه عن جدارة واستحقاق فهو بالإضافة إلى معلوماته القيمة عن الطب ظهر نبوغه وبعد نظره كرجل من رجال السياسة مما جعل السلطان يثق به ويقدره ويعهد إليه بهذا المنصب الخطير .

وبتولية رشيد الدين منصب الوزارة نرى أن حياته قد دخلت طورا جديدا إذ أصبحت الفرص أمامه مهيأة ليلعب دوراً هاماً في إدارة دولة المغول وليساهم بنصيب فعال في تكييف ما مر بها من أحداث حتى صار تاريخه قطعة من تاريخ هذه الدولة إذ ارتبطت حياته بحياة ثلاثة ملوك هم أعظم ملوك الإيلخانيين في إيران : غازان خان وأولجايتو (٢) الذي اشتهر في التاريخ بهذين اللقبين « خربنده » (٣) أو « خدابنده » (٤) وأبوسعيد . فكان وزيراً لهؤلاء

(١) ذكر Howorth في كتابه History of the Mongols, III p. 426 أن جمال الدين المستجرداني وأخاه قطب الدين قتلا فوق الاختيار على رشيد الدين ليكون وزيراً لغازان خان . وهذا القول فيه خلط بين اسمي جمال الدين المستجرداني وصدر الدين الزنجاني المعروف « بصدر جهان » كلاهما كان وزيراً لغازان . أما الأول فقد قتل قبل ذلك في سنة ٦٩٥ وخلفه صدر الدين للمرة الثانية . ثم إن قطب الدين الملقب « بقطب جهان » لم يكن أخا لجمال الدين المستجرداني وإنما كان أخا لصدر الدين . وقد قتل الاثنان في سنة ٦٩٧ . وتولى الوزارة بعد ذلك الخواجه رشيد الدين فضل الله . والجدير بالملاحظة هنا هو أن Browne: Lit. Hist of Persia, III, p. 41. نقل بحسن نية ما ذكره Howorth فوق في الخطأ نفسه .

(٢) « أولجايتو » كلمة مغولية بمعنى المخطوط (انظر تورك تاريخي ، ج ٢ ص ٢٦٧) .

(٣) « خربنده » : كلمة مركبة من « خر » بمعنى خار وبنده بمعنى تابع والمراد (المكاري)

(٤) خدا بنده كلمة مركبة من « خدا » بمعنى الله « وبنده » بمعنى عبد أي عبد الله .

وقد اختلف المؤرخون في بيان العلة في تلقيب أولجايتو بهذين اللقبين وذهبوا في ذلك مذاهب شتى :

فابن بطوطة يروي أن سبب تسمية أولجايتو بخربنده ترجع إلى أن التتر كانوا يسمون الطفل باسم أول داخل إلى البيت عند ولادته . فلما ولد هذا السلطان كان أول داخل الزمال وهم يسمونه « خربنده » فسمى به (انظر رحلة ابن بطوطة ، ج ٢ ص ١١٥ طبع باريس) . =

على التوالي إلى أن قتل في عهد الأخير عام ٧٢٨ هـ .

وتلك الفترة في تاريخ إيران تمتاز عن سابقتها بالإنشاء والتعمير والاستقرار ورواج العلوم والآداب . ويرجع الفضل الأكبر في ذلك إلى جهود مؤرخنا وشيد الدين . لذا كان لزاماً علينا أن نتعقب حياة هذا الرجل السياسية فنفصل فيها القول لأنها تكشف عن جوانب هامة من سيرته . وهذا ما سوف نعالجه في الباب الثالث من هذا الكتاب .

= وزعم دولتشاه أنه بعد ارغون قولى غازان خان فهرب منه الجايو خان وكان يطوف مع المكارين في نواحي كرمان وهرمز . ولهذا السبب أطلقوا عليه اسم « خربنده » (انظر تذكرة الشعراء ، ص ٢١٧ طبع ليدن) .

أما ما ذهب إليه هورث (History of the Mongols, III, p. 535) ، ومن بعده الأستاذ إقبال (تاريخ مفصل إيران از حمله جنكيز قانشكيل دولت تيمورى ، ج ١ ص ٣٠٨) من أنه لما كان السلطان اوجايو قد اعتنق مذهب الشيعة لقب بلقب « خدا بنده » ، ولكن أنصار السنة حرقوا تلك الكلمة وجعلوها « خربنده » متدفعين في ذلك بدافع الحقد على السلطان لاعتناقه مذهب الشيعة ، فإنه يمكننا أن نرد على هذا بأن اوجايو استناداً على أوثق المصادر قد أطلق عليه « خربنده » قبل أن يتولى السلطنة أى قبل أن يعتنق مذهب الشيعة . ولكن يجوز أن يقال إنه لما اعتنق السلطان اوجايو مذهب الشيعة تمسك أنصار السنة بلقبه القديم « خربنده » بدافع السخرية والاستهزاء بينما تمسك أنصار الشيعة بلقبه الجديد الذى لقب به بعد أن أسلم وهو « خدا بنده » ونحن من هذه الآراء المتباينة نستطيع أن نرجح الرأى الذى يقول إنه لقب « خربنده » دفعا للحسد وإصابة العين وذلك جريا على عادة المفلول الذين يختارون اسما قبيحا لمن يتوسمون فيهم الصحة على الجمال من أبنائهم ليدفعوا عنهم الحسد ..

الباب الثاني

التعريف يرشيد الدين

تمهيد :

في الباب السابق عرضنا جانباً من الأحداث السياسية الهامة التي عاصرها مؤرخنا قبل أن يصير رجلاً مسئولاً في دولة المغول ، ويتولى منصب الوزارة . والآن ننقل إلى الحديث عن بيئته الخاصة . وكم كنا نود أن نجد في المصادر ما يكفي للتعريف بهذا المؤرخ تعريفاً شاملاً يحيط بجوانب طفولته ونشأته ، غير أن ما لدينا من معلومات لا يكاد يفي بهذا الغرض ، بل إن رشيد الدين نفسه لم يذكر في مؤلفاته تفصيلات تكشف عن تلك الحقبة من حياته .

ونحن - بعد قليل - سنعرف أن مؤرخنا كان من أصل يهودي ، وأنه حرص على إخفاء هذا الأصل ، فيحتمل أن يكون هذا الحرص هو الذي دفعه إلى إغفال تأريخ تلك الفترة التي كان يعتبرها نقطة شواء في حياته . كذلك لا تكاد المصادر الأخرى تسعفنا - في هذا السبيل - بشيء ذي بال . ولكن تكثر المعلومات ، وتتعدد المصادر بعد أن يصير رشيد الدين رجلاً سياسياً مرموقاً ، وينصب وزيراً ؛ لأن حياته في هذا الدور ترتبط بتلك الأحداث الموجهة التي كان شاهد عيان لها ، مطلعاً على ما أصاب العالم الإسلامي على أيدي هؤلاء المغول من تخريب وتدمير ، ومن سفك للدماء وإزهاق للأرواح ، واقفاً على مظاهر ذلك الصراع السياسي العنيف بين أحزاب المغول بكل ما عرف عنهم من قسوة وفظاعة . يقول الأستاذ أحمد زكي وليدى طوغان : « وإذا ما وجدت التفاصيل الخاصة بحياته كوزير فإن ما يختص بالجوانب الأخرى من حياته نزر يسير » (١) .

ومع هذا فقد رحنا نبحت وننقب في دائرة بيئته الخاصة إلى أن نجحنا في إزالة الغموض الذي كان يكتنف جانباً هاماً في هذا الدور من حياة هذا المؤرخ . وهكذا ما لا يدرك كله لا يترك كله .

(١) دائرة المعارف الإسلامية ، عالم الإسلام باللغة التركية ، ج ٩٨ ، ص ٧٠٧ ،

إستانبول ١٩٦٣ .

الفصل الأول

اسمه ولقبه ومولده

هو فضل الله بن أبي الخير بن علي الطيب الهمداني . اشتهر في التاريخ بلقب « رشيد الدين » ، ولكننا نراه في مؤلفاته يقتصر على تلقيب نفسه برشيد فقط . وبعض المصادر تكتنيه « أبا الفضل » (١) . وكان أبوه يلقب بعماد الدولة وجده بموفق الدولة .

ولد في همدان (٢) ونسب إليها وكان حريصاً على تكرر نسبته إلى تلك

(١) النويري : نهاية الأرب ، ج ٣٠ ص ١٢٢ . صور شمسية من نسخة المكتبة الأهلية بباريس . دار الكتب المصرية ، رقم ٥٤٩ معارف عامة .

(٢) هي إحدى المدن الإيرانية القديمة ، ولا يعلم تاريخ بنائها على وجه التحقيق . —
ويزعم المؤرخ اليوناني « هيرودوت » أن الذي بناها هو « ديوكس » (Déyocès) أول ملوك الميديين والذي كان يحكم من سنة ٨٠٧ إلى سنة ٦٥٥ قبل الميلاد . ثم اختارها لتكون عاصمة له وبني فيها قصرأ عجيبا . فاذا صح هذا القول كانت همدان أقدم عاصمة أنشئت في إيران . وعلى كل فمن المسلم به أن همدان كانت مركزا هاما لاجتماع القبائل الميدية القديمة ، لهذا سميت باسم « Hagmatana » يعني « محل الاجتماع » . وكان اليونانيون يطلقون عليها اسم Ecbatana .

وفي العهد الإسلامي فتحها المغيرة بن شعبة في سنة ٢٣ هـ . (انظر معجم البلدان ، ج ٤ ص ٩٨١) فلحقها الحراب وتضاءلت أهيتها ، ثم عادت فاستردت مكانتها وصارت عاصمة إيران في عهد السلاجقة ولكن لفترة قصيرة . وفي سنة ٦١٧ هـ خربها المغول ، وأباحوا فيها القتل العام . ولكن سرعان ما اعثي بها نظرا لموقعها الجغرافي الممتاز ، فصارت من أهم المدن الواقعة جنوب غربى إيران . كما انها احتلت مركزا هاما مازالت تحتفظ به إلى الآن . ولهذا السبب اجتذبت كثيراً من اليهود الذين يمنون بشئون التجارة فاستوطنوها . هذا فضلا عن أنها تعتبر إحدى الأماكن المقدسة عندهم إذ يزعمون أن بها قبر استر ومردخاي .

المدينة كلما ذكر اسمه في الأماكن العديدة من مؤلفاته (١) . وهو يدعو لها بقوله : « همدان حماها الله عن طوارق الحدثن » (٢) .

ثم إن نسبته إلى تلك المدينة تؤيدها المصادر المختلفة ؛ فدولتشاه يذكر أن رشيد الدين كان في الأصل همدانياً . « اودر أصل همدانى بود » (٣) . وهكذا كما ترى لم يصف دولتشاه عبارة أخرى يفهم منها أن رشيد الدين ولد في مدينة أخرى غير همدان .. وينص صاحب قاموس الأعلام صراحة على أن مؤرخنا ولد في همدان (٤) . كذلك كان أجداده وأسرته يستوطنون تلك البلدة (٥) .

وإذا كنا نرى المؤرخ التركي المشهور « كاتب چلبى » أو « حاجى خليفة » عندما راح يعدد عظماء الرجال الذين أنجبهم تبريز يذكر من بينهم الخواجه رشيد الدين وابنه غياث الدين (٦) فإن ذلك لا يعنى أن مؤرخنا قد ولد في تبريز ، وإنما يعنى أنه قد أمضى جزءاً كبيراً من عمره في تلك المدينة وكانت له فيها مآثر جمة وأعمال جليلة فاستحق في نظر الجغرافى التركى أن ينسب إليها . وقد حدث مثل هذا للمؤرخ الفارسى عبد الرزاق السمرقندى (٧) إذ نسب إلى مدينة سمرقند مع أنه ولد في هراة ، وذلك لأنه عاش فترة في تلك المدينة مع أبيه الذى كان يتولى القضاء والإمامة هناك .

(١) اعتاد رشيد الدين أن يذكر اسمه ولقبه ومهنته وموطنه في الأماكن الكثيرة من مؤلفاته على النحو التالى : « فضل الله بن أبى الخير بن على المشتهر برشيد الطبيب الهمدانى » .

(٢) رشيد الدين : مفتاح التفاسير ، مخطوط دار الكتب المصرية ورقة ٢١١ رقم ١٣٣ م تفاسير .

(٣) تذكرة الشعراء ، ص ٣١٧ طبع ليدن .

(٤) انظر شمس الدين سائى : قاموس الأعلام ، ص ٢٢٨١ .

(٥) انظر مزارات حشرى ، ص ٦٧ ، طبع تبريز .

(٦) انظر كتاب جهان نما ، ص ٣٨٢ طبع القسطنطينية .

(٧) هو مؤلف كتاب مطلع السعدين وجميع البحرين في تاريخ الفترة منذ ولادة السلطان أبى سعيد بهادر خان الإيلخانى (٧٠٤) إلى سنة ٨٧٥ أى بعد سنتين من وفاة حفيد تيمور لنگى المسمى « أباسعيد گوركان » ويقع هذا الكتاب في جزئين (انظر الدكتور إبراهيم أمين الشواربى : مصادر فارسية في التاريخ الإسلامى ، ص ٢٨ - ٢٩) .

وأما أبو الغازي بهادر خان (١) فقد نسب رشيد الدين إلى قزوين إذ قال :
 « قزوين لي خواجه رشيد » (٢) .. وهى نسبة كما يقول كاترمير لا تقوم على
 أساس صحيح ولا تستحق المناقشة (٣) ..

أما عن تاريخ ميلاد رشيد الدين ، فإننا لم نعثر فى أقوال معاصريه
 أو القريبى العهد منه ما يحدد هذا التاريخ (٤) . ولكننا نحاول الوصول إلى
 معرفته . فالكتاب العربى « الصقاعى » (٥) يقرر أن مؤرخنا قتل فى سن
 الثمانين (٦) . فإذا ما اتفقت غالبية المصادر على أنه قتل فى سنة ٧١٨ هـ كان
 معنى هذا أنه على حسب رواية الصقاعى — قد ولد فى سنة ٦٣٨ هـ . وقد أيد
 الصقاعى فيما ذهب إليه بعض المؤرخين الآخرين من أمثال النويرى (٧) وابن
 حجر العسقلانى (٨) وأبى المحاسن (٩) .

ولكننا إذا رجعنا إلى رشيد الدين نفسه نجد ثلاث روايات متعارضة :

(١) هو أمير خيوه ، ومن سلالة خانات المغول إذ كان أحد أحفاد جوجى بن جنكيز
 خان . ألف فى سنة ١٠٧٤ كتاب « شجرة ترك » باللغة اللفظائية فى تاريخ الأتراك والمغول منذ
 نشأتهم حتى القرن الحادى عشر الهجرى ، وهو يحتوى على بعض المعلومات القيمة إلا أننا يجب
 أن نقف منه موقف الحذر لأن مؤلفه كان يؤرخ لقومه وعشيرته .

(٢) انظر كتاب شجرة ترك ، نشر البارون « ده ميزون » ص ٣٥ طبع بطرسبورج .

(٣) انظر Quatremère, p. IV.

(٤) هناك مصدر واحد فقط لكنه متأخر ذكر صراحة أن رشيد الدين ولد فى سنة ٦٤٦
 (انظر شمس سالى الدين قاموس الأعلام ، ص ٢٢٨١) .

(٥) هو فضل الله بن أبى الفخر الصقاعى . ألف ذيلًا لكتاب ابن خلكان اسمه « تالى
 كتاب وفيات الأعيان » . وهو عبارة عن تراجم مرتبة حسب حروف المعجم ، ويشتمل على وفيات
 المشاهير ما بين سنوات ٦٦٠ هـ ٧٢٥ هـ . وتوجد منه نسخة محفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس
 Arabe, 206 I كتبت فى سنة ٧٣٣ هـ (انظر الجوينى : تاريخ جهانكشاي ، ج « ص نكا
 من مقدمة الناشر) .

(٦) انظر Quatremère, p. V نقلا عن المجموعة الرشيدية .

(٧) انظر النويرى : نهاية الأرب ، ج ٣٠ ص ١٢٣ . صور شمية من نسخة المكتبة
 لأهلية بباريس . دار الكتب المصرية ، رقم ٥٤٩ معارف عامة .

(٨) انظر ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٣ ص ٢٣٣ .

(٩) انظر ابن تغرى بردى : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، مخطوط دار الكتب
 المصرية ، ج ٢ ق ٣ ص ٣٠٠ تحت رقم ١١١٣ تاريخ .

فقد ذكر في مؤلفه « المجموعة الرشيدية » أنه في سنة ٧٠٥ هـ كان قد بلغ الستين من عمره (١) ، فيكون قد قتل وهو في الثالثة والسبعين . وعلى هذا يمكن تحديد تاريخ ميلاده بسنة ٦٤٥ هـ .

وأما الرواية الثانية فقد ذكرها مؤرخنا في كتابه « بيان الحقائق » إذ يقول : « إنني أبلغ الثانية والستين من عمري في هذا العام أى عام ٧١٠ هـ » (٢) . وعلى حسب هذه الرواية يكون مؤرخنا قد ولد في سنة ٦٤٨ هـ .

والرواية الثالثة وردت في كتابه « أسئلة وأجوبة » الذى يقول فيه : « أسئلة أولجايتو خان السلطان محمد التى وجهها إلى مؤلف الكتاب ، وتتضمن هذه الرسالة بحثاً يشتمل على مسألتين : إحداهما في باب الهيئة والأخرى في المسائل الطبيعية . وقد حررت هذه الرسالة في سنة ٧٠٩ هـ في بلدة « فراهان » .

في ذلك الوقت كان مؤلف الكتاب في الثانية والستين من عمره » (٣) . وطبقاً لهذه الرواية يكون مؤرخنا قد ولد في سنة ٦٤٧ هـ .

وإذن فنحن أمام ثلاثة آراء متناقضة للمؤلف فأى هذه الآراء نرجح ؟
إننا نرجح رأى الأول الذى يستخلص منه أن رشيد الدين ولد في سنة ٦٤٥ هـ (١٢٤٧ م) لأنه هو الرأى الذى أخذ به أغلب (٤) الذين كتبوا عن رشيد الدين . وأما التناقض الذى يبدو في الروایتين الأخريين فيحتمل أن يكون من النسخ .

(١) انظر Quatremère, p. V نقلا عن المجموعة الرشيدية .

(٢) « امسال كه سال ٧١٠ هجرى است ، من شصت ودوسال هلالى دارم » . (انظر مجله دانشكده ادبيات ، دانشگاه تهران ، شماره ١ سال سوم ، مهرماه ١٣٣٤ هـ . ش ، ص ٣ نقلا عن رشيد الدين : كتاب بيان الحقائق ، ورقة ٢٦٩ (أ) مخطوط باللغة العربية ، محفوظ بالمكتبة السلطانية بتركيا تحت رقم ٨٥٤) .

(٣) « ستوالات اولجايتو خان سلطان محمد با مؤلف كتاب ، ودراين رساله بحث از دوسه مساله : يکى در باب هيئت ، ومثله دوم از مسائل طبيعىه است . واين رساله درسال ٧٠٩ هجرى قمرى در فراهان ثبت شده . ودر آنوقت مؤلف كتاب شصت ودو سال داشته (رشيد الدين : كتاب أسئلة وأجوبة ، مخطوط محفوظ بمكتبة الأستاذ جعفر سلطان القرائى بطهران) .

(٤) انظر Morley: The Journal of The : Quatremère, p. V.

Royal Asiatic Society, 1841, p. 11.; Browne: Lit. Hist. of Persia, Vol III, p. 69.

الفصل الثاني

ما ثار بشأن معتقداته

هناك جانب هام في تاريخ حياة رشيد الدين بقي على الرغم من أهميته غامضاً ومحاطاً بالظلام . هذا الجانب ينحصر في أصل هذا الرجل . هل كان يهودياً حقاً أو هل كان ينحدر من أصل يهودى ؟ .

لقد أثبت هذه المسألة أثناء محاكمة رشيد الدين ، وعلى أثر مقتله . ولكنها مع هذا كانت لا تزال جديرة بالتوضيح والكشف وفي حاجة لأن تناقش حتى لا يبقى هناك لبس أو لبهام .

ولاشك أن مما ييسر مهمتنا هو وجود المصادر الفارسية والعربية وبخاصة كتب التراجم منها التي أتاحت الفرصة لنا للحصول على نتائج ذات قيمة كانت صعبة المنال لولا وجود تلك المصادر .

ذكر أعداء رشيد الدين أثناء حياته وبعد مماته أنه كان يهودياً ، وأنه حتى بعد أن اعتنق الإسلام استمر خفية مخلصاً لعقيدته اليهودية الأولى . يقول النويرى : « كان يتستر بالإسلام فيما قيل عنه » (١) . ولقد كان لهذه الأقوال صدى كبير في نفوس الناس خصوصاً وأن مثل تلك الحالات التي يتستر فيها أمثال هؤلاء الأشخاص بالإسلام لم تكن نادرة .

ومنذ نيف ومائة سنة ناقش المستشرق الفرنسي كاترمير هذه المسألة وانتهى إلى أنها في الواقع لم تكن أزيد من افتراء الأعداء عليه . « لأنه من المحال كما يبدو لي أن يكون رشيد الدين قد اعتنق اليهودية أو حتى أنه كان يهودياً ثم أسلم » (٢) .

(١) نهاية الأرب ، صور شمسية ج ٣٢ ، ص ١٢٣ . دار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف عامة .

Quatremère, p. P. V. (٢)

ولقد كانت الأسس التي اعتمد عليها كاترمير في نفى هذا الاتهام تكاد تنحصر في عبارات المؤرخ نفسه الذي كان حريصاً على نسيان ماضيه والتخلص من كل آثاره فهو يذكر أن أعداءه عمدوا إلى أن ينفروا المسلمين منه فألصقوا به هذا الاتهام الشرير ، وأذاعوه في كل مكان . ويؤكد أن أباه كان مسلماً مخلصاً . « إنني عرفت جيداً من عظماء الرجال الذين هم الآن أركان الدين والدولة ، أن أبي كان مشتهراً حقاً بصفاء خلقه وإخلاصه وحماسه للإسلام وأنه استمر عدة سنوات يغشى مجالس العلماء ، ويتردد على جماعة المتصوفين الطاعنين في السن يأخذ عنهم المعارف المفيدة » (١) .

وفي موضع آخر يذكر أنه اقتداء بوالده قد أظهر منذ طفولته حماسة وإخلاصاً للدين . وكان يفكر بشغف في أصول الإسلام وعقائده ، كما كان يستقصى البحث في القرآن الكريم ليقف على غريبه ، وليفقه معانيه الغامضة . وكان دائماً يندمج في زمرة العلماء ، ويصغى جيداً لما يقولونه » (٢) .

وهكذا لا يكتفي كاترمير بأن ينفي اليهودية عن رشيد الدين وعن أبيه بل ينفيها كذلك عن جده معتمداً على رواية ميرخواند التي تقول إنه حينما غزا هولاء قلعته الموت معقل الإسماعيلية تقدم ثلاثة ممن كانوا معتقلين هناك هم : نصير الدين الطوسي وموفق الدولة ، وعلاء الدولة ، وقد أبدوا مسأمة واطمئناناً إلى هولاء ، فأمر بإخراجهم من القلعة وإلحاقهم بخدمته (٣) . ويعلق كاترمير على تلك الرواية فيما يتعلق بموفق الدولة الذي كان جداً لمؤرخنا فيقول : « يجب أن نفكر حقاً في أن صديق نصير الدين الطوسي الرجل الذي كان موثقاً به عند هولاء ، والذي كان يقدره حق قدره لم يكن يهودياً بل كان مخلصاً متحمساً للإسلام » (٤) .

ونحن نتردد في قبول هذه النتيجة التي وصل إليها كاترمير لأنه ليس

(١) انظر Quatremère. p. VI.

(٢) نفس المصدر ، ص ٧ .

(٣) ميرخواند : روضة الصفا ، ج ٥ ص ٧٦ طبع لكهنو .

(٤) كاترمير ، ص ٦ .

هناك ما يمنع من مصادقة نصير الدين الطوسي لموفق الدولة الذى كان يحترف مهنة الطب حتى ولو كان يهودياً . وقد كان هذا معروفاً فى عصر المغول وقبل عصر المغول إذ كان العلم يؤلف بين النصارى واليهود والفرس وغيرهم وكان الجميع يتعاونون على تقديم ما كانوا يعرفون من علوم آبائهم إلى الأمة الإسلامية بغض النظر عن العصبية الجنسية والمذهبية (١) .

ومما تقدم يتبين أن كاترمير اعتمد كل الاعتماد على ما قاله رشيد الدين عن نفسه بخصوص هذه المسألة رغم ما فيه من الإسراف والمبالغة وأهمل كل ما عده من المصادر مع العلم بأنه ليس من الضروري أن يكون المؤرخ صادقاً فى كل ما يقول ويدعى . وكان من الأفضل أن يستشير كاترمير المصادر المعاصرة أو اللاحقة لتلك الفترة ، هذا إلى جانب القرائن والأدلة الأخرى التى قد تثبت عكس ما ذهب إليه تماماً .

ولم تكد النتيجة التى وصل إليها كاترمير فى هذا الشأن تنتشر وتذاع حتى تلقفها باحثون آخرون من أمثال مورلى Morley وهورث Howorth فقبلوها واطمأنوا إليها دون مناقشة أو تمحيص (٢) .

ولكن مؤرخاً آخر جاء بعد كاترمير هو المستشرق الفرنسى بلوشيه Blochet فكتب مقدمته فى تاريخ المغول كما يبدو من كتاب رشيد الدين (٣) وكان عليه أن يراجع القرائن والأدلة التى توصل إليها سلفه كاترمير فيما يتعلق بالجوانب الهامة من حياة رشيد الدين . وقد رأيناه عندما ناقش مسألة أصل رشيد الدين اليهودى ، لا يقطع فيها برأى وإنما يفضل حلاً آخر يخالف ما ذهب إليه كاترمير ويبدو أنه كان على صواب .

ونحن إذا أردنا أن نناقش هذه المسألة كان علينا أن نلجأ أولاً إلى

(١) انظر كتاب ظهر الإسلام ج ١ ص ٨٨ - ٨٩ .

(٢) انظر .. Howorth , The Journal of the Royal Asiatic Society, p. 14 1841 . History of the Mongols, III, p. 589.

(٣) Introduction à l'Histoire des Mongols de Fadlallah Rashid Ed Din Leyden, (٣)

1910 .

المصادر العربية والفارسية نستشيرها ثم نلجأ ثانياً إلى القرائن والأدلة الأخرى التي قد تؤيد تلك المصادر أو تخالفها .

أما عن المصادر فنجد رواية في كتاب «تالى وفيات الأعيان» «للسقاعي» عن محاكمة رشيد الدين على أثر اتهامه بأنه دس السم للسلطان «أولجاتيو» . وهو في هذه المحاكمة يدافع عن نفسه ، ويبرهن على أن ذلك الاتهام باطل من أساسه وغير معقول .

« قيل له قتل الملك؟ ...! فقال : كيف أفعل هذا وأنا كنت رجلاً يهودياً عطاراً طبيباً ضعيفاً بين الناس فصرت في أيامه وأيام أخيه متصرفاً في المملكة وأموالها ولا يصرف شيء إلا بأمرى وحصلت في أيامهم من الأموال والخواهر والأملاك مالا يحصى » ؟ ..

وهناك مصدر آخر هو كتاب «مجمع الأنساب» لمحمد الشبانكارى يقطع بأن رشيد الدين كان يدين باليهودية حتى اعتلى السلطان أولجاتيو «محمد خدابنده» عرش المغول في سنة ٧٠٣ هـ فاعتنق الإسلام فقط في عهد هذا السلطان . «ودر اوایل دین موسوی داشت ، و چون بمملکت سلطان محمد کنکاج شد ، وبا ائمه اسلام بخشا کرد ، واورا معلوم شد که دین حق و صراط مستقیم شریعت محمدیست - صلی الله علیه وآله وسلم - بشرف اسلام مشرف گشت» (١) . ولكن الشبانكارى لم يكن مصيباً في كل ما ذكره إذ أن الأمر الذى لاشك فيه أن الإسلام في عهد غازان خان اتخذ ديناً رسمياً للدولة ويرجع أن يكون رشيد الدين مسلماً في ذلك الوقت لأن هو نفسه يذكر أن السفراء الذين كانوا يأتون إلى إيران في ذلك الوقت كانوا يرون أنه من الضروري اعتناق الإسلام وإتمام عملية الختان (٢) . وربما التبس الأمر على الشبانكارى بحادثة أخرى جرت في رمضان سنة ٧٠٥ هـ عندما اعتنق بعض الأطباء اليهود الإسلام ، وقد لعب رشيد الدين دوراً هاماً في تلك الحادثة كما سيبحث شرح ذلك بعد قليل .

(١) مجمع الأنساب : مخطوط الأستاذ سعيد نفيسى ، ورقة ١٥١ .

(٢) انظر بارتولد : مجلة «العالم الإسلامى» ، ص ٧٩ .

ونحن إذا تلمسنا كتاب « رحلة ابن بطوطة » وجدنا إشارة هامة ذكرها الرحالة حين نزل ببغداد وتحدث عن مقابلته للخواجه غياث الدين محمد بن رشيد الدين وزير السلطان أبي سعيد فهو يقول : « وكان أبوه من مهاجرة اليهود واستوزره السلطان محمد خدابنده والد أبي سعيد » (١) .

وعندما أُرِخ شهاب الدين العمري لرشيد الدين ضمن وفيات سنة ٧١٨ هـ - قال : « وفيها قتل رشيد الدين فضل الله بن أبي الخير بن عالي الهمداني مدير ممالك التتار وكان عطاراً طبيباً يهودياً خاملاً قال به الحال إلى أن صار الوزراء والأمراء من تحت أوامره » (٢) .

وأما ابن كثير فقد قال عن رشيد الدين في كتابه « البداية والنهاية » : « كان أصله يهودياً عطاراً فتقدم بالطب وشملته السعادة حتى كان عند خدبندا الجزء الذي لا يتجزأ ، وعلت رتبته وكلمته ، وتولى مناصب الوزراء وحصل له من الأموال والأملاك والسعادة مالا يحصى ولا يوصف ، وقد كان أظهر الإسلام » (٣) .

كذلك قال الملك الأفضل عباس بن علي بن داود (٤) : « فضل الله بن أبي الخير بن غالي (٥) مدير الممالك رشيد الدولة مشير القان خربندا كان يهودياً من أهل همدان ، وكان عطاراً فاشتغل بالطب والفلسفة ، وتنقلت به الأحوال حتى صار الكل إليه ، وحصل من الأموال مالا يعبر عنه » .

وجاء في كتاب الدرر الكامنة : « كان أبوه عطاراً يهودياً فأسلم هو واتصل بغازان فخدمه وتقدم عنده بالطب إلى أن استوزره » (٦) .

(١) رحلة ابن بطوطة ، ج ٢ ص ١١٦ طبع باريس .

(٢) انظر مسالك الأبصار : صور شمسية ، ج ١٦ ص ٦٨٨ - ٦٨٩ ، دار الكتب المصرية رقم ٥٥٩ معارف عامة .

(٣) البداية والنهاية في التاريخ ، ج ١٤ ص ٨٧ طبع القاهرة .

(٤) نزهة العيون في تاريخ طوائف القرون : مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية تحت

رقم ٤٩٦٤ تاريخ ، ص ٢٠١ .

(٥) هكذا في المتن وصحتها على بالعين المهملة .

(٦) ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ج ٣ ص ٢٣٢ طبع

حيدر آباد .

فإذا التمسنا كتاب « عقد الجمان » للعيني نجده يقول عن كتابخانه مركز
« كان أصله يهودياً من يهود همذان ثم أسلم وهو شاب ابن ثلاثين سنة » (١) .
وكذلك صرح إسماعيل باشا البغدادي في تذييله على كتاب كشف الظنون
بقوله : « كان يهودياً عطاراً ثم أسلم » (٢) .

وهكذا يتبين أن هذه المصادر على اختلاف رواياتها تجمع على أن رشيد
الدين كان يهودياً ثم أسلم .

والآن ننتقل إلى مناقشة القرائن والأدلة لننظر ماذا تثبت هي الأخرى :

١ - كانت مهنة الطب التي ينسب إليها رشيد الدين تكاد تكون وقفاً
على اليهود في ذلك العهد . ويذكر الوصاف أن كيخاتو عندما مرض استدعى
جميع العلماء وأئمة الإسلام والرهبان والكاثوليك والأساقفة والأطباء اليهود (٣) .
وعن طريق مهنة الطب التحق رشيد الدين بخدمة المغول . ونحن نعلم
استناداً إلى أغلب المصادر أنه بدأ خدمة المغول في عهد آباقاخان .

ولكن عبد الله الكاشاني يذكر أن رشيد الدين بدأ خدمة المغول في
عهد أرغون (٤) وسواء أكان قد التحق أول ما التحق بخدمة هذا أم ذاك
فالأمر الذي لا شك فيه أن ذلك قد تم في وقت كان التعصب فيه على أشده
ضد المسلمين وإيثار للطوائف الأخرى وبخاصة اليهود الذين ارتفع شأنهم
إلى حد كبير في عهد السلطان أرغون وعلى يد وزيره سعد الدولة اليهودي
الذي كان شديد التعصب لكل ما هو يهودي وعرف بعدائه للمسلمين والكيدهم
لهم وإقصائهم عن المناصب الهامة التي كانت لهم في البلاط وفي إدارات القضاء
والمالية وإحلال اليهود محلهم .

٢ - من المسلم به أن رشيد الدين كان يعرف اللغة العبرية معرفة تامة

(١) انظر عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، صور شمسية م ١ ج ٢٣ ورقة ١٦٣ دار
الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ .

(٢) هدية العارفين : أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، م ١ ص ٨٢١ طبع استانبول

(٣) تاريخ وصاف ، ص ٢٦٣ .

(٤) انظر تاريخ اوجايتو : (العبارة الفارسية لعبد الله الكاشاني نشرها بلوشيه في مقدمة

تاريخ المغول ص ٣٥ نقلا عن مخطوط المكتبة الأهلية بباريس) .

ففي كثير من المواضع في أثره العظيم « جامع التواريخ » نصادف اقتباسات من التوراة بأصلها العبري ، وتوضيحات للكلمات العبرية . ولكن ربما يبدو هذا شيئاً عادياً إذا علمنا أن رشيد الدين كان يعرف عدة لغات : الفارسية والعربية والمغولية والتركية والصينية فلا يستغرب منه أن يكون كذلك واقفاً على اللغة العبرية (١) .

٣ - يزعم بعض الباحثين أن اتهم رشيد الدين باليهودية إنما يرجع إلى العناية الكبيرة التي أعطاهها تاريخ بني إسرائيل والتي تبين عن إلمام تام بسيرهم والوقوف على تقاليدهم وعاداتهم (٢) . يقول الأستاذ زكي وليدى طوغان : « ولكن رشيد الدين في بعض مؤلفاته كمفتاح التفاسير والفوائد السلطانية ولطائف الحقائق وأسئلة وأجوبة والتوضيحات قد تصدى للمقابلة بين الديانة الإسلامية والديانة اليهودية وأظهر اهتماماً بهذا الشأن » (٣) . ولكننا نتساءل هل هذه الإفاضة والإحاطة بتاريخ هذه الطائفة كانت قاصرة على المؤرخ رشيد الدين وحده ؟ .

نحن نعلم أن هناك مؤرخين آخرين من المسلمين من أمثال : البيروني وابن خلدون والمقرئزي دلت مؤلفاتهم على أنهم كذلك كانوا ملمين بكل ما يتصل باليهود كما اشتملت تلك المؤلفات على كلمات عبرية واقتباسات من التوراة . وإذن فلا يمكن أن نفهم أن عناية رشيد الدين بتاريخ بني إسرائيل تنهض دليلاً كافياً على يهوديته ما دام يشاركه هذه الميزة غيره من المؤرخين الإسلاميين .

ولكن الملاحظ على رشيد الدين أنه حين كان يؤرخ لليهود كان يضرب صفحاً عن ذكر بعض الحوادث التي وقعت فعلاً لأنها لم تكن حسنة بالنسبة لليهود . وهو يسكت كذلك متعمداً عن يهودية سعد الدولة ، وذلك على

Monatschrift fur Geschichte und Wissenschaft des Judenthums pp. (١)

147 esq. (Januar 1937).

(٢) انظر Quatremère p. VII.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ، عالم الإسلام باللغة التركية ، ج ٩٨ ص ٧٠٦ استانبول ،

العكس من المؤرخ ابن العبرى الذى قطع جميع صلاته باليهود (١) .

٤ - كان رشيد الدين يتخير أعوانه من بين صفوف اليهود الذين كانوا يكثرون فى هذا العصر فى البلاط المغولى . وكان يعنى عناية خاصة برجل منهم اسمه نجيب الدولة اليهودى الجوهرى الذى كان أبوه صرافاً فى تبريز . يقول بلوشيه هذه العناية تثبت أن الوزير كان ينتمى على الأقل بأصوله إلى الديانة اليهودية (٢) .

وحين نتحدث عن كتاب « جامع التواريخ » سوف نرى أن عبد الله الكاشانى مؤلف تاريخ أوجلاتيو يشكو أن يهوداً مدفوعين بواسطة رشيد الدين قد سلبوا كتابه « جامع التواريخ » لصالح الوزير .

٥ - كان رشيد الدين على علم تام كذلك بالديانة العبرية فى عام ٧٠٥ أسلم بعض الأطباء اليهود مع « نجيب الدولة اليهودى » فاقترح رشيد الدين على السلطان أو لجاتيو أن تجرى تجربة على هؤلاء لإقامة الدليل على أنهم دخلوا الإسلام عن إيمان صادق وعقيدة راسخة لا مراعاة فيها ولا خداع وهذه التجربة تتلخص فى أن يقدم إليهم طعام من لحم جمل مطبوخ فى اللبن (٣) . ويبدو من هذا أن رشيد الدين كان يعرف جيداً ما نص عليه سفر الخروج (٤) من أن اليهودى المخلص لا يتناول قط لحماً مطبوخاً فى اللبن وبخاصة لحم الإبل . ويرى البعض مثل فون همر Von Aammer وبارتولد Barthold أن رشيد الدين فى اقتراحه السالف الذكر كان مدفوعاً بحماسة الشخص الداخلى فى دين جديد فأوحى إلى السلطان بالطريقة التى تبين عن إخلاصه لهذا الدين (٥) . وأما بلوشيه فيقول : « من العسير أن تكون هذه الإحاطة الدقيقة بقانون موسى معروفة لدى مسلم من سلالة إسلامية خالصة مهما كانت إحاطته بتواريخ القرون الماضية وبأديان العالم » (٦) .

(١) انظر Spuler: Die Mongolen in Iran, p. 249.

(٢) Introduction à l'Histoire des Mongols p. 29.

(٣) انظر الكاشانى: تاريخ أوجلاتيو (النص الفارسى نشره بلوشيه فى مقدمته ص ١٩) .

(٤) الإصحاح ٣٤ آية ٢٦ .

(٥) Howorth: History of the Mongols, III, p. 538.

(٦) Blochet: Introduction à l'Histoire des Mongols, p. 29

وبارتولد : ميراسلاما ص ٧٩ .

٦ - من المؤامرات العديدة التي كان يدبرها رجال البلاط ضد رشيد الدين في عهد أوجلاتيو ، تلك الرسالة المزورة التي كتبت بالعبرية ونسبت إلى مؤرخنا وفيها يكلف أحد أتباعه من اليهود بأن يقتل السلطان أوجلاتيو ؛ ولكن سرعان ما اتضح أن رشيد الدين لم يكن هو المحرر لتلك الرسالة وإنما هي مؤامرة كان قد دبرها الوزير سعد الدين مع نجيب الدولة اليهودي لاتهام رشيد الدين والتخلص منه .

والجدير بالملاحظة هنا هو أنه كان ينظر إلى رشيد الدين على أنه شخص عالم باللغة العبرية وخطوطها . ولم يكن أحد يقبل في أول القرن الرابع عشر الميلادي (الثامن الهجري) أن تنسب خطوط عبرية إلى شخص لم يكن قط يهودياً أو على الأقل من أصل يهودي (١) .

٧ - لا يعلم على وجه التحقيق في عهد مَنْ مِنْ سلاطين المغول حصل مؤرخنا على لقب رشيد . كذلك لم يتعين الاسم الذي كان يضاف إلى هذا اللقب : هل هو « الدولة أو الدين » على أن المؤرخ اشتهر في التاريخ بلقب « رشيد الدين » بينما كان يطلق عليه أعداؤه « رشيد الدولة » . وبهذا اللقب رأيناه في جميع المصادر العربية وبعض المصادر الفارسية التي ترجمت له . وكان وصاف الحضرة يلقبه في عهد غازان خان بلقب « رشيد الحق والدنيا والدين » (٢) .

ولقد أصاب بلوشيه حين لاحظ أن لقب « رشيد الدولة » لا يعنى أن يكون حامله دائماً من غير المسلمين (٣) ولكن إذا أنكر عليه أعداؤه تلقيبه برشيد الدين لأنه في نظرهم لم يكن مسلماً مخلصاً ، وأصروا على أن يعطوه فقط هذا اللقب الذي كثيراً ما يلقب به أشخاص آخرون من غير المسلمين كانوا لاشك يهدفون بهذا إلى مقصد معين .

ومن المحقق أن مؤرخنا كان يحمل لقب رشيد الدولة ، واستمر أعداؤه

(١) Ibid. p. 30.

(٢) انظر تاريخ وصاف ص ٣٤٧ .

(٣) Blochet: Introduction à l'Histoire des Mongols, p. 30.

يطلقون عليه هذا اللقب حتى بعد أن اعتنق الإسلام . ويبدو أن المؤرخ نفسه كان واقفاً جيداً على النزاع الذى أثير حول لقبه فأثر التخلص من تلك الورطة واكتفى بأن يطلق على نفسه « رشيد الطبيب فقط » . ولقد ذكر D'Ohsson (١) رواية نسبها خطأ إلى ابن العبرى (٢) والحقيقة أنها مستقاة من مؤرخ آخر مجهول كتب ذيلًا لكتاب ابن العبرى (٣) ، ومؤداها أنه فى عهد كيخاتو ووزيره صدر الدين (صدر جهان) إبان الأزمة المالية عهد إلى رجل يهودى اسمه رشيد الدولة بالإشراف على مائدة الإيلخان فاشترى عدداً كبيراً من البقر والغنم واستخدم كثرة من الطبائخين وكان يستدين النفقات اللازمة للقيام بهذه المهمة . فلما عجزت الدولة عن أن تدفع له هذه المبالغ اضطر إلى أن يهرب من دانيه . غير أن D'Ohsson ومن أعقبه من الباحثين ومن بينهم بلوشيه يرون أن هذه القصة لا تعنى رشيد الدين فضل الله المؤرخ . ولكن لنا أن نتساءل : أين فر رشيد الدولة هذا ؟ ومتى عاد ؟ هذا لا يزال سرّاً مجهولاً وربما كان من الصعب أن نصرح بأن هذا اللقب الذى يندر مصادفته ، كان يلقب به شخصان فى نفس الوقت .

٨ — على أثر مقتل رشيد الدين حمل رأسه إلى تبريز وطيف به ونودى عليه : « هذا رأس اليهودى الذى بدل كلام الله لعنه الله » . كما تذكر الروايات أنه بعد قرن أمر ميرانشاه بن تيمور باخراج رفات رشيد الدين من المقبرة التى دفن فيها لأنها خاصة بالمسلمين ، ونقل الرفات إلى قبور اليهود . وعلى الرغم من أن ميرانشاه لم يكن فى وعيه فى ذلك الوقت ، إذ كان قد أصيب بالجنون على أثر حادثة وقعت له إلا أن ذلك على كل حال يدل على أن اتهم رشيد الدين باليهودية كان شائعاً فى إيران ، وأنه كان ينتقل من جيل إلى جيل حتى وصل إلى عصر ميرانشاه .

وبعد — فى ضوء هذه المصادر ، وأكثر هذه الأدلة تعد مسألة اتهم رشيد

(١) انظر D'Ohsson: Histoire des Mongols, Vol. IV p. 100.

(٢) حدثت هذه الواقعة فى عهد كيخاتو (٦٩٠ - ٦٩٤) وعلى هذا لا يمكن أن

تنسب روايتها إلى ابن العبرى لأنه كان قد توفى منذ سنة ٦٨٥ .

(٣) انظر بارتولد : مجلة العالم الإسلامى ، ص ٨١ .

الدين باليهودية ثابتة ومفروغاً منها ، وأننا إذا سلمنا برواية عقد الجمان السابقة والتي نصت على أن مؤرخنا أسلم في سن الثلاثين ، فإننا نلاحظ أنه توجد آثار بقيت في حياة رشيد الدين بعد إسلامه مستمدة من تعليمه وثقافته اليهودية - بقي أن نعرف هل كان رشيد الدين ملحداً مارقاً عن الدين يتستر بالإسلام ليكيد له ، وأنه قد ظهر في بعض مؤلفاته ما يؤيد هذا الزعم ؟

على حسب ما تحت أيدينا الآن من معلومات عن هذا الرجل نستطيع أن نقول إنه كان يسير في حياته الرسمية سيرة المسلم المخلص الكامل ، وأن علماء لا سبيل إلى الشك في حسن نيتهم وكفاءتهم شهدوا بصحة عقيدته في كتاباته وفي حياته وأن أعماله كلها كانت خيراً وبركة على الإسلام والمسلمين كما سنبين بالتفصيل في الباب الخامس من هذا البحث .

الفصل الثالث

ثقافته

يجب أن نعترف بأن قليلا من الناس حتى أولئك الذين وقفوا أعمارهم على القراءة والاطلاع والبحث قد بلغوا ما بلغه رشيد الدين بشخصيته الفذة رغم المهام الكثيرة المتشعبة التي كان يقوم بها . فإننا إذا استقصينا حياة هذا الرجل نجد أنه منذ نعومة أظفاره قد شاءت له المقادير أن يلتحق بخدمة المغول وأن يلقى به في ضجة البلاط وعجيجيه حيث كان يمارس مهنة الطب مع مخدميه الخصوصيين ، ثم وجد نفسه محبباً على أن يلم للماماً تاماً بكل تفصيلات الإدارة وشئون الحكم الصعبة المعقدة وذلك بعدما أخرجه غازان من عالم النسيان ، وعهد إليه بمنصب سياسى خطير تركز حوله كل مظاهر النشاط في هذا العصر . ولم يكن هذا المنصب يترك له فرصة يلتمس فيها الراحة أو يجد الهدوء . وأين تتوافر له تلك الراحة ونحن نعلم أن قصور المغول كانت مهبط الأطماع والمنافسات ، وممكن الدسائس والمؤامرات ، ومطمح أنظار المتغلبين في طلب الرياسة والملك . وقد رأينا أنه لكي يحمى نفسه ويحافظ على كيانه ، ويتجنب الهجوم من كل جانب من أعداء لا يسأمون ولا يتعبون كان عليه أن يكون حريصاً متنبهاً ويقظاً على الدوام . وأمام تلك الظروف كان يضطر إلى الانتظام في الحضور إلى بلاط السلطان ليدفع المكائد التي ينصبها له أعداؤه الكثيرون بسبب الحسد والحقد ، وكان ذلك بمثابة واجب يقوم به في كل وقت ولا يحتمل تأخيراً ولا تأجيلاً . وليس أدل على ذلك من أنه حينما فترت همته ، واعتراه الضعف ، واضطر إلى أن يلزم بيته أربعة أشهر بسبب المرض وجد نفسه عاجزاً عن القيام بدوره بجوار السلطان ، فأعطى بذلك فرصة ثمينة استغلها أعداؤه أسوأ استغلال في الكيد له والعمل على إلصاق التهم به . وكان رشيد الدين بالإضافة إلى هذا شديد الغيرة على السلطان يريد

أن يكون هو الوحيد الذى يتمتع بخطواته . ولعل هذا هو السبب الذى جعله يحمل عن طيب خاطر كل أعباء الإدارة فى إيران .

هذه الأعمال التى ينوء بها كاهل الفرد لم تمنع مؤرخنا من أن يبحث ويطلع ، وقد رزقه الله عقلية جبارة ساعدته على التعمق فى دراسة العلوم والآداب فهو إلى جانب الطب الذى أسلم له نفسه فى شبابه كان مطلعاً على مختلف العلوم التى تتصل به اتصالاً وطيداً ، كما كان يحيط إحاطة كاملة بشئون الزراعة وعلم الحياة والهندسة المعمارية والميتافيزيقا . وكان يجد لذة ومتعة فى الوقوف على أعقد المشكلات وأعوصها ، ولا يرتاح إلا إذا وجد لها الحل المناسب . وقد دعاه هذا الاتجاه إلى التفقه فى مسائل الدين الإسلامى فكان يستغل ساعات فراغه القليلة يعكف فيها على الدرس والبحث بينما ينام الآخرون مستريحين . وكان ضنيناً بوقته إلى أقصى حد لا يدع دقيقة واحدة تمر دون أن يستفيد منها للدرجة أنه كان يرى وهو راكب جواده غارقاً فى بحر من التفكير العميق فى الأمور الهامة (١) .

وقد ساعده على الإحاطة بتلك الثقافات المنوعة معرفته التامة لعدة لغات إذ كان يجيد الفارسية والعربية والعبرية والمغولية والتركية والصينية . وكان اطلعاه على اللغة العربية عميقاً لدرجة أن غازان خان اصطحبه معه فى حملاته على الشام ليحرر المنشورات باللغة العربية . وقد كتب منشوراً أثناء حصار قلعة الرحبة حير المدافعين وأعجزهم ببلاغة العبارة وسمو الأسلوب فلم يسعهم إلا التسليم . وسوف نرى بعد قليل أن رشيد الدين كان يكتب فى يسر وسهولة بتلك اللغة ، فكان يؤلف بها أو يترجم إليها بعض مؤلفاته الفارسية .

أما عن معرفة رشيد الدين للمغولية فهو أمر مقطوع به ؛ ذلك لأنها كانت لغة التفاهم بين السلاطين والأمراء . ورشيد الدين الذى كان دائماً الاتصال بهؤلاء لا يقبل أن يكون جاهلاً تلك اللغة ، وهو نفسه يقرر أنه كتب عدة

(١) انظر Quatremère, p. LVIII نقلا عن المجموعة الرشيدية مخطوط المكتبة الأهلية

مؤلفات باللغة المغولية ، كما نقل مؤلفات أخرى مغولية إلى العربية والفارسية (١) وكذلك الحال بالنسبة للغة التركية فإنه كثيراً ما يتحدث عنها ويستعمل كلمات تركية عديدة في مؤلفاته المختلفة .

وإذا تركنا التركية وانتقلنا إلى العبرية نجد أدلة كثيرة تثبت أنه كان يلم بها إلماماً تاماً فقد استعمل ألفاظاً عبرية كثيرة في مؤلفاته ، ونسبت إليه خطوط عبرية وذكر في مقدمة تاريخه لبنى إسرائيل أنه اطلع على كتب توارينهم وسمع من علمائهم ، وقرأ أربعة وعشرين من كتب التوراة : « هرچند اين تاريخ بر اين ترتيب جمع نكرده اند . اين ضعيف سعى نمود تا از تواريخ ايشان جمع كرد ، و از جماعتى كه ايشان برآن واقف بودند ، و از بيست و چهار تورا ، و از كتب تواريخ متفرق اين تقرير کرده تابدين موجب تاريخى نوشته شد (٢) » .

ولابد أنه كان يعرف الصينية كذلك فقد اعتمد على مصادر صينية في تأليف كتاب « جامع التواريخ » ، وجاء في هذا الكتاب كلمات صينية كان يتبعها بشرح معانيها . كما ترجم رسالتين عن تلك اللغة إلى الفارسية والعربية .

ورغم هذه الثقافة الواسعة المستنيرة نرى رشيد الدين في كثير من المواضع من مؤلفاته يدعى بأنه لم يتوافر فيه الاستعداد التام ، ولم يرزق المهارة في جميع العلوم . يقول في مقدمة كتابه « جامع التواريخ » : « حينما أمر هذا الضعيف بتأليف كتاب جامع التواريخ وضع تحت بصره وسمعه كل ما جاء في الكتب المشهورة لدى كل طائفة ، وكل ما اشتهر لدى كل قوم عن طريق النقل المتواتر ، وكل ما قرره العلماء والحكماء البارزون في كل طائفة حسب معتقداتهم ، ثم كتب على هذا المنوال دون تصرف أو تغيير . ومن المحتمل أنه بسبب قصور فهم الراوى وإهماله أن تنسى بعض هذه الأمور . ومع هذا فإن المؤرخ يود أن يجتهد بقدر ما في وسعه في تنقيح معلوماته حتى تجيء بقدر

(١) انظر Quatremère, p. LIX وفهرست مؤلفات رشيد الدين المكتوب بالعربية والذي نشره كاتومير في كتابه ص CLXII نقلا عن مخطوط المجموعة الرشيدية .

(٢) رشيد الدين : جامع التواريخ ، ج ٢ ، مخطوط المكتبة الأهلية بطهران ، ص ٤٣٦

المستطاع في صورة تامة . ولكن لم يتيسر له زيادة السعى والاجتهاد في هذا الباب إذ لا يخفى أن مثل هذه الأعمال يجب أن يتوافر فيها الاستعداد التام والمهارة في جميع العلوم . وفي الحقيقة لم ير المؤلف هذه الشروط متوافرة فيه . ثم إن إخراج هذا العمل إلى حيز التنفيذ كان في حاجة إلى فترة طويلة من مرحلة الشباب ، كما كان يلزم له الفراغ الكافي بقدر المستطاع . وقد اتفق للمؤلف أن يقوم بهذا العمل في آخر سن الكهولة في الوقت الذي أريد لهذا الضعيف أن ينخرط في سلك نواب الحضرة الشريفة ، فيكلف بمباشرة عظام الأمور . ومع أنه لم يرزق الاستعداد للقيام بهذا العمل الهام ، ولم تكن قوة العقل والفكر كافية للنهوض به ، فإنه وجد من اللازم أن يمثل لهذا الأمر فينهض لمباشرة هذه المهمة ، وعرف كذلك أن الواجب يحتم عليه أن يبذل قصارى ما في جهده في هذا السبيل . ولكن إذا كانت قوة الذهن لا تنفي بشئون الديوان فكيف تنفي أيضاً بجمع التواريخ التي هي من عظام الأمور ؟.. (١)

وفي مؤلف آخر يشكو رشيد الدين من الشكوى من استحالة توافر الوقت الذي يستطيع أن يقرأ فيه أو أن يكتب . يقول في مقدمة كتاب مفتاح التفاسير : « وإني لم أكن قبل ذلك شرعت في تصنيف كتاب ، ولا جمع شيء من هذه المعاني ، ولم يحصل لي مهارة في هذا الباب ، وليس لي زمان ولا مهلة ولا فرصة أرتب فيها ما أفكر فيه من ذلك ترتيباً جيداً في كل وقت اشتغل فيه لحظة واحدة لا زيادة عليها . وإذا كان الأمر كذلك فإنه يتفق كثيراً أن ما أذكره من المقدمات لا يكون له نتيجة كما ينبغي بواسطة تفرقة الخاطر وعدم وجود الزمان اللائق ، ولا يتضح المعنى كما هو حقه » (٢) .

ولكن لا ينبغي أن تؤخذ أقوال رشيد الدين على علاقتها لأنها من قبيل التواضع الذي يخفى وراءه غروراً لا حد له . فالأمر الذي لاشك فيه أنه استطاع أن يجمع عدة ثقافات متنوعة من طبية وتاريخية ودينية وأخرى تتناول

(١) جامع التواريخ ، نشر كاترمير ، ص ٤٦ - ٤٨ .

(٢) رشيد الدين : مفتاح التفاسير ، مخطوط دار الكتب المصرية ، ورقة ٧ ب

رقم ١٣٣ م تفاسير .

مسائل الاقتصاد الزراعى والإدارة الحكومية . وقد تجلت هذه الثقافات بأجلى معانيها فى مؤلفاته العديدة المتشعبة التى جمعت كثيراً من أنواع المعارف الإنسانية . يقول الدكتور رضا شفق : « لم يكن رشيد الدين من الوزراء الكبار ورجال السياسة فى إيران أو من مشاهير المؤرخين المحققين فحسب بل كانت له كذلك دراية كافية فى العلوم والفنون الأخرى ، كما أنه ألف مؤلفات هامة مفيدة فى المسائل الدينية والأدبية (١) » .

ولكن شهرته كمؤرخ كانت تأتى فى المقدمة ؛ فإن كتابه « جامع التواريخ » هو الذى أذاع صيته وأعلى ذكره وخلد اسمه فى سجل الخالدين .

(١) تاريخ ادبيات إيران ، ص ٣٥٤ .

الفصل الرابع

مبادئه وأخلاقه

كان رشيد الدين يضم إلى جانب ثقافته الواسعة المستنيرة مبادئ سامية وأخلاقاً قويمه جعلت منه عاملاً ملطفاً ، وعنصراً خيراً في هذا العصر المائج المضطرب . لقد أخذ على عاتقه نصره المظلومين وحماية الضعفاء الذين كانوا كثيراً ما يقعون فريسة للمؤامرات والدسائس ، ويتعرضون لأقسى وسائل التعذيب والتشريد .

لم يتخذ السياسة على أنها نفاق ومكر وخداع ، بل اتخذها على أنها تفكير وتصميم وعمل جدى مثمر فى سبيل الصالح العام . تشهد بهذا الإصلاحات الكثيرة التى تمت فى عهد غازان خان فى شتى النواحي الدينية والاجتماعية والعمرانية والثقافية . وكان مؤرخنا هو الموحى بها والعامل الأول فى إخراجها إلى حيز التنفيذ .

كان كذلك شهماً نبيلاً فى خصومته ، ترفع عن صغائر الأمور ، ولم يحاول أن يندس نفسه ويحارب خصمه بأسلحة النذالة والخسة . عندما ساحت له الفرصة للخلاص من عدوه على شاه ، وجاءه عمال الديوان طائعين مختارين يبدوون استعدادهم للقضاء على خصمه نراه يقاوم رغبتهم ، ويرفض عرضهم حتى لا يطعن خصمه من الخلف مع أنه بإعراضه هذا كان يحفر قبره بيده . كان خيراً جواداً كريماً جمع ثروة طائلة أنفقها فى سبيل الخير وإقامة المؤسسات والعمل على نشر العلم وتشجيع العلماء . وإذا كان فى عمله هذا مدفوعاً بعاطفته الدينية التى تجلت بأجلى معانيها فى تشييد المساجد والمدارس لإقامة الشعائر وتدريس علوم الدين ، فإنه قد أثبت أن فوائدها فى الأغراض الأخرى لا تقل عن الغرض الأول إذ سرعان ما صارت تلك المؤسسات أداة لخدمة الإنسانية فى شتى النواحي ، وكانت كفيلاً بأن تؤكد له عظمة الخلود .

وهكذا كان رشيد الدين مجموعة من الصفات النبيلة والسجيا الحميدة بدليل أن أكثر المؤرخين الذين تحدثوا عنه أثنوا عليه ثناء عاطراً ، ولم يستطيعوا أن يخفوا إعجابهم بشخصيته وتقديرهم لصنيعه . ولقد بالغ صاحب تاريخ الوصاف في مدح رشيد الدين ، وغلا في ذلك غلوأ شديداً إذ رفعه إلى مرتبة الأئمة والفقهاء والمصلحين حين قال : « بمقتضى ما ذكره العلماء في كل قرن في معنى أن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها ، حكى أن عمر بن عبد العزيز كان في المائة الأولى ، والشافعي في المائة الثانية ، والأشعري في المائة الثالثة والباقلاني مع أبي سهل الصعلوكي في المائة الرابعة ، والغزالي مع المسترشد بالله في المائة الخامسة ، والإمام فخر الدين الرازي مع الشيخ سيف الدين الباخريزي في المائة السادسة . . . ثم يضيف المؤرخ إنه لا يوجد شك في أن رشيد الدين كان في المائة السابعة » (١) .

ورشيد في نظر مؤرخين آخرين رجل واسع الأفق غزير العلم حر الرأي متجدد الفكر لا يقاس به آصف ولا يزجمهر في تديره وحسن إدارته للأمور . يذكر اسمه في مقدمة العلماء والحكام والمنشئين والمؤرخين (٢) .

ولكن قد يعترض معترض ويقول إن هؤلاء المؤرخين الذين ذكرتهم ربما لم يكن مدحهم لرشيد الدين عن جدارة واستحقاق ، وإنما كان مراعاة للوزير بلحب رضاه ولنيل الخطوة عنده ، خصوصاً وأن غالبيتهم كانوا موظفين في دولة المغول ، ويهمهم أن يتقربوا إلى الوزير الكبير فيكون هذا أدعى إلى سرعة ترقيةهم وسبيلا إلى ظهورهم

فإذا سلمنا للمعترض بذلك فماذا يكون الموقف إزاء غيرهم من المؤرخين ؟ . إننا نقرأ ثناء مستطاباً على مؤرخنا في مصادر متأخرة عاش أصحابها بعد رشيد الدين بمدة طويلة وفي وقت لا مجال فيه للمجاملة والإطراء . وهؤلاء لم يكن يهمهم في كثير ولا في قليل أن يخفوا الحقيقة ، لأنهم سوف لا يستفيدون فائدة

(١) تاريخ وصاف ، ص ٥٣٩ .

(٢) انظر ترجمة محاسن اصفهان ، ص ١٣٦ ، درة الأخبار ولمعة الأنوار ص ١١٠ .

شخصية إذا ما أغرقوا في مدحهم إلى هذا الحد الذى رأيناه فى مؤلفاتهم .
وإذن فلنا أن نفترض أن ما قالوه هو الحقيقة بعينها .

فرشيد الدين عند حافظ آبرو : « صاحب الأعظم ودستور الوزراء
فى العجم » (١) . وهو عند دولتشاه : « وزير كريم فاضل مبال إلى التعمير
غزير التأليف على الرغم من ضيق وقته » (٢) . وهو عند ميرخواند : « صاحب
رأى وروية وتدبير ، وسبب سعادة المخدمين العظام ، وناظم مصالح الأنام » (٣) .
وأخيراً هو عند خوندمير : « يجمع بين فطنة أرسطو وحكمة أفلاطون
ويتحلى بكمال الفنون العقلية والتقليدية ، ويميل إلى التأليف والتصنيف » (٤) .
هذا المدح لم يقتصر على مؤرخى الفرس وحدهم ، بل شاركهم فى هذا
مؤرخو العرب أيضاً فراحوا يسبغون على رشيد الدين صفات التعظيم والتبجيل
ويذكرون عنه أنه كان يتناصح المسلمين ، ويذب عنهم ويسعى فى حقن
دمائهم . وكان متواضعاً سخيماً ، كثير البذل للعلماء والصلحاء ، كما كان يوصف
بالحلم واللطف والدهاء (٥) .

وهم يطرون موقفه يوم الرحبة عندما وقف إلى جانب المسلمين
وأخذ على عاتقه تخليصهم من الحصار الذى ضربه أوبلخايتو عليهم . وما زال
به حتى نجح فى مهمته وفك الحصار ، وعاد أوبلخايتو إلى إيران (٦) . ويقول
عنه أيضاً الملك الأفضل عباس بن على بن داود (٧) : « كان أعظم من الوزير
وكان سمحاً جواداً حكماً من دهاء الرجال وأفراد العلم » .
حقاً لقد كان رشيد الدين كما شهد له أحد معاصريه : « رجلاً عظيماً
وفاضلاً » (٨) .

-
- (١) ذيل جامع التواريخ ، ص ٢ .
(٢) تذكرة الشعراء ، ص ٣١٧ .
(٣) روضة الصفا ، ج ٥ ص ١٣٤ .
(٤) حبيب السير ، م ٣ ، ج ١ ، ص ١١٣ .
(٥) انظر ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٣ ص ٢٣٢ - ٢٣٣ ، ابن العماد : شذرات
الذهب ، ج ٦ ص ٤٥ .
(٦) انظر ابن كثير : البداية والنهاية فى التاريخ ، ج ١٤ ص ٨٧ ، ابن الوردي :
تتممة المختصر فى أخبار النشر ، ج ٢ ص ٢٦٨ .
(٧) نزهة العيون فى تواريخ طرائف القرون ، مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٤٩٦٤
تاريخ ، ص ٢٠١ .
(٨) « او مردى بزرك فاضل بود » (مجمع الأنساب ، مخطوط الأستاذ سعيد نفيسى
ورقة ١٦٠) .

البَابُ الثَّالِثُ

رشيد الدين الوزير

تمهيد

« إن السلطان في نفسه ضعيف يحمل أمراً ثقيلاً ، فلا بد من الاستعانة بأبناء جنسه ، وإذا كان يستعين بهم في ضرورة معاشه وسائر مهنته ، فما ظنك بسياسة نوعه ومن استرعاه من خلقه وعباده ؟ ... » .

(ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٩٦) .

الوزارة كما نعلم — فارسية الأصل وليست من مستحدثات الإسلام وإنما أخذها الإسلام ضمن ما أخذ من نظم الحكم وتقاليد الفرس التي كانت سائدة في عهد الدولة الساسانية .

وحين انتقلت الخلافة إلى الدولة العباسية ، وهي التي نشأت نشأة فارسية أخذ العباسيون يقربون العنصر الفارسي ، ويعتمدون عليه في تصريف شئون دولتهم . وكان من أبرز ما أدخلوه على نظم الحكم نظام الوزارة التي ظلت في أغلب الأوقات وفقاً على الفرس .

وكان الوزير في عهدهم ساعد الخليفة الأيمن يقضى باسمه في جميع شئون الدولة يقول ابن طباطبا : « الوزارة لم تتمهد قواعدها وتقرر قوانينها إلا في دولة بني العباس فأما قبل ذلك فلم تكن مقننة القواعد ، ولا مقرررة القوانين بل كان لكل واحد من الملوك أتباع وحاشية . فإذا حدث أمر استشار بذوى الحجا والآراء الصائبة ، فكل منهم يجري مجرى وزير ؛ فلما ملك بنو العباس تقرررت قوانين الوزارة وسمى الوزير وزيراً ، وكان قبل ذلك يسمى كاتباً أو مشيراً » (١) .

وهكذا استفحل الملك في عهد هذه الدولة وعظمت مراتبه ، فارتفع شأن الوزير وصارت إليه النيابة في إنفاذ الحل والعقد ، وتعينت مرتبته في الدولة وعنت لها الوجوه ، وخضعت لها الرقاب (٢) .

(١) الفخرى في الآداب السلطانية ، ص ١٣١ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ، ص ١٩٩ .

ولقد تجلت أهمية هذا المنصب في عهد البرامكة الذين كانوا ينتمون إلى أصل فارسي ، سواء أكان ذلك من ناحية العنصر أم من ناحية الدين ، فقد كان جدهم « برمك » فارسي الأصل . وكان مجوسياً من عبدة النار .

فلما ضعفت الدولة العباسية نتيجة لغلبة العنصرين الفارسي والتركي قام في أنحاء إيران دويلات مستقلة كان أغلبها فارسياً . وهؤلاء جعلوا بلاطهم شبيهاً ببلاط العباسيين ، ووزر لهم وزراء إيرانيون ساروا على التقاليد الإيرانية القديمة .

وعلى هذا النحو وجد نظام الوزارة في عهد السامانيين والغزنويين والسلاجقة والخوارزميين . وكانت مهن الوزارة والكتابة والاستيفاء تتوارثها الأسر الإيرانية جيلاً بعد جيل . وكلما انقرضت أسرة انتقلت هذه التقاليد إلى الأسرة التي تليها وهكذا كان هذا الوضع قبل استيلاء المغول .

ثم فاجأ التتار البلاد الإسلامية بغاراتهم المدمرة في العقد الثاني من القرن السابع الهجري فاجتاحوا بلاد ما وراء النهر ، ولم يثبت لهم جيش ولا حصن ولا مدينة ثم انساحوا في إيران .

كذلك استطاعوا خارج إيران أن يخضعوا أقاليم أخرى كثيرة وبهذا تم لجنكير خان وأولاده السيطرة على رقعة فسيحة من العالم كانت تمتد من سواحل الصين حتى قلب روسيا وحدود الشام ؛ وذلك بفضل كثرة عددهم ووفرة عددهم وبسالة جنودهم ، وحسن تنظيمهم وتفانيهم في طاعة رؤسائهم .

ولكن برغم ما كانوا يتمتعون به من شهرة حربية فائقة لم تكن لهم خبرة بإدارة تلك الممالك ، كما كانوا يجهلون النظم والرسوم التي كانت تتعلق بالحساب والاستيفاء وشئون الحكم والقضاء .

فلم يكن هناك بد من الاعتماد على أهل الممالك المغلوبة فكانوا يتخبرون منهم الخبراء في هذه الأمور ويلحقونهم بخدمتهم ، ويسلمون إليهم أغلب الشئون المتعلقة بالديوان والإدارة .

وهكذا رأينا المغول في عهود سيطرتهم على الصين وإيران وروسيا

يستخدمون ممثلي الثقافة المحلية من موظفين وأطباء وعلماء وتجار وكتاب ووزراء . وكان أغلب هؤلاء من الإيرانيين والصينيين والأويغوريين .

ولقد كانت طبقة الوزراء والكتاب الذين دخلوا في خدمة المغول من الإيرانيين من بقايا أولئك الذين كانوا يكونون الجهاز الإداري للخوارزميين أو من أعقاب الكتاب والوزراء للدويلات الفارسية الأخرى . وهؤلاء أباً عن جد وكابرا عن كابر قد نقلوا الآداب والرسوم الإدارية والقومية الإيرانية مرة أخرى إلى دولة المغول (١) .

وأول شخص يرد اسمه على الألسن من هؤلاء في فترة استيلاء المغول رجل يدعى محمود الخوارزمي . وكان قد التحق بخدمة جنكيز قبل هجومه على ممالك الخوارزميين . ولما كان يقوم بمهمة السفير والرسول لجنكيز إلى السلطان محمد خوارزمشاه فقد لقب بلقب « يلواج » وهو لفظ تركي معناه الرسول والمبعوث (٢) .

وكان أول سفارة لمحمود الخوارزمي في سنة ٦١٤ حينما حمل رسالة جنكيز إلى السلطان محمد خوارزمشاه ، ونقلها إلينا النسوي في كتابه (٣) .

ومنذ ذلك التاريخ بقي محمود في خدمة جنكيز وكان بمثابة مستشار ووزير له حتى استطاع الخان المغولي وأولاده الاستيلاء نهائياً على ممالك خوارزمشاه فكان محمود دائماً يتمتع بعطف هؤلاء السلاطين ويحظى باحترامهم ولما كبرهم .

ولما توفي جنكيز عام ٦٢٤ ، خلفه على عرش المغول ابنه « أوكتاى » وقد تمكن الخان الجديد من إخضاع بلاد الخطا يعنى الصين الشمالية وعهد بإدارتها إلى محمود يلواج بالإضافة إلى ممالك تركستان وخوارزم وما وراء النهر وحصل على لقب صاحب الأعظم .

وبعد مدة اكتفى محمود بإدارة بلاد الخطا . وأما بقية بلاد الأويغور

(١) انظر مجلة « دانكشده ادبيات » العدد الثاني من السنة الثانية ، طهران ١٣٣٣

هـ . ش ، ص ٦٦ .

(٢) نفس المصدر ص ٦٨ .

(٣) انظر سيرة جلال الدين منكبرتي ، نشر حافظ حدى ، ص ٨٣ - ٨٥ .

والكاشر وسمرقند وبخارا وخوارزم فقد ولى عليها ابنه « برهان الدين مسعود بيك » .

وقد اهتم الأب والابن بتعمير ما خربه المغول وإصلاح حال الناس وإدارة هذه الممالك أحسن إدارة ، واستطاعا بحسن تدبيرهما وتوخيهما العدل أن يخففا من آلام الضربة القاسية التي نزلت بالرعايا من جراء هجوم المغول . وفي عهد الإيلخانيين وجد وزراء رعوا السياسة والعلم ، وتركوا في التاريخ آثاراً محمودة . وقد استوفى كل منهم الشروط التي يجب توافرها في الوزير والتي سبق أن أشار إليها ابن طباطبا بقوله : « الوزير وسيط بين الملك ورعيته ، فيجب أن يكون في طبعه شطر يناسب طباع الملوك ، وشطر يناسب طباع العوام ، ليعامل كلا من الفريقين بما يوجب له القبول والمحبة . والأمانة والصدق رأس ماله . قيل : إذا خان السفير بطل التدبير . وقيل : ليس لكدوب رأى ، والكفاءة والشهامة من مهماته والفطنة والتيقظ والدهاء والحزم من ضرورياته ، ولا يستغنى أن يكون مفضالاً مطعماً ليستميل بذلك الأعناق ، وليكون مشكوراً بكل لسان . والرفق والأناة والتثبت في الأمور والحلم والوقار والتمكن ونفاذ القول مما لا بد منه » (١) .

ومن هؤلاء الوزراء أسرة الجوينيين ، الخواجه شمس الدين محمد صاحب الديوان وأخوه علاء الدين عطا ملك وابنه بهاء الدين . تولى شمس الدين الوزارة لهولاكو وآباقا والسلطان أحمد . وولى علاء الدين أمر بغداد أربعاً وعشرين سنة منذ عام ٦٥٧ هـ . وكان بهاء الدين والياً على العراق العجمي وفارس .

وثق سلاطين المغول بأفراد هذه الأسرة ، وفوضوا إليهم أمور دولتهم فكان لهم فضل كبير في تدبير الملك ورعاية العلم والأدب فلا غرو أن انصرف إليهم الناس ونظموا القصائد الرائعة في مدحهم والتغنى بكرمهم وجودهم الذي أصبح مضرب الأمثال .

وكان يطلق على الوزير « صاحب الديوان » فكان الخواجه شمس الدين

(١) الفخرى في الآداب السلطانية ، ص ١٣٠ .

الجويى يلقب بهذا اللقب . وظل الحال على هذا المنوال حتى جاء عهد « بايدو » (جمادى الأولى سنة ٦٩٤ هـ - ذو القعدة ٦٩٤ هـ) فرأى وزيره « جمال الدين المستجردانى » أن يطرح لقب صاحب الديوان جانباً ، وأن يختار لقب الوزير . ومنذ ذلك الوقت لم نعد نسمع إلا اسم الوزير فقط .

من كبار الوزراء والعلماء والمصلحين كذلك فى دولة الإيلخانيين مؤرخنا الخواجه رشيد الدين فضل الله وابنه الخواجه غياث الدين محمد .

وقد كان وزراء هذا العهد من الإيرانيين المسلمين . ولم يخرج أحد من سلاطين المغول على تلك القاعدة إلا السلطان أرغون (٦٨٣ - ٦٩٠) حينما عهد بوزارته إلى سعد الدولة اليهودى . وقد تم هذا على أثر مقتل السلطان « أحمد تكودار » الذى اعتنق الإسلام . وكان لا يزال الحزب المغولى قويا يتمثل فى أولئك الأمراء الذين خشوا على أنفسهم وتقاليدهم أن يجرفها الإسلام فتضيع دولتهم ويقضى عليها . كذلك كان تأثير المسيحية لا يزال شديداً على أمراء المغول فى ذلك الوقت ، فكان لابد أن تحدث هذه النكسة التى تمت بتولية رجل يهودى منصب الوزارة ، وما تبع ذلك من سياسة معادية للإسلام والمسلمين إذ انتزعت من أيديهم كل المراكز التى كانت لهم فى إدارات القضاء والمالية ، ومنعوا من الظهور فى البلاط . وكان سعد الدولة يكدد للإسلام لدرجة أنه حاول أن يجعل مكة مركزاً لعبادة الأوثان . ولم يخلص المسلمين من شره سوى مرض حاميه أرغون ، فانقض عليه المسلمون وقتلوه أشنع قتلة ، ولحق به أرغون بعد قليل .

بعد ذلك استجاب المغول سريعاً للإسلام وحضارته ، واستعانوا بالمسلمين على نطاق واسع خصوصاً بعد أن أسلموا واندرجوا فى الجماعة الإسلامية منذ عهد غازان خان .

ونحن إذا نظرنا إلى وزراء هذا العهد بصفة عامة نجد أنهم قد نهضوا بتبعاتهم على الوجه الأكمل ، وكانوا مندفعين برغبة صادقة نحو الإصلاح وقد بذلوا قصارى جهودهم لبعث وطنهم إيران من جديد عقب غارات المغول المدمرة . وفى الوقت نفسه أخلصوا للمغول ، وقضوا معظم أعمارهم فى توطيد أركان دولتهم وإشاعة العدل والطمأنينة فى نفوس رعاياهم .

ولكن هذه الخدمات الجليلة كثيراً ما كانت تقابل بالنكران والحدود ولا يجزى صاحبها إلا جزاء سنار . فعلى الرغم من المكانة المرموقة التي كان يتمتع بها الوزير في أعين الناس ، كان في الحقيقة في موقف لا يحسد عليه كما كان مركزه مخفوفاً بالمخاطر يؤاخذ على أتفه الأسباب ، وتحسب عليه أقل الهفوات ، وترقبه أعين الجواسيس وتحاك ضده المؤامرات والدسائس وتوضع أمامه العراقيل . ويرجع ذلك إلى عدم الاستقرار الذي كان يسود هذا العصر ، ووجود أحزاب عديدة متنازعة متباغضة فهناك حزب أمراء المغول الذي يشعر بأن له امتيازات خاصة نالها بمقتضى الياسا . فقد نص هذا القانون على ضرورة وجود طبقة راقية تتمتع بنفوذ كبير ، وكانت تحافظ دائماً على أن تظل قوية مهيبة . وفي سبيل المحافظة على كيان تلك الطبقة كان فرسان المغول وأخلافهم الذين جاءوا مع هولاء كويمنعون من الاتصال عن قرب بمرءوسهم .

وكان طبعياً أن ينظر إلى الوزير على أنه رأس الإدارة . ويحسد القلقشندى (١) أهم السلطات التي كان الوزير يباشرها فيذكر أن كبار الأمراء لا يستطيعون أن يمحضوا أمراً إلا بالوزير ، والوزير يمضى الأمور دونهم ويأمر نوابه فتكتب أسماؤهم . والوزير هو المنفرد بالحديث في المال والولاية والعزل حتى في جلائل الأمور . وكذلك أمر متحصلات البلاد ودخلها وخرجها إلى الوزير ، وإليه يرجع أمر كل ذى سيف وقلم ومنصب شرعى وله التصرف المطلق في الولاية والعزل والعطاء والمنع — لا يشاور السلطان إلا فيما جل من المهمات وما قل من الأمور : وهو السلطان حقيقة وصاحب البلاد معنى . وقصارى القول أن جميع الأمور ترجع إلى الوزير ، وإليه حلها وعقدها .

ولكن على الرغم من المهام الجسام التي كان يضطلع بها الوزير فإنه كان يأتهم بأمر قائد الجيش الأعلى المغولى . ولقد كان من العيب أن يستطيع الوزير

(١) انظر صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٣ ، ٤٢٤ .

الوصول إلى السلطان من طريق غير طريق قائد الجيش ، وكان عليه أن يجلب رضاء هذا القائد إلى جانب إرضاء السلطان (١) .

وكان الأمراء يتدخلون دائماً في عمل الوزير ، ويميلون عليه لإرادتهم ويحرصون على أن يظل ألوية في أيديهم وأداة طيعة لتحقيق مآربهم . فإذا رأوا أن الوزير قد تخلى عن سياسة إرضائهم لأن الصالح العام يقتضيه أن يفعل ذلك ، فإنهم سرعان ما يضيعون العراقيل أمامه ويعملون على إقصائه بالوسائل المشروعة وغير المشروعة .

وهناك فريق الطامعين المتنافسين الذين يريدون أن يثبوا إلى أعلى المناصب لينالوا السلطة والجاه طفرة واحدة ولكنهم يرون في هؤلاء الوزراء عقبة كأداء تحول دون تحقيق أطماعهم فليس أمامهم إلا أسلحة الدس والتآمر يلجأون إليها متخذين من الأمراء عوناً لهم على الوصول إلى أهدافهم .

زد على ذلك أن سلاطين المغول كانوا في نزاع مع منافسيهم من الأمراء الآخرين من أفراد الأسرة . وذلك حين كانوا لا يشغلهم إخماد الثورات أو يكفون عن فتح الأقاليم (٢) . وهذا الصراع العنيف بين أفراد الأسرة الواحدة كان يخرج مركز الوزير ، ويجعله هدفاً لأحقاد الطامعين المتنافسين فيظل في حيرة من أمره لا يعرف أى الطرق يختار في مثل تلك الأوضاع المزعجة غير المستقرة التي تجعل الغالب اليوم مغلوباً غداً .

وعندما تولى غازان خان عرش المغول رأى أن الدولة قد اتسعت والأعمال قد تشعبت والأمور قد تعقدت ، ووجد أن وزيراً واحداً لم يعد يكفي لإدارة إمبراطورية متسعة الأرجاء . ثم إنه أحس بوطأة السلطة التي كان يتمتع بها الأمراء وتدخلهم في كل شيء . وعرف كيف كان الأمير نوروز يسيطر على كل صغيرة وكبيرة في الدولة . فبعد أن كف أيدي الأمراء عن التدخل في شئون الحكم ، ونكب الأمير نوروز في سنة ٦٩٦ عهد بمنصب الوزارة إلى اثنين بدلا من واحد حتى ينهضاً بالتبعات الكثيرة الملقاة على

(١) انظر بارتولد : مجلد العالم الإسلامي ، ص ٧٦ .

(٢) Levy: Persian Literature, the Mongol Domination, p. 54.

عاتقهما ، وحتى يكون كل منهما رقيباً على عمل الآخر فيأمن بذلك استبداد الوزير وطغيانه إذا ما ترك وحده يصرف شئون الدولة .

كان غازان خان يعتقد بحسن نية أن هذا ضرب من الإصلاح ولكنه في الحقيقة كان سبباً آخر في تعقيد الأمور أكثر من ذي قبل ، إذ لم يكن لكل وزير اختصاص واضح يمارس بمقتضاه عملاً محدوداً يكون مسئولاً عنه . فكان تنظيم الإدارة على هذا النحو سبباً في إثارة النزاع بين الوزيرين ، إذ كان يتيح الفرصة لكل منهما لاتهام زميله وإلقاء التبعة عليه والشواية به عند السلطان وإظهاره بمظهر المخطئ العاجز ليظهر هوهر بمظ المدافع عن السلطان ، الحريص على أمواله ، فيحوز بذلك رضاه وينال عنده السلطة والحظوة . زد على ذلك أن هذا النظام كان بدوره عاملاً في إشاعة الفرقة والانقسام بين المرءوسين فكل فريق يناصر وزيراً ويتحزب له . ومع هذا فكثيراً ما يقع هؤلاء المرءوسون في الحرج ويكونون عرضة لغضب هذا أو ذاك . وليس أدل على فساد هذا النظام من أن أخوين وليا منصب الوزارة في عهد أبي سعيد فكانت النتيجة أن ثار بينهما النزاع من جديد ، وارتبكت أعمال الدولة ولم يكن هناك مفر من إقصائهما عن الحكم .

هناك أيضاً فساد النظام المالي للدولة وما كان يجره على الوزير من بلايا وشروخ فمن المعروف عن سلاطين المغول وأمراءهم جهم الشديد للمال وميلهم إلى الإسراف . وكان الوزراء يعرفون ذلك جيداً فلم يكونوا يدخرون وسعاً في تلبية طلباتهم ، وتقديم الهدايا لهم في شتى المناسبات بل أدى بهم الأمر إلى دفع الرشاوى إلى الأمراء لإسكات المناوئين منهم لسياستهم . كان السلطان يطلب إلى الوزير تدبير المال في أى وقت يشاء وما أكثر ما كان يفعل ذلك وعلى الوزير السمع والطاعة . فإذا تلكأ كانت عليه الطامة الكبرى ورمى بالعجز والقصور واتهم بالاختلاس والتبديد ، ثم يساق إلى المقصلة .

فأنت ترى بعد هذا العرض أنه كان يستحيل على الوزير مهما كان عبقرياً أن يستطيع تحقيق كل هذه الرغبات المتعارضة فلا غرو أن كان يعيش في رعب مستمر فهو معرض في أية لحظة للاغتيال أو صدور الحكم عليه

بالإعدام وكان هذا هو المصير المحتوم الذى لاقاه جميع الوزراء فى عهد الإيلخانيين باستثناء على شاه . ولا شك أن تلك الأوضاع كانت كما قال « ليشى » : « بحالة بحيث أنها تجعل السقوط النهائى لدولة الإيلخانيين أمراً لا يمكن تجنبه » (١) .

وبعد فهذه هى التيارات المختلفة التى صادفها مؤرخنا رشيد الدين استطاع بما أوتيته من عقل راجح وحلم راسخ وفكر متسع وحيلة بارعة — أن يتغلب عليها فى أكثر الأوقات ، فتمكن بهذا من أن يسوس الدولة أحسن سياسة ، ومن أن يقوم بإصلاحات شتى بالرغم من هذه الأعاصير . ولكنه لم يستطع طول الوقت أن يحافظ على هذه السياسة ، إذ خرج الأمر من يده فى أخريات أيامه ، وابتلى بدسائس زميله فى الوزارة الذى كان يدعى « على شاه » ، ومازال به حتى أورده مورد الهلاك . ولاشك أن تلك المواقف من حياة مؤرخنا جديرة بالتسجيل لنعرف منها كيف لعب دوره على مسرح هذه الحياة المليئة بعوامل الصراع والصدام .

الفصل الأول

وزارته لغازان وما اقترن بها من أحداث

من سنة ٦٩٧ إلى سنة ٧٠٣

عرفنا في آخر الباب الثاني كيف وقع اختيار غازان خان على رشيد الدين ليتولى منصب الوزارة . والآن نذكر أن السلطان رأى ألا يترك مؤرخنا وحده في الوزارة فأشرك معه رجلا من أهل ساوه اسمه سعد الدين محمد الساوجي ، ولم يكن نائباً للأمير قتلغ شاه كما كان متوقفاً بل كان نائباً لقائد آخر اسمه « نورين » .

وقد تحدث رشيد الدين عن تعيين زميله الخواجه سعد الدين الساوجي في الوزارة في سنة ٦٩٧ (١) ، بينما أغفل الحديث عن اشتراكه هو في هذا المنصب . غير أن مؤرخا آخر هو وصاف الحضرة يذكر أن الوزيرين رشيد الدين وسعد الدين عينا في وقت واحد ، ولكن الوصاف يخطئ في تحديد التاريخ فيجعل توليتهما في سنة ٦٩٩ بينما تثبت حوادث ذلك الكتاب بعد ذلك أن المؤرخ يقصد سنة ٦٩٧ . وربما حدث هذا اللبس من النساخ (٢) . والغريب أنه قد سار على هذا الخطأ بعض المؤرخين مثل ميرخواند في كتابه روضة الصفا (٣) وخوندمير في كتابه خلاصة الأخبار إذ يقول : « ودر سنه تسع وتسعين وستمائة خواجه صدر الدين زنجاني كه صدر جهان لقب يافته بود بعلت تصرف مال ديواني مؤاخذ گشته بياسا رسيد وغازان خواجه رشيد الدين طيب وخواجه سعد الدين را بشركت وزير گردانيد » (٤) .

(١) انظر تاريخ مبارك غازاني ، نشر كارل يان ص ١٢٠ .

(٢) انظر Quatremère, P.X.

(٣) انظر روضة الصفا ، ج ٥ ص ١٣٤ .

(٤) خلاصة الأخبار ، مخطوط الأستاذ جعفر سلطان القرائي بطهران .

وترجمته :

« وفي سنة ٦٩٩ عوقب الخواجه صدر الدين الزنجاني الذي كان يلقب بلقب (صدر جهان) بسبب تصرفه في أموال الديوان ، فأعدم . ثم أشرك غازان الخواجه رشيد الدين الطبيب مع الخواجه سعد الدين في منصب الوزارة . »

كذلك وقع في هذا الخطأ « البدليسي » إذ يقول في هذا الصدد تحت أحداث سنة ٦٩٩ : « تكرم السلطان فأسند منصب الوزارة والنيابة الكبرى ونظارة الديوان إلى كل من الخواجه رشيد الحق والدنيا والدين الذي كان في مقدمة علماء زمانه وحكامه ، ولا سيما في فني الحكمة والطب ، والخواجه سعد الدين الساوجي صاحب اليد الطولى في فني الاستيفاء والسياسة . وقد انتظمت الأمور بفضل هذين الوزيرين المدبرين ؛ فقد رضى عنهما أقارب السلطان وكثير من أهل الفضل والعلم والدراية » (١) .

وأما فصيح الخوافي فيحدد تعيين الوزيرين بسنة ٦٩٨ أو بسنة ٦٩٧ نقلا عن بعض الأقوال الأخرى : « سنة ثمان وتسعين وسمائة وزارت خواجه رشيد طبيب وخواجه سعد الدين الساوجي بحكم غازان خان واتفاق ايشان . وقيل سنة سبع وتسعين وسمائة » (٢) .

وحينما يذكر الوزيران كان يتقدم اسم رشيد الدين دائما . ويقرر حمد الله المستوفى القزويني في سياق حديثه عن تنصيب الوزيرين أن كل الأعمال كانت تبرم بناء على أمر رشيد الدين (٣) .

نعرف أنه من الناحية الرسمية ظل المؤرخ يلقب نفسه بلقب « رشيد الطبيب » وليس من الميسور أن نكشف عن العلل التي جعلت مؤرخنا يقنع بالانتساب إلى مهنته الأولى دون أن يكشف عن شخصيته كوزير مسئول لدولة المغول .

(١) شرف خان البدليسي : شرفنامه ، ترجمة المرحوم محمد علي عوفي ، ج ٢ ص ١٧ -

١٨ ، القاهرة ١٩٦٢ .

(٢) مجمل فصيح خوافي ، صور شمسية ، دار المعهد الفرنسي بطهران .

(٣) « ووزارت بمخدوم سعيد شهيد خواجه رشيد الحق والدين وصاحب سعيد شهيد خواجه سعد الدين محمد ساوجي حواله رفت . وأوامر ونواهي كار واداره باشارت بمخدوم سعيد خواجه رشيد الدين منوط بوذ » (تاريخ گزيده ، ص ٥٩٣) .

ونحن إذا تلمسنا كتاب رشيد الدين لا نعثّر فيه على شيء يمكن أن يوضح لنا الدوافع التي حملته على أن يسلك هذا المسلك . ورغم أنه تحدث بإسهاب عن الإصلاحات التي تمت في عهد غازان خان في شتى النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية ، فإنه حرص على أن ينسب كل شيء إلى السلطان نفسه مع أن هذه الإصلاحات كانت من إحياء رشيد الدين . ولا ينكر إنسان أن مؤرخنا قد ساهم مساهمة فعالة في كل ما تم من إصلاح . فهو إذن كان عاملاً قوياً في إذاعة شهرة السلطان غازان ، ورفعته إلى مقام المصلحين البارزين .

ورشيد الدين الذي فضل ألا يبوح باسمه كوزير مسئول لأعظم سلطان من سلاطين المغول ، رشيد هذا قد أثر أن ينسب اسمه إلى عمل آخر قصد به أول الأمر تخليد اسمه على مر الأجيال . ونعني به المباني التي وضع تصميمها والمؤسسات العلمية التي أمر بتشييدها محتذياً في ذلك حذو السلطان غازان خان الذي أقام في السنة الرابعة من حكمه شمال غربي تبريز محلة كانت تعرف باسم « شام غازان » (١) أو « شنب غازان » (٢) ويفصلها عن مدينة تبريز جملة حداثق ومتنزّهات فكانت أشبه بضاحية . وبعد هذا المكان من أحسن المواقع في أذربيجان صفاء وخضرة ونضرة . كما أصدر أمره إلى المهرة من المهندسين والعمال حتى يقيموا هناك مقبرة له ، وكانت عبارة عن بناء مرتفع تعلوه قبة كبيرة أعدت لتكون مقره الأبدى حتى تخلد ذكره بعد وفاته . وقد استمرت عمارة القبة وتوابعها خمس سنوات إذ كان الشروع في بنائها عام ٦٩٧ وتمت سنة ٧٠٢ (٣) ، ويبدو أن المكان الذي بنى فيه غازان محلته كان يعرف أول الأمر « بشام غازان » فلما أقام فيه قبته ومقبرته التي دفن فيها صار يطلق عليه « شنب غازان خان » (٤) .

وقد تحدث المؤرخون عن عظمة تلك القبة ووصفوها بأنها كانت من

(١) انظر تاريخ وصاف ، ص ٣٨٢ ؛ حمد الله القزويني : نزهة القلوب ، ص ٧٦ .

(٢) كلمة « شنب » بفتح الأول وسكون الثاني بمعنى قبة .

(٣) تاريخ وصاف ، ص ٣٨٢ .

(٤) انظر « نشرية » دانشكدهٴ أدبيات تبريز ، شماره ٢ و ٣ ص ٨٣ .

عجائب الأبنية الإسلامية ، وأنها كانت أعظم قبة بنيت حتى ذلك التاريخ (١) . يقول رشيد الدين : « إنه رأى قبة السلطان سنجر السلجوقي بمرور ، وكانت في ذلك الوقت أعظم العمارات في العالم فبنى غازان خان قبة أعظم منها بكثير » (٢) . وحول هذه المقبرة شيدت مبان عديدة كان أهمها مسجداً وصومعة ومدرستين إحداهما للشافعية والأخرى للحنفية ، ومستشفى ومكتبة ومرصداً . وبالقرب من تلك المؤسسات توجد مدرسة لتدريس علوم الدنيا وقد عين لها المدرسون اللازمون ، كما يوجد بيت القانون المخصص لحفظ كتب القوانين التي وضعت في عهد غازان ، ومسكن للأطفال وآخر للأشراف والسادة وحوض من الماء بالقرب منه يستطيع الخدم الذين تنكسر أوانيهم ويخشون عقاب ساداتهم أن يأخذوا أواني أخرى جديدة ، وكذلك حمام وملجأ يسع مائة يتيم يطالعون القرآن ويحفظونه ويعطون مائة مصحف ، ويشرف عليهم خمسة من المدرسين ، ويقوم بالخدمة خمسون من الخدم ، وملجأ آخر للأطفال المشردين وثالث للأرامل تنزل فيه خمسمائة أرملة ، ومكان خاص تستطيع الطيور أن تحصل منه على قوتها لمدة الأشهر الستة الباردة .

وبعد أن تم إعداد هذه الأبنية وقف غازان خان جزءاً كبيراً من أملاكه الخاصة للإنفاق عليها . كما شهد بصحة تلك الوقفية جميع القضاة والعلماء ووقعوا بما يفيد ذلك . وتندرج جميع هذه المؤسسات تحت اسم « أبواب الخير » . وعهد بالإشراف عليها إلى رشيد الدين . يقول الوصاف : « وتفاصيل أبواب البر ومصارف آن خير در جريده » وقفيت اثبات يافته وتوليت شرعى اين وقوف از حكم يرليغ باشارت (وأنزل الدار بانها) براى رزين وفكر دور بين مخدوم أعظم صاحب قران رشيد الحق والدين عز نصره مفوض شد » (٣) .

والمعنى : « وقد سجلت التفاصيل الخاصة بأبواب البر ، ونفقات تلك الخيرات في صحيفة الوقفية . وبمقتضى المرسوم ، وعملاً بقوله : (وأنزل الدار

(١) انظر تاريخ وصاف ، ص ٣٨٢ ؛ نزهة القلوب ، ص ٧٦ .

(٢) تاريخ مبارک غازانى (داستان غازان خان) ، نشر كارل يان ص ٢٠٨ .

(٣) تاريخ وصاف ، ص ٣٨٤ .

بأنها) : عهد بالولاية الشرعية على هذه الأوقاف إلى ذى الرأى الرزين والفكر السامى ، المخدوم الأعظم ، صاحب القرآن رشيد الحق والدين — عز نصره — .
اقتدى رشيد الدين بما فعله غازان فشيده حياً شرقى تبريز كان يضم مبانى عديدة ، واستمر ذلك الحى يحمل اسمه مدة طويلة بعد وفاته فكان يطلق عليه « الربع الرشيدى » وسوف نبسط فيه القول فى موضعه .

الدور الذى لعبه رشيد الدين أثناء حملة غازان على سورية :

يتحدث رشيد الدين عن نفسه حينما يصف الحملة التى قام بها غازان خان على سوريا عام ٦٩٩ تحقيقاً للهدف الذى كان يرمى إليه المغول منذ عهد هولاكو وهو الاستيلاء على سوريا وعلى مصر نفسها . وقد استغل غازان فترة الضعف التى سادت مصر أثناء اغتصاب عرش الناصر على يد كل من كتبغا ولاجين (١) .

ومن العوامل الجوهرية التى شجعت على إغارة المغول ، هرب سيف الدين قبچق نائب دمشق مع جماعة من الأمراء فى خمسمائة من الجند إلى غازان وإطلاعه على ما آلت إليه الحالة فى سورية فى نهاية حكم لاجين مما دفعه إلى العمل على امتلاك هذه البلاد ، ومواصلة السير إلى مصر (٢) . يضاف إلى هذا أن العداوة التقليدية بين المماليك فى مصر والمغول فى إيران قد أيقظها احتضان السلطان كتبغا لعصاة المغول الذين فروا من وجه غازان إلى مصر ، وما فعله الأمير بلبان الطباخى نائب حلب إذ أرسل جيشاً إلى ديار بكر أشاع الفساد فى هذه البلاد وارتكب مع الأهالى الموبقات ، وحاصر ماردين ، وأسر كثيراً من المسلمين ، وبالف فى النهب والسلب . وهكذا وجد غازان خان الفرصة سانحة لمحاربة المماليك بحجة الدفاع عن الإسلام والمسلمين هناك (٣) .

فى ذلك الوقت كان السلطان الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣ — ٧٤١)

(١) الدكتور على إبراهيم حسن : دراسات فى تاريخ المماليك البحرية ، ص ٥٥ الطبعة

الثانية .

(٢) أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ج ٤ ص ٤٤ ؛ النهج السديد ص ٦٠٨ — ٦٠٩

(٣) رشيد الدين : تاريخ مبارك غازانى ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

قد استرد عرش مصر سنة ٦٩٨ وكانت الاضطرابات والفتن التي قامت في عهد كل من كتبغا ولاجين ، وحالات الضعف التي انتابت البلاد أثناء حكمهما من أهم العوامل التي ساعدت الناصر على استرداد عرشه .

خرجت أول حملة من حملات غازان خان من العاصمة تبريز في ١٩ المحرم سنة ٦٩٩ ، وكان على مقدمتها قتلغ شاه كما كان على القلب غازان نفسه . وفي ١٢ من ربيع الأول عبرت الحملة نهر الفرات ووصلت إلى حلب في السابع عشر من هذا الشهر ، ولما ابتعد الجنود عن حلب مروا بحقول مزروعة فأرادوا أن يطعموا منها خيولهم ودوابهم فنعمهم غازان من ذلك وهدد من يخالف ذلك الأمر بالعقاب لأنه ليس من المستساغ أن تأكل الدواب غذاء الإنسان (١) .

وصلت الأخبار إلى مصر بتحرك جيش غازان لغزو الشام فزحف السلطان الناصر على رأس جيش كبير ، ولكن مما يؤسف عليه أن الأمراء الذين خرجوا مع السلطان الناصر كانوا متحاسدين غير متفقين في الرأي (٢) وزاد الطين بلة أن أخره في الطريق تدبير مؤامرة خطيرة من زعماء قبيلة العويراتية الذين انضم إليهم الأمراء الناقمون لاغتيال السلطان ووزرائه وإعادة صاحبهم كتبغا إلى عرش مصر ، فكانت هذه المؤامرة سبباً في تأخر زحف الجيش أيضاً . وقد لقي المتآمرون جزاء فعلتهم ، وسار الجيش في طريقه (٣) حتى التقى بجيوش المغول عند مرج المروج شرقي حمص حيث دارت رحى معركة عنيفة في ١٧ من ربيع الأول سنة ٦٩٩ ، أسفرت عن انتصار المغول .

ولما توقف القتال عسكر غازان بالقرب من حمص فحضر إليه حاكم تلك المدينة وسلمه مفاتيحها . وقدم له أهل حمص فروض الطاعة . ثم استعد غازان لغزو دمشق ، وانتشر المغول في الأماكن المجاورة ، وخربوا البلاد

(١) رشيد الدين : تاريخ مبارك غازاني ، ص ١٢٥

(٢) السلوك ، ج ١ ق ٣ ص ٨٨٢ .

(٣) موير : تاريخ دولة المماليك في مصر ، ترجمة محمود عابدين وسليم حسن ص ٢٩ ؛

الدكتور بدر : مغول إيران بين المسيحية والإسلام ، ص ٨٤ - ٨٥ .

جرباً على عاداتهم فتقدم جماعة من علماء المسلمين إلى السلطان غازان وطلبوا الأمان لأهل دمشق فكتب أماناً لهم ذكر فيه أنه ما سار إلى الشام إلا ليعاقب المماليك بسبب خروجهم على الدين وظلمهم للعباد ، وأنه قد أصدر أوامره إلى جنوده بعدم التعدي على أهل دمشق والشام جميعاً بما فيهم اليهود والنصارى والصابئة والمحافظة على أرواحهم وأموالهم وحريتهم (١) . وقد قرئ الأمان في دمشق وخطب لغازان على منابرهما في يوم الجمعة وكانت صورة الدعاء له : « السلطان الأعظم سلطان الإسلام والمسلمين مظفر الدنيا والدين محمود غازان خان » (٢) وكان ذلك إيذاناً بخضوع سورية مرة أخرى لسيطرة المغول .

وبالرغم من الأمان الذي أصدره غازان لأهل دمشق ، فقد عاد المغول فنهبوا الأماكن المحيطة بدمشق ، وأنزلوا بالسكان كثيراً من البلايا والمحن فخرج الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وحاول أن يتصل بالسلطان غازان ليشكو له ما جرى من جنوده بعد أمانه ، فلم يستطع الاتصال به فاجتمع بالوزيرين سعد الدين ورشيد الدين فقالا : لابد من المال فانصرف (٣) .

ولما اطمأن غازان على الأوضاع في سورية قفل عائداً إلى إيران لدفع حملة الأتراك الچغتائيين وذلك بعد أن كتب إلى سيف الدين قبچق عهداً بنبابة الشام (٤) . وبعد قليل لحق قتلغ شاه بغازان فانفرد قبچق بحكومة دمشق ولكنه سرعان ما غدر بالتتار وقتلهم وتبع المفسدين وبطش بهم فاستبشر أهل دمشق بذلك ، وعادت الطمأنينة إلى نفوسهم ، وأبلغ قبچق السلطان الناصر نبأ رحيل غازان وقتلغ شاه ، ودخله في طاعة السلطان وبذلك عادت سورية مرة أخرى إلى حوزة المماليك (٥) .

-
- (١) النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٩ ص ٣٢٥ ب - ٣٢٦ أ . دار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف عامة (انظر السلوك ج ١ ق ٣ ملحق ١٢ ص ١٠١١ - ١٠١٢) .
(٢) تاريخ ابن أبي الفضائل ، ص ٦٤٥ ، ٦٤٧ ؛ النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٢٥ .
(٣) السلوك ، ج ١٠ ق ٣ ص ٨٩٢ .
(٤) انظر نص هذا الفرمان في الملحق رقم ١٣ من كتاب السلوك ج ١ ق ٣ ص ١٠١٣ - ١٠١٥ .
(٥) أبو الفداء ، ج ٤ ص ٤٥ ؛ السلوك ، ج ١ ق ٣ ص ٨٩٩ - ٩٠٠ .

ويجب ألا نفهم من عودة غازان أنه قد أقلع نهائياً عن التفكير في غزو سورية وإخضاعها لنفوذ المغول إذ كان لا يزال يداعب خياله أن يفتح الشام ومصر ويضمهما إلى أملاكه ولكنه كان يرجئ ذلك حتى يحين الوقت المناسب. وكان يغتنم فرصة فراغه من الحرب فيعكف على الإصلاحات الداخلية وتنظيم شئون الإمبراطورية ، وإقامة المباني والمنشآت ، وتشديد المدارس ودور السیادات وتعمير المساجد لإقامة المراسم الدينية ، ووضع القواعد والقوانين لاستقرار الأمور وإسعاد الناس .

وفي أول المحرم عام ٧٠٠ عندما كان الفصل شتاء رأى غازان أن الوقت قد حان للقيام بحملته الثانية على الشام وقبل أن يبرح تبريز أرسل الأمير قتلغ شاه على رأس جيش تقدم به نحو الشام ، ثم وصل هو إلى حلب عن طريق الموصل فأخلى السكان المدينة ، وعم الذعر والفرع بلاد الشام . واتفق في ذلك الوقت أن هطل المطر بغزارة وكثر الوحل واشتدت البرودة فهلك كثير من جنود المغول ودوابهم ووجد غازان نفسه مجبراً على العودة إلى إيران في ٢٢ من جمادى الأولى من السنة نفسها (١) .

وقد زعم هورث أن رشيد الدين يرجع عودة الحملة إلى عدم رغبة غازان في إراقة دماء المسلمين (٢) . وليس هذا بصحيح فالذى ذكره رشيد هو أن الجيش المغولى وصل إلى حلب ثم إلى قنسرين . ولكن لما لم تكن هناك أخبار عن القتال لأن سلطان مصر قد أحجم عن الإقدام خوفاً وفعراً (٣) رآف غازان بالمسلمين ولم يتقدم إلى الأمام غازياً ، وأمر قائده قتلغ شاه بالتوقف في سرمين (٤) (تقع على مسيرة يوم من حلب) . ويتضح مما سبق أن ما ذكره رشيد الدين لا علاقة له مطلقاً بأسباب عودة غازان من سورية .

(١) الذهبى : دول الإسلام ، ج ٢ ص ١٥٩ ؛ المقرئى : السلوك ، ج ١ ق ٣ ص

٩٠٩ ؛ النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٣٢ .

(٢) Howorth: History of the Mongols, Vol. III. p. 456.

(٣) يذكر أبو الفداء ، ج ٤ ص ٤٧ أنه نظراً لسقوط المطر بغزارة وكثرة الوحل انقطعت الطرقات وتمذرت الأقوات وعجزت العساكر عن المقام على تلك الحال فرحل السلطان والعساكر وعادوا إلى الديار المصرية .

(٤) تاريخ مبارك غازانى ، ص ١٣٢ .

أما عن أسباب عودته من سورية فإن رشيد الدين يتفق مع أغلب المؤرخين الذين يرجعون عودته إلى كثرة نزول الأمطار واشتداد البرودة (١) .

وبعد بضعة شهور من عودة غازان في شهر ذى القعدة عام ٧٠٠ دبرت مؤامرة في البلاط ضد الوزيرين رشيد الدين وسعد الدين (٢) ، كان قوامها رجال يحتلون مناصب كبيرة ، ولكنهم كانوا من أولئك الطامعين الذين لا يقنعون بما وصلوا إليه ، بل يريدون أن يثبوا إلى ما هو أعلى دون جدارة أو استحقاق .

نظروا أمامهم فوجدوا أن الوزيرين سعد الدين ورشيد الدين بما يتمتعان به من ثقة كبيرة عند غازان يقفان عقبة كأداء تحول دون تحقيق أطماعهم فحاولوا أن ينحوا هاتين الشخصيتين الكبيرتين متخذين طريق الدس والتآمر وسيلة لبلوغ مأربهم . وكان السيد قطب الدين الشيرازي هو أحد هؤلاء المتآمرين ادعى بأنه شخص محاييد ووشى إلى السلطان وأوهمه بأنه يريد أن يكشف عن المؤامرات التي يدبرها الوزيران ضد الدولة ، واتهمهما بأنهما يسيئان استخدام سلطتهما ويستغلان نفوذهما في الاستيلاء على أموال الدولة لمصلحتهما الشخصية . ولكن غازان كان رجلاً ذكياً فطناً يفهم جيداً نفسية محدثه فأدرك على الفور أن الحسد والطمع كانا سبب هذا الادعاء . ولم يكتف بالإعراض عن تلك الوشاية بل عاقب المتآمرين الكاذبين وأمر بإعدام اثنين منهم ؛ لأن غازان خان على الرغم من أنه كان ملكاً رحيماً للغاية إلا أنه كان لا يتجاوز عن المسيء بل يأخذه بجرمه ويقتص منه قصاصاً رادعاً قبل أن يستفحل خطره . وكان يقول في هذا الصدد : « إن قتل بعوضة بغير ذنب أصعب على من قتل شخص مثير للدسائس والفتن لأن ترك مثل هذا الشخص حياً ، إنما يؤدي إلى حدوث خلل عظيم في شئون الدولة على وجه الخصوص » (٣) .

(١) نفس المصدر ونفس الصفحة .

(٢) أنظر Quatremère P. XI-XII.

(٣) «ميفرمود كه پشه بی گناه کشتن بر من دشوارتر از آدمی گناه کارست چه آدمی فتان را زنده گذاشتن مؤدی بخللهای عظیم باشد خاصه در امور مملکت و سلطنت» (تاریخ مبارک غازانی ، ص ١٣٥) .

لم تمنع الأحداث غازان خان من أن يبذل جهوداً جديدة في سبيل انتزاع سورية من المماليك ، فكان يتبادل الرسائل مع السلطان الناصر ولكنها لم تسفر عن شيء اللهم إلا تبادل التهم والتراشق بالألفاظ والتهديد والوعيد فصمم على أن يغزو الشام للمرة الثالثة وأمر قواده بالاستعداد لهذه الحملة . وفي شهر جمادى الثانية سنة ٧٠٢ قاد الجيش وعبر الفرات ونزل الحلة حيث زار مشهد الإمام الحسين في كربلاء ، وقدم هدايا ثمينة ، وتصدق على المجاورين والخدم وتعطف على العلماء والمشايخ .

وفي تلك الحملة أيضاً صحب معه وزيره رشيد الدين ليقوم بتحرير المنشورات والفرمانات باللغة العربية : « وكثرين بندگان مبيض اين سفر در باسم انشاء فرمانها عربى بر وفق اشارت مخدومى اعظمى در آن سفر در زمره ملازمان بود » (١) . وقد لقي رشيد الدين كل عطف ورعاية من السلطان الذى لم يكتف بإعطاء مؤرخنا جميع تكاليف الرحلة من الخزائن العامة بل منحه كذلك دابة من اصطبله الخاص ، ولم يدخر بعد ذلك وسعاً في أن يسبغ عليه كل عطف وتقدير في شتى المناسبات .

وفي شهر رجب من تلك السنة وصل غازان خان إلى مدينة « عانة » على شاطئ الفرات وكانت تمتاز بحسن موقعها ، وتزهو بمناظرها الطبيعية الجميلة وتزخر بمحاثها الغناء وعماراتها الكثيرة ، فوجد رشيد الدين الفرصة سانحة ليقدم إلى السلطان أحد تلاميذه وهو المؤرخ الفارسي عبد الله بن فضل الله الشيرازي ليعرض عليه الأجزاء الثلاثة الأولى من مؤلفه (٢) الذى كتبه في تاريخ المغول وعرف باسم « تاريخ وصاف » . وقد مثل الوصاف أمام غازان خان في ١٣ من رجب سنة ٧٠٢ وقدم له مؤلفه فلقى ترحيباً شديداً من السلطان ومن الوزيرين رشيد الدين وسعد الدين اللذين عبرا له عن تقديرهما واهتمامهما . ولما قرأ السلطان الكتاب سأل المؤلف عدة أسئلة تدور حول الموضوعات المختلفة التى تضمنها ثم شجعه وأثنى عليه ، وأمر له بمنحة كانت عبارة عن لباس موشى بالذهب (٣) .

(١) تاريخ مبارك غازاني ، ص ١٤٥ .

(٢) Browne: Lit. Hist. of Persia, III, p. 42.

(٣) انظر تاريخ وصاف ، ص ٤٠٥ - ٤٠٦ .

وبعد أن أمضى غازان خان عدة أيام في مدينة عانة انتقل إلى مدينة الرحبة على الساحل الأيمن لنهر الفرات بين عانة والرقّة ، وشرع يحاصر قلعة المدينة . وقد استعد قائد القلعة ورجاله للقتال ، فأمر غازان خان الأمراء والوزيرين رشيد الدين وسعد الدين أن ينصحوا المدافعين عن القلعة بالتسليم حقناً لدمائهم . وأخيراً اتفق الرأي على أن يكتب رشيد الدين منشوراً باللغة العربية يحث فيه الأهالي على التسليم ، فاغتنم رشيد الدين تلك الفرصة ليبرهن على فصاحته وبلاغته .

كتب رشيد الدين ذلك المنشور باللغة العربية على لسان السلطان أبان فيه للمحاصرين أن المغول أرسلوا رسلهم عدة مرات إلى المصريين مؤملين أن يسلكوا طريق الحكمة ، ولكنهم أعادوهم بردود غير ودية ، وقد اضطروا الآن إلى السير لاكتساح سورية ، ولكنهم لا يحددون على السوريين ، ويلتمسون من أهل الرحبة التسليم وعدم المقاومة وذلك حرصاً على مصلحتهم وحقناً لدمائهم وحتى لا يكون مصيرهم الهلاك إذا لجأوا إلى مقاومة لافائدة فيها (١) . ثم ختم ذلك الكتاب بخاتم السلطان وأرسل مع أحد الرسل الحربيين إلى الرحبة . ولقد كان لذلك المنشور تأثير كبير في نفوس المدافعين عن القلعة إذ سرعان ما أجابوا قائلين : « إنه لما كانت عبارة المنشور في قمة الفصاحة والبلاغة فإننا نطلب مهلة هذه الليلة حتى نستطيع أن نصل إلى غور المعاني التي تضمنها المنشور على أن نبلغكم الرأي النهائي في اليوم التالي » (٢) وقد أجيبوا إلى طلبهم . فلما أن كان اليوم التالي أرسلوا رسلهم يقدمون فروض الخضوع والطاعة . وتشرف أعيان الرحبة ووجوهها بمقابلة السلطان ، وطلبوا الأمان لسكان المدينة والقلعة فكتب لهم الأمان كذلك باللغة العربية .

ويذكر المؤرخون أن غازان خان عندما كان في الرحبة أرسل كتاباً إلى الأمير عز الدين أيبك الأفرم يرغبه في الدخول في طاعته (٣) .

(١) تاريخ مبارك غازاني ، ص ١٤٥ - ١٤٦ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٤٦ .

(٣) السلوك ، ج ١ ق ٣ ص ٩٣٠ ؛ النجوم الزاهرة ، ج ٨ ص ١٥٧ .

وقد وردت صورة هذا الكتاب في « زبدة الفكرة » (١) وهو مؤرخ في ٤ من شعبان سنة ٧٠٢ هـ . وفيه يحاول غازان خان أن يثبت أنه حين سار إلى سورية على رأس حملته الأولى لم يكن معتدياً ، وأن جنوده وإن كانوا قد ارتكبوا بعض المظالم فإن هذا كان بغير أمره ، ثم يقول إنه أرسل رسله إلى سلطان مصر ولكن هذا السلطان أخطأه التوفيق فلم يرسل أحداً من قبله مع الرسل عند عودتهم ، كما أنه لم يتبع طريق اللياقة في رده فكتب اسمه وألقابه بالذهب في أعلى الكتاب وكتب اسم الله تعالى واسم رسوله بالمداد وكتب اسمه (أى اسم غازان) بعد عدة سطور ، ثم يضيف أنه أرسل الرسل مرة ثانية بالخلع والهبات ولكن المصريين فكروا في الإغارة على ديار بكر ولم يرجعوا عن ذلك إلا بعد أن علموا بإعداد العدة لملاقاتهم كما أنهم أغاروا على خربتبرت وملطية وسيس وكتبوا إلى الأكراد والروم ونارين دواد ، ملك بلاد الكرج يحرضونهم على الثورة ضده . وأخيراً يطلب إلى أهل الشام أن ينضموا تحت لوائه ويعددهم ويمنيهم فيقول إنه لا يريد منهم أموالاً لأنه غنى بالمال والرجال لكنه يريد منهم أن يذكروا اسمه في الخطبة وينقشوه على السكة . ويضيف أن الشام فيما مضى كان تابعاً لبلاد الروم تارة وبلاد العراق تارة أخرى ولم يكن تابعاً لمصر ، ويطلب إليهم أن يعتبروا غزاة والرملة ثغورهم ، وأن يطلبوا منه المساعدة ضد المصريين بعد أن كانوا يطلبون المساعدة ضده ، ويحذروهم من الاعتماد على القلاع ويؤمنهم على أنفسهم وعلى أهلهم وأموالهم إذا هم أطاعوه . ثم غادر غازان الرحبة عائداً إلى إيران بعد أن ترك مهمة فتح سورية إلى قائده قتلغ شاه . وقد عبر الفرات في ١٣ من شعبان سنة ٧٠٢ وسار عن طريق الموصل متجهاً نحو سنجار ، ثم عبر بعد ذلك نهر دجلة وقصد مدينة « كشف » وتقع على مسيرة يومين من أربيل وأقام هناك ينتظر نتيجة الحملة . يذكر المؤرخ الأرمني هيتون « Hayton » أن غازان كان يريد السير بنفسه على رأس تلك الحملة ولكن تهديد حدوده الشرقية أدى إلى تسليمه قيادتها إلى قتلغ شاه (٢) ، بينما يرجع مؤرخ أرمني آخر هو « سباد » « Sempad » ترك

(١) انظر كتاب السلوك ، ج ١ ق ٣ ملحق رقم ١٥ ص ١٠٢٤ - ١٠٢٧ .

(٢) مغول إيران بين المسيحية والإسلام ، ص ١١٦ .

غازان خان قيادة الحملة الثالثة لقتلغ شاه إلى إرسال السلطان الناصر الهدايا إلى الضباط المقربين إلى غازان خان وإلى مستشاريه حتى أنهم خوفوه حر سورية كما خوفوه المتاعب التي ستلاقيه هناك (١) .

وفي يوم السبت ٢ من رمضان سنة ٧٠٢ هـ التقى جيش قتلغ شاه بجيش السلطان الناصر عند « مرج الصفر » جنوبي دمشق حيث دارت رحى الحرب بين الفريقين فدارت الدائرة على المغول في هذه الموقعة إذ هلك عدد كبير منهم وفر الباقون . وكانت الأرض متوحلة فتعذر السير فيها على الجنود وغاص أكثرهم بخيلهم وسلاحهم في الطين ، وأسر بعضهم . كما أن السلطان الناصر لم يدع لهم فرصة للهرب بل كلف الأفرم نائب دمشق بعساكره فتعقبهم حتى الرحبة وقتل الكثيرين منهم . وحتى الذين استطاعوا أن ينجوا بجلودهم بعد ذلك ، صادفهم نهر الفرات فلم يستطيعوا العبور فاختار بعضهم السير بمحاذاة النهر قاصدين بغداد ولكن هلك أكثرهم جوعاً . وأما من غامر وحاول عبور النهر فقد غرق . حتى إن بعض المؤرخين ليزكرون أن الذين نجوا من جيش قتلغ شاه كانوا لايزيدون على العشرة أشخاص (٢) . وهكذا استطاع المصريون والسوريون أن ينتقموا لأنفسهم بسبب ما لحقهم من هزيمة في موقعة مرج المروج التي انتصر فيها المغول سنة ٦٩٩ هـ ، وتغلبوا على أعنى وأخطر عدو واجهته مصر وسورية منذ الفتح الإسلامي (٣) .

ولقد كان لهذا النصر المبين رنة فرح وسرور في سورية وفي مصر وعاد السلطان الناصر إلى مصر فاستقبل استقبال الأبطال الفاتحين ، وأقبل الشعراء المصريون ينظمون القصائد في وصف تلك المعركة ويسجلون فيها الانتصار على المغول .

فن ذلك ما قاله أحد الشعراء من قصيدة يصف فيها هزيمة المغول ويمدح السلطان الناصر :

(١) نفس المصدر ، ص ١١٧ .

(٢) السلوك ، ج ١ ق ٣ ص ٩٣٧ ؛ النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٦٤ .

(٣) Philip K.Hitti: History of Syria p. 634 .

وكان نهار السبت بالنصر شاهدا
فلله در الترك كم سفكت دما
فولت ولاذت بالجبال تحصنا
وقال آخر من قصيدة طويلة :

إن البغاة بنى خاقان أقدمهم
على هلاكهم الطغيان والأشر
راموا وقد حشدوا غلباً فما غلبوا
وحاولوا النصر تضليلاً فما نصروا
ومنها :

ياوقعة المرج مرج الصفر افتخرت
بك الوقائع في الآفاق والعصر
رفعت بالنصر أعلام الهدى ولقد
جرت للشرك كسرا ليس ينجر (٢)
أما غازان خان فقد وصلت إليه أنباء تلك الهزيمة المنكرة فكان لها أسوأ
الأثر في نفسه؛ لأنه لم يذق طعم الانكسار من قبل . وبقدر ما كان السلطان
الناصر فرحاً مبتهجاً بما أحرزه من نصر وتوفيق بقدر ما كان غازان حزيناً
مكتئباً لما لحق جيشه من خزي وعار . يقول المقرئ : « وبلغ الخبر غازان
فاغم غماً عظيماً ، وخرج من منخرية دم كثير حتى أشفى على الموت
 واحتجب حتى عن الخواتين » (٣) .

ولقد دفعه الحزن إلى أن يتزل بقواده المقصرين أشد أنواع العقوبات
ولم ينج من سخطه كبار الأمراء من أمثال قتلغ شاه وچوپان . وكانت هذه
الموقعة إيذاناً بأفول نجم غازان ، وأبت الأقدار إلا أن تعجل بخاتمه ففي داخل
بلاده كثرت الدسائس والمؤامرات التي كان يدبرها أمراء المغول لخلعه عن
العرش وتولية الأفرنك بن كيخاتو، فكان من الطبيعي أن يكون لهذه الأحداث
تأثير كبير على السلطان المغولي فاعتلت صحته وأسلم الروح في ١١ من شوال
سنة ٧٠٣ هـ وهو لا يزال في ريعان الشباب إذ لم يكن قد جاوز الثالثة والثلاثين
من عمره . وكانت وفاته بالقرب من قزوین ، ثم نقلت جثته بمظاهر الاحترام

(١) تاريخ سلاطين الممالك ، نشر زرتستين ، ص ١٢٣ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٢١ - ١٢٣ .

(٣) السلوك ، ج ١ ص ٩٣٧ .

والإجلال إلى تبريز وأودع جثمانه في مقبرته « بشنب غازان » . ولم يحدث في دولة المغول أن كان لأحدهم قبر ظاهر قبل غازان خان (١) . وقد سجل الشاعر تاريخ وفاة غازان في البيتين الآتين :

بسال هفتصد وسه درده ویک از شوال نماز دیگر یکشنبه در حد قزوین
جهان عدل قزان پاد شاه دین پرور ازین جهان فنارفت سوی خلدبرین (٢)
ومعناه :

في عصر يوم الأحد ١١ من شوال سنة ٧٠٣ في قزوین ، ذهب غازان الملك العادل الراعی للدين من هذه الدنيا الفانية إلى دنیا الخلود .

وقد نظم صاحب تاريخ وصاف الأبيات الآتية في رثاء السلطان غازان :

خان عادل شاه غازان سايس قانون ملك
ظل حق خورشيد دولت خسرو ميمون خصال
آنكه رايش مرجهان راحصن بودی بی خلل

وآنكه سهمش مرعدورا مرگ بودی بی قتال
رفت ازین عالم وإن الدهر یفنی بعد حين
سوی آن گیتی وإن الدهر حال بعد حال (٣)

ومعناها :

الخان العادل السلطان غازان سائس قانون الملك ، ظل الحق شمس الدولة خسرو الميمون الخصال .

ذلك الذى كان رأيه للدنيا حصناً بغير خلل ، وذلك الذى كان سهمه للعدو موتاً بغير قتال .

ذهب من هذه الدنيا وإن الدهر يفنى بعد حين ، إلى الآخرة وإن الدهر حال بعد حال .

(١) تاريخ گريده ، ص ٥٩٥ ؛ شرف الدين اليزدى : مقدمة ظفر نامه ص ٨٦ مخطوط محفوظ بمكتبة الأستاذ سعيد نفيسى الخاصة بطهران .

(٢) الكرم الآقسرائى : مسامرة الأخبار ومسامرة الأخيار ، ص ٢٩٨ طبع أنقرة .

(٣) انظر تاريخ وصاف ، ص ٤٥٩ .

ولقد ظل رشيد الدين أثناء حكم غازان ، صاحب الحول والطول فكان يدير إمبراطورية غازان الواسعة بحزم وتدبير وسياسة وحنكة . وضع السلطان فيه ثقته فكان أهلاً لتلك الثقة . يقول ناصر الدين اليزدي : « لما آل الملك إلى غازان صار (أى رشيد الدين) يترقى يوماً فيوماً حتى أصبح مستشاره الذى يثق فيه ، وصاحب سره ونديمه » (١) .

وقصارى القول أن رشيد الدين كان الساعد الأيمن لغازان يشاركه فى الترفيه عن الرعية وإصلاح المسائل المالية وإنشاء الأبنية والآثار الخيرية . ثم إن رشيد الدين بما كتبه عن غازان ضمن مؤلفه : « جامع التواريخ » قد كتب الخلود لهذا السلطان . وأخيراً يجب ألا ننسى أنه بفضل تشجيع رشيد الدين للعلم ورعايته للأدب اجتمع فى بلاط غازان كثير من الأدباء والمؤرخين وهؤلاء جميعاً ساهموا بنصيبهم فى إذاعة شهرة هذا السلطان .

الفصل الثاني

وزارته لأولجايتو وما اقترن بها من أحداث

« من سنة ٧٠٣ إلى سنة ٧١٦ »

بعد أن توفي السلطان غازان خان تولى أخوه أولجايتو (١) عرش المغول في إيران فكان أول ما فعله عندما باشر سلطته أن كلف الوزيرين رشيد الدين وسعد الدين بأن يستمرا في تصريف شئون الدولة كما كان الحال في عهد أخيه غازان .

(١) ولد في يوم الثلاثاء ١٢ من ذى الحجة سنة ٦٨٠ « سنة ثمانين وستائه ولادته إلبايتو سلطان خدابنده محمد بن ارغون خان بن آباقا خان بن هولاكو خان بن تولى خان بن جنكيز خان در روز سه شنبه دوازدهم ذى الحجة » (مجمل فصيح خوافي ، صور شمسية دار المعهد الفرنسي بطهران) .

ويروى البناكتي في كتابه روضة أولى الألباب في تواريخ الأكابر والأنساب (مخطوط مكتبة مجلس النواب الإيراني بطهران ، ورقة ١٤٠ تحت رقم ٥٤٦٩ هـ) أن ولادة أولجايتو كانت بين مرو وسرخس في صحراء قاحلة . واتفق أن كان الناس في ضيق وعسر لعدم نزول الغيث فلما أن كان مولده بشيرا بنزول المطر الذي استمر مدة سبعة أيام ، تبدل خوف الناس أمنا . ولذلك سموا المولود « إلجاي توقا » تيمنا بذلك اليوم الأغمر . ولما كانت عادة المغول تغيير أسماء الذين يعزونهم ويحبونهم حتى يكونوا في مأمن من الحسد وإصابة العين أطلقوا عليه أولا اسم « تمودر » ثم عادوا فأسموه « خربنده » .

وقد بحثت عن معنى « إلجاي توقا » فوجدت أن « أولجاي » قد وردت بمعنى غنيمة ، وأن « توقا » جاءت بمعنى أمير أو بمعنى توالد وتكاثر (انظر حسين كاظم قدرى : بيوك ترك لغتي ، ج ١ ص ٤٢٧ ، ج ٢ ص ١٨٢ - ١٨٣) .

وأما كلمة « تمودر » فلم أعر عليها بالهجاه الذي ورد في المصادر الفارسية ، وإنما وجدت فقط كلمة طامو بالطاء بمعنى جهنم أصله تاموق (انظر قاموس تركي ، ج ٢ ص ٨٧١ ، استانبول ١٣١٧ هـ) . وعلى هذا يحتمل أن تأتي كلمة « تمودر » بمعنى جهنم وهذا يتفق مع عادة المغول الذين كانوا يختارون اسما قبيحا لأطفالهم الذين يتوسمون فيهم الصلحة والجمال وذلك دفعا لإصابة العين وحتى يكونوا في مأمن من الحسد .

ولما تزوج أولجاتيو من ابنة الأمير قتلغ شاه اختير رشيد الدين ليكون
وكيلا عن الأميرة في هذا الزواج (١) ، كما عهد السلطان إليه بتأديب ابنته
ولكنها ماتت في سن مبكرة (٢) .

وفي ربيع سنة ٧٠٤ شرع أولجاتيو في بناء مدينة السلطانية في المكان
الذي كان يسميه المغول « قنغور آلانگك » (٣) . وكان أبوه أرغون قد فكر
في بناء مدينة في ذلك الموقع ، ولكنه توفي دون أن يحقق هذه الرغبة (٤) .
فلما تولى أولجاتيو عرش المغول أخرج هذه الفكرة إلى حيز التنفيذ ، واستمر
يعمل في إقامة تلك المدينة حتى تم بناؤها عام ٧١٣ هـ (٥) وسماها « السلطانية »
وكانت تضم كثيراً من العمارات والمدارس والحمامات والأسواق : وكان
يسكنها جمع غفير من السكان من كل طبقة فصارت بذلك من أعظم البلاد
الإسلامية لا تتفوق عليها مدينة أخرى غير تبريز (٦) .

وضرب أولجاتيو حول المدينة سوراً مربع الشكل ، وشيد في وسطها
قلعة كبيرة تتناسب مع عظمة المدينة ، وفي داخلها بنى مقبرة لتكون المقر
الأبدى له بعد موته وكانت تعلوها قبة عظيمة تعد من أهم الأبنية وفن المعمار
في عهد المغول . وعلى مقربة من المقبرة شيدت مباني خيرية أخرى كانت
عبارة عن مسجد وخانقاه ودار للسيادة ومدرسة كبيرة على نمط المدرسة
المستنصرية ببغداد (٧) ووقف على تلك المؤسسات كثيراً من الأملاك النفيسة .
ولما كانت كل هذه الأعمال قد تمت بفضل توجيه الوزير العالم الخواجه

(١) Howorth: History of the Mongols, III, p. 537.

(٢) Quatremère, P. XIV.

(٣) في شمال غرب العراق العجمي على مسافة خمسة فراسخ من زنجان وتسعة فراسخ من
أهر .

(٤) انظر تاريخ وصاف ، ص ٤٧٧ ؛ حافظ آبرو : ذيل جامع التواريخ ص ٨ ؛
روضة الصفا ، ج ٥ ص ١٤٣ .

(٥) وردت قصة بناء السلطانية بتفصيل واف في كتاب عقد الجمان للعيني . صور شمسية ،
دار الكتب المصرية ، ج ٢٣ ورق ١١ - ١٤ رقم ١٥٨٤ تاريخ .

(٦) انظر حد الله القزويني ، نزهة القلوب ، ص ٥٥ .

(٧) انظر ذيل جامع التواريخ ، ص ٩ .

رشيد الدين اختاره أولجايتو ليكون نائباً عنه في الإشراف على تلك المؤسسات (١). يقول العيني : « ثم طلب خربندا رشيد الدولة وجعله حاكماً فيها (أى في السلطانية) وقلده أمور الناس وقال له : كل شئ تفعل في عنقك وأنا برئ من ذلك » (٢) .

ولقد اتخذ أولجايتو مدينة السلطانية عاصمة له ، وسارع الأمراء والوزراء كل يساهم بقدر طاقته في تجميل المدينة . وكان في مقدمة هؤلاء الوزير رشيد الدين إذ شيد محلة على نفقته الخاصة كانت تشتمل على ألف منزل ، وبنى بها مسجداً كان يعد غاية في الفخامة . وبالإضافة إلى هذا كانت تحوى المحلة مدرسة وداراً للشفاء وخانقاهما . ويذكر حافظ آبرو في العصر التيمورى أن بعض هذه المباني كان لا يزال قائماً إلى العهد الذى كان يعيش فيه (٣) .

انتهت سنة ٧٠٤ هـ وحلت سنة ٧٠٥ هـ فيها توطأ جماعة على خلع الوزيرين رشيد الدين وسعد الدين فطعنوا في نزاهتهما ، واتهموهما باختلاس الأموال وعدم الصدق في ضبط حسابات الدولة . فلما حقق الأمير قتلغ شاه هذا الموضوع بناء على أمر الإيلخان ثبتت براءة الوزيرين مما نسب إليهما ، وتبين سوء نية المتآمرين فأمر السلطان بمعاينة هؤلاء الأشرار الساعين بالفساد وأعز الوزيرين ورفع قدرهما (٤) .

وفي سنة ٧٠٦ هـ صمم أولجايتو على فتح إقليم جيلان ، وكانت جيلان حتى ذلك الوقت في مأمن من غارات المغول ، فأراد أولجايتو أن يكون له شرف هذا الفتح ، وأعد الجيوش اللازمة لتلك الحملة . وفي المكان المسمى « قنغر آلانگ » حيث كان يبنى مدينة السلطانية ترك رجال حاشيته وزوجاته ومن بينهن زوجته « ايلدوزمش » التى كان يؤثرها بحبه ، وتصادف أن كانت

(١) انظر محمد الآملى : تقايس الفنون في عرايس العيون ، ص ٢٣٧ .

(٢) عقد الجمان ، صور شمسية ، دار الكتب المصرية ، ج ٢٣ ، ورقة ١٣ رقم ٥٨٤ تاريخ .

(٣) انظر ذيل جامع التواريخ ، ص ١٠ .

(٤) انظر تاريخ وصاف ، ص ٤٨٠ - ٤٨١ .

مريضة في ذلك الوقت . فأمر أوجايتو رشيد الدين بأن يلازمها ويشرف على علاجها حتى تشفى ثم يلحق بالجيش في أسرع وقت . ولكن حدثت واقعة مخزنة كاد يروح ضحيتها الطفل طيفور بن أوجايتو إذ كان ينام في المعسكر وكانت بالقرب منه شمعة مشتعلة . وفجأة بينما كان يمر أحد الذين ينزلون في هذا المعسكر عثرت قدمه في الشمعة فسقطت على الخيمة واشتعلت فيها النار فاستيقظ أحد الحراس مصادفة ورأى النار وقد امتد لهيبها إلى مخدع الطفل . ولما لم يكن أمام هذا الحارس متسع من الوقت ليستنجد بأحد فقد اقتحم النار حتى وصل إلى مخدع الطفل فحمله إلى الخارج وتمكن بذلك من إنقاذه . وفي ذلك الوقت استيقظ أحد الحراس الآخرين فأسرع إلى مساعدة زميله ونجح الاثنان في إطفاء النار . وعلى أثر ذلك ذهب رشيد الدين والأمراء الآخرون وأطلعوا « ابلدومش » على حقيقة الأمر ففرحت فرحاً شديداً بنجاة طفلها ، وحمدت الله وأثنت عليه ، وأمرت بتوزيع الصدقات على الفقراء (١).

وفي شهر جمادى الثانية عام ٧٠٧ هـ برأ رشيد الدين اثنين من كبار علماء الشافعية مما نسب إليهما وهما شهاب الدين السهروردي وجمال الدين الأكولى وقد أنقذهما مؤرخنا من هلاك محقق ، إذ أن هذين العالمين كانا قد اتهما بالتجسس ضد الإمبراطورية المغولية لحساب سلطان مصر . ورغم أن هذه التهمة كانت تعد في نظر المغول من أكبر الجرائم التي تودى بصاحبها إلى الفناء ، فقد تمكن رشيد الدين من إقناع أوجايتو بسلامة موقف هذين العالمين فعفا عنهما . وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى ما وصل إليه نفوذ رشيد الدين في عهد هذا السلطان . يقول ناصر الدين المنشي اليزدى : « وفي حكم السلطان أوجايتو تضاعف جاهه وعظمته حتى صار له التقدم على الأمراء والوزراء » (٢) .

وفي الحقيقة كان رشيد الدين في حمايته لهذين العالمين وحرصه على تخليصهما من تلك الورطة ، وإبعاد الاتهام عنهما مدفوعاً بعاملين : أولهما

(١) انظر Quatremère, PP. XV-XVI.

(٢) درة الأخبار ولمعة الأنوار ، ص ١١٢ .

أنه كان يعتنق مذهب الشافعية، وكان يتعصب جداً لهذا المذهب، ولا يدخر وسعاً في حماية أئمتته والقوانين عليه؛ وذلك بحكم التجاوب الذي كان يربط بينه وبينهم. وثانيهما أنه أخذ على عاتقه دفع الظلم عن المظلومين، وتخليص كبار المسلمين من كيد أعدائهم، وكان يفتخر بهذا فيقول: «إنه أثناء المدة التي قضاهما في خدمة البلاط كان يحاول دائماً أن يحمي فضلاء الرجال، وأن يمنع الظلم ويدافع عن الضعفاء، وبخاصة عن أولئك الذين يقعون تحت ضغط أو إرهاب» (١) ورغم أن رشيد الدين كان كثيراً ما يضيق ذرعاً باتباع المذهب الحنفي لتبجحهم وتعصبهم الأعمى إلا أنه لم يكن يستطيع أن يظهر غضبه منذ أن اعتنق السلطان أوجلايتو الدين الإسلامي، واختار المذهب الحنفي. يقول صاحب مجالس المؤمنين: «وخواجه رشيد الدين مذهب شافعي داشت، وسخت مایل بودی بمذهب شافعیه ومجالست ومباحثت او با این طایفه بودی واز تعصبات حنفیه ملول بودی أما جهت خاطر پادشاه اظهار نکردی» (٢).

ومعناه:

«كان الخواجه رشيد الدين يتبع مذهب الشافعي، وكان يميل بشدة إلى هذا المذهب. وكانت جلساته ومباحثاته مع هذه الطائفة. ولكنه كان يميل ويضيق ذرعاً بتعصب الحنفية؛ غير أنه لم يكن يظهر ذلك مراعاة للخاطر السلطان».

تحول السلطان أوجلايتو إلى المذهب الشيعي وتأثير ذلك على رشيد الدين:

منذ أن اعتنق السلطان أوجلايتو المذهب الحنفي وهو يعمل على تقويته وإعزاز أئمتته ومناصرة مذهب أهل السنة والجماعة بوجه عام. يقول العيني: «كان أوجلايتو أول ما ولي السلطنة أظهر الإسلام واقتدى بالكتاب والسنة وكان يحب أهل الدين والصلاح، وضرب على الدراهم والدنانير أسماء الصحابة الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم» (٣). ولما رأى

(١) Quatremère, p. XIX.

(٢) القاضي نور الله الششتري: مجالس المؤمنين، ص ٤٠٢.

(٣) عقد الجمان، صور شمسية. دار الكتب المصرية، ج ٢٣ ورقة ١٠٣ رقم

١٥٨٤ تاريخ.

أتباع هذا المذهب تأييد السلطان لهم طغوا وبغوا وصاروا يتغالون بشكل مزعج أغضب الوزراء .

ورغم النفوذ الواسع الذى كان يتمتع به أتباع المذهب الحنفى ، فقد استطاع رشيد الدين أن يقدم إلى السلطان أحد النابهين من أئمة الشافعية ويدعى « نظام الدين عبد الملك المرغى » . كان رجلاً مطلعاً اطلاعاً واسعاً على فقه الشافعية وطالما ناظر علماء عصره وجادلهم وتفوق عليهم بقوة حجته ووضوح بيانه ، لهذا أحبه السلطان وأولجأه وولاه منصب قاضى القضاة فى جميع أنحاء إيران على أن ياتمر بأمره جميع أنصار المذاهب الأخرى .

فلما تولى نظام الدين هذا المنصب الكبير وجد أمامه فرصة ثمينة للترويج لمذهبه وترجيحه على المذاهب الأخرى ، وذلك عن طريق المناظرات والمحاورات حيث كان يجد المجال فسيحاً لإظهار علمه وسعة اطلاعه . وكان السلطان أولجأتو كثيراً ما يحضر هذه المناظرات التى كانت تقوم بين نظام الدين وبين أئمة مذهب الحنفية فكان قاضى القضاة يلزمهم الحجة وينتصر عليهم ويوقفهم موقف الحرج والعجز . وكان السلطان يستحسن جدل نظام الدين خصوصاً وأنه استطاع خلال هذه المناقشات أن يفهم حقيقة مذهب الإمام الشافعى .

ولكن أتباع الحنفية حنقوا جداً على نظام الدين ، وغاظهم أن رأوا السلطان يظهر عطفه عليه ورضاً لموقفه . وأخيراً اتخذ هذا الحنفى طابع الشكوى فى سنة ٧٠٧ هـ قبل قيام أولجأتو بحملته على جيلان أقبل عليه ابن الوزير المقتول صدرجهان ، وكان يعتنق مذهب الحنفية ، ورفع إليه شكوى أتباع هذا المذهب من نظام الدين لأنه يحتقر مذهبهم ، ويسفه رأيهم ، ويستهزئ بهم أمام السلطان ثم أظهر استعداداً لمناظرة نظام الدين ومناظرته .

وفى حضرة السلطان أقيمت تلك المناظرة ، فخرجت عن طابع الهدوء والاتزان ، ومقارعة الحجة بالحجة واتخذت طابع الهزل والسخرية والسباب والفحش والمهاترة . وانتصر كل فريق لحزبه وكان هم كل حزب الكشف عن أقبح المسائل الموجودة فى مذهب الآخر ، واتخاذها مادة للسخرية والتشنيع . وقصارى القول أنه فى سبيل الانتصار بأى ثمن ، حاول كل فريق إبراز عيوب

الآخر في صورة غير لائقة فيها توهين وإزراء بمذهب الإسلام الذي يدين به هؤلاء وهؤلاء . فكان هذا الجدل الصاحب داعياً إلى غضب السلطان والأمراء والوزراء فترك السلطان المجلس حانقاً بينما بقي أمراء المغول في حيرة صامتة . وأخيراً قطع الأمير قتلغ شاه هذا السكوت قائلاً : « ما الذي دهانا حتى تركنا دين آبائنا وأجدادنا وطرحنا قانون جنكيزخان لنعتقد دين المسلمين الذين ينقسمون عدة أقسام تكون سبباً في احتدام الخلاف بين علمائهم وقد يصل ذلك الخلاف إلى درجة لا يتورع معها كبارهم عن تناول كل فحش ومهاترة فخير لنا أن نعود مرة أخرى إلى دين أسلافنا وإحياء ياساق جنكيز » (١) . وسرعان ما ذاع ذلك الخبر وانتشر بين الأمراء والأميرات وقواد الجيش فزاد حقهم جميعاً على المسلمين ، واشتدت كراهيتهم لهم لدرجة أنهم صاروا يسخرون من أصحاب العمام .

وذات ليلة بينما كان أوبلخايتو يسمر مع الأمراء والقواد ، حدث برق ورعد ، وسقط مطر غزير أهلك بعض الأشخاص الذين كانوا يجلسون قريباً من السلطان ؛ فخاف أوبلخايتو وانزعج وفض المجلس ، ورحل إلى عاصمته السلطانية . وقد حاول بعض الأمراء أن يستغلوا تلك الحادثة لحمل أوبلخايتو على ترك الإسلام والارتداد إلى دين آبائه مرة أخرى ؛ فادعوا أنها من شؤم المسلمين وبلاياهم . وهكذا استمر المغول على هذا الوضع من القلق والحيرة نحو ثلاثة شهور ، كما كان السلطان كذلك متردداً مضطرباً ولكنه في ظل هذه الحيرة كان كثيراً ما يقول للمقربين إليه : « لقد بذلت جهوداً كبيرة في سبيل الدين الإسلامي وإقامة الطاعات والعبادات ، ولا أستطيع أن أترك هذا الدين هكذا دفعة واحدة » (٢) .

انتهز أتباع الشيعة تلك الفرصة فتقدم إلى أوبلخايتو الأمير طرمطاز بن بايجوبنجشى الذي تربى في بلاط غازان خان منذ الصغر ، وكان جريئاً لبقاً

(١) مجمع التواريخ ، مخطوط المكتبة الأهلية بطهران ورقة ٤٢٠ ؛ كتاب مجالس المؤمنين ، ص ٤٠٣ .

(٢) « در دين اسلام وادارات طاعات وعبادات كلفتي بسيار كشيديم ، ترك اسلام بكلي چون نتوان كرد » (مجمع التواريخ ، مخطوط المكتبة الأهلية بطهران ورقة ٤٢١) .

وداهية نشأ ودرج بين صفوف الشيعة في الرى فاعتنق هذا المذهب وصار يؤيده كل التأييد . تقدم هذا الأمير إلى أوبلخايتو وزين له مذهب الشيعة وزهده في المذاهب الأخرى مبيناً له زيفها ، وأخبره أن غازان خان الذى هو أعقل وأكمل من في العالم كان يميل إلى مذهب الشيعة بسبب قبح العقائد الأخرى . ثم أدخل طرمطاز في روع أوبلخايتو أن مذهب الشيعة هو الذى يرى أن يكون الحكم منحصراً في سلالة جنكيز خان فقط أما أهل السنة فيرون أن لكل شخص الحق في أن يتولى حكم المغول حتى ولو كان من قواد أو رعايا جنكيز (١) إلى غير ذلك من النزاهات والأباطيل التى لاتمت إلى الدين بصلة .

وقد انضم إلى الأمير طرمطاز بعض أئمة الشيعة كان على رأسهم السيد تاج الدين الآوجى وجمال الدين الحلى (٢) وصار الجميع يفندون للسلطان مذاهب أهل السنة، ويحرضونه على تركها واعتناق مذهب الشيعة ؛ فكان نظام الدين عبد الملك ينهض لمناظرتهم ومجادلتهم أمام السلطان، وكان دائماً يفهمهم وينتصر عليهم .

وفي سنة ٧٠٩ هـ توجه أوبلخايتو إلى العراق وزار مشهد الإمام على رضى الله عنه . وهناك رأى رؤيا كانت توحى إليه بأن يثبت على الإسلام ويعمل

(١) مجمع التواريخ ، مخطوط المكتبة الأهلية بطهران ورقة ٤٢٢ ؛ كتاب مجالس المؤمنين ، ص ٤٠٣ .

(٢) هو جمال الدين أبو منصور حسن بن يوسف المظهر الحلى (٦٤٨ - ٧٢٦) اشتهر بين طائفة الشيعة بلقب « علامة » . وكان يعد من أكبر العلماء المتكلمين والمؤلفين البارزين في هذه الطائفة . ولد في الحلة سنة ٦٤٨ وعرف منذ طفولته بالذكاء وقوة الذاكرة . تلقى العلوم الدينية على أشهر علماء عصره ، وسرعان ما صار حجة في فقه الشيعة . وفي عهد السلطان أوبلخايتو قدم إلى السلطانية وصار يعمل على الترويج للمذهب الشيعى ، وكان له فضل كبير في اجتذاب السلطان إلى هذا المذهب . ولا شك أن تجديد بناء المذهب الشيعى وتأييد أصوله وأحكامه قبل قيام العهد الصفوى ليعود إلى جهود هذا العالم وتلاميذه . وللعلامة الحلى مؤلفات كثيرة في الفقه والأصول والكلام والرجال والمنطق أشهرها : « منهاج الكرامة في باب الإمامة » ، و « نهج الحق وكشف الصدق » وهما في شرح عقائد الشيعة ألفهما للسلطان أوبلخايتو ، و « كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد » ، و « تذكرة الفقهاء في فقه الشيعة » و « جواهر الأحكام في معرفة الحلال والحرام » من الكتب الفقهية المدرسية و « جواهر النضيد في المنطق » و « خلاصة الأقوا في علم الرجال » وغير ذلك .

على تقويته . فلما عبر له الأمراء المتشيعون تلك الرؤيا اغتتموا الفرصة وحشوه على أن يقبل مذهب الشيعة فقبله السلطان وكان بذلك كما يقول خوندميز : « أول سلطان من سلاطين المغول سعد باتباع مذهب الشيعة الإمامية » (١) . واقتدى به أمراء المغول وعظماؤهم فتبعوا مذهب الشيعة ما عدا الأمير چوپان والأمير ايسن قتلغ فقد ثبتا على عقيدة أهل السنة ولم يستطع الأمراء وأئمة الشيعة التأثير عليهما واسمّاهما إلى مذهبهم .

وقد تحدث ابن بطوطة عن اعتناق السلطان أوجايتو مذهب الشيعة فقال : « كان ملك العراق السلطان محمد خدابنده قد صحبه في حال كفره فقيه من الروافض الأمامية يسمى جمال الدين بن مطهر ، فلما أسلم السلطان وأسلمت بإسلامه التتر ، زاد في تعظيم هذا الفقيه ، فزين له مذهب الروافض وفضله على غيره ، وشرح له حال الصحابة والخلافة وقرر لديه أن أبا بكر وعمر كانا وزيرين لرسول الله ، وأن علياً ابن عمه وصهره هو وارث الخلافة . ومثل له ذلك بما هو مألوف عنده من أن الملك الذي بيده إنما هو إرثه عن أجداده وأقاربه مع حدثان عهد السلطان بالكفر وعدم معرفته بقواعد الدين . فأمر السلطان بحمل الناس على الرفض ، وكتب بذلك إلى العراقيين وفارس وأذربيجان وإصفهان وكرمان وخراسان ، وبعث الرسل إلى البلاد » (٢) .

وعلى أثر اعتناق أوجايتو المذهب الشيعي أمر بإسقاط أسماء الصحابة الثلاثة من الخطبة ، وبأن تكتب أسماء الأئمة الاثني عشر على السكة وتذكر في الخطبة . يقول خوندميز : « درمحبت أهل بيت غلو بسيار نمود ، بنابر آن اسامی ائمه اثني عشر را در خطبه وسکه درج نمود » (٣) . كما أضيف إلى الأذان عبارة « حى على خير العمل » . وقد نفذت هذه التعليقات في جميع ممالك إيران ما عدا قزوین (٤) .

-
- (١) « واو أول پادشاهيست از جنکيز خانيان که بسعادت متابعت مذهب عليه إماميه رسیده » (حبيب السير ، م ١ ج ٣ ، ص ١٩١ ، طبع طهران ١٣٣٣ هـ . ش) .
- (٢) مهذب رحلة ابن بطوطة ، ج ١ ص ١٥٦ ، ١٥٧ طبع وزارة المعارف .
- (٣) خلاصة الأخبار ، مخطوط الأستاذ جعفر سلطان القراني بطهران .
- (٤) حافظ آبرو : مجمع التواريخ ، مخطوط المكتبة الأهلية بطهران ورقة ٤٢٢ .

ونحن إذا نظرنا إلى موقف رشيد الدين بعد أن اعتنق أوبلخايتو المذهب الشيعي نجد أنه قد تأثر ، فصارت سلطته الدينية محدودة ، وتعرض مركزه في الوزارة لخطر منافسة زميله سعد الدين . فحتى ذلك الحين كان نفوذ رشيد الدين قوياً لا يحد إذ ارتفعت منزلته في عهد هذا السلطان عما كانت عليه في عهد أخيه . وبهذا رفع قدره على أقرانه .

ولما كان رشيد الدين يدين بمذهب الشافعية ظن البعض أنه استطاع بنفوذه أن يجعل أوبلخايتو يعتنق هذا المذهب (١) . ويقول Grousset : « لقد أتيح لرشيد الدين في ذلك العهد أن يتمتع بنفوذ أقوى مما كان له أيام غازان بل استطاع كذلك أن ينجح في تحويل أوبلخايتو إلى المذهب الشافعي » (٢) .

أما إن رشيد الدين نجح في تحويل أوبلخايتو إلى المذهب الشافعي فهذا لم يحدث ؛ لأن أوبلخايتو اعتنق مذهب أبي حنيفة أولاً ، ثم تحول منه إلى المذهب الشيعي كما سبق أن بينا .

وأما زميله في الوزارة سعد الدين الساوجي فقد كان وزيراً اسماً فقط . ولكن بمجرد أن اعتنق أوبلخايتو مذهب الشيعة واختاره ليكون المذهب الرسمي للدولة ، تغيرت الأوضاع فصار الوزير سعد الدين مقرباً إلى محيط الشيعة وكان رجالها البارزون يعملون على نصرته ومؤازرته ، وعندئذ شعر بأنه أقوى من زميله رشيد الدين . ويبدو أنه أراد أن يستفيد من ذلك الوضع ويستغله في إقصاء منافسه ل يتمتع هو وحده بالسيطرة الحقيقية ، ولكن في سبيل الوصول إلى هذا الهدف دفع حياته ثمناً لتنطعه وسوء تصرفه .

التراع بين رشيد الدين وسعد الدين :

كان سعد الدين ورشيد الدين صديقين حميمين يعملان في الوزارة معاً منذ عهد غازان خان . وكانا على حد تعبير ناصر الدين المنشي اليزدي يعيشان في صفاء ومحبة ، متفقين الكلمة في الكليات والحزنيات لشئون الدين والدولة ، كما كانا نقطتين في خط واحد ، وكانا لا ينفصلان عن بعضهما مثل

(١) برتلز : دائرة المعارف الإسلامية ، ص ١١٢٤ .

(٢) Grousset: L'Empire des Steppes, p. 459.

الجسد والروح . واستمرت تلك الحال من التوافق والتآلف نحو ثلاث عشرة سنة (١) .

ولكن فى سنة ٧١١ هـ بدأ سعد الدين يفقد الثقة التى كان يتمتع بها فى بلاط أوبلخايتو . وتعجل هو نفسه سقوطه بمسلكه البعيد عن الحكمة والاتزان . وكانت أولى أخطائه أنه تورط وحاول أن يبعد من طريقه منافساً جديداً ظهر فى الميدان فجأة . وكان هذا المنافس ماهراً ماكرأً سرعان ما استطاع أن يتغلب على سعد الدين ويحتل منصبه ، وهو بعينه الشخص الذى تسبب فيما بعد بدسائسه ومؤامراته فى قتل مؤرخنا نفسه .

ذلك المنافس هو على شاه الجيلانى كان يشتغل أول أمره بائعاً للجواهر والأمتعة والأقمشة ، وعلى الرغم من أنه لم يكن مثقفاً إلا أنه كان رجلاً حسن البزة مرتباً ، غاية فى الخبث والدهاء . اكتسب خبرة وتجربة من ممارسته للتجارة فصار له إلمام كبير بشئون المال والأعمال . يقول الشبانكارى : « اگرچه امی بود ، اما مردی کافی بود وبادیانت ومعاملات دیوانی نیکو دانستی » (٢) .

وترجمته :

« ومع أنه كان أمياً ، فإنه كان رجلاً كفئاً ومتديناً ، وكان يعرف جيداً المعاملات الديوانية » .

وعن طريق التجارة استطاع على شاه أن يتصل بالأمرأء والأعيان وصار صديقاً لأحد القواد الخمسة الذين كان فى أيديهم زمام الأمور فى عهد أوبلخايتو ، وهو الأمير « حسين الكوركاني » الجدد الأعلى للجلاليتين . وبذلك استطاع أن يتصل بالسلطان أوبلخايتو ويصير متمتعاً بعطفه ورعايته . ويوماً بعد يوم كان يعمل على توطيد علاقاته بالسلطان بشئى الوسائل مستعملاً فى ذلك دهاءه وذكاءه . ولكنه لم يكن يدرك أن أوبلخايتو سوف يعهد إليه بالعظيم من الأمور .

(١) سبط العلى للحضرة العليا ، ص ٨٥ طبع طهران .

(٢) مجمع الأنساب ، مخطوط الأستاذ سعيد نفيسى ورقة ١٥٩ .

هذه الثقة التي نالها على شاه فجأة عند السلطان ، جعلت الوزير سعد الدين يتخوف من هذا الرجل ، وينظر إليه بعين الريبة والحذر ، ويعده منافساً دخيلاً عليه فلا غرو أن نراه يعمل على إقصائه من البلاط . فكانت الخطوة الأولى أن عينه مديراً للمصانع في بغداد فأطاع على شاه الأمر ، ووجد في هذا العمل الحديد فرصة سانحة لإظهار مقدرته وكفاءته . وقد نجح بالفعل في مهمته نجاحاً منقطع النظير فأدخل تحسينات وإصلاحات عديدة على المصانع التي يشرف عليها . ولما عزم السلطان على زيارة بغداد ، قدم له سفينة فاخرة كان قد أعدها أحسن إعداد وزينها بمختلف الزينات ، كما قدم له هدايا ثمينة مما جعل السلطان ينظر إليه نظرة إعجاب وإكبار ، ولم يكن في وسعه إلا أن يرفع قدره أكثر من ذي قبل .

بعد ذلك صار على شاه ملازماً للسلطان ، وكل ما يفعله كان يوافق هواه . وهناك في مدينة السلطانية شيدت عمارات جاءت آية في الروعة والفخامة ، وصارت بذلك أجمل وأحكم البنايات التي شيدت حتى ذلك الوقت ، وخاصة السوق التي كانت تعرف بسوق البزازين . ولما كان أول لحاقهم بهم أن يرى عاصمته تزدان بأفخر المؤسسات وأعظمها راقه جداً صنيع على شاه فزاد في إعزازه وإكرامه .

وبقدر ما كانت ترتفع منزلة على شاه لدى السلطان يوماً بعد يوم بقدر ما كانت تنخفض منزلة سعد الدين الذي صار يدب ديب الحسد والغيرة في نفسه فكان يحتقر على شاه ، ويظهر له عدم الاكتراث فلا يقف له مثلاً على سبيل التحية عند دخوله . وكان يبررموقفه فيقول على سبيل الاستخفاف : « إنه في منزلة ابني لا يجوز احترامه أو القيام له » (١) .

أما رشيد الدين فكان على العكس من زميله يعتنى بعلى شاه ويعامله [بكل احترام واعتبار ، وكان يستغل كل مناسبة ليلمقه ويظهر له الود ويشئ عليه . وكان يهدف بذلك إلى تحقيق هدفين :

(١) « أو راه فرزندی دارد از بهر او قیام و احترام نشاید آورد » . (مجمع التواريخ ،

مخطوط المكتبة الأهلية بطهران ورقة ٤٢٣) .

١ - أن يرضى السلطان ويحامله لأنه يعرف أن على شاه أصبح من حاشية السلطان المقرين جداً إليه . فكان السلطان بالفعل يحمّد لرشيد الدين هذا التصرف .

٢ - أن يكيّد بذلك للوزير سعد الدين الذى بدأ سلطانه يطغى منذ أن اعتنق أوبلايتو مذهب الشيعة فكان عليه أن يحد من ذلك الطغيان . ولاشك أن سلوك رشيد الدين هذا قد أغضب سعد الدين وأوجد الشقاق بين الوزيرين .

وبلغ من احترام السلطان نفسه لعلّى شاه وحبّه له ، أنه كان يقبل جميع الدعوات التى يوجهها إليه . وذات يوم أقام على شاه حفلاً كبيراً للسلطان فى أحد المصانع بمدينة السلطانية دعا إليه جميع الأمراء والعظماء والوزراء . وكان حفلاً بالغاً حد الروعة لم يقم مثله شخص قط لسلطان من السلاطين . وجرياً على العادة المتبعة وزع على شاه الهدايا الثمينة على السلطان والأمراء والوزراء ، وخص الوزير رشيد الدين بثلاثة أردية جيدة قدمها إليه قبل أن يسلم الوزير سعد الدين هديته . فاغتاز سعد الدين ، وخيل إليه أنه قد أهيّن فى هذا الحفل . وكانت الخمر قد لعبت برأسه فبدأ يوبخ على شاه لسوء تصرفه . ولم يقف عند هذا الحد بل تفوه بعبارات نابية قصد بها تجريح رشيد الدين إذ قال عنه : « إنه مضلل ومزور ويهودى وساحر وكيميائى » وغير ذلك من أنواع السباب والشتائم . وهكذا اتسعت هوة الشقاق بين الوزيرين وانقلبت الصداقة إلى عداة شديدة . وإليك ما قاله مؤرخ معاصر بخصوص تلك الواقعة : « میان خواجگان سعد الدین و رشید الدین گفت وگوی و وحشت و نفرت واقع گشت . و سعد الدین با او بحضور پادشاه مناقضت و عداوت ظاهر کرد و خطابه‌ای خشم انگیز از سر لحاج و ستیزاز زرق و زور و تزویر و تهود و سحر و کیمیا چنانک منافسات صداقت بعداوت ، و مودت بمنافضت و محبت بمنافضت انجامید » (١) .

وترجمته :

« وقع بين السيدين سعد الدين ورشيد الدين نزاع ووحشة ونفور :

(١) عبد الله الكاشاني : تاريخ اوبلايتو (انظر مقدمة تاريخ المغول لبلوشيه ص ٨) .

وقد أظهر سعد الدين لرشيد الدين — في حضرة السلطان — المعارضة والعداوة وتوجه إليه — مدفوعاً بدوافع العناد والشقاق — بكلمات الشتائم المثيرة من قبيل الرياء والتمويه والكذب والتدليس والتهود والسحر والشعوذة .

ولكن على الرغم من تهجم سعد الدين ، كان مؤرخنا راسخ الحلم قوى الاحتمال ، كامل العقل ، لم يشأ أن يجارى زميله في سبابه وشتائمه فالتزم الصمت ، ولكنه عرف جيداً من هو صديقه سعد الدين ، واكتفى بأن قال له : « حتى اليوم كان لك عبد مطيع بغير ثمن . أما الآن فقد حررتك والحمد لله » (١) . ولما كان سعد الدين واقفاً على أخلاق زميله ، لم يخالجه شك في أنه سوف لا يغفر له زلته . ومع هذا لم يأخذ حذره قط ، ولم يحتط للأمر بل كان يعجل بنهايته كما سئى بعد قليل .

خرج سعد الدين من الحفل ، وقد اكتسب عداء زميله وغضب السلطان الذى تألم جداً بسبب الإهانة البالغة التى لحقت بوزيره رشيد الدين فحقق على سعد الدين لأن تصرفه كان بعيداً عن الكياسة ، بينما سره موقف رشيد الدين لوزنته والتزامه الصمت فازداد عطفاً عليه وحباً له .

نهاية الوزير سعد الدين :

بعد هذا لم يحاول سعد الدين أن يصلح موقفه ، بل ارتكب سلسلة من الأخطاء نلخصها فيما يلى : —

١ — طالبه السلطان مرة بأن يجمع نقود ولاية معينة فكان يماطل فلما أخرجته ، اتهم الأمراء بأنهم هم الذين يبددون تلك الأموال ، ولو أنه ترك له التصرف فى تلك الولاية لاستطاع أن يجمع الأموال المطلوبة . فكان بإجابته هذه سبباً فى إغضاب السلطان والأمراء على السواء .

٢ — كان هناك أمير اسمه لقمان يحظى بعطف الملك ورضائه ، وكان يفضل على باقى الأمراء . وعلى الرغم من هذا كان الوزير يحتقره ولا يلتفت

(١) « ورشيد از سر حلم واحتمال وكمال هوشمندى وعاقبت اندیشی اغماض و اغضاء نمود وگفت : اى سعد الدين تا امروز تراننده* بی بها بود . اکنون الحمد لله ومنه اورا آزاد کردى (عبد الله الكاشانى : تاريخ اوبخايتو ، مقدمة تاريخ المغول لبلوشيه ص ٨) .

إليه . كما كان لا يفتأ يوشى به دائماً ويحط من قدره عند السلطان ، وهو لا يدري أنه بتصرفه هذا إنما يوغر صدر السلطان ضده .

٣ - لم يكن يلتفت لشكوى الفقراء والمظلومين ، وسيطر عليه كبرياؤه وغلطسته لدرجة أنه كان يتضايق من الرد على التحية . وكانت لا تقضى مصلحة لشخص إلا عن طريق الرشوة ؛ فعم الفساد وكسدت سوق أصحاب الأعمال .

٤ - عاد السلطان وطالبه بأن يدفع مبلغ ٥٠٠ تومان فعجز عن الدفع واحتج في هذه المرة أيضاً بأنه لا يستطيع جمع هذا المبلغ طالما أن جميع البلاد تحت تصرف الأمراء والخواتين والخواجه رشيد . وطالب السلطان بأن يكف أيدى هؤلاء ، ويترك له حرية التصرف في كل الشؤون .

٥ - قام نزاع بين أتباع سعد الدين فاتهم كل منهم الآخر بأنه يختلس من أموال الدولة ؛ فخشي سعد الدين أن تصل أنباء ذلك النزاع إلى مسامع السلطان فتسوء العاقبة . فكلف السيد تاج الدين الآوجي أحد علماء الشيعة ونقيب الأشراف ، بأن يصلح ذات بينهم ، ويجعلهم يقسمون على ألا يعودوا إلى التنازع ، وألا يخوضوا في هذا الحديث الذى يتعلق بأموال الدولة . ولكن على الرغم من ذلك ذهب اثنان منهم إلى رشيد الدين وأطلعه على ما حدث .

فكانت تلك الواقعة بمثابة ورقة رابحة استطاع رشيد الدين أن يستغلها ضد خصمه ، فذهب على الفور إلى السلطان وأطلعه على حقيقة الموقف . فكان أن غضب أوجايتو غضباً شديداً ، وتذكر كل مساوئ سعد الدين ، وصمم على الخلاص منه . فلما وصل إلى بغداد أصدر أمره بالقبض على الوزير سعد الدين وأتباعه ومحاكمتهم (١) . وبعد أن تمت محاكمتهم أمر السلطان بقتل سعد الدين وشركائه في العاشر من شوال سنة ٧١١ هـ في قرية «محول» على بعد فرسخ

(١) «خواجه رشيد در حال به بند گى پادشاه عرضه داشت كه جماعت اصحاب ديوان سوكندى چنين براخفاء مال پاذا شاه خورده اند . پاذا شاه عظيم متغير شد وعزيمت بغداد فرمود . چون ببغداد رسيد حكم كرد كه وزير را بگرفتند ، ونواب اورا در يارغو كشيدند » (مجمع التواريخ ، مخطوط المكتبة الأهلية بطهران ورقة ٤٢٤) .

من بغداد . يقول حمد الله القزويني في تاريخ هذه الواقعة (١) :

شبهه عشر أول از شوال گشته منصرف
رفته از تاريخ هجرى سال ذال وبا الف
در محول شد بفرمان خداوند جهان
بدر عمر خواجه سعد الدين محمد منخسف

وترجمته :

في يوم السبت وقد مضى العشر الأوائل من شوال ، ومرت سنة (الذال
والباء والألف) (٢) من التاريخ الهجرى .

قضى على حياة الخواجه سعد الدين محمد (انخسف بدر عمره) في
« محول » بأمر سيد العالم .

ولقد أعطى حافظ آبرو صورة صادقة لخلق سعد الدين حين قال :
« كان سعد الدين زاهداً تقياً متديناً ، محباً للفقراء ، راعياً للعلماء والفضلاء
والزهاد والعباد . أحسن تنظيم شئون الدولة مدة وزارته ، فاستحق بذلك ثناء
الخالق والخلق . ولكن حينما حان أجله أخطأه التوفيق . وإن أكثر الخلل الذى
طراً على تصرفه إنما يرجع إلى زوجته التى كانت فى غاية اللجاجة وسوء الخلق
وكانت مسيطرة عليه ، وقد تعرضت لأشد أنواع العذاب بعد نكبته » (٣) .

تولية على شاه منصب الوزارة :

لما قتل سعد الدين وشغل مكانه فى الوزارة ، أشار مؤرخنا على السلطان
بأن يعين على شاه شريكاً له فى الوزارة (٤) . وكان يظن أن على شاه هذا سوف
يكون وزيراً اسمياً فقط ، لا ينازعه السلطان ، ولا يحاول أن يعترض طريقه .
ولقد أجاد المؤرخ حمد الله القزويني وصف اختيار الوزير فى ذلك الوقت

(١) انظر تاريخ گزيده ، ص ٥٩٧ .

(٢) تعادل فى حساب الجمل سنة ٧١١ هـ .

(٣) مجمع التواريخ ، مخطوط المكتبة الأهلية بطهران ورقة ٤٢٤ .

(٤) تاريخ وصاف ، ص ٥٤٠ .

بوضوح تام حينما قال : « إنه طالب إلى على شاه ألا يجحد عن طاعة الخواجه رشيد الدين ، وأن يترك زمام الأمور في يده » (١)

ولقد استفاد رشيد الدين من تمتعه بالسلطة المطلقة فحاول مرة أخرى تنظيم شئون الدولة فسن قوانين جديدة ، واختار حاكماً أميناً لكل ولاية فكان من بين هؤلاء الحكام المؤرخ المشهور حمد الله المستوفى القزويني الذي كان والياً على قزوین وأبهر وزنجان وطارمين (٢) كما نصب ابنه جلال الدين حاكماً على إصفهان . ولقد استمر هذا الوضع ثلاث سنوات أى حتى سنة ٧١٥ هـ . وسوف نرى أن رشيد الدين منذ ذلك التاريخ كان واهماً في ظنه . فما كان على شاه إلا سياسياً مكارراً عرف كيف يصمد لرشيد الدين ويتغلب عليه . ويورده موارد الهلاك . ولاشك أن رشيد الدين قد ندم على تسرعه وقصر نظره ولكن بعد فوات الأوان ، فلم يكن يجدى الندم .

وبعد قتل سعد الدين بمدة قليلة دبرت مؤامرة أخرى ضد مؤرخنا . وكان المدبر لها رجلاً يهودى الأصل اسمه نجيب الدولة إذ طلب نجيب هذا إلى رجل يهودى آخر بعد أن مناه بشقي الوعود أن يكتب رسالة بالعبرية على لسان رشيد الدين ، وأن يرسلها إلى بائع جواهر كان يتمتع بنفوذ كبير لدى أحد الأمراء العظام . وفي هذه الرسالة يطلب رشيد الدين إلى هذا الرجل أن يقوم بقتل السلطان أوجايتو . وقد أكد نجيب الدولة لهذا اليهودى أنه سوف لا يصيبه ضرر أو أذى إذا ما اكتشف أمره . وكان طبيعياً أن تصل تلك الرسالة إلى يد هذا الأمير المسمى « لولو » وهذا بدوره أوصلها إلى السلطان . فلما وقف أوجايتو على مضمونها غضب غضباً شديداً ، واستدعى رشيد الدين لاستجوابه ، فدهش رشيد الدين ، وطلب إلى السلطان أن يعطيه مهلة ثلاثة أيام حتى يتمكن خلاها من أن يضع يده على المدبرين الحقيقيين للمؤامرة . وفي ذلك الوقت استدعى « قتلغوقا » - الذى كان يعمل دويداراً

(١) « وزارت بصاحب سعيد خواجه تاج الدين جيلان تبریزی دادند بشرط آنکه از تدبیر و رای مخدوم خواجه رشید الحق والدین تجاوز نکنند ، وزمام امور کلی و جزوی در کف کفایت او باشد » . (تاریخ گزیده ص ٥٩٨) .
(٢) نفس المصدر ونفس الصفحة .

لرشيد الدين — صديقه « الأمير محمد » دويدار الوزير سعد الدين واستفسر منه عن حقيقة تلك الرسالة . فأكد له الدويدار أن هذه الرسالة كتبها رجل يهودى سبق أن حرضه على ذلك الوزير سعد الدين ونجيب الدولة ، لاتهم رشيد الدين وإيقاعه فى الهلاك .

وفى اليوم الثالث ذهب رشيد الدين إلى السلطان ، وأطلععه على حقيقة المؤامرة . فأمر بإحضار المتآمرين الذين اعترفوا بجرمهم ، فاقنع السلطان بذلك وأمر بقتلهم وكان من بينهم « محمد زرگر » ابن أخى الوزير سعد الدين (١) .

ارتبطت تلك الحوادث الدامية بحادثة قتل نقيب الأشراف « تاج الدين أبى الفضل » وكان يمكن ألا نغير تلك الحادثة أية أهمية لولا ما صاحبها من اتهام خطير وجه ضد رشيد الدين إذ اعتبر أنه هو المحرض على قتل ذلك النقيب .

كان يوجد فى بغداد أحد أئمة الشيعة هو تاج الدين أبو الفضل محمد بن مجد الدين الحسين بن على بن زيد ، وكانت له منزلة كبيرة عند السلطان أولجايتو ، وكان أحد الأئمة الذين رغبوه فى اعتناق مذهب الشيعة (٢) . ولعلو منزلة هذا الرجل اختاره السلطان ليكون نقيباً على جميع الأشراف فى العراق والرى وخراسان وفارس وفى سائر الممالك المغولية .

ويزعم مؤلف كتاب « عمدة الطالب » (٣) أن رشيد الدين كان يكره هذا النقيب إلى حد كبير؛ ويرجع ذلك إلى أن قبر ذى الكفل النبى اليهودى كان يوجد فى قرية تبعد قليلاً عن شاطئ الفرات بين الحلة والكوفة . وكان اليهود يحترمون ذلك المكان ويزورونه ويترددون عليه ؛ ويحملون النذر إليه ، فنع السيد تاج الدين اليهود من دخول تلك القرية ، وأقام فيها مسجداً ، ونصب منبراً واتخذ مكاناً لإقامة الصلاة . فحقده رشيد الدين على السيد تاج الدين بسبب هذا التصرف ، خصوصاً وأنه كان يحسده على المكانة التى وصل إليها

(١) انظر عبد الله الكاشانى : تاريخ أولجايتو ، مقدمة تاريخ المغول لبلوشيه ص ٢٠ ،

Quatremère, pp. XXIII-XXIV. ؛ ٢١

(٢) حافظ آبرو : ذيل جامع التواريخ ، ص ٤٨ .

(٣) أحمد بن على بن الحسين : عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب ، ص ٣٠٧ - ٣٠٩

طبع بمبائى .

عند السلطان . كما يذكر هذا المؤرخ أن السيد شمس الدين الحسين بن السيد تاج الدين كان نقيباً في العراق ، وكان شديد القسوة كثير الظلم فأغضب السادات هناك ، فاستغل رشيد الدين ذلك الموقف واستمال جماعة من السادات الآخرين ، أثاروا مفاسد تاج الدين وأولاده عند السلطان ، وألبوه عليهم .

ولما كثرت الشكاوى التي كانت ترد على السلطان ضد تاج الدين استشار وزيره رشيد الدين فأشار بأن يقوم أئمة الشيعة الآخرون بمحاكمة تاج الدين وأولاده حتى يكون حكمهم نزيهاً بعيداً عن كل تأثير ، فلا يثير شكاً أو طعناً . ولكن رشيد الدين نقض رأيه سريعاً فاستدعى « الظاهر جلال الدين ابن الفقيه » وكان سفاكاً جريئاً على الدماء ، وكلفه بقتل تاج الدين وولديه شمس الدين الحسين وشرف الدين علي ، ومناه بأن يكون له حكم العراق نقابة وقضاء وصدارة إذا نجح في مهمته . ولكن الرجل لم يجرؤ على ارتكاب تلك الجريمة وقال : « إني لا أقتل علوياً قط » ثم هرب في تلك الليلة إلى الحلة . ومع هذا لم يقلع رشيد الدين عن تصميمه إذ كلف سيده الآخر هو جلال الدين إبراهيم بأن يرتكب هذه الجريمة وأطمعه في نقابة العراق . ولما كان هذا الرجل مقرباً إلى رشيد الدين ، لأنه كان يحتضنه بعد وفاة أبيه ، فقد وافق على أن يقوم بتلك المهمة ، وأخذ تاج الدين وولديه بالقرب من شاطئ نهر دجلة وقتلهم بمعاونة أتباعه . فبدأوا بقتل الولدين ثم الوالد بناء على أمر رشيد الدين . وكان وقوع تلك الحادثة في شهر ذي القعدة عام ٧١١ هـ .

وعلى أثر مقتل تاج الدين انتقم منه عامة بغداد وأتباع الحنابلة أبشع انتقام إذ مزقوا جثته إرباً إرباً ، وأكلوا لحمه ، وبتفوا شعره ، وبيعت الطاقة من شعر لحيته بدينار ، فغضب السلطان لذلك غضباً شديداً ، واشتأز من تلك الفعلة النكراء ، وأسف لقتل السيد تاج الدين وولديه على هذا النحو المفجع . ولكن رشيد الدين أوهمه بأن جميع السادات بالعراق كانوا قد اتفقوا على قتله ، فأمر السلطان بصلب قاضي الحنابلة بسبب سلوكه المشين على أثر قتل تاج الدين . ولكن الكثيرين من عظماء الدولة تدخلوا في الموضوع ، وحالوا دون تنفيذ هذا القرار بأن التمسوا إلى السلطان أن يعفوا عنه ، فقبل أولحائيتو شفاعتهم ، ولكنه أصر على أن يركب هذا القاضي حماراً أعشى بحيث يكون

في وضع معكوس ثم يطاف به في أسواق بغداد وشوارعها . وتقدم بالألا يكون من الحنابلة قاض منذ ذلك الوقت (١) .

هذه هي القصة كما رواها مؤلف كتاب « عمدة الطالب » وروايتها على هذا النحو قد تخدع القارئ الذي يجهل حقيقة السيد تاج الدين ، فيقشعر بدنه لما حدث لهذا السيد الشريف الذي هو أحد أفراد أسرة الرسول الأكرم ، ولا يسعه إلا أن يستنكر تلك البربرية البالغة في قسوتها التي اتبعت في التمثيل بجثته على أثر قتله ، وإلا أن يصب اللعنات على رشيد الدين لأنه كان المحرض الأول على قتل هذا الرجل ، وإلا أن يرضى عن الطريقة التي قتل بها رشيد الدين نفسه في عهد السلطان أبي سعيد ، ويعتبر ذلك انتقاماً من الله جزاء وفاقاً على ما اقترفه من إثم في حق تاج الدين . ولكن هذا القارئ إذا وقف على حقيقة تاج الدين ، فلا شك أنه سوف يغير رأيه الأول ، ويقتنع بأن قتله كان ضرورة اجتماعية . وإذا عرف أن الحكم عليه بالإعدام قد صدر وفقاً للمبادئ القانونية السليمة البعيدة عن تأثير رشيد الدين أو غير رشيد الدين ، تأكد أن مؤرخنا كان بريئاً من دم هذا الرجل براءة الذئب من دم ابن يعقوب .

فها هو صاحب تاريخ الوصاف (٢) يسرد لنا وقائع هذه الحادثة وهو كما نعلم كان معاصراً لرشيد الدين ، وكان يلتحق بخدمة المغول في الوقت الذي قتل فيه تاج الدين فهو من هذه الوجهة يعتبر شاهداً هاماً جداً فضلاً عن أنه ثقة يعول على كلامه .

يذكر هذا المؤرخ أنه في يوم الاثنين غرة ذى الحجة عام ٧١١ هـ وفي حضرة قاضي القضاة ، وعدد كبير من الأئمة والشيوخ ، شكل كبار الأمراء والوزراء هيئة لمحاكمة السيد تاج الدين على ما ارتكبه من شرور وآثام .

(١) يذكر حافظ آبرو أن تاج الدين الآوجي قتل على الشط في أول ذى الحجة . وقد قطع جثته حنابلة بغداد إرباً إرباً وأجروا الخيول عليها . فلما علم السلطان بما فعله الحنابلة اشتد غضبه وأمر بأن يصلب قاضي الحنابلة ، ثم عفا عنه لما شفع له الخواجه رشيد الدين ، ولكنه أمر بتجريد عن ثيابه وطيف به في بغداد ، وقضى بالألا يكون للحنابلة قاض انتقاماً منهم . وكان عليهم أن يتبعوا الإمام الشافعي في إجراء الأحكام (مجمع التواريخ ، مخطوط المكتبة الأهلية بطهران ورقة ٤٢٤) .

(٢) انظر تاريخ وصاف ، ص ٥٣٨ .

وكان هذا الاتهام كافياً لإبطال نسبه وحرمانه من كافة المزايا التي كان يتمتع بها بسبب هذا النسب الرفيع . والتهم الموجهة إليه هي :

١ - استولى على مبلغ ٣٠٠,٠٠٠ دينار من أموال السادات والطوائف الأخرى وذلك عن طريق السلب والنهب .

٢ - دأب على إيقاع زوجات رجال الشيعة في حبائله .

٣ - ارتكب حوادث قتل كثيرة .

فلما اعترف تاج الدين بجرائمه سلمه السلطان إلى السادات في مشهد على ومعه ولداه ، وطلب إليهم أن يوقعوا عليه العقوبة التي يستحقها ، فعدوا ذلك فاتحة خير وسعادة وأخذوه إلى شاطئ نهر دجلة ، وانهالوا عليه ضرباً حتى أسلم الروح وكذلك فعلوا بولديه الآخرين . ويروى المؤلف أن الازدحام كان شديداً لمشاهدة تنفيذ الحكم لدرجة أن اثنين أو ثلاثة جرحوا . وكان النظارة من المسلمين واليهود والمسيحيين يصيحون مهلين مكبرين ، واعتبروا أن قتل مثل هذا الرجل كان ضرورياً لبقاء الأمة وبقاء الدين .

ولم تكن هذه الرواية قاصرة على تاريخ الوصاف فحسب بل أكدتها المصادر الفارسية المتأخرة (١) .

ولكن قد يظن أن رشيد الدين قد أثر بسعة نفوذه وعلو مكانته في أعضاء اللجنة التي عهد إليها بمحاكمة تاج الدين ، حتى جعلها تتجه هذا الاتجاه الذي قضى بإدانته وذلك بدافع الانتقام إذ كان تاج الدين يعمل مع أعداء رشيد الدين وفي مقدمتهم الوزير سعد الدين ؛ لينال من وراء ذلك الثروة والجاه بل جاء كذلك على لسان نجيب الدولة اليهودي أن تاج الدين كان من بين المتآمرين للقضاء على رشيد (٢) .

ولكن هذا الظن ينتفي تماماً إذا عرفنا أن أعضاء هذه اللجنة كلهم من علية القوم وكبار رجال الدين ، ومن بينهم أئمة الشيعة أنفسهم فيستبعد أن

(١) ميرخواند : روضة الصفا ، ج ٥ ص ١٤٧ ؛ خوندмир : حبيب السير ، م ٣

ج ١ ص ١١٠ .

(٢) حافظ آبرو : مجمع التواريخ ، مخطوط المكتبة الأهلية بطهران ورقة ٤٢٤ .

يكونوا أداة طيعة لانتقام شخصي فيحكموا بالموت على رجل كبير كان يحتل منصباً دينياً خطيراً ، فوق ما كان يتمتع به من ثقة السلطان نفسه . ثم إن إجراءات المحاكمة كانت سليمة من الناحية القانونية .

وإذن فقتل تاج الدين لم يكن نتيجة لمؤامرة سرية دبرها الوزير رشيد الدين كما ذكر مؤلف « كتاب عمدة الطالب » وإنما كان نتيجة طبيعية لجرائمه العديدة . وكل ما في الأمر أن الشيعة قد تأثروا جداً عندما رأوا إمامهم يؤخذ بجرائمه المخلة بالشرف فيقتل على هذا النحو وهو إمامهم الأكبر الذي يجب أن يكون قدوة حسنة ومثلاً أعلى للخلق والورع والتقوى فحاولوا تبرير تلك الحادثة ، وألصقوا هذا الاتهام بمؤرخنا على النحو الذي سمعناه لأنه كان خصماً قوياً لتاج الدين . ففعلوا ذلك نتيجة للحسد والغيرة . وقد رأوا أن نجى روايتهم محبوكة الأطراف فأوهموها الناس بأن رشيد الدين إنما أقدم على فعلته متأثراً بعصبية اليهودية معتقدين أن أصل رشيد الدين اليهودي سوف يجعل الناس يميلون إلى تصديق ما ذكروه ولكن رواية الوصاف وغيره من المؤرخين وما لوحظ على رواية عمدة الطالب من مآخذ سجلها تسجيلاً دقيقاً المستشرق الفرنسي كاترمير Quatremère (١) . كل ذلك جعلنا نفقد الثقة في رواية عمدة الطالب ، ولا نعتمد عليها في استنتاج الحقائق الخاصة بهذا الموضوع .

وفي يوم الخميس ٢٤ من المحرم سنة ٧١٢ هـ أشاد عبد الله بن فضل الله الشيرازي مؤلف تاريخ الوصاف للمرة الثانية — يذكر رشيد الدين وبين ما أسداه إليه من من ؛ إذ قدم هذا الوزير إلى السلطان أوجايتو كتاب عبد الله بعد أن أتم تأليفه ، وأثنى عليه كثيراً فطلب السلطان إلى المؤلف أن يقرأ فصلاً من تاريخه ، وتصادف أن كان المجلس مهيباً وقوراً إلى أقصى حد في حضرة السلطان والوزيرين والأمراء العظام والأشخاص البارزين في البلاط . ولقد كان المؤلف مسروراً بما أسبغه عليه السلطان ومعاونوه من عبارات التشجيع والثناء (٢) .

(١) Quatremère, pp. XXVI-XXVIII.

(٢) تاريخ وصاف ص ٥٤٤ .

حملة أوجليانو على سورية وموقف رشيد الدين يوم الرحبة :

سار أوجليانو على سياسة أسلافه في الوقوف موقف العداء من المماليك أعداء أوروبا المسيحية ، ووجه سفارة إلى ممالك الغرب المسيحي مكونة من توماس الدوتشي Thomas Ildoutchi وكتب بهذه المناسبة رسائل إلى البابا كليمنت الخامس ، وإلى إدوارد الثاني ملك إنجلترا ، وإلى فيليب لوبل ملك فرنسا وقد وصلت إلينا هذه الرسائل ويوجد في متحف الوثائق الوطني «Archives Nationales» بباريس رسالته إلى فيليب لوبل بتاريخ مايو ١٣٠٥ وفيها يبدى أوجليانو رغبته في أن يكون على علاقات طيبة برؤساء المسيحيين (١) .

وحدث في أول عام ٧١٢ هـ أن شق قراسنقر حاكم دمشق عصا الطاعة على السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، وأخذ يؤلب عليه نواب الشام فانضم إليه جمال الدين الأفرم صاحب حلب وبعض الجنود الذين اصطنعهم بالأموال والهدايا ، وسار الجميع إلى إيران فاستقبلهم السلطان أوجليانو في عاصمته السلطانية أحسن استقبال ، وأنعم عليهم ومنحهم منحة ثمانية وأعطى قراسنقر ولاية مراغة (٢) وهؤلاء اللاجئون هم الذين حثوا السلطان أوجليانو على الإغارة على بلاد الشام لينتقم لهم من السلطان الناصر ، ويقضى على مظالمه ومساوئه كما يزعمون .

وجد أوجليانو الفرصة سانحة للاستيلاء على سورية ، فأعد جيشه إعداداً حسناً واصطحب معه أشهر الأمراء والقواد . وفي ١٤ من شعبان سنة ٧١٢ هـ وصل إلى الموصل ، ومنها تحرك إلى شاطئ الفرات . ثم شرع في حصار قلعة الرحبة وكان ذلك في ٦ من رمضان من تلك السنة . وكان يشترك مع السلطان في تلك الحملة قراسنقر وجمال الدين الأفرم . وقد تعهد الأخير للسلطان بأن يقنع صديقه بدر الدين قائد تلك القلعة بعدم المقاومة والتسليم . ولكن

(١) انظر مور : تاريخ دولة المماليك في مصر ، ترجمة محمود عابدين وسليم حسن

ص ٨١ ؛ تاريخ جهانگشای ج ١ ، المقدمة ص ١٥ .

(٢) انظر تاريخ وصاف ، ص ٥٥٣ .

بدر الدين رفض ذلك فشن أولجايتو هجوماً عنيفاً على القلعة وقذفها بالحجارة وأصلها ناراً حامية ، فأبلى المدافعون عن القلعة بلاء حسناً ، وصمدوا صموداً عجيباً أمام هجمات المغول الذين كانوا يتفوقون عليهم في العدد والعدة .

ولما اشتد الحصار وحمل وطيس القتال لم يجد قاضي الرحبة مفرأً من أن يلجأ إلى السلطان يستعطفه لعله يستجيب إلى نداء الإنسانية فيأمر بوقف القتال . وكان مؤرخنا هو رسول الرحمة في ذلك الوقت إذ استطاع بنفوذه وتأثيره أن يستدر عطف السلطان على المحاصرين في القلعة فأصدر أمره بفك الحصار عنها في يوم ٢٤ من رمضان ، وعاد إلى إيران (١) ولم يحاول مرة أخرى معاودة الكرة على الشام .

على أن بعض المؤرخين يذكرون أن رشيد الدين هو الذي تقدم من تلقاء نفسه وأشار على السلطان بالعفو عن أهل القلعة ، كما أشار على المحاصرين بالخضوع للسلطان والنزول على طاعته ، فنزل قاضي الرحبة وجماعة آخرون وأهدوا إليه خمسة أفراس وعشرة أباليج سكر ، ثم حلفهم على الطاعة له ورحل عنهم (٢) .

وكان من الطبيعي ألا ينسى المؤرخون الإسلاميون هذا الموقف المشرف لرشيد الدين يوم الرحبة ، فأشادوا بذكوره ، وأثنوا عليه ثناء عاطراً . يقول قاضي الرحبة : « رأيت منه شفقة على أهل الرحبة وسعياً في حقن دماهم يعني أيام حصارها ، وإنما كان يتبع أعداءه صالحين كانوا أو فسقة » (٣) .

وقال عماد الدين بن كثير : « كانت له يد جيدة يوم الرحبة ، فإنه صانع عن المسلمين وأتقن القضية في رجوع ملك التتار عن البلاد الشامية سنة اثنتي عشرة » (٤) .

وفي عام ٧١٣ هـ بعد أن عاد أولجايتو من الشام عين ابنه أبا سعيد الذي

(١) تاريخ وصاف ، ص ٥٥٦ - ٥٥٧ ؛ روضة الصفا ، ج ٥ ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(٢) الذهبى : دول الإسلام ، ج ٢ ص ١٦٩ ؛ تاريخ ابن الوردي ، ج ٢ ص ٢٦١ .

(٣) ابن الوردي : تنمة المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ص ٢٦٨ .

(٤) البداية والنهاية في التاريخ ، ج ١٤ ص ٨٧ .

كان في التاسعة من عمره - والياً على إقليم خراسان ، ووقع اختياره على الأمير سونج Savinz ليكون رائداً له ، وضم إليه الخواجه عبد اللطيف أحد أبناء رشيد الدين ليكون وزيراً له . كما أرسل معه بعض الأمراء الآخرين (١) .
بدء النزاع بين الوزيرين رشيد الدين وعلي شاه :

إذا كان رشيد الدين قد تعمد أن يكون الوزير الذي يشترك معه في العمل رجلاً جاهلاً مثل علي شاه حتى يستطيع أن يتمتع بالسلطة المطلقة دون منازع فإنه كان واهماً ومخدوعاً ذلك لأن علي شاه هذا قد استطاع اعتماداً على مكره وحيلته وثرائه وصلته بالأمرأء - أن يصير وزيراً لا بالاسم فقط بل بالفعل كذلك . ولم يقف أمره عند هذا الحد ، بل استطاع أن يكف يد رشيد الدين عن التدخل في شئون الدولة .

وتفصيل ذلك أنه في سنة ٧١٥ هـ أرسل الأمير أبو سعيد من خراسان رسائل متتابعة يطلب مبالغ من المال لدفع مرتبات الجند . فلما أمر السلطان الوزيرين بتدبير المال اللازم ، كان هذا الطلب سبباً مباشراً في إظهار ما بينهما من شقاق وخلاف ، إذ جرى بينهما حوار عنيف سجله لنا عبد الله الكاشاني في كتابه تاريخ أولجایتو (٢) ونحن نلخصه فيما يأتي : -

رشيد الدين : أنا لم أبأشر المسائل المالية . وإذا كنت قد وقعت على أية ورقة رنمية تتعلق بالشئون المالية في جميع ممالك السلطان ، أوفعل ذلك أتباعي فإنني أكون مسؤولاً عن تدبير المال المطلوب (٣) .

علي شاه : إنني لا أملك سوى هذه السترة من الكرباس (٤) ، وهذا الخداء

(١) حافظ آبرو : ذيل جامع التواريخ ، ص ٦٨ .

(٢) انظر نفس المصدر ، ص ٦٥ ، ٦٦ حاشية ١ نقلاً عن تاريخ أولجایتو لعبد الله

الكاشاني .

(٣) يؤيد هذا القول ما جاء في كتاب مجمع الأنساب من أن الشئون المالية كانت في عهدة علي شاه ، على حين أن رشيد الدين كان يشرف على شئون الدولة الأخرى . « هرچه کار معاملات بودی بوی مغرض بود ، و هرچه کار مشورت و تدبیر ملک بود ، رأی صاحب مغفور شهید خواجه رشید الدین بود » (مجمع الأنساب ، مخطوط الأستاذ جعفر سلطان القرانی بطهران) .

(٤) الكرباس : ثوب من القطن الأبيض ، وقيل الثوب الخشن ، معرب كـرباس

بالفارسية (سعيد الخوري الشورتوفی : أقرب الموارد ، ص ١٠٧٤ ، طبع بيروت ١٨٨٩ .

المستعار ، ولا أستطيع أن أعطى دائقاً واحداً . ومع هذا فإننا نشترك معاً في تصريف شئون الدولة ، ونتحمل المسؤولية معا فيما يتعلق بالموارد والمنافع والفوائد والدخل . ولا أدري لماذا لا تشاركني عندما تثار مسألة المال ؟ ...

رشيد الدين : أنت الوزير الحقيقي ، ومحط الثقة ، وتملك الخاتم الكبير وتقوم بتنفيذ أوامر السلطان ، وتحصل أموال الإمبراطورية . ولكنك تعودت عندما تتأزم الأمور أن تدعى الفقر والمسكنة مع أن أتباعك كانوا في الأيام السابقة لا يملكون شروى نقير فأصبح كل منهم اليوم ثرياً ثراء فاحشاً . وإذا كانت مرتبات الجند قد زادت على ما حصلته من أموال ، وقصر الدخل عن الخرج ، فما ذنبي أنا في هذا ؟ .

فن هذه المناقشة يتبين أن رشيد الدين لم يعد يتمتع بالنفوذ الكامل الذى كان له في عهد غازان خان وأوائل عهد أولجايتو . لقد ذكر لنا خوندمير أن رشيد الدين عاش حتى آخر حياة غازان خان عزيز الجانب ، سعيد الحال فلما جلس السلطان أولجايتو على العرش حظى بعناية أكثر . وارتفعت منزلته عما كانت عليه في عهد أخيه ، ورفع قدره على أقرانه (١) . ولكن في أواخر عهد هذا السلطان تغيرت الأوضاع فصار على شاه زميل رشيد الدين في الوزارة مقرباً جداً إلى السلطان ، وكان يفصل في مهام الأمور دون الرجوع إلى رشيد الدين . فلا غرو أن استولى الحزن على نفس مؤرخنا واستبد به الغضب ، لأنه ما كان يتصور وهو الذى خدم دولة المغول مدة طويلة وأبلى بلاء حسناً في خدمتها ، وإليه يرجع الفضل في ازدهارها ورقيةا ما كان يتصور أن شاباً جاهلاً حديث العهد بالسياسة مثل على شاه يسد عليه الطريق ويكون له السبق في تصريف شئون الإمبراطورية .

لم يكن رشيد الدين بالشخص الذى يرضى عن هذا الوضع فرفع شكواه إلى السلطان قائلاً : [إذا كان لي السبق على « على شاه » في منصب الوزارة

فإنه يجب عليه أن يتبعني . أما إذا رأى أن يستقل بمهمة ما ، فإن عليه أن يترك لي التصرف في المهام الأخرى . والآن إذا كان على شاه يختار أحد الحلول الثلاثة الآتية ، فإنني مستعد للاتفاق معه :

١ - أن يقوم بتصريف شئون الديوان ، أما أنا فأبأشر المسائل المالية وإحصاء الأموال في السنوات السابقة .

٢ - أن يدع لي جميع المهام التي تخص الوزراء ، فأقوم أنا بإنجازها .

٣ - أن تقسم البلاد بيننا إلى قسمين ، يقتصر كل منا على إدارة قسمه ويكون مسئولاً عنه ، ويظهر كفاءته حسب طاقته تحت إشراف السلطان (١) .

فلما سمع السلطان ذلك أجاب : « إن الخواجه رشيد والخواجه علي شاه كلاهما موظف كفء ، فرشيد رجل مسن عالم ، وعلي شاه شاب مجتهد بلا نظير وصلاح المملكة في أن يبرم الاثنان متفقين مهام الأمور » (٢) .

ولما لم يرض رشيد الدين بهذا الحل ، وضع السلطان حداً لهذا النزاع فأمر بأن تقسم البلاد التي تكون الإمبراطورية إلى قسمين :

القسم الأول : ويشمل العراق العجمي وفارس وكرمان وشبانكاره والور حتى حدود خراسان ويشرف عليه رشيد الدين .

القسم الثاني : ويشمل العراق العربي وديار بكر وديار ربيع وتبريز وموغان وأران ويشرف عليه علي شاه .

ورغم هذا فقد حاول علي شاه أن يشرك معه رشيد الدين في تسيير دفة الأمور ، وأن يوقعاً معاً على القوانين الصادرة من السلطان ؛ لأنه رأى من المصلحة أن يتم ذلك . ولكن رشيد الدين رفض هذا العرض بإباء وقال له : « كيف أستطيع أن أشترك معك في حين أنك تدعى الفقر والإفلاس عندما

(١) نفس المصدر ، ص ١١٤ .

(٢) « اوجلايتو سلطان در جواب فرمود كه خواجه رشيد وخواجه عليشاه دو خدمت كار شايسته اند . رشيد مردی پیر ودانشمند است ، وعليشاه جوانی كاردان بی مانند . صلاح ملكت در آنست كه هر دو باتفاق يكديگر مهمات را فيصل دهند (خوندميز حبيب السير ، م ٣ ج ١ ص ١١٤) .

يطلب منك شيء ، بينما أرغم أنا على السداد ؟ » (١) . فلما سمع السلطان أولجايتو ما دار بين الوزيرين من نقاش أسرع فعين « علاء الدين محمد » نائباً لرشيد الدين كما عين « عز الدين قوهدي » نائباً على شاه وذلك لتصريف شئون الدولة تحت رقابة الوزيرين .

واتفق أن أصيب رشيد الدين بمرض النقرس في شتاء هذا العام واضطر إلى الاعتكاف في منزله مدة أربعة أشهر ، وانقطع عن الذهاب إلى الديوان ، كما أنه لم يستطع التردد على البلاط طوال تلك المدة فأتيحت بذلك على شاه فرصة نادرة ينفث فيها سموه ، ويحكم وشاياته وسعاياته ضد مؤرخنا .

في ذلك الوقت كانت رسل أبي سعيد تفد من خراسان دون انقطاع لطلب المال فأمر أولجايتو وزيره على شاه بأن يدبر المال اللازم على الفور ولكنه اعتذر بأنه لا يوجد درهم واحد . فلما سأله السلطان عن مصير الأموال التي تحصل من الدخل أجاب بأنها عند رشيد الدين . فأمر السلطان بإجراء تحقيق عاجل ، وعهد إلى الأمير چوپان ليقوم بتلك المهمة . فكون الأمير لجنة كانت تضم نائبي الوزيرين ، وشرعوا في التحقيق مع عمال على شاه ، فسألوهم عن مقدار دخل الإمبراطورية الذي تسلموه منذ ثلاث سنوات . وقد أسفر التحقيق عن إدانة هؤلاء الأتباع بمبلغ ٣٠٠ تومان أى ما يعادل ٣٠٠٠٠٠ ر٣ دينار من الذهب استولوا عليها من أموال الدولة (٢) .

أثار هذا الحكم هلع رجال على شاه وجزعهم ، فأسرعوا إليه وقالوا له : « إذا لم تتدارك هذا الخلل وتوجد الوسيلة لإلغاء هذا الحكم ، فان الأمر يكون قد خرج من أيدينا ، ولم يعد يجدى العلاج بعد ذلك » . فما كان من على شاه إلا أن هرول في تلك الليلة إلى السلطان وبكى أمامه ، وتضرع إليه في ذلة ومسكنة وأخبره أن الأموال التي حكم بها على رجاله قد تسلمها السلطان

(١) خواجه رشيد گفت : « باتو شرکت چون توانم کرد که هرگاه از تو چیزی طلب دارند ، سر بافلاس بر آری و مرا ادا باید کرد » . (حافظ آبرو : مجمع التواريخ ، مخطوط المكتبة الأهلية بطهران ورقة ٢٩) .

(٢) انظر عبد الله الكاشاني : تاريخ أولجايتو (مقدمة تاريخ المغول لبلوشيه ص ٣٤) ؛ مجمع التواريخ ، مخطوط المكتبة الأهلية بطهران ورقة ٢٩ ؛ Quatremère p. XXXIV .

منهم ، والتمس إلى السلطان أن يتدخل لإلغاء هذا الحكم . فطيب السلطان خاطره ، وأمر بإيقاف هذا الحكم . وفي الصباح حينما أراد الأمير « ايرنجين » أحد المشرفين على التحقيق مطالبة أتباع على شاه برد المبالغ التي اختلسوها قال له السلطان : « إن على شاه رجل مسكين لا يعرف الحساب ولا الكتاب ، وقد سلمنى جميع هذه الأموال ولكنه نسى ، وتذكر الآن فقط ، فيجب أن يقف الأمر عند هذا الحد » . تعجب ايرنجين لما سمعه من السلطان وأطلع الأمير چوپان على كل ما حدث وقال له فى حيرة وتألم : « وا أسفاه ؟ فى عهد هولاکو خان وآباخان عندما كان يريد شخص أن يتحدث إلى السلطان ، لم يكن ليستطيع ذلك حتى يستشير أولاً جميع الأمراء ويستأذنه . وأما الآن فقد وصل الأمر إلى حد أن رجلاً مسلماً يستطيع أن يخلى بالسلطان فى منتصف الليل دون استشارة أمير من الأمراء ويتحدث إليه ، بينما يهمل رأى الأمراء ؟ » (١) .

فصعق چوپان عندما سمع ما قاله ايرنجين . ولكن على شاه عرف كيف يسكنه ، ويجعله يقف على الحياد فى هذه المسألة ، وذلك عن طريق الهدايا والرشا التي كان يرسلها إلى هذا الأمير . وهكذا مرت العاصفة بسلام . واعتبرت المحاكمة نسباً منسياً ، وتجاوز على شاه كل خطر كان يهدده من وراء هذا الموضوع .

ومع هذا لم يكف على شاه عن اتهام رشيد الدين ، وتشويه سمعته عند السلطان فصار يوحى إليه قائلًا إن رشيد الدين يدغى المرض ، ويبدل كل ما فى وسعه للعمل على تنحيته والقضاء على كما سبق أن فعل مع الوزير سعد الدين ، فلو أذن لى السلطان لاستطعت أن أقف على الأموال الكثيرة التي استولى عليها هو وأبناؤه عدة سنوات . فلما سمح له السلطان بذلك اتهم جلال الدين الابن الأكبر لرشيد بأنه استولى على مبلغ كبير من الأموال المخصصة لإحدى الأميرات . ولكن عندما راح يحقق هذا الموضوع لم يجد ما يدين جلال الدين ، ولم يستطع أن ينسب إليه أى تقصير . فكان فى ذلك نصر لرشيد

(١) انظر عبد الله الكاشانى : تاريخ أولجايتو نقلا عن مقدمة تاريخ المغول لبلوشيه ،

الدين وخذلان لعل شاه وأتباعه . ولكنه كان جسوراً صفيقاً لم يراجع عن الدس والكيد لمؤرخنا إذ أدخل في روع السلطان أن رشيد الدين يستولى على ريع عوائد الأوقاف وأموال الخزانة ، ومخصصات الأمراء .

وهكذا دأب على شاه على تدبير الاتهامات ضد مؤرخنا حتى تركت أثرها السيء في نفس أولجياتو ، وجعلته يتغير على رشيد الدين ، بينما كان ينظر إلى على شاه نظرة إعزاز واحترام ، وصار يعتمد عليه اعتماداً كلياً في تصريف شئون الدولة فارتفعت أسهمه ، وعلا شأنه ، وصار بيده الحل والعقد . وأما رشيد الدين فقد كان على حد تعبير حمد الله المستوفى القزويني : « يتولى شئون الحكم ولكنه كان لا يتدخل في أعمال الوزارة ، ولا يتصرف في الشئون المالية ، ولا يملك الخاتم الكبير » (١) .

ولقد كان رشيد الدين يعلم بكل ما يدبر له في الخفاء ، ولكنه لم ير علاجاً لهذه الحالة سوى توطيد علاقته بالأمير « توقاق » فكان يستميله بالهدايا الثمينة . ولم يكن هذا الأمير على وفاق مع على شاه إذ كان يعتبره دخيلاً اغتصب منصب الوزارة وسد الطريق على نائبه وكان يطمع في أن يوليه هذا المنصب على أثر مقتل الوزير سعد الدين . ولقد استطاع هذا الأمير بنفوذه أن يحد من غلواء على شاه ، وأن يجعل السلطان يثق على رشيد الدين ، فيصدر أمره إلى الوزيرين بأن يتصافحا ويعودا أصدقاء . فأطاع الاثنان الأمر أو على الأقل تظاهرا بالتزول على رغبة السلطان (٢) .

وفاة السلطان أولجياتو :

كان أولجياتو مثل أغلب الإيلخانيين يميل إلى اللهو والشراب إلى حد كبير . يقول الشبانكارى : « وميل أو بلهو وطرب بود . لابد در عهد أوكار لهو باقصى الغايت رسيد » (٣) .

(١) « مخدوم سعيد تدبير ملك فرمودى أما درنشان وزارت وتصرف أموال مدخل نساخى وآلى نداشت (تاريخ گزيده ، ص ٥٩٩) .

(٢) حافظ آبرو : مخطوط المكتبة الأهلية بطهران ، ورقة ٤٢٨ ؛

Quatremère, p. XXXV.

(٣) مجمع الأنساب ، مخطوط الأستاذ سعيد نفيسى ، ورقة ١٦٠ .

وترجمته :

« وكان ميله إلى اللهو والطرب . ولا بد أن أسباب اللهو قد وصلت إلى أقصى غايتها » .

وهناك حكايات غريبة يرويها العيني (١) إن دلت على شيء فإنما تدل على مدى تفنن السلطان أوجلايتو في الملذات وانغماسه في الشهوات .

ومن الطبيعي أن يكون لكل هذا تأثير سيء على صحته ؛ ففي شهر رمضان عام ٧١٦ هـ حينما كان يصطاد في مدينة السلطانية أحس بتعب شديد في مفاصله ، فاعتلت على أثر ذلك صحته . وذات يوم ذهب إلى الحمام ثم أفرط في تناول الأغذية الدسمة فاشتد المرض عليه ، وتوفي في ليلة ٢٩ من رمضان من تلك السنة (٢) في سن السادسة والثلاثين ، ودفن في القبة التي بناها في مدينة السلطانية .

وقد ذكر فصيح خوافي في مجمله الرباعية الآتية في تاريخ وفاة السلطان أوجلايتو :

در هفتصند وشانزده بحکم یزدان
اندر شب جمعه بود سلخ رمضان
کز تخت فرود آمد وشاهی بگذاشت
خربنده که بود برممالك سلطان (٣)

وترجمتها :

بحکم الله فی سنة ٧١٦ ، وكان ذلك فی ليلة الجمعة آخر رمضان
نزل من فوق العرش ، ومات الملك « خربنده » الذي كان سلطاناً على
الممالك ويقال إن أوجلايتو عندما كان على فراش الموت أصدر قرارين أحدهما

(١) عقد الجمان ، صور شمسية : دار الكتب المصرية ، ج ٢٣ ورقة ١٠٤ - ١٠٥ رقم ١٥٨٤ تاريخ .

(٢) تاريخ وصاف ، ص ٦١٧ .

(٣) مجمل فصيح خوافي ، صور شمسية : دار المعهد الفرنسي بطهران .

يقضى بإعادة ذكر أسماء الخلفاء الراشدين في الخطبة والسكة (١) . وكان معنى ذلك أنه ترك مذهب الشيعة ورجع إلى مذهب أهل السنة . ولعل سبب ذلك هو أن علماء المسلمين زينوا للسلطان أن مذهب الشيعة مقارن لقول الروافض والخوارج ، وأنه يخالف إجماع المسلمين في العالم الذين يرون أن الحسين بن علي وأولاده كانوا على حق ولكن الإمامة تحولت عنهم (٢) . أما ابن بطوطة فيروى عن هذا الحادث قصة غريبة هي أقرب إلى الخرافة منها إلى الحقيقة (٣) .

وأما القرار الآخر فهو يقضى بإعادة نصف أموال الوزير المقتول سعد الدين الساوجي إلى أولاده (٤) .

(١) تاريخ وصاف ، ص ٦١٦ .

(٢) مجمع الأنساب ، مخطوط الأستاذ سعيد نفيسي ، ورقة ١٦٠ .

(٣) مهذب رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٥٧ - ١٥٨ طبع وزارة المعارف المصرية .

(٤) تاريخ وصاف ، ص ٦١٧ .

الفصل الثالث

وزارته لأبي سعيد حتى مقتله

من سنة ٧١٧ إلى سنة ٧١٨ هـ

بعد أن توفي السلطان أوبلخايتو تولى ابنه أبو سعيد في أوائل عام ٧١٧ هـ وكان وقتئذ يبلغ الثانية عشرة من عمره ، فأقر چوپان في منصب أمير الأمراء كما كان في عهد أبيه أوبلخايتو . وأما الأمير سونج فقد فضل أن يبقى رائداً للسلطان حتى يظل قريباً منه ، يمدّه بمشورته وخدماته ، فتزل أبو سعيد على رغبته وأمر بأن يبقى في هذا المنصب .

وعند عودة أبي سعيد إلى السلطانية ليتولى عرش المغول ، استدعى رشيد الدين ابنه غياث الدين محمد لمقابله والتشاور معه . ولما كان يعلم أن علاقته بالأمير سونج لم تكن على ما يرام في ذلك الوقت ، وأن الأمير ربما يضمّر له في نفسه شيئاً ، حاول أن يتقرب إلى الأمير چوپان منافس سونج الأول .

وكذلك كان على شاه وكبار الأمراء والقواد ينضمون إلى الأمير چوپان لأنه الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يحميهم ، وأن يجنبهم غضب الأمير سونج ، ويحد من سلطته الواسعة المطلقة التي كان يتمتع بها نظراً للمنزلة الكبيرة التي كان يحتلها في بلاط السلطان (١) .

ولقد أفاد الانضمام إلى معسكر چوپان ، فبنفوذ هذا الأمير كان أول أمر أصدره السلطان أبو سعيد هو أن يستمر رشيد الدين وعلى شاه في منصب الوزارة يصرفان شئون الدولة . ولكن في هذه المرة عهد إلى على شاه بالإشراف على مهام جسام لا تنحصر فقط في الشئون المالية بل تتعدها إلى الإشراف

على المباني العامة والقصور السلطانية والاصطبلات والترسانات وكان معنى هذا الخط أدبياً من شأن رشيد الدين (١) .

ويبدو أن مؤرخنا عندما رأى الأمور تجري على هذا المنوال صار زاهداً في تولي هذا المنصب . وإذا كان يطمع في شيء ، فهو أن يكون بمنأى عن الدسائس والمؤامرات ، وأن يقضى البقية الباقية من عمره في هدوء واطمئنان لاسيما وأنه يعلم أن رجلاً مثله قد جاوز السبعين لا يستطيع أن يناضل ويحافظ على قوته وكيانه بنفس النشاط الذي كان يبذله فيما سبق . وحتى أولاده الذين كانوا يحتلون مناصب هامة في البلاط ، وفي الأنحاء المختلفة من الإمبراطورية كانوا يظهرهم خلقاً هو أكثر مسالة وهدوءاً من والدهم ، ولم يفكروا قط في الوقوف ضد على شاه عدو أبيهم اللدود .

ومنذ اللحظة الأولى التي تولى فيها رشيد الدين الوزارة لأبي سعيد نلاحظ أنه يتخذ كل الاحتياطات التي يراها كفيلة بإقصائه عن الأمراء والدسائس التي يحكيها له أعداؤه . ولكن رغم هذا ذهبت كل جهوده في هذا السبيل أدراج الرياح كما سوف نرى .

في ذلك الوقت عين السلطان أبو سعيد « تيمورتاش بن چوپان » حاكماً على بلاد الروم . وقد وقع اختياره على جلال الدين بن رشيد الدين ليعاونه في القيام بالأعمال الإدارية والمالية (٢) .

عودة الوزيرين إلى الخلاف والنزاع :

لم يكن من الممكن أن يعيش الوزيران رشيد الدين وعلى شاه في صفاء ووثام فسرعان ما دب الخلاف بينهما من جديد لأن على شاه رأى خصمه رشيد الدين على علاقة طيبة بالأمير چوپان ، وأنه يسعى جاهداً لتوطيد دعائم هذه الصداقة . وليس هذا فحسب بل إن رشيد الدين استطاع كذلك أن يضم إلى جانبه تماماً الأمير سونج [وهذا الوضع] لاشك يقلق على شاه ويفزع له لأنه يعلم تمام العلم أن چوپان وسونج قطبان كبيران يمثلان أعظم شخصيتين

(١) Howorth: History of the Mongols, III, p. 587.

(٢) انظر ذيل جامع التواريخ ، ص ٧٣ .

في الدولة بعد أبي سعيد . وبالإضافة إلى هذا اتخذ السلطان نفسه الحواجه عبد اللطيف بن رشيد الدين نديما له ، وكان يعاونه من قبل حينما كان يتولى إمارة خراسان في عهد أبيه أوجلايتو ، فكان موضع ثقة السلطان ومحط رعايته وعطفه ، وصار من المقربين إليه . وكان لرشيد الدين ابن آخر يدعى عز الدين إبراهيم يمتاز بجمال الحلقة وكمال الخلق فاتخذ السلطان ساقياً له .

ولما كان على شاه مطلعاً على هذه الحقائق خشي على نفسه من هذه العصبية ، وتأكد أنه إذا أغفل عينه عن خصمه ؛ فسوف يكون موقفه محفوفاً بالخطر لهذا راح يتلمس المثالب لرشيد الدين ، ووضع نصب عينيه أن يعمل على تكدير صفو العلاقات بينه وبين الأمير چوپان ، كما كان يحاول أن يجد ثغرة ينفذ منها إلى خصمه للتشنيع عليه ، ولينسب إليه الإهمال والتقصير وليظهره بمظهر الخاني المتهم فيفقد بذلك سمعته ومنصبه ، بل إنه كان يفكر جدياً في القضاء على خصمه نهائياً إذا لزم الأمر ليخلو له الجو ، فيتمتع وحده بالسلطة المطلقة . ولكنه على كل حال لم يستطع أن يحقق شيئاً من أهدافه ول الأمر .

وهكذا كانت الهوة التي تفصل بين الوزيرين تزداد بعداً واتساعاً يوماً بعد يوم ، كما كانت العداوة تتأصل وتنتشر أكثر من ذي قبل . وكان لابد أن يتأثر عمال الديوان من مرءوسى الوزيرين بذلك الوضع الشاذ . وفي الحقيقة كان الأمر شاقاً عسيراً عليهم . إذا انضموا إلى هذا الطرف فإنهم يتعرضون لسخط الآخر . فبقوا متحيرين مترددين : إلى أى الفريقين ينضمون ؟ حتى جاء وقت نفذ فيه صبرهم فستموا تلك الحالة ، وملوا ذلك النزاع الذي طال أكثر مما ينبغي . يقول حافظ آبرو : « وميان هر دو وزير مكاوحت ونزاعى تمام بود وأصحاب ديوان پيش هر کدام تردد ميكردند ، دگرى ميرنجيد ، ومجموع مردم ازين معنى در زحمت بودند » (١) .

وترجمته :

« وكان بين الوزيرين مهاترة ونزاع شديدان ، وصار أصحاب الديوان

يترددون على كل منهما ، فيتضايق الآخر ، فشق هذا الوضع على عامة الناس .» .

وأخيراً قر قرارهم على أن يضعوا حدا لهذا النزاع القائم بين الوزيرين ففى ذات يوم ذهب أربعة من هؤلاء الموظفين هم : ضياء الملك وعز الدين قوهدى وعلاء الدين هندو وعلاء الدين محمد إلى رشيد الدين وطلبوا إليه أن يأذن لهم فى مقاومة على شاه وإقامة الحججة عليه والكشف عن خيائنه وغدره فما كان من رشيد الدين إلا أن أظهر ضعفا واستسلاما مندفعاً بطبيعته ، ونبل خلقه فأجابهم بعد تفكير عميق : « إن على شاه رجل عظيم ، لا يجب أن يمس بسوء ، وسوف أشير عليه بأن يسترضيكم » .

فلو كان رشيد الدين من رجال السياسة الذين يرون أن السياسة مكر ودهاء وخداع لقبل هذا العرض على الفور ليتخلص من خصم عنيد ، ولكنه كان رجلاً مثالياً ذا مبادئ وأخلاق ، رأى أن يبقى على خصمه رغم عداوته الشديد له . وربما يفسر البعض موقف رشيد الدين هنا بأنه خور وضعف لأنه يعرف أن خصمه ليس من الصنف الذى يصح معه أن يعامل تلك المعاملة ويرون أن إجابته التى فقدت عنصر الكياسة واللباقة ، قد نفرت هؤلاء الأصدقاء منه ، فانقلبوا أعداء يعملون ضده ، لأنهم عندما وقفوا على رأيه انصرفوا من حضرته ، وتشاوروا فى الأمر وخلصوا إلى أن رشيد الدين رجل غير عملى سوف لا يوافق على عمل شئ مما اتفقوا عليه بل ويخشى أن يذهب إلى على شاه ويطلعه على نواياهم فيحقق عليهم ويناصبهم العدا . وللخروج من هذا المأزق أسرعوا إلى على شاه وأبدوا استعدادهم للعمل ضد رشيد الدين فرحب بهم ووزع عليهم الأموال والهدايا .

ثم إن على شاه كان يعمل من جانبه على الإيقاع بين رشيد الدين وبين الأمير چوپان فوجد أن خير وسيلة لبلوغ هذه الغاية هى أن يوثر أحد كبار حاشية هذا الأمير واسمه « أبو بكر آقا » — بالهدايا الثمينة والرشا الكثيرة على أن تكون مهمته إفساد العلاقات بين رشيد الدين وبين الأمير چوپان فكان هذا يوشى برشيد الدين دائماً عند الأمير ويحيك له الدسائس والالتهامات كل يوم .

وبهذا نجح على شاه وأتباعه في محاولاتهم ، وأقصى رشيد الدين عن منصبه في الأيام الأخيرة من شهر رجب سنة ٧١٧ هـ (١).

وبعد اعتزاله مدة قليلة ترك مدينة السلطانية ، وذهب إلى تبريز ولم يكن الأمير سونج راضياً عن إقصاء رشيد الدين ، ولكنه كان مريضاً وملازماً الفراش في ذلك الوقت ، فكان يكرر دائماً أنه بمجرد أن يبل من مرضه سوف يعمل على إعادته رشيد الدين إلى منصبه .

ولما حل فصل الشتاء رحل السلطان أبو سعيد إلى بغداد ، وصحبه سونج رغم مرضه ، ولكن عندما وصل الركب إلى بغداد حم القضاء ومات سونج في ٢٠ من ذي القعدة سنة ٧١٧ ونقل جثمانه إلى مدينة السلطانية حيث ووري التراب (٢).

ولما أقبل الربيع ترك السلطان ومن برفقته مدينة بغداد ، وساروا عائدين إلى السلطانية . وذات يوم كان الأمير چوپان يشتغل بالصيد في نواحي أذربيجان فأرسل يستدعي الخواجه رشيد الدين من تبريز ، وألح عليه بأن يصحبه في رحلته ثم قال له : « إن وجودك في بلاط السلطان لازم لزوم الملح للطعام وإن ترك مهام الجيش والرعية دون تدخل رأيك الصائب يثول بهما إلى الخلل الشديد . فلا بد أن تعود إلى عمالك مرة أخرى لتفصل في مهام الدولة » (٣) . فأجاب رشيد الدين : « لقد أمضيت عمري في خدمة الدولة ، وما أتيح لي في الوزارة لم يتح لوزير آخر قط . ولى الآن أولاد كثيرون يتولى كل منهم منصباً هاماً في الدولة . ولهذا صممت على أن أمضي في هدوء البقية الباقية

(١) حبيب السير ، م ٣ ج ١ ص ١١٤ . وقد لاحظت أن الأستاذ عباس المزاولي حين تحدث عن تلك الواقعة خلط بين رشيد الدين وبين علي شاه إذ زعم أن علي شاه هو الذي عزل ، وأن ذلك حدث في سنة ٧١٥ ، مع أنه أرخ للواقعة ضمن حوادث سنة ٧١٦ وكلا التاريخين غير صحيح . (انظر كتاب تاريخ العراق بين احتلالين (١) حكومة المغول ص ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٣) .

(٢) انظر تاريخ گزیده ، ص ٦٠٣ .

(٣) وجود توبردرگاه پادشاه مانند نمک در طعام مطلوبست ، ومهام سپاهی ورعیت بی دخل رای صوابنایت بغایت معیوب . البته کثرت دیگر ملازمت اختیار میباید کرد ، وروی بفیصل مهمات مملکت میباید آورد . (حبيب السير م ٣ ج ١ ص ١١٤) .

من حياتي وأتدارك ما فات » . وفي ذلك الوقت كان لرشيد الدين ثلاثة عشر ولداً (١) . ولكن چوپان أصر على ضرورة عودته إلى منصبه ، ولم يترك له فرصة للاعتذار ؛ فلم يجد رشيد الدين مناصباً من القبول والموافقة . ثم أمره بأن يحضر إلى مقر السلطان فلما حضر استقبله چوپان بالبشر والاحتفاء وأسبغ عليه من عطفه الشيء الكثير ، وميزه ورفع قدره ثم قال له : « الآن سوف أذهب لأرى السلطان وسأحيطه علماً بأنني بناء على خبرتي وتجربتي لم أعلم أن شخصاً عرف كيف يحكم الدولة بكفاءة وثبات مثلك ، وأنت منذ أن اعتزلت منصبك أصيبت الإدارة بالشلل وفقدت كل رونقها » (٢) . وبعد ذلك طلب إلى رشيد الدين أن ينتظره ليسلمه الفرمان الذي يقضى بتقليده منصب الوزارة (٣) .

ولكن لو اطلع رشيد الدين على الغيب لأصر على اعتذاره عن عدم قبول هذا المنصب ، فچوپان الذي يتمسك الآن به ، ويتشبث بضرورة عودته إلى الوزارة هو نفسه الذي تخلى عنه في أخطر الظروف وأحلك الأوقات وتركه هدفاً لتلك الطعنات المسمومة التي كان يصوبها إليه خصمه على شاه . ولقد صدق صاحب حبيب السير حين قال عن چوپان : « ومع أن الأمير چوپان كان على علاقة طيبة برشيد الدين إلا أنه كان ساذجاً بحيث أن كل شخص كان يستطيع أن يصيره وفق هواه » (٤)

وربما كان الموقف أقوى مما يحتمله الاعتذار أو الشكوى أو العتاب فقد خدع رشيد الدين لا محالة إذ رأى چوپان الذي يحتل المركز الأول في الإمبراطورية والذي لا يحتاج إلا أن يلقب بلقب سلطان يحاول أن يسترضيه ويبين له أن الإدارة قد اختلت أمورها ، وأصبحت في حاجة ماسة إلى علاج سريع ينقذها من هذا المرض الذي أوجده ارتباك الآخرين . وربما كان رشيد الدين مدفوعاً كذلك ببقية من الطموح الذي لا يستطيع أن يخفيه نهائياً الرجل

(١) نفس المصدر ونفس الصفحة .

(٢) انظر ذيل جامع التواريخ ، ص ٧٨ .

(٣) Quatremère, p. XLI.

(٤) خونديمر : حبيب السير م ٣ ج ١ ص ١١٤ .

العاقل فوافق على قبول الوزارة ، فكان هذا سبباً في كل المتاعب والمآسى التي حلت به بعد ذلك .

وقصارى القول أنه في اليوم الذى قبل فيه رشيد الدين الوزارة ، كتب على نفسه الهلاك ، فلم يكذب يسمع على شاه وأتباعه بعودة خصمهم ، وعدوهم اللدود حتى اعتراهم حزن شديد وجزع عميق ؛ فتحركت الحيات تنفث سمومها من جديد وشرعوا في تدبير الدسائس والمؤامرات الكفيلة بأن تقضى على عدوهم هذه المرة قضاء مبرماً ، فأغروا كبار حاشية الأمراء بالرشاوى والهدايا ، وكان في مقدمة هؤلاء « أبو بكر آقا » الذى رأيناه سابقاً على رأس حاشية الأمير چوپان ، وكانت له عنده منزلة كبيرة وسرعان ما لبى هذا الرجل الشرير طلبهم ، ووعدهم بأن يؤلب الأمير على رشيد الدين ، ويجعله يفقد عطفه نهائياً .

وبعد أن أفسدوا الضمائر واستمالوا الأمراء وأتباعهم إلى جانبهم ، وسدوا كل المنافذ على عدوهم وتأكدوا أن الفرصة أصبحت مهيأة لأن يضرّبوا ضربتهم القاتلة ، أدخلوا في روع السلطان أبي سعيد أنه حينما كان السلطان الراحل أوبلجايى في مرضه الأخير ، أمر رشيد الدين بإعطائه شرباً ساماً سبب وفاته وأن عز الدين إبراهيم بن رشيد الدين الذى كان يشغل ساقياً للسلطان الراحل هو الذى قدم الشراب إلى السلطان وذلك بالاتفاق مع أبيه . ويروى حافظ آبرو أن الذى حمل هذا الاتهام إلى السلطان هو الأمير « زنبورى » (١) . ولكن خوندмир يذكر أن الأمير چوپان نفسه هو الذى عرض هذا الاتهام على السلطان (٢) فصعق أبو سعيد عندما سمع بذلك ، وغضب غضباً شديداً وأسرع في استدعاء رشيد الدين ، وأمر بمحاكمته على الفور ، وأسند هذه المهمة إلى الأمير چوپان .

وأجريت المحاكمة فكان شاهدا الإثبات الأميرين « توقناق » و« دلفندى » . وكان على شاه قد غمر هذين الأميرين بالهدايا والرشا حتى يشهدا على صحة

(١) ذيل جامع التواريخ ، ص ٧٨ .

(٢) حبيب السير ، م ٣ ج ١ ص ١١٥ .

الواقعة . وعلى أثر انتهاء المحاكمة أصدر السلطان أمره بقتل رشيد الدين وابنه عز الدين إبراهيم لأنهما تسببا في قتل أبيه السلطان أوبلحايتو ، فأخذوهما إلى قرية صغيرة تدعى « خشكدر » (١) . تقع بالقرب من تبريز ، فقتل الابن أولا على مرأى من أبيه ، وكان شاباً في السادسة عشرة من عمره ، حسن الصورة ، طيب السيرة . ولما اقترب الجلاد من رشيد الدين لينفذ فيه حكم الإعدام تفوه بتلك العبارة : « قل لعلى شاه إنك اتهمتني بغير ذنب جنيته وسوف يأتي يوم يثار لى فيه الدهر منك ، وسيكون التفاوت بيني وبينك عبارة عن هذا القدر : هو أن قبرى يكوى قد بلى ، على حين أن قبرك يبدو جديداً » (٢) . وعلى أثر ذلك تقدم الجلاد وشق رشيداً نصفين . وكان ذلك في ١٧ من جمادى الأولى سنة ٧١٨ هـ كما ذهب أغلب المؤرخين (٣) .

وتكاد المصادر المختلفة تجمع على أن قتل رشيد الدين قد وقع في العام المذكور ، ولم يشذ عن هذا الإجماع إلا ابن العماد (٤) وحاجي خليفة (٥) إذ يجعل كل منهما حدوث هذه الواقعة في سنة ٧١٧ هـ . وكذلك الملك الأفضل عباس بن علي بن داود (٦) الذي زعم أن ذلك تم في سنة ٦١٦ هـ . ونحن

(١) يذكر حمد الله القزويني أن رشيد الدين قتل في موضع « جكدر واهر » (انظر تاريخ گزيده ، ص ٦٠٣) . أما خونديمير فيقرر أنه قتل بالقرب من « اومه » بقرية « خشكدر » (انظر حبيب السير ، م ٣ ج ١ ، ص ١١٥) .

(٢) « باعلى شاه بگوى كه بى جريمه قصد جان من كردى ، روز باشدكه روزگار اين كينه از تو باز خواهد خواست ، وتفاوت بين الجانبيين همين قدر خواهد بود كه گور من كهنه ، وقبر تو نو خواهد نمود » (حبيب السير ، م ٣ ج ١ ، ص ١١٥) .

(٣) انظر حافظ آبرو : مجمع التواريخ ، مخطوط المكتبة الأهلية بطهران ، ورقة ٤٣٥ ؛ مجمل فصيح خوافى ، صور شمسية ، دار المعهد الفرنسى بطهران ؛ خونديمير : حبيب

السير ، م ٣ ج ١ ، ص ١١٥ ؛ Howorth, III, p. 589. أما حمد الله القزويني ، فقد حدد هذا التاريخ بيوم ١٨ من جمادى الأولى سنة ٧١٨ (تاريخ گزيده ، ص ٦٠٣) على حين أن المقرئى يحدده بيوم ١٩ من رمضان سنة ٧١٨ (السلوك ج ٢ ق ١ ص ١٨٩) .

(٤) انظر شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٤٤ - ٤٥ طبع مصر .

(٥) انظر تقويم التواريخ ، مخطوط مكتبة مجلس النواب الوطنى (كتابخانه مجلس شورای ملی) ورقة ١٠٦ رقم ١٢٢٤ .

(٦) انظر نزهة العيون في تاريخ طوائف القرون ، ج ٢ ، ص ٢٠١ (مخطوط دار الكتب المصرية تحت رقم ٤٩٦٤ تاريخ) .

من بين هذه الآراء المتناقضة ، نرجح الرأي الذى ارتآه أغلب المؤرخين وهو أن رشيد الدين قتل فى يوم ١٧ من جمادى الأولى سنة ٧١٨ هـ .

ويذكر صاحب مجمع الأنساب أن رشيد الدين حينما عرف أنه لا مناص من الموت نظم الأبيات الآتية ، وأرسلها إلى السلطان أبى سعيد (١) :

سألها خاطر مرا زنشاط هيچ پروای قيل وقال نبود
ماه طبعم غم کسوف نداشت روز عیش مرا زوال نبود
چرخ میخواست تا کند ضررى لیکنش زهره مجال نبود
آخر الأمر هرچه خواست بکرد بطریق که در خیال نبود
ومعناها :

سنوات عديدة من الفرح والسرور
لم يكن لحاظى اكثر اثار قط بالقليل والقال
ولم يكن لقمصر طبعى غم الكسوف
ولم يكن ليوم سعادى وهنائى زوال
كان يريد الفلك أن يحدث ضرراً
لكن لم يكن له جرأة على ذلك
وأخيراً كل ما أرادته قد عمله

بطريق لم يكن فى الحسبان

هذه هى خاتمة رشيد الدين كما تروىها المصادر الفارسية ، ولم أعثر فى تلك المصادر على وصف تفصيلى للجلسة التاريخية التى حوكم فيها مؤرخنا . لكن التاريخ لحسن الحظ قد حفظ لنا ما كتبه مؤرخ عربى هو الصقاعى كان معاصراً لتلك الحوادث ، وكتب ذيلاً لكتاب ابن خلكان سماه « تالى وفيات الأعيان » وترجم فيه لرشيد الدين فقال : « رشيد الدولة أبوالفضل . . . الطيب أولاً ، وزير غازان وخريندا ، نسب إليه أنه سقى خربندا سماً وطلب على البريد إلى المدينة السلطانية ، وحضر بين يدى چوپان ، وقيل له : قتلت الملك ؟ فقال كيف أفعل هذا وأنا كنت رجلاً يهودياً عطاراً طيباً ضعيفاً

(١) محمد الشبانكارى : مجمع الأنساب ، مخطوط الأستاذ سعيد نفيسى ورقة ١٦٩ .

بين الناس ، فصرت في أيامه وأيام أخيه متصرفاً في المملكة وأمواها ولا يصرف
شيء إلا بأمرى ، وحصلت في أيامهم الأموال والجواهر والأملك ما لا يحصى ؟
فطلبوا الطبيب الجلال بن الحران طبيب خربندا فسألوه عن موت خربندا
وقالوا له أنت قتلتها ؟ فقال : إن الملك كانت أصابته هيضة قوية فأسهل نحو
ثلاثمائة مجلس ، وتقياً قتيلاً كثيراً ، فطلبنى وعرض على هذا الحل واجتمع
الأطباء بحضور الرشيد ، وافقوا على إعطائه أدوية قابضة مخشنة للمعدة
والأمعاء . فقال الرشيد : عنده امتلاء وهو محتاج إلى الاستفراغ بعد
فسقناه برأيه دواء مسهلاً فأنسهل نحو سبعين مجلساً فصدقه الرشيد على ذلك .
فقال جويان : يا رشيد قتلتها فأمر بقتله . . . وحمل رأس الرشيد إلى تبريز
وطيف به ونودى عليه : هذا رأس اليهودى الذى بدل كلام الله لعنه الله
وقطعت أعضاؤه وحمل إلى كل مكان منها شيء » (١) .

وقد ساق الفيومى (٢) رواية تتفق في جملتها مع ما ذكره الصقاعى
فهو حين يترجم لرشيد الدين ضمن وفيات سنة ٧١٨ هـ يقول : « وفيها
كان مقتل الرشيد الطبيب . كان رشيد الدولة أبو الفضل فضل الله بن أبى
الخير بن على الهمدانى الطبيب ، قد بلغ في أيام غازان من علو المنزلة
ونفاذ الكلمة مبلغاً عظيماً وكذلك في أيام خربندا أخيه . ولما مات خربندا
أخوه عزل عن مناصبه ووظائفه ، ودارى عن نفسه بجملة كبيرة من المال
ثم اتهم بقتل خربندا فطلب على البريد ، وشهد عليه الأطباء أنه سقى الملك
دواء مسهلاً عقيب هيضة متلفة فزاده إسهالاً ، فقتله ، وصدقهم الرشيد
المذكور على ذلك ؛ فقتل الرشيد المذكور ، وخمل رأسه إلى تبريز وطيف
به فيها . ثم قطعت أعضاؤه ، وحمل كل عضو إلى بلد ، وأحرقت جثته
وكان قد ناهز الثمانين سنة » .

على أن حافظ آبرو حين تحدث عن وفاة السلطان أوجلايتو ، لم يذكر

(١) تال وفيات الأعيان ، نشر بلوشيه هذا النص في كتاب مقدمة تاريخ المغول ص ٥٠
نقلا عن مخطوط المكتبة الأهلية ببائيس . (Man-Arabe 206 I, fol. 835)
(٢) نثر الجمان في تراجم الأعيان ، مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٧٤٦
تاريخ ، ورقة ١٢٣ .

رشيد الدين بين الأطباء الذين كانوا يشرفون على معالجته . وإليك ما ذكره بخصوص هذه الواقعة :

استولى الضعف على نفسه المباركة فتوجه إلى السلطانية ، وبدأ يشعر بوجع في المفاصل ، فأشار عليه الأطباء بتقليل الغذاء والجماع حتى يزول هذا الوجع نهائياً . ولكنه ذهب إلى الحمام ذات يوم على أثر شعوره بالضعف بسبب الجماع . ثم تناول أغذية ثقيلة مثل الإوز والشواء وأمثال ذلك . وكان الجماع والاستحمام قد أضعفاه فعجز عن هضم ذلك الطعام ، وأدت به الحال إلى الهیضة والتخمة . وكان وجود بعض المواد الفاسدة في جسمه سبباً في إصابته بأسهال حاد .

وقد اختلف الأطباء في طريقة علاجه فكان يرى مولانا موفق الدين الذى كان طبيباً عديم النظير ، وكان يتقن هذا الفن علماً وعملاً — أن يعطى السلطان مسهلاً خفيفاً حتى تطرّد المواد الواجبة الدفع . وكان أكثر الأطباء يميلون إلى هذا الرأى . أما جلال الدين بن الحران الموصلى وهو رجل مسنّين طويلة في خدمة الطب ، وكان يمتاز في علاجه بالجرأة التامة واستفاد كثيراً من الأساتذة المجريين وأتقن الناحية العملية ، فكان يرى أن يمنع السلطان من تعاطي المسهلات ، ويأخذ قوابض لأنه كان يظن أن المواد التى يتقيؤها إنما هى من قبيل المواد الصالحة .

وعلى العموم احتدم الجدل والخلاف بين الأطباء . وأخيراً انفرد جلال الدين بمباشرة العلاج وحده . أما مولانا موفق الدين فلم يشأ أن يسلك مسلك زميله . فلحيطته الشديدة ، وفرط حزمه انسحب من هيئة الاطباء والمعالجين بينما أصر جلال الدين على العلاج الذى ارتآه ، وبالعالم استعمال الأدوية القابضة حتى استقرت في جسم السلطان المواد الفاسدة الواجبة الدفع فأسلم الروح في سنة ٧١٦ هـ وكان في السادسة والثلاثين من عمره (١) .

وهكذا يبدو من رواية حافظ آبرو أنها تختلف عما ذكره الصقاعى فهى لا تذكر رشيد الدين ضمن الأطباء المعالجين ، وتجعل وفاة السلطان نتيجة

(١) حافظ آبرو : مجمع التواريخ ، مخطوط المكتبة الأهلية بطهران ، ورقة ٤٣٢ .

لكثرة استعمال الأدوية القابضة . الأمر الذى أدى إلى تسمم الجسم بسبب استقرار المواد الفاسدة فيه . ولكن يجب ألا ننسى أن الصقاعى كان مؤرخاً معاصراً لتلك الفترة فهو أسبق من حافظ آرو ، ثم إن القصة التى رواها عن رشيد الدين كان لها صدى كبير عند غيره من المؤرخين الإسلاميين من العرب فنقلها بعضهم بنصها ، وجعلها البعض أساساً لترجمتهم لرشيد الدين ، وكثير منهم ثقات نعتهم عليهم فى استقاء المعلومات التاريخية الصحيحة . ثم إن هناك مصدراً فارسياً آخر كان معاصراً لتلك الفترة هو « تاريخ الوصاف » يرجع سبب وفاة أوبلجايو إلى الإسهال الحاد الذى اعتراه على أثر الاستحمام (١) . وأخيراً نلاحظ أن المصادر الفارسية قد تحدثت عن مسألة اتهام رشيد الدين وذكرت أنه أعطى السلطان أوبلجايو شراباً ساماً بواسطة ابنه الذى كان يعمل ساقياً للسلطان ، وأن هذا الشراب كان هو السبب فى وفاته (٢) . كل ذلك يجعلنا نميل إلى الأخذ برواية الصقاعى . فرشيد الدين كان لاشك ضمن الأطباء الذين أشرفوا على علاج أوبلجايو الذى كانت حالته تنذر بالخطر . ومن الطبيعى أن يبذل الطبيب فى تلك اللحظة كل ما فى وسعه لإنقاذ حياة مريضه . وهكذا تقدم رشيد الدين مدفوعاً بحسن النية وسلامة الضمير ، فوصف للسلطان هذا الدواء المسهل ظناً منه أنه قد يؤدى إلى تحسن حالته ، ولكنه ازداد ضعفاً وإعياء وانتهى الأمر بوفاته . وإذن فلا مسئولية مطلقاً يتحملها رشيد الدين . وقد دافع عن نفسه دفاعاً منطقياً كما يبدو من عبارة الصقاعى . ولكن تصرف رشيد الدين كان فى عقلية المغول كفيلاً بقتله . وفى الحقيقة راح رشيد الدين ضحية مؤامرة دنيئة دبرها على شاه وشرذمته دون ذنب جناه . ولم يكن أول ضحايا المغول بل سبقه الكثيرون من الأمراء والوزراء وجهت إليهم مثل تلك التهم جزافاً ، ولاقوا حتفهم دون شفقة أو رحمة . وليست حادثة مقتل الوزير شمس الدين الجوينى بالخافية عن أذهاننا فقد سبق أن اتهم كذباً بأنه هو الذى دس السم لآباقاخان ، وزينوا لابنه أرغون خان هذا الزعم الباطل

(١) تاريخ وصاف ، ص ٦١٦ .

(٢) ذيل جامع التواريخ ، ص ٧٨ ؛ ٧٩ ؛ حبيب السير ، م ٣ ج ١ ص ١١٤ .

فأمر بقتله بعد أن خدّم دولة المغول تسعة وعشرين عاماً وكان سبباً في ازدهار دولة هولاكو وخلفائه .

وتصادف أن عاد الأمير « ايسن قتلغ » من خراسان إلى السلطانية في نفس الأسبوع الذي قتل فيه رشيد الدين . فلما علم بنجر تلك الواقعة تألم جدا وتأثر تأثراً بالغاً ، وتغير على الأمراء ، وصار يعنفهم ويوبخهم ويقبح أفعالهم ويسألم عما جنوه من وراء قتل رجل هرم ، صار في الأيام الأخيرة من حياته وأوشك على أن يموت ميتة طبيعية (١) .

وقد تلا مقتل رشيد الدين نهب ثروته الطائلة وتدمير الحى الذى كان قد أنشأه بالقرب من تبريز ، ثم صودرت أملاكه حتى تلك التى كان قد وقفها على الأعمال الخيرية . كذلك صودرت أملاك أبنائه .

ومن التفصيلات التى ذكرناها سابقاً يتضح أن جثة رشيد الدين قد قطعت قطعاً وحملت كل قطعة منها إلى مكان . ولكن يبدو أن أبنائه حاولوا جمع الأجزاء المتناثرة من جثته ليدفنها في المكان الذى كان قد عينه ليكون مقره الأخير في الربع الرشيدى (٢) . يقول الشاعر « أحمد التبريزى » الذى كتب منظومته « شهنشاه نامه » (٣) بعد عشرين سنة من قتل رشيد الدين : « إن الراحل قد أنفق كل ثروته في بناء المساجد والخانقات ، وأنه قد عمر الدنيا بعدله وعطائه ، وذكره الناس جميعاً رجلاً ونساء بالخير ، وأنه شيد

(١) انظر حافظ آبرو : مجمع التواريخ ، مخطوط المكتبة الأهلية بطهران ، ورقة ٣٧ ٤ .

(٢) بارتولد : مجلة العالم الإسلامى ، ص ١٠٥ .

(٣) شهنشاه نامه « هى إحدى المنظومات التاريخية الهامة التى ألقت في تاريخ المغول وتشمل تاريخ جنكيز خان وخلفائه حتى سنة ٧٣٨ . نظمها الشاعر أحمد التبريزى الذى كان يعيش في عهد السلطان أبى سعيد بهادر خان ، ويبدو أنه ألفها بناء على أمر هذا السلطان وتبتدى بهذا البيت : -

بنام خداوند آفرين نگارنده آسمان وزمين
وقد صرح الشاعر في آخر كتابه بأن النظم قد استغرق ثمانية أعوام ، وأنه فرغ منه في سنة ٧٣٨ . ومعنى هذا أنه قد بدأ ينظم كتابه في سنة ٧٣٠ .

دراين گفتم وگوشت مرا هشت سال
چو از سال شذهفتصد وى هشت
گر احمد بنالد كي گويد مثال
سم ديد اين نامه را در نوشت
وتوجد نسخة مخطوطة من هذا الكتاب في مكتبة المتحف البريطانى وتاريخ تحريرها ١٤ من رجب سنة ٨٠٠ .

عدة مساجد في الأقاليم المختلفة مثل شیراز ویزد و تبریز و بلاد الروم .
ثم يذكر أن رشيد الدين دفن في المقبرة التي بناها لتكون مقبره الأبدی .
كما يتضح ذلك من الآيات الآتية :

زر و سیم باشند برخاک راه جهان کرد بر مسجد و خانگاه
بداد و دهش گیتی آباد کرد بنیکی آزو مرد وزن یا ذ کرد
بسی کرد مسجد بهر مرز و بوم بشیراز ویزد و تبریز و روم
در آن شهر از بهر خود دخمه کرد در آن جایگه رفت آسوده مرد (۱)
يقول بارتولد : « من المحتمل أن يكون قبر رشيد الدين قد جدد بعد
سنة ۱۳۲۷ م (۷۲۷ هـ) حينما تولى ابنه الخواجه غياث الدين الوزارة
واستردت أسرة رشيد الدين حقوقها » (۲) .

هذه هي النهاية المفجعة التي لاقاها أحد الرجال النابغين الأفاضل الذين
جاد بهم الشرق الإسلامي ، وكان وقتئذ في سن الثالثة والسبعين بعد أن قضى
عمرأ حافلا في خدمة المغول الإيلخانيين ، فكان يستحق التكریم والتقدير بدل
أن يلقي هذا المصير المشئوم .

ويا ليت الزمن قد رآف بحال هذا المسكين فتركه يرقد مستريحاً في مرقد
الأخير ولكنه أبى إلا أن يمعن في القسوة والتعذيب . فبعد مرور قرن على مقتل
رشيد الدين ، نصب تيمور لنگك ابنه ميرانشاه والياً من قبله على تبريز وكل
مقاطعة أذربيجان ، وكان هذا الأمير على جانب كبير من الأخلاق والفضائل .
ولكن حدث أن سقط لسوء الحظ — من حصانه فأصيب بمس من الجنون
على أثر هذا الحادث ، ولاقى منه الناس الإيذاء والتعذيب . ولم يقتصر إيذاؤه
على الأحياء ، بل تعدى كذلك إلى الأموات ؛ إذ أمر هذا الأمير بإخراج
رفات رشيد الدين من قبره الذي بناه في تبريز وسط الربع الرشیدی وأودعها
قبور اليهود (۳) .

(۱) انظر بارتولد : مجلة العالم الإسلامي ، ص ۱۰۵ نقلا عن مخطوط المتحف البريطاني
(Or. 2780, f. 118).

(۲) نفس المصدر ونفس الصفحة .

(۳) « جسد خواجهرشيد را از مقبره او كه در رشيديه تبريزست بيرون كرد . و فرمود
تا بگورستان جهودان استخوان او را دفن سازند » (تذكرة الشعراء ص ۳۳۰ طبع ليدن) .

كان رشيد الدين جواداً كريماً ، امتاز بسعة الأفق وحسن الإدارة وعرف عنه حبه للعلم وتقديره للعلماء .

ونحن لا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن رشيد الدين كان آخر نجم لمع في سماء دولة الإيلخانيين ، فقد سارت الأمور بعده بخطى سريعة نحو الاختلال والتدهور ثم الانهيار .

ولإذا كان هذا الرجل قد راح ضحية الغدر والتآمر ، فإن القدر كان لمن اشترك في مؤامرة قتله بالمرصاد ، لأننا إذا استثنينا الوزير على شاه نجد أن جميع المتآمرين قد لاقوا نفس المصير الذى لاقاه رشيد الدين ، وتجرعوا نفس الكأس التى تجرعها ، إذ سلط الله بعضهم على بعض ، أو سلط عليهم السلطان أباسعيد فهلكوا جميعاً . وبذلك لم تفهم يد العدالة الإلهية دون أن تقتص منهم القصاص العادل .

فالأمير دلقندى اتهم بمحاولة الشروع فى قتل الأمير چوپان إذ وجد متربصاً له على باب قصره ، فقبض عليه وشق نصفين .

وأرسل زنبورى إلى آسيا الصغرى بالقرب من الأمير تيمور تاش فاختنى نهائياً . وكان قد اتهم بأنه اتفق مع دلقندى وآخرين على قتل الأمير چوپان على باب قصره وتعهده دلقندى - الذى كان جريئاً لا يخشى أحداً - بتنفيذ ما اتفقوا عليه ، ووعد بأن يقتل چوپان بمجرد أن يعطيه زنبورى الإشارة . ولكن چوپان كان قد علم بالمؤامرة فى حينها ففسد تدبير المتآمرين (١) . وبعد عدة سنوات حدث أن ثار بعض الأمراء على الأمير چوپان وأرادوا قتله بسبب سوء معاملته لهم ، فأرسل چوپان نائبه « أبابكر آقا » وابنه « ايسوقا » لاستطلاع الحالة فكان أن أمر بقتلهما الأمير « تورميشى » أحد زعماء الثوار (٢) .

وحق الأمير چوپان نفسه لم ينج من العقاب إذ قتل هو الآخر شر قتلة . أما على شاه رأس الفتنة وأُس البلاء ، فقد سبق أن تنبأ له رشيد الدين

(١) Quatremère, p. XLV.

(٢) حافظ آبرو : ذيل جامع التواريخ ، ص ٩٦ ، ٩٧ .

قبل أن يساق إلى مصيره المحتوم — بأن الله سوف ينتقم منه شر انتقام جزاء أعماله السيئة وأتاهمه إياه بالباطل . ولكن هذه النبوءة لم تتحقق إذ كان على شاه هو الوزير الوحيد في دولة الإيلخانيين الذي استطاع أن يحتفظ بسيطرته كاملة حتى اللحظة التي مات فيها ميتة طبيعية (١) .

كان على شاه أسعد الناس بما أحرزه من نصر على خصم عنيد كرشيد الدين ، ولم يستطع أن يخفي شعوره هذا ، بل كان يعبر عن اغتباطه بما كان يغدقه على أصحابه من الأموال والهدايا بغير حساب .

وحق الكعبة المشرفة كان لها نصيب من تلك الهدايا الثمينة . يحدثننا محمد ابن الحسين الفاسي في كتابه « شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام » تحت عنوان « ذكر معاليق الكعبة وما أهدى إليها في معنى الحلية » فيقول : « ومن ذلك حلقتان من ذهب مرصعتان باللؤلؤ والبلخش كل حلقة وزنها ألف مثقال . وفي كل حلقة ست لؤلؤات فاخرات . وبينهما ست قطع بلخش فاخر بعث بذلك الوزير على شاه وزير السلطان أبي سعيد بن خربندا ملك التتر على يد الحاجي « بولوادج » Boulawadj في سنة ثمان عشرة وسبعماية . ولما أراد تعليق ذلك بباب الكعبة ، منعه منه أمير الركب المصري في هذه السنة ، وقال هذا لا يمكن إلا بإذن السلطان يعني صاحب مصر إذ ذاك وهو الناصر محمد بن قلاوون . فقال الحاجي بولوادج : إن الوزير على شاه كان نذر متى ظفر بخواجا رشيد الدولة وقتله أن يعلق على باب الكعبة حلقتين . فيقال إنه أذن له في تعليقهما زمناً قليلاً ثم رفعنا وأخذهما أمير مكة » (٢) .

وهكذا خلا الجول على شاه بعد وفاة رشيد الدين ، واستمر على هذا الوضع ست سنوات يزاول عمله دون أن ينازعه منازع . وكان مقامه يرتفع يوماً بعد يوم في نظر السلطان لدرجة أنه حينما مرض ذهب إليه السلطان بنفسه ، وعاده في بيته ، كما كلف مهرة الأطباء بمعالجته . ولكن أجله كان قد حان ، فاشتدت عليه وطأة المرض ، وضعفت قوته فأسلم الروح في أوجان في أوائل سنة ٧٢٤ هـ ، وحمل جثمانه إلى تبريز حيث دفن بجوار المسجد الذي بناه .

(١) انظر تاريخ كزیده ، ص ٦٠٦ ؛ ذیل جامع التواریخ ص ١١٥ .

(٢) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٥٤ م .

وإذا كان على شاه قد نجا من المصير الخفيف الذى لاقاه وزراء الإيلخانيين فليس معنى هذا أنه سلم تماماً من المؤامرات والدسائس ، إذ تعرض هو الآخر لكثير من الاتهامات . ولكنه كان لبقاً عرف كيف يدارى هذا ويسكت ذاك . فثلاً استطاع أن يضم الأمير چوپان إلى جانبه بما كان يغدقه عليه من الأموال والهدايا ، وذلك لأنه رأى أن أطماع ذلك الأمير لا تقف عند حد فأراد أن يتجنب خطره وخطر حاشيته . ويقال إن على شاه قبيل وفاته أعطى چوپان عشرين ألف قطعة من الذهب ليضع حداً لادعاءاته المتزايدة (١) .

وكان على شاه نفسه يعرف ما سيثول إليه مصيره لو أمهله القدر وعاش مدة أطول ؛ ودليلنا على ذلك أنه عند ما أبدى له أحد معاصريه إعجابه بالمسجد الذى شيده فى تبريز على نفقته الخاصة ، أجابه قائلاً : « إن سلاطين المغول قد تعودوا أن يعاملوا وزراءهم معاملة حسنة أول الأمر ، ثم يقلبوا لهم ظهر الحن ، فيقبضوا على حياتهم وثرواتهم . فمن الأفضل أن تصرف الأموال فى هذا الطريق حتى تكون قربى إلى الله » (٢) .

وبعد المسجد الذى شيده على شاه من أفخم العمارات الإسلامية التى شيدت فى عصر المغول إذ كان يبلغ طوله ٢٥٠ ذراعاً وعرضه ٢٠٠ ذراعاً وفى داخله صفة متسعة كانت أكبر من إيوان كسرى بالمداين ، وقد بولغ فى تزيين هذا المسجد ، واستعملت فى بنائه حجارة المرمر بكثرة لاحت لها (٣) : كان على شاه رجلاً محظوظاً تبوأ منصبه عن طريق النفاق والمداينة لا عن طريق العلم والفضل . ولقد أعطانا حافظ آبرو صورة صادقة عن هذا الرجل حين قال : « كان الخواجه على شاه رجلاً متديناً ، طاهر العقيدة حسن الحظ ، ميالاً بطبعه إلى العدل والصدق . ولكنه لم يكن يميل إلى الفضلاء والعلماء بقدر ما كان يميل إلى الجهال والسفهاء والمرايين ، فكان لهؤلاء تأثير كبير عليه . وفى عهد وزارته كسدت سوق الفضل والفضائل إلى درجة كبيرة (٤) » .

(١) الأستاذ الدكتور إبراهيم أمين الشواربى : حافظ الشيرازى ، ص ٥٠ .

(٢) بارتولد : مجلة العالم الإسلامى ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(٣) حمد الله القزوينى : نزهة القلوب ص ٧٦ - ٧٧ ؛ Pope: Survey of

Persian Arts, Vol. IV. p. 377.

(٤) حافظ آبرو : مجمع التواريخ ، مخطوط المكتبة الأهلية بطهران ، ورقة ٤٢٨ .

البابُ الرابع

أبناء رشيد الدين وأحفاده

تمهيد :

لم يكن تراث رشيد الدين وحده هو الذى كتب له الخلود ، وجعل ذكره باقية على الدهر تنحدر من جيل إلى جيل ، وإنما ساهم فى سبيل ذلك أيضاً أبناؤه وأحفاده الذين كانوا يتولون أكبر المناصب فى دولة المغول الإيلخانيين وما أعقبها من الدول .

لقد أعادوا سيرة أبيهم العطرة من حيث الكفاءة وحسن التدبير والتمسك بأهداب الفضائل فكانوا بهذا خير خلف لخير سلف .

وكان من أبرز هؤلاء الأبناء وألصقهم بموضوعنا ابنه الخواجه غياث الدين محمد الذى كان على شاكلة أبيه رجلاً حازماً عاقلاً عالماً أديباً . وقد شاءت له الأقدار أن يعتلى منصب الوزارة للسلطان أبى سعيد بهادرخان ، أى لنفس الشخص الذى أمر بقتل أبيه . يقول منتجب الدين : « ولما انتهى أجله (أى رشيد الدين) على الشهادة وتكميل أسباب السعادة ، أعقب أخلاقاً مشهورين وأبناء بقوا عنوان التوفيق . وهم النجوم الزواهر والليوث الخوادر ، والسيوف البواتر ، والبحور الزواجر ، والصقور الكواسر . وكان واسطة ذلك العقد المخدم الدستور الأعظم صاحب الأعلى الأعلّم محيى رفات العدل والكرم جامع فضيلتى السيف والقلم ، وحاوى منصب الإمامة والوزارة ، وحائز أقسام العظمة والجلالة . . . غياث الحق والدين محمد (١) » .

ولهذا رأينا تكملة للبحث أن نتحدث عن هؤلاء الأبناء وفى مقدمتهم الخواجه غياث الدين محمد . وقد اقتضى منطق الحوادث وتسلسلها أن نخصص لهم هذا الباب حتى تكتمل الصورة التى يجب أن نعرفها عن مؤرخنا وعن أسرته .

(١) درة الأخبار ولعة الأنوار ، ص ١١٤ طبع طهران .

الفصل الأول

الخواجه غياث الدين محمد ووزارته لأبي سعيد

بعد مقتل رشيد الدين تعاقب على منصب الوزارة عدة أشخاص ولكن لم يكن لواحد من هؤلاء عبقرية رشيد الدين ولا مقدرته الفائقة في إدارة شئون الدولة . فعلى شاه الجيلا في رغم أنه كان ذكياً ماهراً إلا أنه كان رجلاً أمياً لا يهتم كثيراً بقوانين الأخلاق ، ولا يقيم وزناً للعلم أو الثقافة . ومع هذا فقد استمر يتقلد منصبه معززاً مكرماً لدى السلطان حتى توفي في سنة ٧٢٤ .

وقد رأى السلطان تكريماً لذكرى على شاه أن يعهد بمنصب الوزارة إلى اثنين من أولاده ، حباهما بعطفه ورعايته . ولكن سرعان ما نشب خلاف شديد بينهما أدى إلى انقسام المرءوسين إلى فريقين يناصر كل فريق أحد الشقيقين . فكانت النتيجة أن ارتبكت أعمال الدولة ، ولم يعد في الإمكان تصريف الأمور على الوجه المرضي ؛ فقبض على الأخوين ، وكانا على وشك أن يقتلا . وأخيراً أطلق سراحهما على أن يعتزلا منصبيهما . كما أجبرا على تسليم الثروة الطائلة التي كانا قد ورثاها عن أبيهما ، وتلك التي كانا قد جمعها بنفسيهما (١) .

بعد ذلك تولى منصب الوزارة « ركن الدين صاين » ، وأصله من بلدة « فسا » بالقرب من شیراز . أما مقامه فكان في نخجوان . وكان جده الأعلى « محمد بن مودود » يتولى منصب « عارض الجيوش » (٢) . وقد ألحقه الأمير جويان بخدمته منذ الصغر ، ثم صار يتدرج في المناصب حتى أصبح من المقربين

(١) انظر حافظ آبرو : ذيل جامع التواريخ ، ص ١١٥ - ١١٦ ..

(٢) العارض بفتح العين المهملة والراء المكسورة بعد الألف وفي آخره الضاد المعجمة . هذا الاسم لمن يعرف السكر ويحفظ أرزاقهم ويوصلها إليهم ، ويعرض العسكر على الملك إذا احتج إلى ذلك (انظر السمعاني : كتاب الأنساب ، ص ٣٧٨) .

إليه . وأخيراً اختاره ليكون وزيراً للسلطان أبي سعيد . ولكنه كما لاحظ حمد الله المستوفى القزويني كان غريباً عن هذا العمل ففشل في مهمته (١) .

ورغم أن هذا الرجل كان صنيعة الأمير چوپان ، وهو الذي أوصله إلى هذا المنصب ، فإنه كان يمحّد فضل سيده ، فلم يتورع عن أن يوشى به وبأبنائه عند السلطان . فلما تحقق چوپان من ذلك أشار على السلطان بعزله فعزله في سنة ٧٢٥ هـ ، وولى مكانه « دمشق خواجه ابن چوپان » . وبهذا تركزت كل الشؤون المتعلقة بالجيّش والإدارة في يد الأمير چوپان وأبنائه وصار يتصرف في الدولة كأنه هو السلطان الحقيقي . ولا شك أن من أهم العوامل التي مهدت السبيل أمام چوپان حتى طغى إلى هذا الحد ، هو صغر سن السلطان أبي سعيد وقلة تجاربه . يقول صاحب مجمع الفصحاء : « سلطان أبو سعيد بهادر خان در سن دوازده سالگی برمسند سلطنت متکی شد بواسطهٔ قلت تجربه و سن شباب اختیار رتق وفتق تمام امور ومهام ملک در قبضهٔ قدرت امیر چوپان سلدوز که امیر الأمراء بود درآمد ، وأولاد وأقارب خود را در تمام ممالك محروسه حکومت وایالت داده » (٢) .

وترجمته :

« تولى السلطان أبو سعيد بهادر خان الحكم في سن الثانية عشرة . وبسبب قلة تجربته وصغر سنه ، آل تصريف جميع الأمور ومهام الملك إلى قبضة قدرة الأمير چوپان سلدوز الذى كان أميراً للأمراء ، فنح أولاده وأقاربه حكم الولايات في جميع الممالك المحروسة » .

ولكن ما كاد يصل چوپان إلى أوج مجده حتى أخذ نجمه في الأفول إذ تعرض لغضب السلطان عليه وعلى أبنائه . فكان أن أصدر السلطان أمره بقتل « دمشق خواجه » في شوال سنة ٧٢٧ هـ ، وبشن الحملة على چوپان وأفراد أسرته وتعقبهم في كل مكان . وقد انتهى الأمر بقتل چوپان نفسه على يد الملك

(١) انظر تاريخ گريده ، ص ٦٠٦ .

(٢) هدايت : مجمع الفصحاء ، ج ١ ص ١٠ .

غياث الدين كرت ملك هراة فى سنة ٨٢٨ هـ (١) .

كان طبيعياً أن يحدث ارتباك فى سياسة الدولة نتيجة لهذا التغيير والتبديل فى أشخاص الوزراء . وقد وضحت هذه الحقيقة المرة للسلطان أبى سعيد إذ شعر بخبطه وتسرع فى الإصغاء إلى أعداء رشيد الدين حتى انتهى الأمر بقتله ؛ فكان فقدته خسارة فادحة حقاً بالنسبة لدولة المغول . فلما فكر أبو سعيد فى من يشغل هذا المنصب عن جدارة واستحقاق ، لم يجد خيراً من الخواجه غياث الدين محمد بن رشيد الدين ، وهدف إلى أن يكون فى توليه هذا المنصب بعض العزاء لأسرة رشيد الدين بعد قتل عائلهم .

ولما استشار السلطان الأمراء فى تعيين الخواجه غياث الدين ، أقروه على رأيه ، وصرحوا بأنه الشخص الوحيد الحدير بهذا المنصب لأنه رجل كفء يستطيع أن يضطلع بمهام الأمور خاصها وعامها . فقال لهم السلطان « منذ اللحظة التى خرج فيها أبوه من الديوان ، لم أر بعد ازدهاراً فى أعمال الحكومة . وقد جربت جميع الذين تصدوا لشغل هذا المنصب ، فلم يكن واحد منهم قط يصلح لهذا العمل » (٢) . فهذه العبارة التى جرت على لسان السلطان أبى سعيد ، تعبر عن شعور صادق بالتحسر والتأسف على فقد رشيد الدين ، وهى فى الوقت نفسه بمثابة اعتراف صريح من السلطان بفضل هذا الرجل والإشادة بذكوره .

وعلى أثر ذلك استدعى السلطان « غياث الدين محمد » وعهد إليه بمنصب الوزارة سنة ٧٢٧ هـ (٣) ، وأشرك معه علاء الدين محمد بن عماد الدين المستوفى ، وكان هو الآخر شخصية بارزة من أعيان خراسان لكنه لم يمض

(١) انظر التفصيلات الوافية عن نكبة چويان والتكيد بأولاده فى الكتب الآتية :
تاريخ گزيده ، ص ٦٠٧ وما بعدها ؛ ذيل جامع التواريخ ، ص ١٢٧ وما بعدها ؛
الدكتور إبراهيم الشواربى : حافظ الشيرازى ، ص ٤٩ وما بعدها .
(٢) تاپدر او از ديوان بيرون رفته است ، من ديگر رونق كار حكومت نديده ام ،
وجمعى كه متصدى اين منصب شدند ، جمله را بياز مودم ، وهيچيك لايق اين شغل نبودند (ذيل
جامع التواريخ ، ص ١٢٦) .
(٣) مجمل فصيح خوانى ، صور شمسية ، دار المعهد الفرنسى بطهران .

على بقاءه في الوزارة أكثر من ثمانية أشهر (١) حتى عين «مستوفياً» على جميع أقاليم الإمبراطورية ، وبذلك خلا الجو للخواجه غياث الدين محمد ، وصار وحده على رأس الحكومة يصرف شئون الدولة بحزم ، ويسوسها أحسن سياسة .
حقاً لقد وفق السلطان أبو سعيد كل التوفيق في اختيار هذا الرجل الذي أجمع المؤرخون على الإشادة بذكوره والثناء عليه ، فقد كان حسن الخلق سليم النفس ، نقي الضمير . عندما تولى منصب الوزارة ، توجس منه خيفة أولئك الذين أساءوا إلى أسرته على أثر مقتل والده ، واعتقدوا أنه منتقم منهم لا محالة ؛ ولكنه كان شهماً نبيلاً ، عفا عن أعدائه ، ولم يمسهم بسوء . ولم يقف عند هذا الحد بل أغدق عليهم العطايا والهبات ، وقلدهم المناصب الرفيعة .

يقول حمد الله المستوفى القزويني : « وهرکه در حق خاندان مبارک ایشان بديهای که تقرير آن موجب تنفر خاطر مستمعان باشد کرده بود بخلاف آنکه بمکافات مشغول شوذ رقم غفور جرائد جرائم همگنان کشید . آن بديهابه نيکی مقابله فرمود ودر حق هريك از ایشان از يمن اين دولت نسخه کرد بانواع اکرام ایشانرا بمراتب عظيم رسانيد ومقلد اشغال خطير گردانيد » (٢) .

وترجمته :

« وكل من ارتكب في حق أسرته المباركة من السيئات التي يكون ذكرها مدعاة لنفور المستمعين واشتمزازهم ، خط رقم العفو على صحائف جرائمهم جميعاً ، وقابل تلك السيئات بالحسنى ، وجعل لكل واحد منهم نصيباً من يمن هذه الدولة ، وخصهم بأنواع الإكرام ، وأوصلهم إلى المراتب العظيمة وقلدهم الأعمال الخطيرة » .

(١) « وخواجه علاء الدين محمد در منصب وزارت شرکت از اوایل ذی قعدة سنه سبع و عشرين إلى غاية چهاردهم رجب سنة ثمان وعشرين . مدت هشت ماه » . (مجمع التواريخ ، مخطوط المكتبة الأهلية بطهران ، ورقة ٤٤٩) . وقد تبعه خوندمير (دستور الوزراء ، ص ٣٢٤) في تحديد هذا التاريخ . أما صاحب تاريخ گزیده فيذكر أن علاء الدين بقى في منصب الوزارة ستة أشهر (انظر تاريخ گزیده ، ص ٦١٠) .

(٢) تاريخ گزیده ، ص ٦١١ .

وبالإضافة إلى هذا كان رجلاً حر الرأى ، واسع الأفق ، مطلعاً على جميع فروع العلوم العقلية والنقلية ، يعبر عن نفسه بأحسن عبارة وأجلى بيان ، كما كان مسلماً متديناً ورعاً تقياً ، أدى فريضة الحج في شبابه ، وتعفف عن ارتكاب النواهي والمحرمات (١) .

ويبدو أن الفضائل التي ورثها عن أبيه منضمة إلى خصاله الشخصية هي التي جعلت السلطان يثق به ويؤمل لدولته خيراً على يديه .

ولكن أظهر الفضائل وأنفاها هي دائماً كما قال كاترمير بمثابة حائل ضعيف أمام الناس الجاحدين (٢) . فبينما كان كل مغولى يحترم غياث الدين ويقدره كان هذا على وشك أن يقتل نتيجة مؤامرة دينئة دبرها أمير اسمه « نارى طغاي » (٣) لأنه يريد أن يصل إلى أعلى المناصب بغير استحقاق . وفى سبيل تحقيق هدفه ، انضم إلى جماعة على شاكلته ، وحاول أن يقصى من طريقه كل من يظن أنه يعترض سبيله ، فكانت هجماته الأولى مصوبة ضد غياث الدين محمد الذى كان قد علم بما يدبر له فى الخفاء فما كان منه إلا أن قابل ذلك بهدوء وسكينة . فلما وجد نارى أنه سوف لا يستطيع أن يصل إلى السلطان صمم على قتل غياث الدين ، واصطحب معه بعض أتباعه وكانوا يخفون أسلحتهم فى طيات ملابسهم ، ثم ذهبوا إلى منزل الوزير . وهناك استأذن نارى فى الدخول على الوزير ومعه بعض أتباعه لشئون خاصة يريد أن يفضى بها إلى غياث الدين . ولكن أخا الوزير أفهمه بأنه تلقى تعليمات من أخيه بالألا يسمح لأى شخص مسلح بالمثل أمامه . ثم جرده من سلاحه وسمح له بالدخول بمفرده . فلما رأى أن خطته قد فشلت ، قابل الوزير وبدأ يتواضع ، ويلتمس إليه أن يتوسط له عند السلطان حتى يرضى عنه ويحظى بقربه (٤) فوعده الوزير بإجابته إلى طلبه . وأخبره أنه متوجه إلى

(١) خونديمير : دستور الوزراء ، ص ٣٢٤ .

(٢) Quatremère, P. XLIX.

(٣) يكتب أحياناً نارين . انظر تفصيل هذه الحادثة فى كتاب دستور الوزراء ، ص

٣٢٨ - ٣٢٩

(٤) كان هذا الأمير قد أغضب السلطان بسبب تصرفاته فى خراسان عند ما كان والياً عليها إذا عمل على بث الفتنة بين الأمراء ، واتفق معهم على الخلاص من بغداد خاتون زوج أبى سعيد ومن الوزير غياث الدين محمد (انظر حافظ آبرو : ذيل جامع التواريخ ، ص ١٤٠ - ١٤١) .

السلطان لهذا الغرض ، فاعتزم ناري تلك الفرصة ، ولحق بعصابته ووقف الجميع ينتظرون خروج الوزير لينفذوا جريمتهم ولكن غياث الدين كان قد سلك طريقاً آخر ، وبذلك طاش سهم أعدائه في تلك المرة كذلك .

ولما قابل « غياث الدين » السلطان بر بوعده ، وتكلم في مصلحة ناري . فتعجب السلطان غاية العجب ، وسأل وزيره عما إذا كان يجهل ما كان يدبره له هذا الأمير . فأجاب : « إنني عبد هذا السلطان ومشمول بعاطفته ، فكل شخص يسيء بي الظن دون سبب ، سوف يعود عليه سوء ظنه لا محالة بمقتضى قوله تعالى (ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله) » (١) .

فأصدر السلطان أمره على الفور باعتقال ناري ليلقي جزاءه . فلما أبلغ هذا النبأ حاول الهرب . ولكنه قبض عليه وأرسل مخفوراً إلى السلطان .

ورغم ما بدا منه من سوء نية نحو غياث الدين ، فقد حاول الوزير أن يتدخل لإنقاذ عدوه من الهلاك المحقق ، ولكنه لم يستطع ، إذ صدر الأمر بقتله في غرة شوال سنة ٧٢٩ .

وأما علاء الدين محمد الذي كان طرفاً في تلك المؤامرة ، فقد صفح عنه غياث الدين ، وعينه وزيراً في إقليم خراسان . وهكذا أبان بتصرفه هذا عن منتهى الحلم والاعتدال (٢) .

لقد استمر غياث الدين في منصبه معزراً مكرماً إلى أن توفي السلطان أبو سعيد في ١٣ من ربيع الأول سنة ٧٣٦ في شروان ، وحمل جثمانه إلى مدينة السلطانية حيث ووري التراب في القبة التي كان قد شيدها بالقرب من تلك المدينة . وقد أهتم زوجته بغداد خاتون ابنة چوپان بأنها هي التي دست السم له انتقاماً منه لمقتل أبيها وإخوتها ، ولأنه أثار كوامن حقدتها وغيرها بعد أن تزوج من ابنة أخيها « دمشق خواجه » التي كانت تسمى دلشاد خاتون.

(١) من ينه* اين درگاهم، ومشمول عاطفت پادشاه هرکس بی جهتی در حق من بدانديشه، بمقتضای (ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله) البته باوعايد گردد . (خونديمر : دستور الوزراء ، ص ٣٢٩)

(٢) انظر ميرخواند : روضة الصفا ، ج ٥ ص ١٧٦ - ١٧٧ .

وَأَبُو سَعِيدٍ هُوَ آخِرُ سُلَاطِينِ الْإِيلَخَانِيَّةِ الْأَقْوِيَاءِ . كَانَ رَجُلًا كَرِيمًا عَادِلًا مَثَقَفًا رَاجَتْ فِي عَهْدِهِ سُوقُ الْعُلُومِ وَالْأَدَابِ ، فَكَانَ يَعْيشُ فِي بِلَاطِهِ كَثِيرٌ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ وَالشُّعْرَاءِ . وَسَوْفَ نَرَى بَعْدَ قَلِيلٍ أَنَّهُ كَانَ لِلخَوَاجَةِ غِيَاثُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ رَشِيدِ الدِّينِ نَصِيبٌ كَبِيرٌ فِي ازْدَهَارِ هَذِهِ النِّهْضَةِ . وَقَدْ رَزَقَ أَبُو سَعِيدٍ نَفْسَهُ سَلِيْقَةً شَعْرِيَّةً ، وَاشْتَهَرَ بِجُودَةِ الْخَطِّ وَالْغِنَاءِ . وَكَانَ سَنِيًّا مُحَافِظًا عَلَى الدِّينِ ، أَصْدَرُ أَمْرِهِ عَلَى أَثَرِ الْأُزْمَةِ الَّتِي حَدَثَتْ فِي سَنَةِ ٧١٩ هـ بِغُلُقِ الْحَانَاتِ ، وَأَمَّا كُنُ الْهُوَ وَالْفُجُورُ ، وَسَمَحَ فَقَطْ بِفَتْحِ حَانَةِ وَاحِدَةٍ فِي كُلِّ وَلايَةِ لِتَقُومَ بِسَدِّ حَاجَاتِ الْغُرَبَاءِ فَقَطْ . يَقُولُ صَاحِبُ مَجْمَعِ الْأَنْسَابِ : « وَيَكُنِي إِزْ آثَارِ دَوْلَتِ وَسْعَادَتِ اَوَّانَ بُوْدُ كِهْ عِلْمِ وَطَلِبَهٗ عِلْمِ رَا دُوسْتِ دَاشْتِي ، وَازَهْمِهٗ عِلْمِ دِينِ وَصَلَاحِ رَا مَعْتَقِدِ بُوْدِي . وَدَرِ مَذْهَبِ سَنَتِ وَجَمَاعَتِ كُوشِيدِي ، وَقَصَصِ وَحِكَايَاتِ انْبِيَا وَأُولِيَا وَمَشَايِخِ خَوَانْدِي وَشَعْرَا نِيَزِ دُوسْتِ دَاشْتِي ، وَشَعْرَارَا عَزِيْزِ وَمَكْرَمِ گَرْدَانِيدِي ، وَدِرْگَاهِ أَوَّانْجَمَنِ أَفَاضَلِ رُوزْگَارِ شُدِ . وَدَرِ شَهْرَهَا بَنَاهَايِ مَسَاجِدِ وَمَدَارِسِ فَرْمُودِ . وَدَانِشْمَنْدَانِ رَا إِزْ جَمْلَهٗ طَوَائِفِ بَرْگَزِيْدِ ، وَایشانِ رَا اِدْرَارَاتِ وَمَعَايشِ مُضَاعَفِ فَرْمُودِ » (١) .

وَتَرْجُمَتُهُ :

« وَوَاحِدٌ مِنَ آثَارِ إِقْبَالِهِ وَسَعَادَتِهِ ، هُوَ أَنَّهُ كَانَ يَحِبُّ الْعِلْمَ وَطَلِبَتَهُ . وَمِنْ جَمِيعِ الْعُلُومِ كَانَ يَعْتَقِدُ فِي عِلْمِ الدِّينِ وَالصَّلَاحِ . وَكَانَ يَنَاصِرُ مَذْهَبَ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ وَيَقْرَأُ قَصَصَ الْأَنْبِيَاءِ وَحِكَايَاتِ الْأَوْلِيَاءِ ، وَيَمِيلُ إِلَى الشَّعْرِ أَيْضًا وَيَعِزُّ الشُّعْرَاءَ وَيَكْرَهُهُمْ ؛ فَصَارَ بِلَاطِهِ مَجْمَعًا لِفَضْلَاءِ الْعَصْرِ . وَلَقَدْ أَقَامَ دُورَ الْمَسَاجِدِ وَالْمَدَارِسِ فِي الْمَدَنِ ، وَاخْتَارَ الْعُلَمَاءَ مِنْ جَمَلَةِ الطَّوَائِفِ ، وَضَاعَفَ إِدْرَارَاتِهِمْ وَرَوَاتِبَهُمْ » .

أَمَّا عَنْ الْأُمَرَاءِ الضَّعَفَاءِ الَّذِينَ خَلَفُوا أَبَا سَعِيدٍ عَلَى وَلايَةِ الْعَرْشِ وَعَلَى أَيْدِيهِمْ انْهَارَتْ دَوْلَةُ الْإِيلَخَانِيَّةِ فِي إِيرَانَ فَقَدْ كَانَ عَدَدُهُمْ ثَمَانِيَةً يَهْمُنَا أَنَّ نَتَحَدَّثَ عَنْ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ فَقَطْ وَهُوَ « أَرْبَاخَانُ » وَذَلِكَ لِأَنَّهُ مُرْتَبِطٌ بِمَوْضِعِنَا اِرْتِبَاطًا وَثِيْقًا . وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ لَمْ يَنْجِبْ أَوْلَادًا ذَكَورًا ، وَكَانَ غَازَانُ

(١) محمد الشبانكارى : مجمع الأنساب ، مخطوط الأستاذ سعيد نفيسى ورقة ١٦١ .

خان أثناء توليه العرش قد تخلص من أمراء أسرة هولوكو إما بقتلهم وإما بتجريدتهم من امتيازاتهم . فلما توفي السلطان أبو سعيد لم يكن هناك أمير يصلح لتولى الحكم بعده ، فانقسم الأمراء على أنفسهم ، واختلفوا على اختيار الشخص الذى يصلح لأن يقوم بتلك المهمة .

وكان الخواجه غياث الدين محمد بن رشيد الدين ووزير السلطان أبي سعيد ، أعظم شخصية فى ذلك الوقت ، فاستطاع أن يمسك زمام الموقف وأن يظهر مقدرة فائقة فى تكييف الحوادث والتغلب على الصعوبات . جمع الأمراء والقواد الذين كانوا فى نزاع مستمر ، وأصلح بينهم ، وجعلهم يتفقون على تنصيب أرباخان (١) الذى كان أحد حفدة الأمير « اريق بوكا » بن تولى خان بن جنكير خان ، وكان أبو سعيد قد عينه ولياً للعهد .

وقد تم انتخاب أرباخان على أثر انتهاء المراسم المتعلقة بتشييع جنازة السلطان أبي سعيد . ولكن لم يكد أرباخان يتولى العرش حتى التف بعض الأمراء حول « على پادشاه » ، وثاروا ضد أرباخان ، وكان على پادشاه قد وقع اختياره على « موسى خان » حفيد « بايدو » ليكون على عرش الإيلخانيين بدلا من أرباخان ، واستعد هذا الفريق الثائر لمحاربة أرباخان . كما استعد هو الآخر للقائهم . وفى ذلك الوقت نصح بعض الأمراء « الخواجه غياث الدين » بأنه إذا أعطى على پادشاه لقب أمير الأمراء ؛ فإنه يستطيع بذلك أن يقضى على الفتن والفتن . ولكن غياث الدين الذى كان فيه بقية من غرور رفض الإصغاء إلى تلك النصيحة رفضاً باتاً وقال :

نشوم خاضع عدو هرگز گرچه برآسمان کسند مسکن
باز گنجشک را برد فرمان شیر روباه را بند گردن (٢)
ومعناها :

— لن أخضع لعدو مطلقاً

حتى ولو كان يسكن فى السماء

— فهل امثل الصقر للعصفور

أو هل خضع الأسد للثعلب ؟..

(١) يرد هذا الاسم بصور متنوعة فراه أرباگان ، آربه ، أربا ، أرباى گاو .

(٢) حافظ آبرو : ذيل جامع التواريخ ، ص ١٤٩ .

ولما أراد أرباخان أن يظهر صفوفه من الأمراء الذين لا يثق بهم خشية أن يمكروا به إذا ما جد الجدد فينضموا إلى أعدائه ، نصحه غياث الدين الذي كان لا يزال متبعاً سياسة التآني — بألا يسفك قطرة واحدة من الدم ، حتى لا يفقد بذلك أنصاراً ربما يكونون له مخلصين .

ودارت رحى الحرب بين علي بادشاه وأتباعه ، وبين أرباخان وأتباعه وكان ذلك في ١٧ من رمضان سنة ٧٣٦ هـ عند شاطئ نهر جغاتو . وفي ميدان المعركة تحققت مخاوف أرباخان إذ انضم الأمراء الذين كان يشك فيهم إلى أعدائه فكانوا سبباً في هزيمته وفراره . وبالرغم من أن غياث الدين قد أبلى بلاء حسناً في هذه المعركة ، وقاوم أشد مقاومة بمعاونة أخيه « پير سلطان » فقد اضطُر إلى التقهقر ، وحاقت به الهزيمة ، وسرعان ما قبض عليه في مراغة ، وسبق إلى الأمير علي بادشاه ، فاستقبله بكل مظاهر الاحترام ، وبذل كل ما في وسعه لإنقاذه من الهلاك ، ولكن الأمراء الآخرين صمموا على قتله فنفذ فيه سهم القضاء في ٢١ من رمضان سنة ٧٣٦ في مكان يطلق عليه « سه كنبدان » وعلى أثر قتله قطع رأسه ، ورفع على سن الرمح ثم حمل إلى شیراز . وبشير القاضي عضد الدين الإيجي إلى هذه الواقعة في رثائه للوزير فيقول :

يا حَامِلاً ليد الوزير منوطة فوق القضيب فقد حملت جليلاً
ما بالها ذلت وكانت عمرها تغني فقيراً أو تعز ذليلاً
مهلاً فتلك يد تعود بطنها بذل النوال وظهرها تقبيلاً (١)

وقتل كذلك أخوه پير سلطان مع بعض الأمراء الآخرين ، كما قبض على أرباخان في زنجان وقتل في ٣ من شوال من تلك السنة .

وعلى أثر قتل الوزير الكبير ، خرب الربع الرشیدی مرة أخرى . وكانت تلك المحلة قد استعادت رونقها وجهاءها في عهده ، كما دمر منزله ومنازل جميع أصدقائه ومعارفه وكانت تحوى الكثير من نفائس الكتب وفاخر الرياش وجميل الأثاث ، وتزدان بالأواني الذهبية وتزخر بالنقود الكثيرة فصار كل ذلك طعمة للنهب والسلب .

(١) انظر محمد علي تريبیت : دانشمندان آذربایجان ، ص ٢٨٨ .

ولقد كان مقتل الوزير نكبة كبيرة أهاجت الشعراء والأدباء والكتاب والعلماء الذين طالما أغدق عليهم العطايا والهبات ، ورفع مكانتهم إلى أعلى عليين . فهذا شاعر من أذربيجان يعبر عن حزنه ولوعته تعبيراً صادقاً لفقد هذا الوزير ، ويدعو الطبيعة لتشاركه الحزن والألم . يقول (١) :

جای آنست کاخستران امروز
بر سر از دست چرخ خاک کنند
الغياث الغياث در گیرند
نالہ وآہ دردناک کنند
کہ وزیری بدان عزیزی را
بچنین خواری هلاک کنند

ومعناها :

— إنه لجدير بالكواكب اليوم ، أن تهيل التراب على رؤوسها بسبب فعل القلك .

وتصبح قائلة : الغياث الغياث ، وتنوح وتتأوه بحرقة وألم .

— إذ أن وزيراً بتلك الحالة من العزة والسوؤد ، يهلك على هذا النحو من الذلة والمهانة .

(١) انظر نفس المصدر ونفس الصفحة .

الفصل الثاني

صلاته بالعلماء والأدباء

كان غياث الدين خير خلف لخير سلف ، وسيظل اسمه خالداً كاسم أبيه في تاريخ إيران ، وسيدكر دائماً مقروناً بالحمد والثناء . فقد عرفناه وزيراً كبيراً يسوس الدولة أحسن سياسة ، وعرفناه كذلك رجلاً شجاعاً حارب عدوه ببسالة ، ولم يهادنه حتى وقع أسيراً في قبضته ، وعرفناه مثلاً أعلى لنبل الخلق وكرم السجيا . عندما بلغ الأوج عفا عن أعدائه ولم يمسهم بسوء ، بل وأحسن إليهم . والآن نعرفه كذلك أديباً ممتازاً يقدر الأدب ويرعى الأدباء ، ويعظم العلماء ويجزل العطاء لهؤلاء وهؤلاء .

يحكى أنه ذات يوم كان الأمير الشيخ أبو اسحاق حاكم فارس والعراق يتحدث مع القاضي عضد الدين الأيحي . فسأله السؤال التالي : « هل وجد أهل الفضل والأدب رعاية واهتماماً في عهد السلطان أبي سعيد بهادر خان أكثر مما يجدونه في عهدي ؟ » فتبسم عضد الدين وأجاب : « عندما كان الخواجه غياث الدين محمد وزيراً لأبي سعيد كان يغمرني بعطاياه ثلاث مرات في كل مجلس فجمعت من ذلك ثروة طائلة لدرجة أن عمالك يأخذون مني ضريبة تقدر بثلاثين ألف دينار عراقي أي ما يعادل عشر أملاكى . فلما استفسر منه عن حقيقة هذا الكلام أجاب عضد الدين : كان الوزير غياث الدين يجالس العلماء والفضلاء وينظرهم في ليلة الجمعة من كل أسبوع وكان يفسح لهم المجال على اختلاف مراتبهم ، وعلى أثر انتهاء هذه المناقشات العلمية كان يقرب منه كل شخص في ميدان المناقشة والمناظرة . وحدث في إحدى هذه المناظرات أن دعاني الوزير ثلاث مرات للاقتراب منه والجلوس بجواره . . . ورأى عظماء الدولة منه هذا الاهتمام بأمرى فعظموني

بدورهم . فلما سمع الأمير ذلك قرر أن يتنازل له عن المبلغ الذي كان يحصله منه عمال الديوان كل سنة (١) .

هذه المعاملة الممتازة التي كان يلقاها رجال العلم والادب من جانب الوزير العالم ، جعلتهم يتنافسون في إهداء مؤلفاتهم إليه ونحن نتناول بعضاً من تلك المؤلفات على سبيل المثال مع ذكر نبذة مختصرة عن مؤلفيها .

١ - كتاب ترجمة محاسن إصفهان (٢) :

الحسين بن أبي الرضا الآوى ، ترجمة عن الأصل العربي لكتاب « محاسن إصفهان » تأليف مفضل بن سعد بن الحسين المافروخي الإصفهاني (٣) . ويتضح في عدة مواضع من هذا الكتاب أنه أُلّف في عهد السلطان معز الدين أبي الفتح ملكشاه السلجوقي (٤٦٥ - ٤٨٥) وهو عبارة عن رسالة تحوى أوصاف تلك المدينة ومحاسنها ، وترد خلال ذلك فوائد تاريخية وجغرافية وأدبية تتعلق بموطن المؤلف .

ثم جاء الآوى فترجم هذا الكتاب إلى الفارسية ؛ ولكنه تصرف كثيراً في الترجمة ، وأضاف إليه معلومات كثيرة عن نهاية دولة الإيلخانيين أى في الفترة التي كان يعاصرها المترجم . ومن هنا تبدو أهمية الكتاب خصوصاً إذا لاحظنا أن تاريخ الوقائع التي حدثت في النصف الثاني من القرن السابع والنصف الأول من القرن الثامن بخصوص إصفهان مبهماً إلى حد ما ، ولم يذكر بالتفصيل في أى مصدر آخر .

(١) انظر دستور الوزراء ، ص ٣٢٦ - ٣٢٧ .

(٢) أول شخص اهتم بهذا الكتاب وعرفه للعالم هو المرحوم براون المستشرق الإنجليزي إذ ترجم المتن الفارسي إلى الإنجليزية عام ١٩٠١م = ١٣١٩ هـ ونشره في المجلة الآسيوية الملكية . وبعد ذلك أعاد نشره في رسالة منفصلة تحت عنوان : Account of a rare manuscript:

History of Isfahan

ثم عرف بالكتاب نفسه بعد براون المرحوم محمد بن عبد الوهاب القزويني في حواشي كتاب چهار مقاله ، ولكنه ذكر اسم المترجم محرفاً إذ قال إنه محمد بن عبد الرضا بدلا من حسين بن محمد بن أبي الرضا (انظر كتاب چهار مقاله ص ١٠٧ طبع ليدن) .

(٣) نشر هذا الكتاب الأستاذ سيد جلال الدين الطهراني في طهران عام ١٣١٢ هجرية

شمسية .

قدم المترجم كتابه باسم الوزير العالم الخواجه غياث الدين محمد عام ٧٢٩
حينما كان يتولى الوزارة للسلطان أبي سعيد ، وهو يمدحه في كثير من المواضع
ويثنى عليه فما قاله هذان البيتان :

ملك ايران سالها ويران بد از جور فلك
بنگر از آثار عدلت زيب عمران يافته
درميان هفت كشور خاص بر ملك عجم
إصفهان از اهتمام فضل رجحان يافته (١)

ومعناها :

- سنوات عديدة ظل ملك إيران خربا من جور الفلك
- انظر إنه قد اكتسب زينة العمران من آثار عدلك .
- وبين الأقاليم السبعة ، وجدت إصفهان خاصة
- بسبب اهتمامك - فضل الرجحان على ملك العجم .

٢ - كتاب درة الأخبار ولمعة الأنوار :

ترجمه من العربية إلى الفارسية ناصر الدين بن عمدة الملك منتجب الدين
اليزدي . كان يعمل كاتباً في الديوان المغولي ، وفي عام ٧١٥ هـ اتصل بالأمير
« ايسن قتلغ نويان » من الأمراء العظام في عهد أوبلخايتو وأبي سعيد ، وشرع
في تأليف كتابه « سمط العلي للحضرة العليا در تاريخ قراختايتان كerman » وقدمه
باسم هذا الأمير في تلك السنة .

وما بين عامي ٧٢٩ - ٧٣٠ ترجم كتاب « تنمة صوان الحكمة » لأبي
الحسن علي بن زيد البيهقي المتوفى سنة ٥٦٥ هـ تحت عنوان « درة الأخبار ولمعة
الأنوار » وأضاف إليه تراجم أخرى وضعها هو لشهاب الدين السهروردي
والفخر الرازي ونصير الدين الطوسي ورشيد الدين فضل الله ، وقدمه باسم
الوزير الخواجه غياث الدين محمد .

(١) انظر ترجمة محاسن اصفهان ، ص ٧ نشر عباس إقبال طبع طهران .

٣ - كتاب تاريخ گزیده :

لحمد الله المستوفى القزويني . ألفه سنة ٧٣٠ هـ وقد فصلنا فيه القول في الباب الخامس من هذا البحث .

٤ - همای و همایون :

لكمال الدين أبي العطاء محمود بن علي الكرمانی الذي كان يتلخصر بخواجو(١) ولد سنة ٦٧٩ هـ . وحدث أن اجتاحت كرمان عدة اضطرابات سياسية فاضطر خواجو إلى مغادرتها . وأثناء سفره اتصل بالصوفي المعروف علاء الدولة السمنانی(٢) ثم لجأ إلى بغداد حيث استقر مدة . وفي ذلك الوقت استطاع أن يتصل بالسلطان أبي سعيد ووزيره الخواجه غياث الدين وصار يمدحهما . وبعد ذلك أمضى السنوات الأخيرة من حياته في شیراز في حماية الشيخ أبي إسحاق اينجو ، واتصل بالشاعر الكبير حافظ الشيرازی ، واستمر يقيم في شیراز إلى أن توفي في سنة ٧٥٣ هـ(٣) . لخواجو بالإضافة إلى الديوان خمس مثنويات هي تقليد لمنظومات نظامی الخمسة :

(أ) همای و همایون : قصة في العشق نظمها سنة ٧٣٢ هـ في بغداد . وفي مقدمتها يمدح السلطان أبا سعيد ووزيره غياث الدين محمد . وهذه المنظومة هي التي قدمها الشاعر باسم الوزير .

(ب) گل ونوروز : نظمها سنة ٧٤٢ .

(ج) روضة الأنوار : نظمها سنة ٧٤٣ .

(د) کمال نامه : نظمها سنة ٧٤٤ .

(هـ) گهر نامه : نظمها سنة ٧٤٦ .

(١) انظر خواجوی کرمانی : روضة الأنوار نشر کوهی کرمانی طهران ١٣٠٦ هجرية شمسية ؛ سعيد نفیسی : احوال ومنتخب أشعار خواجوی کرمانی طهران ١٣٠٧ هجرية شمسية .
(٢) للوقوف على شرح أحوال هذا العالم انظر كتاب تذكرة الشعراء ص ٢٤٩ - ٢٥٣ طبع لیدن .

(٣) انظر براون : التاريخ الأدبي لایران ، ج ٣ ص ٢٢٣ .

٥ - جام جم :

ركن الدين أوحدي المراغي ولد في مراغة ، ولذا نسب إليها . ولما كان قد أمضى مدة في إصفهان فإنه ينسب إليها أحياناً (١) . كان مريداً للشيخ أبي حامد أوحدي الدين الكرمانى المتوفى سنة ٦٣٥هـ (٢) . ويقال إنه أخذ منه تخلصه .

أمضى أوحدي الجزء الأخير من عمره في آذربيجان . وفي سنة ٧٣٣هـ نظم مثنويه المعروف « بجام جم » باسم الخواجه غياث الدين ، ويعد نموذجاً حسناً للمنظومات الشعرية الأخلاقية والاجتماعية (٣) . كما أنه ينظر إليه على أنه من أشهر المنظومات في التصوف الفارسي .

ولأوحدي ديوان يشتمل على غزليات ورباعيات وقصائد . توفى في مراغة سنة ٧٣٨هـ .

٦ - مجمع الأنساب :

لمحمد بن علي بن محمد الشبانكارى . ولد عام ٦٩٧ على وجه التقريب (٤) في إحدى المدن الهامة من ولاية شبانكاره بين فارس وكرمان . وقد اشتهر بنظم الشعر مثل فخر البناكتي المؤرخ . وكان كثيراً ما يمدح الخواجه غياث الدين محمد ، ويهدي إليه قصائده كل سنة . كذلك كان كاتباً اشتغل بالتصنيف والتأليف .

ففي عام ٧٣٣ ألف كتاباً في التاريخ العام أتمه في سنة ٧٣٦ ، وأطلق عليه اسم « مجمع الأنساب » ، وكتب ديباجته باسم الوزير غياث الدين محمد « واين مجموعه را مجمع الأنساب نام نهادم ، وألقاب شريف ورسم خدمت واسم مبارك خداوند ولى الانعام خدايگان وزراى جهان ... أبو المفاخر أمير محمد ابن الصاحب السعيد الحميد رشيد الحق والدين » (٥) .

(١) انظر رياض العارفين ، ص ٥٤ .

(٢) انظر براون : التاريخ الأدبي لإيران ، ج ٣ ص ١٣٩ - ١٤٠ .

(٣) انظر كتاب جام جم ، مقدمة الناشر ، طهران ١٣٠٧هـ . ش .

(٤) Storey: Persian Literature, Section II, p. 85.

(٥) الشبانكارى : مجمع الأنساب ، مخطوط الأستاذ سعيد نفيسى ، ورقة ٧ب .

ولما فرغ المؤلف من تأليف هذا الكتاب أهدها إلى الوزير غياث الدين محمد ليتولى تقديمه إلى السلطان أبي سعيد . ولكن قبل أن يقوم بهذه المهمة كان السلطان قد مات . ولم يمض بعد ذلك وقت طويل حتى ضاعت نسخة الكتاب الأصلية أثناء النهب العام الذى تعرض له منزل الخواجه غياث الدين محمد على أثر مقتله ، فاضطر المؤلف إلى أن يكتب نسخة أخرى من تاريخه عام ٧٤٣ (١) اعتمد فيها على الذاكرة ، وزاد عليها الحوادث التى جرت فى عهد السلطان أبي سعيد حتى وفاته .

والكتاب المذكور ألف فى التاريخ العام على سبيل الإجمال والاختصار من بدء الخليقة حتى العصر الذى كان يعيش فيه المؤلف وهو لا يكاد يتناول شيئاً جديداً فى القسم الذى يسبق تاريخ المغول ، إذ أنه عبارة عن تلخيص لكتب السابقين . ولكنه حين يتحدث عن تاريخ المغول ، وكذلك حين سرده لتاريخ ملوك الأطراف مثل ملوك فارس وشبانكاره وهرموز ، نلاحظ أنه يمدنا بمعلومات جديدة مفيدة (٢) .

وحين كنت فى طهران استطعت أن أطلع على مخطوطين من هذا الكتاب أحدهما يمتلكه الأستاذ جعفر سلطان القرأى بطهران مقاس ٢٩ × ١٨ وعدد أوراقه ٢٧٠ ورقة ، وتشتمل كل صفحة على ٢١ سطراً . وهذه النسخة قديمة جداً إذ كتبت فى عام ٧٥٠ هـ أى فى عهد المؤلف نفسه . وقد نص على هذا التاريخ فى آخر المقدمة إذ نرى هذه العبارة : « تم الكتاب بعون الملك الوهاب برحمتك يا أرحم الراحمين فى تاريخ سنة ٧٥٠ هـ باتمام رسيد والله أعلم بالصواب » (٣) .

أما النسخة الأخرى فيمتلكها الأستاذ سعيد نفيسى ، وهى تقل فى حوادثها عن النسخة الأولى . مقاسها ٢٠ × ١٢ر٥ وعدد أوراقها ١٧٥ ورقة . وتشتمل كل صفحة على ١٥ سطراً كتبت بخط التعليق الواضح ، كما كتبت العناوين بالمداد الأحمر ، ويرجع تاريخ استنساخها إلى سنة ١٠٦٧ كما جاء

(١) انظر براون : التاريخ الأدبى لإيران ، ج ٣ ص ١٠٣ .

(٢) انظر Barthold : Turkestan Down to the Mongol Invasion, p. 46

(٣) مجمع الأنساب ، مخطوط الأستاذ جعفر سلطان القرأى ، ورقة ١٤ أ .

في آخر الكتاب « تم الكتاب - بعون الله - الموسوم « مجمع الأنساب » في يوم الجمعة خمس وعشرين شهر ذي الحجة الحرام سنة سبع وستين وألف من الهجرة النبوية . والله أعلم بالصواب » .

٧ - شرح مختصر ابن الحاجب ومتن المواقف وفوائد غياثية :

للقاضى عبد الرحمن بن ركن الدين أحمد بن عبد الغفار الإيجي من أهالى مدينة « ايج » العاصمة القديمة لولاية شبانكاره . كان من كبار العلماء في عهد الشاه الشيخ أبى إسحاق اينجو (١)، والأمير مبارز الدين محمد (٢)، والشاه شجاع (٣) ومن المعاصرين للخواجه حافظ الشيرازى . وكانت له منزلة كبيرة

(١) هو أشهر أفراد أسرة اينجو . كان يحكم إقليم فارس ، واتخذ شيراز عاصمة له وذلك في النصف الأول من القرن الثامن الهجرى . يؤثر عن هذا الرجل أنه كان جميل الخلقة طيب الخلق ، يقرض الشعر . استمر يحكم مدة أربع عشرة سنة ، وكان ذا نفوذ كبير وشهرة واسعة . وكان بلاطه غاية في الأبهة والعظمة . ولكن سرعان ما زالت دولته على يد مبارز الدين المظفرى . قتل الشيخ أبو اسحق سنة ٧٥٨ على يد رجل من أبناء عظماء شيراز كان أبو اسحق قد قتل والده (انظر الأستاذ الدكتور إبراهيم أمين الشواربى : حافظ الشيرازى) .

(٢) هو أحد أفراد أسرة المظفرين تولى حكم ميبد (بلدة من نواحي يزد) في سنة ٧١٣ ثم ضمت إليه حكومة يزد ، واستولى أيضا على كرمان ، واشتبك في حروب طاحنة مع الشيخ أبى اسحق اينجو، وانفزع منه إقليم فارس واصفهان . ثم توجه بعد ذلك إلى إقليم آذربيجان واستولى على تبريز .

أمضى مبارز الدين أكثر من أربعين سنة في تثبيت دولة آل المظفر ، ولكنه فقد بصره ومملكه على أيدي ابنه الشاه شجاع والشاه محمود نتيجة لغفلته وجفائه وقسوته . ثم زجأ به في السجن وظل سجيناً إلى أن مات سنة ٨٧٦٥هـ .

يؤثر عن مبارز الدين أنه كان جاف الطبع ، حاد المزاج ، يميل إلى سفك الدماء . ولقد كان لحادثة سمل عينيه على أيدي ابنه وقع أليم في النفوس أهاجت الشعراء فسجلوها في أشعارهم (انظر الأستاذ الدكتور إبراهيم أمين الشواربى : حافظ الشيرازى) .

(٣) هو ابن مبارز الدين محمد المظفرى ، تولى عرش المظفرين في سنة ٧٥٩ فولى أخاه محمود حكومة إصفهان وبارقوه . ولكن لم يلبث أن دب الخلاف بينهما ، فشرع يناضل أخاه كما كان يناضل الحكام الآخرين من خصومه إلى أن مات أخوه محمود في سنة ٧٧٦هـ .

كان الشاه شجاع ميالا إلى العلم والأدب منذ نعومة أظفاره ؛ إذ تتلمذ على يد كبار العلماء من أمثال عضد الدين الإيجي وغيره . وكانت له حافظة قوية مكتته من أن يحفظ القرآن وهو في التاسعة من عمره . كما كان يحفظ كثيرا من الأشعار العربية بمجرد سماعها . كان كذلك شاعرا حسن النقد للشعر ، له رأى خاص في شعر حافظ . وبالإضافة إلى هذا له ديوان صغير توجد نسخة منه في إحدى المكتبات الخاصة بطهران. كما أن له رسالة صغيرة اسمها «روح العاشقين» وتوجد نسخة خطية منها محفوظة بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٦١٣ فارسى . وفي هذه الرسالة يحكى قصته مع أخيه محمود . ولقد كان لرسائله ومنشأته العربية والفارسية شهرة كبيرة في الأوساط الأدبية (انظر الأستاذ الدكتور إبراهيم أمين الشواربى : حافظ الشيرازى) .

عند السلطان أبي سعيد ووزيره الخواجه غياث الدين محمد . وقد وقع عليه الاختيار ليشغل منصب قاضي القضاة في ذلك الوقت ، واتخذ مدينة السلطانية مقراً له ، واستطاع أن يكون ثروة طائلة له من الإنعامات والصلات الكثيرة التي كان يغدقها عليه الملوك والأمراء . توفي سنة ٧٥٦ هـ .

قدم عضد الدين هذا الشرح باسم الخواجه غياث الدين محمد ، الذي كلفه أيضاً بتأليف كتاب في الإنشاء وقواعد الكتابة . ولكن سرعان ما توفي الوزير دون أن يستطيع المؤلف إتمام مؤلفه . وفي عهد السلطان أويس تم هذا الكتاب الذي أطلق عليه « دستور الكاتب في تعيين المراتب » (١) .

١٠ - اتصل الشاعر سلمان الساوجي (٢) في مطلع شبابه بالخواجه غياث الدين محمد وصار يمدحه بغرر من قصائده ، كان من بينها قصيدة مصنوعة ليست في ديوانه . وهذه القصيدة تعد أعقد أثر يمكن أن يتركه شاعر إذ أنه أقحم فيها جميع الصنائع البديعية وأصول العروض . وبالرغم من أن هذه القصيدة متكلفة للغاية إلا أنها على كل حال تدل على اطلاع الشاعر الواسع وتبعاته العميقة (٣) .

وهناك قصيدة أخرى يمدح فيها غياث الدين محمد ومطلعها :
سقى الله ليلاً كصدغ الكواكب شبي عنبرين خال مشكين ذوائب
وهكذا استمر الشاعر يمدح الوزير إلى أن قتل ، فاتصل بعد ذلك بقليل بأمرآة آل جلایر ، وصار شاعر البلاط للأمير الشيخ « حسن بزرگ »

(١) يوجد مخطوط من هذا الكتاب بمكتبة مدرسة سبسالار بطهران (انظر فهرست كتابخانه مدرسة عالي سبسالار ، ج ٢ ص ٢١ - ٢٤ تحت رقم ٣٠٩) .
وقد اطلعت عليه وهويشتمل على المكاتبات الرسمية التي كانت تدور بين ملوك المغول وتلك التي تقوم بين رجال الدين والأشراف والمدرسين والمفسرين والمحدثين والوعاظ والأطباء والفقهاء والشعراء . ولهذا الكتاب قيمة كبيرة إذ يكشف لنا عن الحياة الاجتماعية ونظم الحكم والنشاط العلمي والثقافي في عصر المغول . ويؤكد الأستاذ « مينورسكي » أهميته ويدعو بجرارة إلى سرعة نشره (انظر ترجمة تذكرة الملوك ص ٦) .

(٢) هو جمال الدين سلمان بن علاء الدين محمد من أهالي ساوه . كان أبوه يشتغل مستوفيا في الديوان .

(٣) انظر رشيد ياسمي : تتبع وانتقاد أحوال وآثار سلمان ساوجي ، ص ٤ طبع طهران .

وزوجته « دلشاد خاتون » وكانت تربطه بابنها الأمير أويس صلة وثيقة . فلما تولى الحكم كان يلازمه في تبريز . وقد ظل سلمان شاعراً للبلاط حتى مات أويس ، فاتصل بابنه السلطان حسين الذى تولى عرش الخلايريين في جمادى الأولى سنة ٧٧٦ . وفى عهد هذا السلطان سقطت مدينة تبريز في يد الشاه شجاع المظفرى عام ٧٧٧ فنظم سلمان قصيدة يهنئ فيها الفاتح بهذا النصر وصار يمدحه بعد ذلك .

وفى أواخر أيامه اختار العزلة والانزواء في وطنه « ساوه » حيث توفى في ١٢ من صفر سنة ٧٧٨ هـ .

وهكذا ينظر إلى ديوان سلمان على أنه سجل هام يمكن أن تستقى منه المعلومات والدقائق عن الحوادث التاريخية والأوضاع والأحوال التي كانت تقوم في عصر الأمراء الخلايريين أو الإيلكانيين .

هذا قليل من كثير ممن اتصل بالوزير غياث الدين محمد من العلماء والأدباء والفقهاء وهو وحده كاف لإعطائنا صورة حية صادقة لما كانت عليه الحالة العلمية والأدبية في ذلك العصر ، بفضل جهود هذا الوزير الذى كان يجلب العلماء والأدباء وينزلهم المنزلة اللائقة بهم ، ويغدق عليهم العطايا والهبات . كما كان يبادر إلى مصادقة هؤلاء المستنيرين ، ويشجعهم على بسط آرائهم لإشاعة الثقافة بين الناس وذلك عن طريق إقامة المناظرات والمساجلات .

الفصل الثالث

بقية أبناء رشيد الدين وأحفاده

بالرغم من أن بقية أبناء رشيد الدين وأحفاده كانوا يحتلون أرفع المناصب في دولة المغول وما أعقبها من الدول ، إلا أن المعروف عنهم قليل : فابنه جلال الدين أرسل إلى آسيا الصغرى ليعاون الأمير تيمور تاش بن چوپان في إدارة بلاد الروم عندما نصب حاكماً عليها من قبل السلطان أبي سعيد ، فقام بواجبه خير قيام ، وبرهن على إخلاصه الكبير لهذا الأمير إبان محنته ؛ إذ أنه عندما استقر رأى السلطان والأمراء على الخلاص من الأمير چوپان والقضاء على أبنائه ومن بينهم تيمور تاش ، طلبوا إلى جلال الدين أن يبذل مساعدته لتحقيق هذا المأرب فحاول أول الأمر أن يثنى عنهم عن عزيمتهم . وأخيراً لما يئس تظاهر بموافقتهم بينما اطلع تيمور تاش على كل ما يدبر له في الخفاء ، فتمكن تيمور تاش بفضل هذه التحذيرات من أن يصد هجمات أعدائه ويهرب إلى مصر .

ووقع الاختيار على ابنه شمس الدين عبد اللطيف ليكون وزيراً للأمير أبي سعيد عندما كان يتولى إمارة خراسان في عهد أبيه أو لحايتو . فلما آل إليه الملك اتخذ عبد اللطيف نديماً له فكان موضع ثقته ومحط رعايته وعطفه . وكذلك عرفنا ابناً آخر لرشيد الدين هو عز الدين إبراهيم ، الذى كان يمتاز بجمال الخلقة وكمال الخلق فاتخذ السلطان أبو سعيد ساقياً له وعلمنا كيف كانت نهاية عز الدين عندما سيق للمحاكمة بتهمة التآمر مع أبيه على تقديم السم للسلطان أو لحايتو .

وكان پير سلطان بن رشيد الدين حاكماً على گرجستان (١) ، وكان

(١) انظر مكاتبات رشيدى ، ص ٢٦٢ وما بعدها .

الساعد الأمين لأخيه الخواجه غياث الدين محمد عندما كان يتولى الوزارة للسلطان أبي سعيد ، كما كان يحارب إلى جانبه ببسالة وشجاعة دفاعاً عن حق ارباخان في توليه عرش الإيلخانيين وقد قتل پير سلطان شر قتلة بعد مقتل أخيه الخواجه غياث الدين .

وكان الأمير شرف الدين أحمد بن رشيد الدين حاكماً على أردبيل (١) ويذكر كاترمير (٢) أن هذا الأمير ارتكب بعض الأخطاء في عهد السلطان أبي سعيد فأبعد عن السراى . ولكن نظراً لمكانة أخيه غياث الدين الذى كان وقتئذ وزيراً فقد منح لقب « ايلكا » (٣) وهذا اللقب يؤهله لأن يرتفع إلى مصاف الحكام فى أى مكان من الإمبراطورية .

ومن مجموعة رسائل رشيد الدين (٤) نعلم أنه كان له أبناء آخرون يحكمون فى أنحاء مختلفة من الإمبراطورية المغولية فكان الأمير على حاكماً على العراق والأمير محمود حاكماً على كرمان وعبد المؤمن حاكماً على سمنان ودامغان والأمير شهاب الدين حاكماً على تستر والأهواز ، والخواجه سعيد حاكماً على قنشرين .

وبالإضافة إلى ما ذكر تحصى الرسائل نفسها ابنين آخرين (٥) لرشيد الدين هما سعد الدين ومجد الدين فيكون المجموع ثلاثة عشر نفرًا .

وأما عن أحفاد رشيد الدين فإنه يذكر الخواجه شمس الدين محمد زكريا وهو ابن أخت الخواجه غياث الدين محمد كما كان صهرًا له (٦) . اختاره الشيخ حسن بزرگ (٧) ليكون وزيراً للسلطان محمد خان (٧٣٦ - ٧٣٨)

(١) انظر نفس المصدر ، ص ٢٩٦ وما بعدها .

(٢) انظر Quatremère, p. LV.

(٣) انظر نفس المصدر ونفس الصفحة .

(٤) انظر مكاتبات رشيدى .

(٥) انظر نفس المصدر .

(٦) انظر خوندميز : دستور الوزراء ، ص ٣٣٣ .

(٧) هو الشيخ حسن بزرگ بن الأمير حسين بن آقبوقا بن ايلكا نويان الجلایرى مؤسس

دولة الجلایريين التى كانت تحكم فى بغداد وتبريز فى الفترة ما بين سقوط الإيلخانيين وقيام اتيموريين .

الذى نصب على عرش الإيلخانيين على أثر هزيمة موسى خان .

وفى أيام دولة الشيخ حسن (٧٤٠ - ٧٥٧) وابنيه السلطان أويس (٧٥٧ - ٧٧٦) والسلطان حسين (٧٧٧ - ٧٨٤) ارتفع شأن الخواجه شمس الدين هذا إلى أن توفى تاركاً وراءه ذكرى طيبة .
كما وزر للسلطان أويس أخ آخر لشمس الدين زكريا اسمه نجيب الدين (١)
فهو إذن حفيد ثان لرشيد الدين .

٢

(١) انظر خوندميز : دستور الوزراء ، ص ٣٣٧ - ٣٣٨

الباب الخامس

رشيد الدين المؤرخ

الفصل الأول

(١) ازدهار فن التاريخ في عصر المغول

تكاد تجمع المصادر الإسلامية على أن العالم الإسلامي قاسى على يد المغول من السلب والنهب والتقتيل والتشريد ما تقشعر لهوله الأبدان . وكانت الضربة الهائلة التي أصابت إيران أشد وأقسى لأنها أفقدت التوازن النسبي الذي كان قائماً هناك منذ انحلال المملكة السلجوقية (١) وأتاحت الفرصة لهؤلاء القوم البرابرة أن يهدموا المدن ، ويقلبوا البلاد رأساً على عقب ، ويصيروها قاعاً صافصفاً تنعى من بناها ، ويقتلوا الآلاف العديدة من الأنفس البريئة حتى لقد عبر عن ذلك المؤرخ عطا ملك الجويني فقال في حسرة وألم : «من الآن حتى يوم القيامة إذا كان هناك توالد وتناسل فلن يصل تعداد الناس إلى عشر ما كان عليه ، وإن تلك الأخبار التي ترونها آثار الأطلال والدمن يمكن أن تنبئ كيف أن الزمن قد فعل فعله في الإيوانات» (٢) .

وكانت النكبة أشد وأنكى بالنسبة للحضارة والمدنية إذ أحييت المكتبات ومصادر الفن والثروة إلى خرائب صارت مسرحاً للبوم والغربان ، وانمحت المكاتب والمدارس ، وذبح العلماء والفضلاء كما تذبح الخراف حتى لقد وصل العلم إلى درجة الانحطاط ونزلت الآداب إلى أقصى حدود الضعف التي يمكن أن تصل إليها (٣) .

(١) انظر Sauvaget: Introduction à l'histoire de L'Orient Musulman,

Paris 1943, p. 153.

(٢) هنوز تا رستخيز اگر توالد وتناسلي باشد غلبه مردم بعشر آنچه بوده است نخواهد رسيد ، وآن اخبار از آثار اطلال ودمن توان شناخت كه روزگار عمل خود بر ايوانها نگاشته است (جهانگشاي ، ج ١ ص ٧٥ طبع ليدن) .

(٣) انظر نفس المصدر ، ص دمن المقدمة .

وهكذا نظر أولئك الذين يؤرخون العلوم والآداب إلى حالة العالم الإسلامي ، وما آل إليه أمره من خراب ودمار ، فظنوا أن إصلاح تلك البلاد من جديد يحتاج إلى آلاف السنين ، ونظر علماء أوروبا المندفعون في تيار هذه الآراء إلى الضربة التي أصابت آسيا وشرق أوروبا على أيدي المغول فوجدوها كذلك ضربة شديدة قاسية ، فأصدر هؤلاء وهؤلاء حكمهم بأن الحضارة الإسلامية التي تعب في بنائها المسلمون ، وفي مقدمتها العلوم والآداب قد ضاعت بسبب غزوات المغول ، وإن لم تكن ضاعت تماماً فقد لحقها الضعف والانحطاط . يقول محمد بن عبد الوهاب القزويني : « إن الذين لديهم أقل معرفة بالعلوم والآداب الإسلامية يمكنهم أن يلاحظوا التفاوت الفاحش ما بين الكتب والمؤلفات التي ألفت قبل استيلاء المغول والكتب والآثار التي ظهرت بعد تلك الحملة » (١) .

ولعل السبب الذي جعل هؤلاء المؤرخين يصدرون حكمهم على هذا النحو هو أنهم ربطوا بين الحياتين السياسية والعلمية ربطاً طردياً ، فكلما وجدت ظروف تخريب وتدمير قاسوا عليها تأخير الحضارة والعلوم . بينما نرى أن هذا المقياس ليس صحيحاً دائماً فالتاريخ يرينا أن الحالة العلمية والأدبية لا تتبع الحالة السياسية ضعفاً وقوة ، فقد تسوء الحالة السياسية إلى حد ما وتزدهر بجانبها الحياة العلمية والأدبية ، ذلك لأن الحياة السياسية إنما تحسن بتحقيق العدل ونشر الطمأنينة بين الناس ، ومع هذا فقد يحمل الظلم كثيراً من عظماء الرجال وذوى العقول الراجحة على أن يفروا من العمل السياسي إلى العمل العلمي ؛ لأنهم يجدون العمل السياسي يعرضهم لمصادرة أموالهم وأحياناً إلى إزهاق أرواحهم ، على حين أن العمل العلمي يحيطهم بجو خاص هادئ مطمئن ، ولو كان الجو العام مائجاً مضطرباً (٢) .

والحقيقة أن فترة الغزو المغولي على يد جنكيز وخلفائه في البلاد الإسلامية كانت في أول أمرها فترة عصيبة عانى فيها المسلمون آلام القتل والتعذيب

(١) نفس المصدر ونفس الصفحة .

(٢) انظر الدكتور أحمد أمين ظهر الإسلام ، ج ١ ص ٩٦ .

وحل ببلادهم الخراب والدمار . ولكن العاصفة صارت تهدأ تدريجياً حتى جاء الوقت الذى تأثر فيه المغول بحضارة المغلوبين ، واعتنقوا دينهم . يقول پول هورن (paul Horn) : « والتقليد هو إحدى خواص المغول يعنى أنهم فى كل وقت يكفون أيديهم عن القتل والغارة ، ويعودون إلى الحالة الطبيعية فى ذلك الوقت تراهم يميلون إلى الاقتباس من الأمم المتمدينة الأجنبية ، ويأخذون عنهم نظم الحكم » (١) .

والواقع أن حكم غازان يحدد اللحظة التى تحول فيها هؤلاء البدو البدائيون شيئاً فشيئاً إلى الحياة المستقرة فى إيران (٢) ، فقد حاول هذا السلطان خلال عهده القصير أن يعوض بلاد الفرس بعض ما خسرت بسبب الجرائم التى اقترفها أسلافه فيها (٣) ؛ إذ كان إسلامه واختياره الإسلام ديناً رسمياً للدولة إيذاناً ببدء عصر جديد كان يختلف بروحه ومميزاته عن سابقه . عصر تطورت فيه مظاهر الحياة عند المغول ، وارتقت نظمهم الاجتماعية ، ونبدوا عاداتهم الوثنية فشرعوا يصلحون ما فسد آباؤهم ، وأقبلوا يساهمون بنصيبهم فى إنهاض الحضارة الإسلامية فى شتى مظاهرها .

لقد اهتم المغول كل الاهتمام بتشجيع العلوم ذات الخطورة العملية الخاصة كالطب لحفظ الأبدان والرياضة والهيئة لاختيار الأوقات . فنحن نعرف أن هولوكو أنشأ مرصداً كبيراً للعالم الفلكى نصير الدين الطوسى فى مدينة مراغة بأذربيجان أعده بأدق الأجهزة المعروفة فى زمانه .

ولكن على الرغم من ذلك لم يتوقف التأليف فى العلوم الأخرى والآداب بل ظل سائراً فى طريقه ، إذ أنه من المحال أن يضع كل هذا التراث الإسلامى الحמיד دفعة واحدة وتنطق مشاعل العلم والأدب نتيجة لحملات المغول مهما كانت عنيفة قاسية ، ذلك لأن تمسك الناس بالأمور المعنوية كان لا يزال قوياً محكماً ، كما أن علاقتهم بالثقافة والمعارف لم تكن قد انقطعت بعد . هذا من

(١) پول هورن : تاريخ مختصر إيران ، ترجمة رضا زاده شفق ص ٧٠ .

(٢) انظر Grousset: L'Empire des Steppes, p. 457.

(٣) بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ج ٢ ص ٢٧٣ .

جهة ومن جهة أخرى خلص بمحض الصدفة مقدار من الكتب والآثار كما حمل مقدار آخر إلى المدن البعيدة لتكون في مأمن من السلب والنهب . ثم إن العلماء الذين وجدوا الخلاص من هذه الورطة الهائلة ، فروا ناجين بجلودهم إلى الأماكن الآمنة في جنوب إيران في إقليم فارس وفي الهند وفي آسيا الصغرى حيث استأنفوا نشاطهم العلمي والأدبي . ونظراً لما لقوا من التشجيع والرعاية من حكام هذه الأقاليم ضاعفوا نشاطهم وإنتاجهم ، فعملوا بذلك على نشر اللغة الفارسية وآدابها في تلك الربوع (١) . وعلى هذا يمكننا أن نعتبر هذا العصر امتداداً لعصور النهضة التي سبقتة .

على أن فروع الأدب كانت تتفاوت في ذلك العصر من حيث القوة والضعف فتحسن إذا نظرنا إلى الشعر نجد أن فن المدح والقصائد قد فقد عشاؤه وطالبه من الخلفاء والأمراء والوزراء وغيرهم من رجال السلطة الذين كانوا يطلبون الشعر ، ويشغلون به ويلتذنون لسماعه ويثيبون عليه ، ووجدنا سلاطين المغول لا يطربون لهذا الضرب من الشعر الذي يقوم على التملق والتزلف في أغلب الأحوال ، فلم يقيموا له وزناً ، وانصرف همهم إلى تدوين حسابات المملكة وضبط الخراج والدخل وتدريب الجند فكانت النتيجة أن انصرف الشعراء عن المدح والقصائد فضعف شأنه إلى حد كبير ، ولم يبرز فيه إلا القليل النادر جداً وهؤلاء لا يمكن أن يقاس شعرهم بشعراء القصائد قبل عصر المغول . أما شعر التصوف فقد نما وازدهر في هذا العصر وشمل أروع المعاني وأجملها في الشعر . ولعل اللغة الفارسية لم تعرف في عصورها الأدبية المختلفة شعراً يمكن أن يقاس بشعر التصوف في هذا العصر . ولعل رواج هذا النوع من الشعر يرجع إلى عسف المغول وجورهم ، وازدياد البلايا وكثرة المحن مما أوجد روحاً من اليأس والقنوط سدت أبواب الأمل والنجاة في وجوه الناس ودفع ذوى النفوس المرهفة منهم إلى العالم الروحي والرغبة في الحياة المعنوية والتأملات الباطنية والرياضة الصوفية تسلياً لخواطرهم ؛ فاستعاضوا عن القوضى والاضطراب السائدين في عالم المحسوسات بالهدوء والاستقرار وصفاء النفس (٢)

(١) انظر رضا زاده شفق : تاريخ أدبيات إيران ص ٢٥٩ .

(٢) نظر نفس المصدر ، ص ٢٦٢ .

فإذا انتقلنا إلى النثر نجده قد ازدهر إلى حد كبير في هذا العصر خصوصاً على أثر سقوط بغداد ، فقد تمت بفتوح المغول لهذه العاصمة الكبيرة الخطوة النهائية في سبيل حلول اللغة الفارسية محل اللغة العربية في ميدان الثقافة (١) وفقدت بذلك اللغة العربية مكانتها التي تمتعت بها قبل الغزو في ميادين السياسة والثقافة العلمية والأدبية ، وتخلت عن مكان الصدارة للغة الفارسية (٢) فكثرت التأليف بهذه اللغة خصوصاً وأن الوزراء والعمال الذين كانوا يتولون المناصب الرئيسية في دولة المغول كانوا من الإيرانيين . ورغم أن اللغة العربية قد بقيت كلغة علمية وأدبية ولم يكن للأدباء والكتاب الإيرانيين غناء عن تعلمها ، فإن عنايتهم كانت أشد وأقوى باللغة الفارسية لأنها اللغة التي استطاعت أن تشبع رغبة العامة ، وتوافق إحساس الناس في ذلك الوقت . يقول براون : « إن تحطيم بغداد كعاصمة للمسلمين ، وإنزالها إلى مرتبة المدن الإقليمية ، قد أصاب رباط الوحدة بين الأمم الإسلامية بلطمة شديدة كما أصاب مكانة اللغة العربية في إيران بضربة قاصمة ، فاقصر استعمالها بعد ذلك على العلوم الفقهية والفلسفية ، فإذا وصلنا إلى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) لم نعد نصادف إلا القليل النادر من الكتب العربية التي تم تأليفها في إيران » (٣).

وإن تقدم انثر ليتضح على وجه الخصوص فيما خلفه لنا هذا العصر من الموسوعات التاريخية التي نمتاز بوفرة المطالب وبحث الجزئيات واتساع التحقيق ونقل الإسنادات التاريخية مما ينهض دليلاً قوياً على ارتقاء فن التاريخ في هذا العصر بالقياس إلى غيره من فنون الأدب . ونحن إذا تلمسنا علل هذا الازدهار نجدها تتلخص فيما يأتي :

١ - لاشك أن وقوع حادثة عظيمة مثل استيلاء المغول على العالم الإسلامي ، وما تبع ذلك من ضروب القسوة البالغة التي أدت إلى انقراض دول وذهاب عروش وتفتيل آلاف عديدة من السكان ، وتخريب أمهات

(١) انظر ترجمة دائرة المعارف الإسلامية المجلد الرابع ص ٤٩٩ .

(٢) انظر . Reuben Levy: Persian Literature, p. 53.

(٣) تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي ، ترجمة الأستاذ الدكتور إبراهيم

أمين الشواربي ، ص ٥٦٤ .

البلاذ - لما يجلب أنظار المؤرخين ويشجعهم على تأريخ تلك الفترة . أجل ! كانت هذه الأحداث وأشباهها خير حافز للمؤرخين والكتاب على تأريخ تلك الواقعة التي لم يسبق لها مثيل في فظاعتها وقسوتها وخطورة نتائجها ؛ خصوصاً وأن هذا الشعور كان استجابة للناس الذين اشتدت علاقتهم بالتاريخ اشتداداً كبيراً في ذلك العصر نتيجة لهذه الانقلابات العظيمة . ولا غرو فليس هناك فترة أخرى من فترات التاريخ تقدم مثل هذه السلسلة الهائلة المتتابعة الحلقات المتلاحقة العزى من الكوارث المتنوعة المروعة ، أو مثل هذه المجموعة من الفتوح التي تشبه الأساطير والتي لا تدانيها فتوح الإسكندر وفتوح الرومان أو هذا التجمع الغريب لضروب الإفراط من كل نوع ما بين أعمال وحشية وفظائع تثير القلب والعقل ، تصحبها أعمال ناصعة البطولة ، وأفعال ملأى بالشجاعة والرجولة والنبيل ، وانتصارات تشبه المعجزات (١) . يحدثنا رشيد الدين في مقدمة كتابه « جامع التواريخ » أنه بواسطة التاريخ يعلم ابتداء كل ملة وأول كل دولة ، وأن ظهور دولة جنكيز خان كانت أعظم حادثة في هذا الزمان ، لهذا كانت جديرة بالتأريخ ، إذ أنه في زمان يسير فتح بلاداً كثيرة وقهر الجبابرة وكسرههم بأيدي بطشه وداسهم بأقدام قدرته ، وأورثها أولاده وأحفاده . وكان من عادة العلماء ورسم الحكماء أن يؤرخوا معظمات الوقائع من خيرها وشرها في كل زمان حتى يعتبر بها أولادهم وعقبهم ونسلهم ويعلموا أحوال الأدوار في القرون الماضية ، ويسمعوا تذكير السلاطين المقدمة والأكاسرة الأول ، ويبقى ذكرهم مخلداً على صفحات الأيام والليالي في بطون الأوراق (٢) .

٢ - اكتساح الممالك الإسلامية وغير الإسلامية على يد المغول ودخول كثير منها في حوزتهم كان عاملاً على توسيع الأفق البشري ، ومساعداً على اختلاط الأقاليم المختلفة . وقد شجع هذا على الكتابة في تاريخ تلك الأمم

(١) انظر جامع التواريخ ، تاريخ هولاكوخان ، المجلد الثاني - الجزء الأول ، الترجمة العربية ، ص ٨٣ ، القاهرة ١٩٦٠ .

(٢) انظر رشيد الدين : تاريخ الغزافي ، صور شمسية ، دار الكتب المصرية ، تحت رقم ١٨٨٩ ورقة ٢١ .

وأثار الرغبة في التأليف في التاريخ العام للاعتبار بأحوال الدول بنسبتها بعضها إلى بعض . وذلك على العكس مما كانت عليه الحالة قبل هذا العصر ؛ إذ كان تشتت المملكة الإسلامية ، وتنازع أصحاب السيادة والسلطان فيها من الملوك والأمراء حافزاً على الإكثار من كتب التاريخ الخاص التي تتناول تاريخ دولة من الدول أو بلدة من البلدان .

٣ - تشجيع الإيلخانيين لهذا الفن بصفة خاصة ، وميلهم إلى إحياء آثار آبائهم وأجدادهم ، ونفض غبار النسيان عنهم ، وتذكير الحاليين بالجهود التي بذلها أسلافهم في سبيل تأسيس إمبراطوريتهم ، فيكون هذا حافزاً لإشغال حماسهم ، وشحن عزيمتهم ، ودافعاً لهم للمحافظة على كياناتهم . يضاف إلى هذا أنهم كانوا يتوقون إلى الوقوف على أحوال الممالك التي كانت تجاورهم . فليس عجباً إذن أن تظهر في هذا العصر جملة معتبرة من كتب التاريخ كان ولا يزال ينظر إليها على أنها أهم ما دون في هذا الفن .

(ب) مصادر تاريخ المغول قبل رشيد الدين

لم يكن رشيد الدين أول من حاول الكتابة في تاريخ المغول ، وإنما وجد من المؤرخين الذين سبقوه من تناول هذا الموضوع بدرجة متفاوت حظها من النجاح . ولا شك أنه يكون من المفيد بل من الضروري أن ندرس أهم المصادر الإسلامية التي ألقت في تاريخ المغول ؛ بشرط أن تكون دراسة نقدية تبين أوجه الكمال والنقص فيها حتى تتضح الدواعي التي أدت إلى تأليف كتاب رشيد الدين ؛ فيسد بذلك ما وجد في تلك المصادر من نقص ، ويحيى أوفى كتاب في تاريخ المغول .

هذه المصادر حسب ترتيبها الزمني هي : -

١ - الكامل في التاريخ : ألفه باللغة العربية أبو الحسن علي بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير والملقب بعز الدين . ولد بالجزيرة سنة ٥٥٥ هـ ونشأ بها ، واشتغل في أوائل عمره بتحصيل فنون الأدب في الموصل وبغداد والشام وصار إماماً في حفظ الحديث ومعرفة ما يتعلق به ، وحافظاً للتواريخ

المتقدمة والمتأخرة ، وخبيراً بأنساب العرب وأيامهم ووقائعهم وأخبارهم (١).
توفى في سنة ٦٣٠ هـ .

يعد ابن الأثير من أشهر المؤرخين الإسلاميين . صنف في التاريخ كتاباً كبيراً سماه « الكامل » وهو في التاريخ العام ومرتب على حسب السنين منذ بدء الخليقة حتى سنة ٦٢٨ أى قبل وفاة المؤلف بعامين . ويتميز هذا الكتاب بما بذله ابن الأثير من محاولة سرد التاريخ بأسلوب جعله أقرب إلى الحياة منه إلى الجمود . وآية ذلك أنه حشد الحوادث في روايات وأدخلها جميعها في إطار من الحوليات . ولئن كشف الفحص الدقيق أن هناك عيوباً في طريقة تناول ابن الأثير لمواد كتابه فإن رشاقة هذا الكتاب وما امتاز به من إشراق قد أكسبها شهرة باكرة وجعلنا منه ذلك المرجع العمدة الذى استقى منه المصنفون المتأخرون (٢) .

كان ابن الأثير معاصراً لغارات المغول على العالم الإسلامى فاستطاع أن يصف في أمانة ودقة - أوضاع هذا العالم في عهد القراخانيين والخوازميين حتى أواخر عهد السلطان جلال الدين منكبرتي . ويجب ألا ننسى أن ابن الأثير هو أول المؤرخين الإسلاميين الذين تحدثوا بالتفصيل إلى حد ما عن غارات أقوام التتار . وما يضمنى على هذه التفصيلات أهمية أكثر أنه كان يستقيها من مصادر موثوق بها كما كان يتحرى منتهى الدقة في روايتها . وعلى هذا يمكننا أن نستقى منه أحسن المعلومات عما أحدثه المغول من تخريب وتدمير إلى جانب تعداد مساوئهم الأخرى (٣) .

٢ - سيرة جلال الدين منكبرتي لنور الدين محمد بن أحمد بن علي ابن محمد المنشئ النسوى (٤) الكاتب الخاص للسلطان جلال الدين (٦١٧ - ٦٢٨) جاء في سنة ٦٢١ رسولا من قبل وإلى مدينة « نسا » ليسلم الأموال (١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٣ ص ٣٤ ، نشر مكتبة النهضة بالقاهرة ١٩٤٨ .

(٢) انظر ترجمة دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الرابع ص ٥٠٠ .

(٣) انظر Spuler: Die Mongolen In Iran, p. 15.

(٤) نسبة إلى مدينة نسا وهي مدينة بخراسان بالقرب من سرخس وأبيورد . بناها فيروز ابن يزدجرد أحد الأكاسرة وكان يقال لها «شهر فيروز» وهي مدينة طيبة كثيرة الأنهار والأشجار إلا أنها وبئة (انظر زكريا القزويني : آثار البلاد ، ص ٣١١) .

إلى السلطان غياث الدين أخى جلال الدين : فلما علم بانتصار جلال الدين على أخيه فى الرى حمل تلك الأموال وسلمها إليه ، والتحق بخدمته منذ ذلك الوقت . وفى سنة ٦٢٢ اختير كاتباً فى ديوان إنشاء السلطان جلال الدين فتقلد هذه الوظيفة كارها فى بادئ الأمر ، ثم تعلق بها بعد أن عم عليه نفعها وصار يقاتل على جد تعبيرة من يزاحمه عليها .

ولعل أخطر المناصب التى تولاها كان منصب الوزارة فى مدينة « نسا » وقد شرط عليه السلطان عندما قلده هذه الوظيفة أن يبقى إلى جانبه وأن ينبى عنه فيها أحد ثقاته .

ومما يجدر ذكره فى حياة هذا المؤرخ أنه كان رسول السلطان جلال الدين فى كثير من سفاراته إلى حكام المسلمين ، وأنه استمر يلازمه حتى سنة ٦٢٨ وهى السنة التى هرب فيها جلال الدين من أذربيجان إلى الجزيرة وكان النسوى قد حمل رسالة إلى الملك المظفر صاحب ميافارقين فتعرض فى طريقه لكثير من البلايا حتى بلغ ميافارقين فى سنة ٦٢٩ واختارها مكاناً لإقامته وهناك سمع بمحاذة قتل جلال الدين . وقد ظل النسوى على قيد الحياة حتى سنة ٦٣٩ ولا يعلم بعد ذلك ما آل إليه أمره .

كان النسوى كاتباً قديرأ باللغتين الفارسية والعربية . ألف كتابه « سيرة جلال الدين منكبرى » باللغة العربية فى سنة ٦٣٩ ، ودون فيه ما شاهده وما سمعه من وقائع عصر جلال الدين (١) ، لأنه رأى كتاب ابن الأثير رغم ما يحويه من معلومات قيمة فى تاريخ الدولة الخوارزمية لم تتح له الفرصة لأن يفصل الحوادث الأخيرة التى جرت للسلطان جلال الدين ؛ فأراد بذلك أن يكمل تلك الاطلاعات ، وأن يرد الخرافات التى تناقلها الناس عن مخدومه (٢) . فالكتاب بهذا يشتمل على تاريخ العهد الأخير للدولة الخوارزمية . وقد جره الحديث عن تلك الدولة إلى أن يسوق بعض التفاصيل عن خروج المغول .

(١) انظر النسوى : سيرة جلال الدين منكبرى ص ٢ طبع باريس .

(٢) نفس المصدر ونفس الصفحة .

كما شرح كل الحوادث التي وقعت للسلطان جلال الدين ، ووصف المعارك التي خاضها ضد المغول . ولما كان النسوي يعاصر تلك الحوادث اكتسب كتابه أهمية كبيرة حتى أنه ليعتبر أحد المصادر الهامة في تاريخ المغول .

وهذا الكتاب هو الذي استقى منه « بارتولد » كثيراً من المعلومات المفصلة عن موطن المؤلف « خراسان » في فترة الغزو المغولي ، وذكر أنه تحدث عن الوقائع الحربية بصورة مختصرة ولكنها أكثر وضوحاً عما هو موجود في المصادر الأخرى (١) .

وللنسوي رسالة أخرى بالفارسية اسمها « نفثة المصدور » كتبها إلى أحد عظماء عصره في سنة ٦٣٢ وهو في « ميفارقين » ، وهذه الرسالة تتضمن الوقائع المؤسفة التي وقعت له ولخدمته ، وأغلبها مما يتعلق بشخصه فيما بين أعوام ٦٢٧ ، ٦٣٢ .

٣ - طبقات ناصري (٢) : للقاضي أبي عمر منهاج الدين بن سراج الدين الجوزجاني ويعرف « بمنهاج السراج » . ولد عام ٥٨٩ هـ ونشأ في أسرة عرفت بالعلم والأدب ، وكان عالماً فاضلاً مهراً في علوم الدين والحديث وإلى جانب ذلك كان كاتباً بليغاً وشاعراً كبيراً باللغة الفارسية . التحق بخدمة الأمراء الغوريين . وحدث أن أرسل في سفارة أثناء غارات المغول فمكث ينتقل من مكان إلى آخر أمام هجماتهم وأخيراً هاجر إلى الهند حيث لحاً إلى حماية السلطان ناصر الدين قباچه (٣) من المماليك الغوريين . وقد عين مدرساً من قبل هذا السلطان ، كما نصب قاضياً للجيش . وفي عام ٦٢٥ تغلب شمس الدين التتمش على ناصر الدين قباچه فالتحق القاضي « منهاج السراج » بخدمة

(١) Barthod: Turkestan Down to the Mongol Invasion, p. 38.

(٢) أقسام هذا الكتاب التي تشتمل على تاريخ الغوريين والقراخانيين والمغول نشرت في كلكتا عام ١٨٦٤ م ، كما ترجمها إلى الانجليزية الماجور رافرتي Major Raverty: تحت عنوان The Tabakat Nasiri (London, 1881) مع حواشي مفصلة وظهرت الفهارس وحدها في سنة ١٨٩١ .

(٣) كان يحكم في المولتان وبعض نواحي أخرى من بلاد السند من سنة ٦٠٢ - ٦٢٥ وكان أحد المروجين للأدب الفارسي .

شمس الدين هذا وصحبه إلى دهلي أثناء استيلائه عليها ، وبقى ملازماً لشمس الدين وابنه « ناصر الدين محمود شاه » (٦٤٤ - ٦٦٤) . وكما ذكر « صادق الإصفهاني » . توفي الخورزجاني في سنة ٦٩٨ (١) .

ألف الخورزجاني كتابه : « طبقات ناصري » باسم السلطان ناصر الدين محمود شاه في الفترة ما بين عامي ٦٥٧ - ٦٥٨ ، ويحتوي على ثلاثة وعشرين قسمًا يطلق على كل قسم « طبقة » ويختص كل قسم بذكر طبقة من الأنبياء والشيوخ والخلفاء وسلاطين الهند . . . وهكذا إلى أن يختتمه بالطبقة الثالثة والعشرين في وقائع الإسلام وخروج الكفار أي المغول . ورغم أن الخورزجاني تحدث عن هجوم المغول أثناء حديثه على ملوك الخوارزميين وسلاطين الهند فإن القسم الثالث والعشرين قد خصصه للتحدث عن المغول من وقت خروجهم حتى فتح بغداد .

ويمتاز كتاب طبقات ناصري بسلسلة أسلوبه ومثانة عباراته ، ويعد من أوثق المصادر في تاريخ المغول ، فقد شاهد غاراتهم بنفسه وساق عنهم قصصاً هامة . ومن حيث الزمن يعتبر كذلك من أقدم كتب التاريخ الفارسي في هذا العصر . هذا فضلاً عن أهميته الكبيرة فيما يتعلق بدراسة تاريخ الغوريين وملوك الهند ؛ فقد كان ملتحقاً بخدمة هؤلاء الملوك كما ذكرنا ، واستطاع بذلك أن يصف الحوادث التي وقعت في أفغانستان والهند بشيء من التفصيل (٢) .

٤ - جهانگشای (٣) : لعطا ملك الجويني بن بهاء الدين محمد . ولد عام ٦٢٣ هـ . والتحق بخدمة المغول منذ الصغر ، وصار من عمال الديوان للأمير أرغون حاكم إيران من قبل المغول . وقد قام بعدة أسفار استطاع خلالها أن يقف على أحوال المغول ونشأتهم ومعرفة أصلهم فتيسر له بذلك أن يجمع المواد اللازمة لتأليف كتابه . وأما بقية حياته فقد سبق أن تحدثنا عنها في الباب الأول .

(١) شاهد صادق ، مخطوط مكتبة مجلس النواب «كتابخانه مجلس شورای ملی» ص ٣٧٧

تحت رقم ٥٥٠٩ .

(٢) Barthold: Turkestan Down to the Mongol Invasion, p. 39.

(٣) أي فاتح العالم والمراد به جنكيز خان .

ونحن لا يمكننا أن نعد عطا ملك معاصراً لفترة غزوات المغول الأولى. على إيران لأنه في ذلك الوقت كان في سن مبكرة . ولكن الدور الهام من حياته وإحاطته بيوطن الأمور إنما يبدأ من وقت قدوم هولاكو إلى إيران . ولهذا كانت أغلب الوقائع التي ذكرها الجويني عن تلك الفترة مستمدة مما سمعه من معاصريه المعمرين ، كما أنه وقف على كثير من المعلومات أثناء أسفاره العديدة ، فقد طوف فيما وراء النهر وتركستان وبلاد الأويغور ومنغوليا حتى وصل إلى طرف الماچين (١) وأقصى الصين وشاهد بنفسه كثيراً من الوقائع الهامة (٢) . ثم إن الجويني بسبب ارتفاع منزلته في دولة المغول واستمرار ملازمته لسلطينهم وعظماهم وأشرفهم استطاع أن يجمع الروايات والحكايات عن المغول شفاها من ثقات تلك الطائفة ، وربما استفاد أيضاً من بعض الوثائق المغولية (٣) .

لهذا لم يتردد عطا ملك الجويني في الموافقة على اقتراح أصحابه حينما أشاروا عليه بتأليف كتاب جامع في تاريخ المغول ؛ فقيد ما سمعه وما شاهده وألف كتابه الحاضر (٤) في الفترة ما بين سنة ٦٥٠ وسنة ٦٥٨ هـ أي أنه تمت كتابته في نفس السنة التي ألف فيها الجوزجاني كتابه . ولكن الجويني وقف بكتابته عند حوادث سنة ٦٥٥ .

قسم المؤلف كتابه إلى ثلاثة أجزاء :

الجزء الأول: في تاريخ ظهور جنكيز خان وشروعه في القتال والتزال والياسا (٥) التي وضعها ، وتاريخ أقوام الأويغور وفتوحات جنكيز فيما وراء

(١) المراد بها الصين الجنوبية ، ويسمى الهنود «مهاجين» أي الصين الكبرى . ويطلق عليها المغول اسم نونكياس (انظر جامع التواريخ : تاريخ هولاكوخان ، الترجمة العربية ، ص ١١٩ الجويني : تاريخ جهانگشاي ، ج ١ ص ١٨٦ حاشية ٣) .

(٢) انظر نفس المصدر الأخير ، ص ٦-٧ .

(٣) انظر Barthold: Turkestan Down to the Mongol Invasion, p. 41.

(٤) الجويني : تاريخ جهانگشاي ، ج ١ ص ٧ .

(٥) اقتضت حياة المغول رغم بدائيتها وبساطتها أن تكون لهم قبل جنكيز مجموعة من الآداب والتقاليد ولكنها لم تكن مدونة لأنهم كانوا يجهلون الخط فلما جاء جنكيز ، أعاد النظر في هذه العادات ، ورد بعضها ، وقبل معظمها وأضاف إليها بعض الأحكام والقواعد ، وجعل =

النهر وخراسان ، وانقراض دولة الخوارزميين ، وسلطنة اوكتاي وكيوك
وأحوال جوجي وجغتاي .

الجزء الثاني : في تاريخ سلاطين الخوارزميين والقراخطائين وحكام
المغول في إيران .

الجزء الثالث : في تاريخ منكوقاآن ، وتفصيل حملة هولاكو على
إيران ، وشرح تاريخ الإسماعيلية حتى سقوط دولتهم .

وهذا القسم مقتبس من كتاب « سرگذشت سيدنا » وكان الجويني
قد عثر عليه أثناء تفتيشه عن نفائس الكتب والذخائر التي كان يحتفظ بها
الإسماعيليون في مكتبة « الموت » . ويعقب هذا القسم رسالة صغيرة تشتمل
على حوادث فتح بغداد تنسب إلى الخواجه نصير الدين الطوسي . وأغلب
الظن أن هذه الرسالة التي هي بمثابة ذيل للجزء الثالث قد ألحقت بآخر نسخ
كتاب تاريخ جهانگشاي .

= لها صبغة رسمية ، وأمر بأن تدون النظم والأحكام بالخط الأويغوري ، وأن يحتفظ بها في خزائن
أمرام المغول .

وأطلق على كل حكم من هذه الأحكام والقواعد اسم «ياسا» وهي كلمة مغولية تأتي بمعنى
حكم وقاعدة وقانون ، وتكتب بأشكال مختلفة في الكتب العربية والفارسية فنجد «ياسا وياسه
ويساق وياساق ويسق» وكانت تطلق هذه اللفظة على الحكم الذي يصدره الملك أو الأمير . ولما كان
كتاب الياسا يشتمل على جزء كبير من الأحكام التي تتعلق بالجزاء أو العقاب ، وغالبا ما يكون ذلك
بإعدام الشخص المذنب صار أحد معاني هذه الكلمة «القتل والموت» . وهكذا وجدنا في الكتب التاريخية
التي ألفت في عصر المغول هاتين العبارتين : «يياسا رسانیدن» ويياسا ملحق گردانیدن» وبقي اسم
المصدر «ياساميشي» من هذه الكلمة بمعنى السياسة والإدارة . وإلى جانب كلمة «ياسا» تستعمل لفظه
«يوسون» وهذه كلمة مغولية أيضا بمعنى الطريقة أو الرسم

أما مجموع هذه الاحكام المكتوبة بالخط الأويغوري والتي أقرها جنكيز ، فانه يطلق عليها
كتاب الياسا الكبير «ياسانامه بزرگ»، وكانت تبرم الأمور وفق ما تشير به الياسا وذلك في الأحوال
الآتية : تنويع الخاقان وإنفاذ الجيوش وفي حالة انعقاد مؤتمر عام يحضره الأمراء لمناقشة السياسة
العامة للدولة (للحصول على معلومات وافية فيما يتعلق بالياسا ومحتوياتها انظر : تاريخ جهانگشاي
ج ١ ص ١٧ وما بعدها ؛ رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ٣١٠ طبع بولاق ؛ خطط المقریزی ج ٢ ص ٢٢٠ -
٢٢١ طبع بولاق ؛ Barthold: Turkestan Down to Mongol Invasion, pp. 41-4 2 .
والمغول في التاريخ للمؤلف ، ص ٢٣٧ وما بعدها .

وهذا الكتاب هو أحد الكتب الثلاثة : (جهانگشای ، جامع التواريخ تاريخ الوصاف) التي قال عنها الأستاذ القزويني إنها أهم الكتب التاريخية التي ألقت في عصر المغول على الإطلاق ، فلم يؤلف كتاب أحسن ولا أدق من هذه الثلاثة في تاريخ المغول بوجه عام وسلاطين المغول الذين كانوا يحكمون في إيران بوجه خاص (١) .

وتاريخ جهانگشای له السبق على الاثنين الآخرين ، وهو يحتوي على اطلاعات نفيسة صرف المؤلف في الحصول عليها أغلب أيام حياته ؛ فجاء مؤلفه دقيقاً للغاية بحيث أن قسماً كبيراً من المعلومات التي حواها عن تاريخ الأويغوريين والقرخطائين والخوارزميين وفتوحات جنكيز استفاد منها المؤرخون جميعاً بلا استثناء بعد الجويني ، وذكروها في مؤلفاتهم وكانوا أحياناً يصرحون بذلك وأحياناً لا يصرحون (٢) .

ميزة أخرى للجويني على غيره من المؤرخين هو أنه كان يعيش في عصر كانت لا تزال فيه الإمبراطورية المغولية وحدة متماسكة ؛ فسعى جاهداً حسب ما سمحت له المصادر أن يذكر لنا تاريخ أجزاء تلك الإمبراطورية ، في حين أن غيره من المؤرخين مثل الوصاف ورشيد الدين كانوا يوجهون عنايتهم أولاً إلى وصف الوقائع في الأقاليم التي كان يسيطر عليها الإيلخانيون في إيران والصين باعتبارها طريقاً موصلاً لإيران (٣) .

ومما هو جدير بالذكر أن الجويني سار في مقدمة تاريخه على نحو ما سار ابن خلدون في مقدمته من تقصي الحقائق وعرض المسائل الفلسفية ، وبيان الأصول الصحيحة الاجتماعية ؛ في الكشف عن العلل الحقيقية لهزيمة دولة الخوارزميين ، وانقراض مدينة الإيرانيين على يد التتار ، ومقابلة ذلك ببيان الأسباب الواقعية لتقدم جنكيز ونجاحه في الوصول إلى أهدافه . يقول الأستاذ بهار : « لم يتقص شخص الحقائق ، ولم يتعمق كنه المسائل على هذا النحو

(١) انظر تاريخ جهانگشای ج ١ ص ٤ من المقدمة .

(٢) نفس المصدر ، ص ٤٠ .

(٣) Barthold: Turkestan Down to the Mongol Invasion, p. 40. (٣)

في الكتب الفارسية بل في كتب التواريخ العربية باستثناء ابن خلدون « (١) .
ومع أن الجويني كان ملتحقاً بخدمة المغول ؛ فقد أخذ نفسه بالامتناع
عن الملق والمداينة وسعى جاهداً في أن يعطينا قصة كاملة وصادقة للحوادث
التي وضعها ، لتبرز الحقائق التاريخية مجردة عن كل غرض أو هوى .
٥ — نظام التواريخ : ألفه بالفارسية القاضي المشهور والمفسر المعروف
أبو الخير ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي . كان من أهل « البيضاء » (٢)
ويروى أنه كان لأبيه إمام الدين عمر منزلة كبيرة في عهد الأتابك أبي بكر بن
سعد بن زنگي ممدوح وحامي الشاعر الكبير « سعدى الشيرازي » .

عاصر مؤلفنا « السلطان أرغون خان » من الإيلخانيين ، وبعد أحد كبار
الفقهاء والمفسرين ، فكان على حد تعبير السبكي إماماً مبرزاً نظاراً صالحاً
متعبداً زاهداً ولي منصب قاضي القضاة في شيراز (٣) في عهد الأتابكة
السلغوريين ثم عزل عن منصبه فذهب إلى تبريز حيث تولى هذا المنصب مرة
أخرى ، وهناك كان يقوم بالتدريس ويحظى باحترام السلطان أرغون والعلماء
إلى أن توفي في سنة ٦٨٥ هـ (٤) .

ألف البيضاوي هذا الكتاب الصغير « نظام التواريخ » باللغة الفارسية
على خلاف مؤلفاته الأخرى التي كتبها كلها باللغة العربية ، وهو يشتمل على
خلاصة لتاريخ إيران من عهد آدم إلى سنة ٦٧٤ . ولكن يبدو أن المؤلف
أضاف إليه وقائع أخرى حتى وصل به إلى سنة ٦٨٣ هـ ، كما يحتمل أن يكون
هناك شخص آخر زاد عليه كذلك حوادث أخرى حتى وصل به إلى سنة
٦٩٤ هـ (٥) .

(١) در كتب فارسی بلکه تواریخ تازی سواى «ابن خلدون» كسى باين نحو دركنه مسائل
تقصى وتعمق ننموده است (سبك شناسى ج ٣ ص ٥٢) .

(٢) بلدة صغيرة في إقليم فارس ، تربتها بيضاء ، ولهذا سميت «البيضا» تحيط بها المزارع
التي تنتج كثيراً من أنواع الفواكه وهواؤها معتدل (انظر ابن البلخي: فارسنامه ص ١٠٥ طبع طهران)

(٣) طبقات الشافعية ، ج ٥ ص ٥٩ .

(٤) انظر ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٥ ص ٣٩٢ .

(٥) انظر براون : التاريخ الأدبي لإيران ، ج ٣ ص ١٠٠ .

ينقسم الكتاب المذكور إلى الأقسام الأربعة الآتية :-
القسم الأول : فى بيان أحوال الأنبياء عليهم السلام من عهد آدم حتى
نؤمن نوح .

القسم الثانى : فى تاريخ ملوك الفرس القدماء .
القسم الثالث : فى شرح حال الخلفاء الراشدين والأئمة .
القسم الرابع : فى أخبار الدويلات التى استقلت أيام الخلافة العباسية
وهى : الصفارية ، السامانية ، الغزنوية ، الغورية ، الديلمية ، السلجوقية ،
الملاحدة ، السلغرية ، الخوارزمية ، ويحكم الكتاب بدولة المغول .
وفى الفصل الذى كتبه المؤلف عن المغول نراه قد ساق بعض المعلومات
المختصرة عن تلك الفترة التى يعاصرها .

وللبيضاوى غير هذا الكتاب مؤلفات أخرى مفيدة (١) منها :-
(أ) أنوار التنزيل والتأويل وهو كتاب فى التفسير .
(ب) منهاج الوصول فى علم الأصول .
(ج) الغاية القصوى فى رواية الفتوى .
(د) الطوالع وهى مختصر فى علم الكلام .

٦ - تاريخ الوصاف : لأديب شرف الدين (٢) عبد الله بن فضل الله
الشيرازى الشاعر الكاتب الملقب بوصاف الحضرة . ولد فى شيراز عام ٦٦٣ ،
واشتغل بتحصيل الأدب والعلم ، وتبحر فى دراسة اللغة العربية وآدابها .
التحق بخدمة الديوان فى شيراز ، وبالتدريج صار من خواص صدر الدين
أحمد الخالدى الزنجانى نائب الأمير « طغاجار » فى فارس . وللوصاف مدائح

(١) انظر السبكي . طبقات الشافعية ج ٥ ص ٥٩ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ج ٥
٣٩٣ ؛ السيوطى : بنية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ص ٢٨٦ .
(٢) ذكر خوندميز أن لقب الوصاف « شهاب الدين » (حبيب السيرم ج ١ ص ١١٣)
وتبعه فى ذلك عباس إقبال (تاريخ مفصل إيران ص ٤٨٧) . ولكن لقبه الصحيح « شرف الدين »
إذ صرح هو بذلك عدة مرات فى كتابه ، وكان يتخلص فى الشعر باسم شرف (مجمع الفصحاء ج ١
ص ٦٥٥) .

كثيرة مدح بها هذا الرجل الذى وصل بعد ذلك إلى منصب الوزارة للسلطان «كيخاتو». وأما والد المؤلف «عز الدين فضل الله» فقد توفى في ٢٢ من ذى القعدة عام ٦٩٨ هـ أثناء القحط الذى أصاب إقليم فارس ، وكان الوصاف يشتغل محصلاً للأموال في ذلك الوقت . ثم اتصل بالخواجه رشيد الدين وتوطدت بينهما روابط الصداقة .

شرح الوصاف في تأليف كتابه عام ٦٩٩ ، وعرض القسم الأول من تاريخه على السلطان غازان عام ٧٠٢ . وأما القسم الآخر فقد عرضه على السلطان أوبلخيتو في مدينة السلطانية عام ٧١٢ . ورشيد الدين هو الذى قدم الوصاف وقدم كتابه إلى الإيلخانيين المذكورين فحظى لدهما بالقبول وصار مورد عطفهما . ويبلغ مجموع هذين القسمين أربعة أجزاء ، أما الجزء الخامس والأخير من هذا المؤلف فقد كتبه الوصاف متأخراً ، وفيه يستمر في التحدث عن أسرة هولاكو حتى سنة ٧٢٨ هـ .

أطلق الوصاف على كتابه اسم « تجزية الأمصار وتزجية الأعصار » ولكنه اشتهر باسم « تاريخ الوصاف » والكتاب عبارة عن ذيل لتاريخ جهانگشای كما صرح المؤلف بذلك . وقد رأيناه في ديباجة مؤلفه يقرظ هذا الكتاب ويثنى على الحويني فيقول :

وما أنا إلا قطرة من سحابة ولو أننى صنفت ألف كتاب (١) ، ومعنى هذا أن كتاب تاريخ الوصاف يشتمل على الوقائع التاريخية لإيلخاني المغول في إيران ، كما أنه يشتمل على تاريخ الملوك وأمراء الأطراف من سنة ٦٥٦ حتى سنة ٧٢٨ هـ أى إلى أواسط حكم السلطان أبى سعيد بهادر خان الإيلخاني .

هذا الكتاب يعد من أهم المصادر في تاريخ المغول في إيران خصوصاً في الفترة ما بين فتح بغداد ، وأواسط عهد السلطان أبى سعيد ؛ فهو بهذا يكمل السلسلة التى بدأها عظاملك في كتابه تاريخ جهانگشای . وتبدو أهميته على وجه الخصوص إذا علمنا أنه يتحدث عن فترة تبلغ سبعين عاماً من حكم

المغول في إيران بقلم أحد المعاصرين لهذا العهد والموظفين في دولة المغول .
ومن حسن الحظ أن قصته في وصف الحوادث تخلف عما جاء في كتاب
معاصره رشيد الدين ، مما يدل على أن كلا المؤلفين قد اعتمد على مصادر
مستقلة عن تلك التي اعتمد عليها الآخر . يقول اشبولر (Spuler) : « تاريخ
الوصاف مصدر هام جداً ، ويحتوى على أخبار مختلفة لا توجد في رشيد الدين .
وقد أخذ عنه المتأخرون مثل ميرخواند ، غير أن أسلوبه ردى جداً . وقد أتم
الوصاف كتاب الجويني ، وهو يتحدث عن الأطراف مثل فارس وكرمان
وشباناكاره . ولا شك أن مصادر التاريخ المحلي كذلك قد أخذت عن تاريخ
الوصاف » (١) .

شيء آخر يثير الإعجاب ويحمد للوصاف باعتباره مؤرخاً ، هو أنه
على الرغم من اشتغاله بخدمة المغول وتمتعه بإنعامهم وقربهم ، كان لا يستطيع
أن يخفى شعوره الذي ظهر بوضوح في أسلوبه حينما تحدث عن ملوك الأطراف
البعيدة عن إيران ، فقد كان كغيره من الناس لا يزال ينقم على المغول ، ويرى
فيهم قوماً طغاة جبارين سفاكين للدماء ، نكبت بهم الأمم الإسلامية ، فكان
يتوق إلى أن يرى هذه الأمم تنهض من كبوتها ، وتسترد مجدها وتستطيع أن
تستذل هؤلاء الكفرة وتغلبهم على أمرهم . وقد ظهر هذا الشعور بوضوح
حينما راح الوصاف يشرح أحوال ملوك مصر من الأيوبيين والمماليك ويصف
الحروب التي اشتبكوا فيها مع المغول ؛ تلك الحروب التي أسفرت عن نصر
ساحق للمماليك واندحار تام للمغول (٢) .

ولكن على الرغم مما في كتاب الوصاف من مزايا نراه قد أفرط في
الصنعة ، واشتط في التكلف وحشد كتابه بأبيات الشعر ، وآيات القرآن
واقتراسات من عبارات البلغاء والأدباء متخيراً أعقد الأنفاظ وأصعبها ؛ فكان
من نتيجة حرصه على استعمال كل هذه المحسنات أن بالغ في مراعاة جانب
اللفظ ، وأهمل جانب المعنى إلى درجة قللت من أهمية كتابه . يقول حاجي

Spuler: Die Mongolen in Iran, p. 9. (١)

(٢) انظر تاريخ الوصاف ص ٨٥ - ٩٠ .

خليفة : « تاريخ الوصاف في الفارسي نظير تاريخ العتي في العربي . ذكر جنكيز وأولاده إلى غازان خان ، ولم يقصد فيه بيان التاريخ فقط ، بل أراد إظهار مهارته في الإنشاء ، وإيراد لطائف النظم والنثر ، كما أشار إليه في أوائل المجلد الثاني » (١) .

ونحن بعد هذا العرض لا يسعنا إلا أن نعترف بأن هؤلاء المؤرخين قد حاولوا جادين وصف هذا العصر ، وتصوير ما وقع فيه من أحداث غيرت معالم العالم الإسلامي في ذلك الوقت . غير أننا نحس بأنهم كانوا لا يرون في المغول إلا شعباً بربرياً همجياً متعطشاً للدماء ، مخرباً للحضارة ، ولهذا كان لا يستحق منهم التعمق والبحث .

وهكذا إذا كنا قد تحدثنا عما في هذه المصادر من محاسن ؛ فإنه يلزم أيضاً أن نبرز ما فيها من عيوب حتى يتضح أن الحاجة كانت لا تزال تحتم وجود كتاب جامع يستوعب تاريخ هذه الأمة ويفصل حوادثها ، ويبرز مقدراتها الحربية الفائقة التي كانت تتمتع بها ، ويكشف عن الصفات التي مكنتها من التفوق والانتصار على الأعداء ، لأن هذه المسائل التي نفتقدها فلا نجد لها في المصادر السابقة هي التي دعت إلى تأليف كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين كما سنبين في الفصل الثاني من هذا الباب .

الفصل الثاني

تأليف كتاب جامع التواريخ

العوامل التي دعت إلى تأليف هذا الكتاب

رغم كل المحاولات السابقة التي بذلت لتأريخ فترة الغزو المغولي للعالم الإسلامي ، وما استتبع ذلك من حديث عن هولاء القوم ومنشئهم وأصلهم والكشف عن علل تقدمهم ونجاحهم ، وفشل أعدائهم ، ووصف ما لاقاه المسلمون على أيديهم من خراب ودمار ، فإن التعريف بهم كان لا يزال قاصراً وفي حاجة إلى الكشف والبحث لإزالة ما اكتنف تاريخهم من غموض وما أحاط به من ظلام .

فابن الأثير في كتابه « الكامل » عرض قصة انتصارات المغول في دقة وإحكام . ولكنه امتنع عن معالجة تاريخهم القديم ، كما التزم الصمت المطبق ولم يذكر شيئاً عن الفتوح الأولى لجنكيز خان ، وقنع بأن يبدأ حديثه عن الحملات الحربية التي شنها جنكيز على مملكة السلطان محمد خوارزمشاه .

ومن الإنصاف أن نقول إن النسوى في كتابه « سيرة جلال الدين منكبرتي » قد حاول جاهداً أن يجمع بعض التفاصيل عن السنين الأولى لحكم جنكيز ، ولكن هذا الكاتب الكبير كان يسيطر عليه الحقد العنيف والبغض الشديد نظراً لما قام به هولاء القوم من أعمال وحشية ، فلقد رأى بعيني رأسه تحطيم عرش مخدومه ، ذلك بالإضافة إلى تلك الحياة التي كانت تتميز أكثر ما تتميز بالقلق والاضطراب ، وبما كان يشيع فيها من قتل عام وخراب وتدمير ، وما صادف الكاتب نفسه من متاعب ومشقات حتى بعد أن انفصل عن مخدومه . كل هذه العوامل لم تترك للنسوى الفراغ الكافي لأن يعرض لنا في عمق ودقة تاريخ أعدائه البرابرة ؛ ولذا كانت السطور القليلة التي كرسها

للتحديث عن التاريخ القديم للمغول تعرض سلسلة من المعلومات الناقصة التي يعوزها الدقة في نفس الوقت (١) ثم إن أسلوب النسوى يتسم بطابع الصنعة ويغلب عليه التكلف ، إذ نرى في كتابه كثيراً من المحسنات البديعية والصور البيانية ، ونحس أنه يهتم بوصف الألفاظ جرياً وراء سجع متكلف متعمد الأمر الذى أدى إلى اختفاء الحقائق التاريخية في كثير من الأحيان (٢) .

فإذا تركنا النسوى والتمسنا كتاب « تاريخ جهانگشای » لعطا ملك الجوينى فلا يسعنا إلا أن نقابله بكل إعجاب وتقدير . فقد جمع مؤلفه أثناء أسفاره العديدة في عهد الإمبراطورية المغولية معلومات غريبة ضمنها هذا الكتاب ، كما حاول أن يتتبع غزوات جنكيز وخلفائه ؛ إلا أنه هو الآخر لم يحقق رغبتنا في كثير مما كنا نتوق إلى معرفته خصوصاً فيما يتعلق بالسنين الأولى لحكم جنكيز والتقاليد المغولية التي كان يتبعها أجداده وأسلافه منذ نشأتهم الأولى ، كما أننا لا نكاد نجد شيئاً يذكر عن أصل القبائل المغولية المختلفة ، ولا أجناس الأمراء والشخصيات الأخرى البارزة ، زد على ذلك أن هذا المؤرخ قد أكثر هو الآخر من استعمال الموازنة والسجع والتجنيس والاستدلال بآيات القرآن وأحاديث النبي . ولقد ساق كثيراً من الشواهد والأمثال من الشعر العربى والفارسى . فأحياناً كانت تأتى عباراته سلسلة لطيفة وأحياناً كانت تأتى متكلفة معقدة (٣) . ولا شك أن مثل هذا الأسلوب لما يضايق الباحث الذى يهيمه أن يصل إلى معرفة الحقائق التاريخية دون أن يصرفه عن ذلك أى شىء آخر .

وكذلك الحال إذا اخترنا كتاب « طبقات ناصرى » نجد مؤلفه قد تحامل جداً على المغول ، لأنه عانى الشىء الكثير أثناء غاراتهم ، الأمر الذى جعله يشن حملة شعواء على هؤلاء القوم ، وراح في بعض الأحيان — يسوق قصصاً من هنا وهناك هي أقرب إلى الخرافة منها إلى الحقيقة التاريخية .

(١) انظر Quatremère, p. LXVI.

(٢) انظر النسوى : سيرة جلال الدين ، وترجمة محمد على ناصح ، صرب طهران

١٣٢٤هـ . ش .

(٣) انظر بهار : سبك شناسى ، ج ٣ ص ٥٣ .

وأما إذا رجعنا إلى كتاب « نظام التواريخ » ، فإننا نجد أن مؤلفه البيضاوى لا يكاد يذكر إلا معلومات مختصرة جداً عن المغول رغم أنه كان يعاصرهم .

وقد أرجع المستشرق « براون » ذلك الإيجاز المخل إلى أن البيضاوى كان يعيش في إقليم فارس ، ونظراً لاتساع ممالك المغول كان ذلك الإقليم يكاد يكون منفصلاً ومنعزلاً عن المعبر العظيم اللازم لارتباط الشرق بالغرب فلم يمتد نفوذ المغول إليه كثيراً ، كما امتد إلى غيره من البلاد (١) .

وأخيراً يأتي كتاب « تاريخ الوصاف » لفضل الله بن عبد الله الشيرازى « وقد سبق أن ذكرنا أن هذا المؤلف يعطى تفصيلات قيمة ، غير أنه بكثرة استعماله للمحسنات اللفظية والاستعارات والتشبيهات ، وبإفراطه في استعمال الكلمات الغريبة المعقدة وباستشهاده بالأشعار القديمة قد صعب مهمة الباحث وقلل من قيمة الكتاب إلى درجة اختفت معها الحقائق التاريخية تحت بهرج اللفظ وتكلف الصنعة ، بحيث خيل إلينا أننا بصدد كاتب بليغ أكثر منه بمؤرخ .

وعلى هذا إذا كانت المصادر التى تحدثنا عنها قد وفقت في بعض الجوانب فقد أخفقت في جوانب أخرى ، وقصرت عن أن توفى هذا الموضوع حقه من البحث والدرس ، إذ لا زال التاريخ البدائى للمغول يكتنفه الغموض ويحجم عليه الظلام . وإذا كنا قد عثرنا على شيء من ذلك في المصادر السابقة فلاشك أنها معلومات قاصرة لا تكاد تنفع غلة القارئ ، ولا تشبع رغبته في الكشف عما استتر ونغص من تاريخ هذه الجماعة .

يقول رشيد الدين في مقدمة كتابه جامع التواريخ : « وحيث أن الأقاليم الموسومين باسم الترك مقامهم وسكنهم في البلاد البعيدة التى طولها وعرضها من ابتداء طرف ماء جيحون وسيحون إلى انتهاء حدود بلاد الشرق وانتهاء صحراء قبيجاقي إلى غاية نواحي جورجية والختاى ويسكنون الجبال

والوهاد والآجام ، ولم يعتادوا السكنى فى القرى والبلاد - كانوا يعيدون عن بلاد إيران لم يكن فى تواريخ المتقدمين من أحوالهم ذكر مستوفى .

« نعم قد ورد فى بعض الكتب شىء يسير من ذكرهم ، ولم يجدوا من أرباب الحقيقة أحداً يتحقق أحوال أخبارهم ، ويتفحص من آثارهم وحكاياتهم كما ينبغى مشروحاً ومبسوطاً ، ومع أن الأتراك والمغول وشعبهم يتشابهون ولغتهم فى الأصل واحدة ؛ فإن المغول صنف من الأتراك وبينهم تفاوت كثير واختلاف سنسرحه فى مواضعه إن شاء الله تعالى . وهذا الاختلاف أيضاً إنما وقع بسبب أن تواريخهم المحققة لم تقع فى هذه الديار » (١) .

يمكننا أن نفهم من هذا أن الحاجة كانت ماسة إلى كتاب يعرض تاريخ المغول عرضاً حسناً خصوصاً فيما يتعلق بالأزمنة القديمة والفتوحات الأولى إذ أن الباحث يهمل عندما يتناول التاريخ المبكر للإمبراطورية المغولية أن يستطيع التمييز بين الحقائق التاريخية المقبولة وبين الأساطير . ثم إن المعلومات عن المغول الأول تبدو جوهرية للطالب الذى يريد أن يتناول بإحكام علاقاتهم الخارجية فيبرز تأثيرهم فى الجنس البشرى خارج حدودهم (٢) .

فلما اعتلى غازان خان عرش المغول ، وكان رجلاً بعيد النظر إلى حد كبير فكر تفكيراً جدياً فى سد هذا النقص ، ورغب رغبة أكيدة فى أن يرتبط اسمه بهذا المشروع الوطنى المفيد . وكان مما ساعده على إخراج هذه الفكرة إلى حيز التنفيذ أن المغول حتى ذلك الوقت كانوا يحفظون فى خزائنهم وثائق مدونة باللغة المغولية سجلت فيها الحوادث الهامة فى تاريخهم الوطنى إلا أنها لم تكن مرتبة ، بل كانت عبارة عن فصول متباعدة وكان لها عندهم شأن كبير ؛ بل إنهم كانوا يعتبرونها مقدسة . ولهذا كانوا لا يدخرون وسعاً فى المحافظة عليها وصونها عن أعين الأغيار والأخبار وكتماها عن العوام والخواص (٣) . فلم يتح لها أن تدرس وتمحى بواسطة أحد الكتاب رغم أنها

(١) رشيد الدين : تاريخ الغازانى ، صورشمسية ، دار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٨٩

تاريخ ورقة ٢٣ .

(٢) انظر The Cambridge Medieval History Vol. IV, p. 627.

(٣) رشيد الدين : تاريخ الغازانى ، صورشمسية ، دار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٨٩

ورقة ٢٤ .

تحتوى كثيراً من المعلومات . وبالإضافة إلى هذا فإن الأمراء والأسر الكبيرة كانوا يحتفظون هم الآخرون بوثائق أصيلة توضح أنساب المغول وتشتمل على تقاليدهم الحقيقية أو الخرافية مذكورة بدرجة متفاوت حظها من الدقة وكل هذه الوثائق بقيت حتى عهد غازان خان محفوظة مصانة بعيدة عن أنظار المؤرخين فلم يستطيعوا أن يستفيدوا منها . ولهذا اقتصرُوا على استخلاص معلوماتهم من ألسنة العوام (١) .

ثم إن غازان خان كان يريد أن يخلد تاريخ آبائه وأجداده قبل أن يعنى عليه النسيان . ولم يكن ليخضع نفسه مطلقاً فيظن أن المغول سيظلون دائماً سادة لإيران ، بل من المحتمل أن يثور الأهالى الوطنيون على مستعمرهم ، أو أن المغول أنفسهم على مرور الأيام وتعاقب السنين يفقدون قوميتهم وعاداتهم ولهجاتهم وذلك بتأثير الاختلاط والاقتران بالإيرانيات . أو أنه من المحتمل كذلك أن تلعب بالدولة المنازعات والأهواء التى قد تؤدى إلى انهيارها ومن ثم إلى ضياع هذه الوثائق أو حرقها أثناء هذه القلاقل والاضطرابات .

فلو فرض ولم يحدث شئ مما ذكر فقد تبليها الحشرات وتأتى عليها بمرور الزمن (٢) .

هذه الاحتمالات التى جالت بخاطر غازان خان هى التى دفعته إلى البحث عن كاتب عبقري يستطيع أن يعكف على دراسة تلك المادة التاريخية الموجودة فى بطون الوثائق ليصوغ منها كتاباً شاملاً يضم شتاتها . فلم يجد فى بلاطه رجلاً يصلح للقيام بهذا العمل سوى وزيره رشيد الدين ؛ إذ كان ينظر إليه على أنه الرجل المثقف الذى له دراية واسعة واطلاع كامل على جميع العلوم . وسرعان ما كلفه بأن يحمل هذا العبء ويستخلص من هذه المادة الدسمة المعلومات الكافية والأكثر ثقة عن أصل المغول وتاريخهم ، ويكون من هذه المعلومات كتاباً يخلد تاريخ الآباء والأجداد إذا قرأه الرجل المغولى فكأنه عاصر هؤلاء وهؤلاء .

(١) نفس المصدر ، ورقة ٢٥ .

(٢) انظر Quatremère, p. LXIX.

وهذا الهدف الذى كان يهدف إليه غازان هو الذى سبق أن أشار إليه المؤرخ ابن الأثير بقوله : « إن الإنسان لا يخفى أنه يحب البقاء ، ويؤثر أن يكون فى زمرة الأحياء . فباليت شعري أى فرق بين ما رآه أو سمعه ، وبين ما قرأه فى الكتب المتضمنة أخبار الماضين وحوادث المتقدمين . فإذا طالعها فكأنه عاصرهم وإذا علمها فكأنه حاضرهم » (١) .

أما رشيد الدين فقد كان يرى فى هذا التكليف واجباً ، عليه أن يؤديه بعناية فائقة ؛ حتى يكون بذلك أهلاً لتلك الثقة التى وضعها فيه غازان فاستعد لمراجعة الوثائق وجمع الحقائق التاريخية . ولم يقف عند هذا الحد بل شرع يضم إلى تلك المعلومات كل ما يستطيع أن ينتزعه من المخطوطات أو من أحاديث العلماء الذين كان هدفهم الاستقصاء والبحث فى تاريخ المغول . يقول رشيد الدين : « فلما صدر الأمر المبارك — لا زال نافذاً ومطاعاً — بأن أقوم بإتمام هذا الأمر الهام ، لم أجد مفرأ من الامتثال لأمره ، ووقفت كل جهودي وخاطري وضميري على معرفة تواريخ المغول ورواياتهم وحكاياتهم ، وبذلت فى هذا السبيل غاية السعى والاجتهاد . وبعد أن عكفت على مطالعة مضمون تلك الأجزاء المبعثرة الموجودة فى الخزينة ، قمت بتحقيقها وترتيبها وتبويبها ، وضممت إليها كل ما سمعته بالتفصيل من حكماء الدولة الملازمين للحضرة ، ومن العلماء والمؤرخين من كل صنف ، وذلك بعد فحصه وتحقيقه . ولكى تستطيع الأفهام المختلفة إدراكه بسهولة ؛ فسوف أكتبه بعبارة واضحة فصلاً فصلاً إن شاء الله تعالى حتى يقع موقع القبول من تلك الحضرة ، فيكون موجباً لإدراكى السعادة فى الدنيا ، ونيلى كل ما آمله وأتمناه ، والله المستعان » (٢) .

هذا الجزء الذى أمر غازان وزيره رشيد الدين بتأليفه هو الذى كان يعالج تاريخ المغول والشعوب التركية . وكانت أهم المصادر التى اعتمد عليها رشيد الدين فى تأليف هذا الجزء هى :

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ص ٧ .

(٢) جامع التواريخ ، نشر كاترمير ، ص ٨٠ - ٨٢ ؛ نفس المصدر ، الترجمة العربية

أولاً : الوثائق الرسمية للإمبراطورية المغولية التي كان يطلق عليها رشيد الدين اسم « التون دبتر » (الكتاب الذهبي) وهذا الكتاب يحتوي على تاريخ جنكيز خان وأسلافه وأحفاده . كذلك الوثائق المغولية والتركية الأخرى . وقد أمر رشيد الدين بترجمتها إلى الفارسية .

ثانياً — بولاد « جينگ سانگ » (١) وهو شخص يتمتع بشهرة كبيرة لدى المغول ، وكثيراً ما يرد ذكره في كتاب رشيد الدين ، ويوصف بمعارفه الواسعة وإحاطته التامة بتاريخ المغول ؛ فلا غرو أن كان أحد المصادر الهامة التي اعتمد عليها رشيد الدين في تأليف كتابه « جامع التواريخ » . ويقرر مؤرخنا أن الأمير بولاد آقا ينتسب إلى قبيلة مغولية من « دوربان » وكان أبوه الذي يدعى « بوركي » Boureki يشتغل طباًحاً (پاورجى) عند جنكيزخان وكان ملتحقاً بقصر « بورتاج قودجين » محطية جنكيزخان ، وكان تحت إمرته كتيبة مؤلفة من مائة رجل ، وهذه بدورها تؤلف فرقة من الكتيبة المكونة من ألف رجل (هزاره) الخاصة بالخان .

وكان بولاد ملتحقاً بخدمة الخان الأعظم « قوبيلاي » ويجمع بين لقب جينگ سانگ ولقب پاورجى (أى طباًح) . ثم أرسل سفيراً إلى إيران من قبل قوبيلاي حيث أقام زمناً طويلاً . وكان أميراً ذا صفات عالية كما كان يتمتع بشهرة لا حد لها . وقد وصل إلى بلاط المغول في فارس في بداية حكم أرغون خان . ونراه في سنة ٧٠٢ من الهجرة يبلغ غازان خان حديثاً طويلاً مترنأً عن ماهية السلوك السياسى . وقد مات في سنة ٧١٢ هـ في مدينة أران .

ثالثاً : السلطان غازان نفسه وكان غزير العلم بماضى شعبه ، ويجعل له في نفسه أهمية كبيرة أكثر من أى شخص آخر من أهل جنسه . كان يحيط إحاطة تامة بكل ما يتصل بتاريخ المغول ، فيعرف أسماء آبائه وأجداده وأقاربه نساء ورجالا ، كما كان يعرف أمراء المغول السابق منهم واللاحق الذين كانوا ولا يزالون يقطنون جميع أجزاء الإمبراطورية . كذلك كان يحفظ عن ظهر قلب شعب نسل كل واحد منهم ، للدرجة أنه لم يكن يجاريه في هذا المضمار

(١) نفس المصدر ، نشر كاترينر ، ص ٧٧ حاشية ٩٥ .

أى شخص آخر ما عدا «بولاد». فلا غرو أن يكون مرجعاً للجميع يتعلمون منه ويأخذون عنه . ويعترف رشيد الدين بأن أكثر تاريخه مستفاد منه (١) . هذا بالإضافة إلى كثير من الأسرار والحكايات الخاصة بالأقوام الأخرى على اختلاف طبقاتهم ، فكان يعرف أكثر تواريخ ملوك العجم والأتراك والهند وكشمير والخطا (٢) .

يقول خوندمير : « وكان (أى غازان) على علم تام - بقدر المستطاع - بأنساب سلاطين المغول وآدابهم ؛ بحيث أنه حينما ألف الخواجه رشيد الدين كتابه الجامع استمد أغلب الوقائع من ذلك السلطان الأملعى » (٣) .

رابعاً : العلماء والعظماء من كل جنس : من الخطا والهند والأويغور والقبجاق وكان هؤلاء يقطنون مملكة غازان خان فى ذلك الوقت ، فكان رشيد الدين يتناقش معهم ليحصل منهم على مادة تتعلق بتاريخ بلادهم ، وإليك ما قاله مؤرخنا (٤) فى هذا الشأن :

« وإن ما أجمله هذا الكتاب أو فصله مما لم يكن مذكوراً فى غيره قد استقيته من علماء الخطا وحكامهم ، ومن علماء الهند والأويغور والقبجاق وغيرهم من الأقوام والأعيان الممثلين لجميع الطوائف الذين كانوا يلزمون الحضرة الشريفة العالية ؛ خصوصاً من خدمة الأمير الأعظم « والتويان » (٥) المعظم ، قائد جيوش إيران وتوران ، مدبر ممالك العالم « بولاد جينگسا نك » دام معظماً ؛ فهو الذى لم يوجد مثله فى بسيط الربع المسكون فى أنواع الفضائل المختلفة ، وفى معرفة الأنساب لأقوام الأتراك وتواريخ أحوالهم ، خصوصاً تاريخ المغول .

(١) انظر رشيد الدين : تاريخ مبارك غازانى ، نشر كارل يان ص ١٧١ .

(٢) نفس المصدر ونفس الصفحة ؛ . Grousset: L'Empire des Steppes p. 453 .

(٣) وبدان مقدار كه توانستى بكيفيت أنساب وآداب سلاطين اقوام مغول بغايت دانا بود چنانچه خواجه رشيد در وقت تأليف جامع بيشتر وقايع را از تقرير آن پادشاه روشن ضمير تحرير نمود . (حبيب السير ، م ١ ج ٣ ص ٩١) .

(٤) رشيد الدين : جامع التواريخ ، نشر كاترمير ، ص ٧٦ ؛ نفس المصدر ، الترجمة العربية ، ص ٢١٤ - ٢١٥ .

(٥) نويان أونوين : كلمة مغولية معناها « رئيس فرقة مكونة من عشرة آلاف رجل .

وإليكم الأصل الفارسي للعبارة السابقة :

«وآنچ مجمل باشد ومفصل دران كتاب ذكر نرفته؛ از دانيان وحكمماي
ختاي وهند وايغور وقبچاق وديگراقوام واعيان چون همه اصناف
وطوايف مردم در بندگي حضرت اعلی ملازم اند تفحص نمايد على الخصوص
از خدمت أمير اعظم نويان معظم سپه دار ايران وتوران مدير ممالك
جهان پولادچينگسانگ دام معظما که در بسط ربع مسكون در انواع هنرهای
گوناگون ومعرفت انساب اقوام اترك وتواريخ احوال ايشان بتخصيص
از آن مغول نظير ندارد، وكتب تواريخ که بدان اصطلاحات اقتباس کند» (۱).
ومن مقدمة تاريخ المغول لبلوشيه استطعنا أن نقف على رواية رجل
معاصر لرشيد الدين يشرح فيها الطريقة التي ألف بها كتاب جامع التواريخ .
ذلك الرجل هو شمس الدين الكاشاني الذي ألف منظومة كبيرة (۲) في تاريخ
الإمبراطورية المغولية منذ أصولها الأسطورية إلى سلطنة أوبلخايتو . والمخطوط
الوحيد من هذا المؤلف محفوظ في المكتبة الأهلية بباريس تحت رقم 14443 (۳).
ويلاحظ أن الحوادث التي تضمنتها هذه المنظومة مشابهة تماماً لما ورد في كتاب
رشيد الدين .

يذكر شمس الدين في شعره كيف كان رشيد الدين يجمع المواد اللازمة
لتأليف كتابه جامع التواريخ؛ فقد كان پولادچينگ سانگ وخواجه رشيد
الدين مجلسان معاً مثل المربي والمريد فكان الأمير السعيد يقص بينما كان يدون
الوزير العالم ما يقوله الأمير :

چوپولاد جکسان وخواجه رشيد

نشستند باهم چوپير ومريد

-
- (۱) رشيد الدين : مقدمة جامع التواريخ ، نشر كاتر مير ص ۷۶
(۲) يسمى حاجي خليفة تلك المنظومة : «تاريخ غازان خان» ويقول عنها إنها نظم فارسي
لشمس الدين محمد الكاشي المتوفى في زمن السلطان أبي سعيد الجغتاي في حدود سنة ۷۳۰ :
(كشف الظنون المجلد الأول ، ص ۲۹۹ طبع تركيا) .
(۳) انظر بلوشية : مقدمة تاريخ المغول : ص ۴۵ ، وفهرسه ، ج ۳ ص ۱۸۰ .

روایت زہمی کرد فرخندہ میر

وزومی نویسد دانا وزیر (۱)

کما یسأل رجال البلاط الآخرين من الأتراك ، وكان يأخذ منهم مدوناتهم .
ولأجل جمع المادة كان يكلف النساخ من الأتراك والفرس بالقيام بهذه
المهمة . ومن الواضح أن بعض هؤلاء كان يعرف التركية والمغولية ويترجم
منهما إلى الفارسية بينما الآخرون كانوا يجمعون المعلومات من المصادر الفارسية (۲)
وكان رشید یوگر هؤلاء النساخ قطعاً ذهبية وأحجاراً كريمة . وقد استمر
رشید اللین يعمل في تأليف كتابه سنتين أو ثلاثاً ، وخلال هذه المدة انقطع
للتأليف تماماً فلم يتحدث إلى أي شخص عن أي شيء آخر سوى ما كان
يتعلق بهذا الموضوع . وقد سعى سعياً حثيثاً حتى تم هذا الأثر مشتملاً على
الحوادث منذ عهد نوح حتى هذا العصر ، وجمع فيه أساليب كل شخص
وأفرج بذلك القراء . وحتى ذلك الوقت كان لا يوجد في إيران كتاب عن
تاريخ القبائل التركية والمغولية ، ولكن بواسطة السلطان غازان والوزير رشید
الدين وجد هذا الكتاب المقبول الذي لم يسبق أن ألف مثله شخص قط
والذي منه استطاع معرفة نسل كل شخص . ثم يضيف الشاعر إلى أنه عندما
تم تاريخ الترك هذا نثرأ أشار غازان بنظم هذا الكتاب فأخذ على عاتقه القيام
بهذا العمل .

پرسید یکسر سخنها باصل	زهر جابدست آمدش فصل فصل
بنزدیک هرپیر وهر مهتری	زترکان درین باب بد دفتری
ازیشان همه بستد ونقل کرد	ورا رهنائی درین عقل کرد
نویسنده ترکی وپارسی	همانا که بودند دو پارسی
که ازبهر این کار بنشانندشان	بسر برزر وگوهرافشانند شان
دوسه سال بود اندرین جست وجوی	نمی کرد باکس جزاین گفت وگوی
نمود این همه کوشش واجتهاد	که تا کرد هر دفتری را سواد
از ایام نوح نبی تاکنون	بیاورد کردار گردون دون

(۱) انظر بلوشيه : مقدمة تاريخ المغول ص ۹۵ .

(۲) يارتولد : مجلة العالم الإسلامي ، ص ۸۹ .

روشاه هرکس دروياد کرد دل وجان خوانندگان شاد کرد
 زتاریخ ترك ومغول پیش ازین نبودی کتابی بایران زمین
 کنون هست از اقبال شاه ووزیر بدست اینچنین دفتری دلیذیر
 که هرگز کتابی چنان کس نساخت کزان می توان نسل هرکس شناخت
 چو شد نثر تاریخ ترکان تمام غزان خواست کز نظم باید نظام (۱)

یعلق بلوشیه علی شعر الکاشانی فیقول (۲) : « الحقيقة أن منظومة شمس الدين الكاشاني التي تشتمل على حوالي عشرة آلاف بيت ، والتي لا يشعر المرء فيها بأى روح شعري ، منظومة في غاية الغثاثة ، وهي عبارة عن ملخص لتاريخ المغول لرشيد الدين ، ولكنها أقل جودة بكثير من منظومة « ظفر نامه » لحمد الله المستوفى القزويني ، لذلك لا يبدو أن هذا المؤلف الذي أتم نظم تاريخ رشيد بعد موت غازان بكثير قد حاز أية شهرة في إيران ، وهذا النسيان الذي لحقه كان جزءا عادلا لغثائته .

ومع أن شمس الدين الكاشاني قد وجه إلى وزير غازان آيات المدح التي كانت تستحقها مواهبه السياسية ، ومع أنه أثني كثيراً على مؤلفه الضخم الذي بدونه لم يكن ليعرف شيء عن تاريخ المغول القديم ، ووصفه بأنه فريد في العالم ؛ فإنه من البعيد أن يكون الكاشاني قد حاز رضاء رشيد الدين ولا أن هذا الأخير قد أظهر له شيئاً من الاحترام ؛ لأنه لم يتورع عن أن يقول في أحد أبياته : « إن هذا الشعر كان يراد به إحياء مؤلف رشيد الدين الذي يشبه أن يكون جسماً لا روح له ، وذلك كالنفس الذي رد به عيسى الحياة إلى الذين فقدوها (۳) ، وإذا كان من الحق الذي لا ريب فيه أن جامع التواريخ ككل

(۱) انظر بلوشيه : مقدمة تاريخ المغول ، ص ۱۰۳ .

(۲) نفس المصدر ص ۱۰۴ - ۱۰۵ .

(۳) إشارة إلى قول الكاشاني :

دعاگوی شه شمس کاشانیست که خود پیشهء او سخن رانیست ..
 بگوید اگرشاه فرمان دهد چو عیسی تن مرده راجان دهد
 بنظم آورد قصه رفتگان زخواب اندرآرد سرخفتگان

الحوليات الشرقية عبارة عن مادة ميتة لا حراك فيها فإن شعر شمس الدين الكاشاني لم يكن الشعر الحدير بأن يرد إليه الحياة» (١) .

يدعى شمس الدين الكاشاني أن رشيد الدين ترك جميع المشاغل الأخرى وانصرف تماماً إلى تأليف كتابه ، والاقتصر على المهمة التي عينها له غازان منفقاً كل وقته في ترجمة الوثائق المغولية والتركية التي عثر عليها ، والتوفيق بين هذه الوثائق وبين الأخبار التي استقاها عن پولاد . ولكن هذا الادعاء يخالف الحقيقة لأن رشيد الدين في ذلك الوقت كان يشترك في القيام بالإصلاحات التي تمت في عهد غازان ، كما كان يدير الأوقاف الخيرية التي وقفها غازان على أعمال البر ونشر العلم . هذا بالإضافة إلى ما كان يقوم به من تصريف شئون الدولة كوزير مسئول لغازان خان . ويؤكد دولتشاه أنه ذكر في مقدمة كتاب رشيد الدين أن المؤلف كان يشغل بتأليف هذا الكتاب بعد أداء صلاة الفجر وقراءة بعض الأوراد حتى طلوع الشمس لأنه في الأوقات الأخرى لم يكن يتيسر له الفراغ بسبب اشتغاله بتصريف شئون الدولة وأعمال الديوان (٢) .

وقد اختلف في تحديد التاريخ الذي شرع فيه رشيد الدين في تأليف كتابه ، كما اختلف في تعيين تاريخ الانتهاء من هذا العمل . فيذكر « دوسون » أن سنة ٧٠٢ قد ذكرت في مقدمة كتاب رشيد الدين على أنها تاريخ الشروع في هذا التأليف (٣) . ويذهب بلوشيه إلى أن الجزء الأول من جامع التواريخ الذي كلف به رشيد الدين من قبل غازان خلال عام ٧٠٠ هـ قد تم نهائياً قبل سنة ٧٠٣ وهو تاريخ وفاة غازان ، ثم اشتغل رشيد بنسخ مخطوطته لتقدمها إلى السلطان ، ولم يتيسر ذلك إلا بعد مرور سنة أخرى أي في شوال سنة

(١) يتجنى بلوشيه هنا على الحقيقة والتاريخ فليس كتاب جامع التواريخ ولا كل الحوليات الشرقية عبارة عن مادة ميتة لا حراك فيها كما زعم . ويكنى أن نورد هنا ما قاله أحد الكتاب الأوربيين عن كتاب ابن الأثير « يتميز هذا الكتاب بما بذله المؤلف من محاولة سرد التاريخ بأسلوب جعله أقرب إلى الحياة منه إلى الجمود » (انظر دائرة المعارف الإسلامية ج ٤ ص ٤٩٩) .

(٢) ودر خطبه تاريخ بازهموده كه كتابت اين تاريخ از وقت صبح بعد از اداى فريضه وبعض اوقات آفتاب بوده ؛ چون در اوقات ديگر فراغت بواسطه امور ملكى واشغال ديوانى ميسر نبوده (دولتشاه ، تذكرة الشعراء ص ٢١٧ طبع ليدن) .

(٣) D'Ohsson: Histoire des Mongols, Vol. I, p. XXXV. (٣)

٧٠٤ (١) ، وأما صاحب « سبك شناسى » فينص كذلك على أن رشيد الدين قد شرع فى تأليف كتابه جامع التواريخ عام ٧٠٢ (٢) .
ونحن نميل إلى الأخذ بهذا رأى ، لاسيما وأن المؤلف نفسه قد ذكر هذا للتاريخ (٣) .

كان رشيد الدين يطلع السلطان غازان على عمله أولاً بأول ، وكان السلطان راضياً جداً عن عمل وزيره . ومن المعروف أن هذا الكتاب المشتمل على تاريخ المغول ، كان كما ذكر مؤلفه معداً فقط كمسودات وملاحظات فى الوقت الذى توفى فيه غازان (٤) أى فى يوم الأحد ١١ من شوال سنة ٧٠٣ ثم أكمل وروجع عند استنساخه (٥) .

وإذا كان الكاشانى قد ذكر أن هذا العمل قد استغرق سنتين أو ثلاثاً فلا ينبغى أن نرى فى أقوال الناظم شيئاً من المبالغة الشعرية إذا ما تصورنا ضخامة هذا الكتاب من جهة ، وإذا ما قدرنا المهام الكثيرة التى كان يضطلع بها المؤلف من جهة أخرى . فحتى هذه المدة التى ذكرها الكاشانى تعتبر فترة قصيرة بالقياس إلى ضخامة الكتاب وما يحويه من معلومات .

ومن بعد غازان كان يبدو من الضرورى أن يقدم الكتاب إلى خليفته وأخيه السلطان محمد خدابنده الذى كان اسمه المغولى « أولجايتو » . ولكن هذا السلطان أبدى رغبته فى أن يستمر رشيد فى إهداء الكتاب إلى سلفه غازان ، وأن تظل مقدمته على حالها السابق من ترصيعها بألقاب ذلك السلطان الفقيه . وليس هذا فحسب بل كلفه بأن يضيف إلى مؤلفه الأول مجلداً ثانياً يشتمل على التاريخ العام للأمم التى كانت تعاصر المغول وآخر ثالثاً يتناول جغرافية العالم .

(١) انظر بلوشيه : مقدمة تاريخ المغول ص ٩٥ .

(٢) انظر بهار : سبك شناسى ج ٣ ص ١٧٢ .

(٣) رشيد الدين : تاريخ الغازانى صور شمسية دار الكتب المصرية تحت رقم ٢٨٨٩

تاريخ ، ورقة ١٦ .

(٤) رشيد الدين : مقدمة كتاب جامع التواريخ ، نشر كاتمير ص ٨ .

(٥) انظر بارتولد : مجلة العالم الإسلامى ، ص ٦٣ .

كانت المهمة التي فرضت على رشيد الدين مهمة جديدة إلى أكبر حد لأنه لم يكن عليه أن يكتب تاريخاً عاماً من النوع الذي كان معروفاً حتى ذلك العهد أى تاريخاً لشعب العالم الإسلامي المختلفة ، بل أيضاً تاريخاً خاصاً بالشعوب الكبرى التي تحتل قارة أوراسيا مع ذكر مدينتهم .

ومع أن العالم الإسلامي قد عرف في غضون القرون السابقة على العصر المغولي بعض الخصائص المتعلقة بهذه الشعوب وتاريخها وجغرافيتها وحضارتها فإنه لم يكن قد كتب عنها تاريخ منظم . ولذلك لا يدل اتجاه رشيد الدين نحو الأخذ من مصادر أصلية عن هذه الأقاليم ، ونحو الالتجاء إلى العلماء المتخصصين في هذه المادة يستوضحهم المسائل ويستخلص منهم الحقائق التاريخية الخاصة بشعوبهم ، نقول هذا لا يدل فقط على التقدم العقلي في عصره بل أيضاً على أن ذلك كان أمراً لا محيص عنه . وقد أمكن المؤلف أن يحقق هذا المشروع بطريقة مثالية بالنسبة لعصره ، والفضل في ذلك يرجع إلى أنه كان رجل سياسة من أطول رجال السياسة بارعاً إلى جانب كونه مؤرخاً (١) . ولقد أطلق رشيد الدين على الكتاب كله « اسم جامع التواريخ » وظهر منه مجلدان فقط :

الأول : ويمكن اعتباره مؤلفاً في التاريخ الخاص وكان يحمل اسم « تاريخ غازاني » نسبة إلى السلطان غازان الذي ألف له هذا المجلد .

الثاني : ويشتمل على التاريخ العام للأمم المعاصرة للمغول ، وقد ألفه بناء على طلب السلطان أوجايتو كما بينا سابقاً .

أما الثالث المشتمل على جغرافية العالم فيبدو أنه قد ضاع ، أو أنه ظل فكرة فقط لم تخرج إلى حيز التنفيذ .

وعلى هذا فالتفكير في توسيع نطاق هذا العمل حتى اتخذ شكل موسوعة تاريخية إنما يرجع إلى السلطان أوجايتو الذي دل على أنه لم يكن هناك فرق شاسع بينه وبين أخيه الراحل من حيث الاستعداد والاهتمام بالتاريخ ، وإن كان يفترق عنه في نواح أخرى فمثلاً في عهده كان القواد هم المسيطرون على

كل صغيرة وكبيرة بينما كان السلطان نفسه مهتماً بالصيد إلى أقصى حد وكان إذا تناقش مع العلماء اقتصر حديثه معهم على المسائل الدينية فقط (١) .

أما عن تاريخ الانتهاء من هذا العمل بأكمله فقد ذكر ريو أن كتاب جامع التواريخ قد تم في سنة ٧١٠ هـ (٢) . ولكن بلوشيه قد رد هذا القول مستنداً إلى أن تاريخ الفرنج وهو يكون آخر قسم من أقسام جامع التواريخ قد أُلّف في سنة ٧٠٥ هـ ، كما نص على ذلك رشيد الدين نفسه وهذا وحده دليل كاف على أن المؤلف قد انتهى من تاريخه في تلك السنة (٣) . وإذن فمن المرجح جداً أن يقدم المؤلف كتابه إلى السلطان أُولجايو في العاشر من شوال سنة ٧٠٦ هـ ، كما نص على ذلك عبد الله الكاشاني في كتابه تاريخ أُولجايو ، وكما أكدّه حافظ آبرو في كتابه « ذيل التواريخ جامع » بقوله : « در جمعه دهم شوال سنة ست وسبعمائه ، صاحب سعيد خواجه رشيد الدين طيب الله ثراه كتاب جامع التواريخ برراي پادشاه سعيد عرضه داشت و تربيت و نواخت فراوان يافت » (٤) .

ولكن الغريب حقاً أن بلوشيه الذي ارتضى هذا الرأي قد راح في مؤلف آخره يذكر أن كتاب جامع التواريخ قد انتهى من تأليفه في سنة ٧١٠ هـ (٥) . وليس هذا التاريخ الأخير قاصراً على ريو وبلوشيه فحسب بل أيده آخرون ممن كتبوا عن رشيد الدين (٦) ، فكيف نستطيع إذن التوفيق بين هذين الرأيين المتناقضين ؟

كانت الفكرة الرئيسية التي انبنى عليها تأليف كتاب جامع التواريخ هي أن يكون مشتملاً على تاريخ مفصل لجميع أمم العالم وفق معتقدات تلك الأمم ، ثم يتبع بقصة مختصرة عن التاريخ العام حسب التقاليد الإسلامية .

(١) بارتولد : مجلة العالم الإسلامي ، ص ٩٠ .

(٢) Rieu : Catalogue of Persian Manuscripts, Vol. I. p. 76.

(٣) انظر بلوشيه : مقدمة تاريخ المغول ، ص ٩٦ .

(٤) انظر نفس المصدر ونفس الصفحة نقلاً عن كتاب ذيل جامع التواريخ

(٥) بلوشيه : فهرس المخطوطات الفارسية ، ج ١ ص ٢٠١ .

(٦) انظر Morley: J.R.A.S., 1841, p. 17 & Quatremère, P. LXXI.

فهم هذا من مقدمة كتاب زبدة التواريخ (١) لعبد الله الكاشاني الذي وجد فيه بلوشيه تشابها كبيرا يكاد يكون حرفياً لما ذكر في أحد أقسام كتاب جامع التواريخ . فقد تبين أنه كان يوجد فقط في الأصل في كتاب جامع التواريخ تاريخ كل الأمم إلى جانب تاريخ المغول ، وأنه بعد ذلك فقط رثي أن يضم إلى هذا القسم مختصر لتاريخ العام منذ عهد آدم حتى سنة ٧٠٠ هـ كما يبدو في نظر المسلمين (٢) . وإليك النص الفارسي الذي نشره بلوشيه من مقدمة كتاب زبدة التواريخ : « أما بعد جامع اين حكايات ومولف اين مقدمات ومقرر اين كلمات أبو القاسم عبد الله بن علي بن محمد القاشاني برر اي مطالعان اين تأليف وتنسيق ومستفيدان اين تصنيف وتلفيق عرض ميداردكه : چون روزگار بعدل ورافت خدايگان عالم پادشاه بني آدم خاقان الترك والعجم سلطان سلاطين العالم ظل الله في الأرض ناصر عباد الله ، حافظ بلاد الله غياث الدنيا والدين ، قانع الكفرة والمشركين ، قاهر العجزة والمتمردين ملاذ المؤمنين الحايثو سلطان بن أرغون خان بن آبا قا خان بن هولاكو خان (بن نولوى خان) بن جنكيزخان خلد الله سلطانه وأعلى شأنه بياراست . واز آثار عدل وعاطفت ومانثر مرحمت وتربيت عرصهء عالم از منكرات ومحظورات بپيراست كه ايام دولت او ما مطلع الصباح ونادى المنادى بحى على الفلاح پابنده ومستدام باد بحق الملك العلام بتأييد يزدانى ويمن وفر دولت ايلخانى از تاريخ وتأليف ساير عالم وتلفيق جماهير بني آدم مجموع هفت أقاليم از ابتداى مشرق تا انتهاى مغرب فراغى نمود ودر سبب تصانيف آن سلك كلك تحرير وتقرير منعقد ومنتظم گشت . بروقف ملتمس فرمان نافذه

(١) هو عبارة عن مختصر لتاريخ العالم منذ أقدم العصور إلى آخر الدولة العباسية

يحتوى على مقدمة وقسمين :-

القسم الأول : تواريخ ملوك الفرس القدماء وهم أربع طوائف : أ - الپيشداد يون

د - الساسانيون

ج - الاشكانيون

ب - الكيانيون

القسم الثانى : من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى آخر تاريخ العباسيين وهو عبارة عن :

١ - تاريخ النبي صلى الله عليه وسلم ب - تاريخ ملوك بنى أمية ج - تاريخ الخلفاء

العباسيين حتى نهاية المستعصم آخر هؤلاء الخلفاء . ويوجد من هذا الكتاب مخطوط محفوظ بمكتبة

برلين (انظر) . (Storey Persian Literature, Section II, p. 79)

(٢) انظر بارتولد : مجلة العالم الإسلامى ، ص ٩٦ .

خلد ملکه وحسب مقتضای زمان وسبب انقلاب حدثان خواست که تاریخ
 إقليم رابع که زبده هفت کشور ونقاوه اقالیم ربع مسکون است مشتمل
 بر احوال پادشاهان وسلاطین هر زمان مهتر وسرور آن زمین ایران
 و احوال ملوک وانبیا وخلفای هر عصر از زمان آدم صنی علیه السلام تا غایت
 وقت که تاریخ سنه سبعمائه هلال است بر زعم اهل اسلام بر سبیل ایجاز
 واختصار بیاید نوشت . واز کتب متقدمان وکیفیت متأخران هر عصر وهر
 زمان اختیار وانتخاب از چند پاره کتاب تواریخ معروف معتبر مشهور
 التقاط کرده آمد . . . تا بتمیمه وضمیمه جامع التواریخ شود « (۱) .

ومما ذكره الكاشاني يتضح أن هذا القسم من كتاب جامع التواریخ
 لم يكتب إلا بعد سنة ۷۰۶ هـ . وهذا أيضاً يؤيد ما ذكره رشيد الدين من أن
 كتابه المذكور قد تم تأليفه وتجليده عام ۷۱۰ هـ وأعطى مكتبة المسجد الذي
 بناه (۲) .

وأما صاحب تاريخ الوصاف فقد ذهب إلى أن رشيد قد ضمن كتابه
 الحوادث التاريخية حتى عام ۷۱۲ هـ (۳) . فإذا صح هذا القول يكون من
 المحتمل أن الحوادث بعد سنة ۷۱۰ كانت تتعلق بالتحقيقات التي قام بها
 المؤلف عن حياة السلطان أوجليتو (۴) والتي لم يعثر عليها - مع الأسف -
 في مخطوطات كتاب جامع التواریخ .

يتحدث رشيد الدين عن مؤلفه فيقول : « أستطيع أن أشهد بأنني لم أهمل
 أي حذر ولم أدخر أية عناية في سبيل الوصول إلى الحقيقة ، وأنني لم أكتب
 شيئاً زائداً أو قائماً على الصدفة . وقد جمعت دون تغير ما كان موجوداً في
 أصح الوثائق الخاصة بكل شعب وأصح الروايات والأخبار التي زودني بها
 أكثر الناس علماً في كل قطر . وقد رجعت إلى كتب المؤرخين وأصحاب
 الأنساب وثبتت من كتابة اسم كل أمة وكل قبيلة ، ورتبت المواد التي جمعتها

(۱) انظر بلوشيه : مقدمة تاريخ المغول ص ۱۴۰ - ۱۴۱

(۲) انظر Quatremère, P. LXXI.

(۳) انظر تاريخ الوصاف ، ص ۵۳۹ .

(۴) Quatremère. P. LXXI.

تبعاً لنظام منهجى لم يسبقنى إليه أحد . فساعد هذا النظام على سهولة فهم كتابى بالنسبة لجميع قرائى (١) .

بعد هذا ننقل إلى نقطة هامة أثارها عبد الله الكاشانى حين تحدث عن تقديم كتاب جامع التواريخ إلى السلطان أوجاياتو فى العاشر من شوال سنة ٧٠٦ ؛ فقد ادعى بأنه هو المؤلف الحقيقى لكتاب جامع التواريخ ، وأن هذا الكتاب سرقة اليهود الملاحين وحملوه إلى رشيد الدين الذى قدمه إلى السلطان فكوفئ عليه مكافأة سخية فقد أعطى أملاكاً وقرى وضياعاً تقدر بخمسين توماناً وكانت محاصيل تلك الأملاك تدر عليه كل سنة مبلغ عشرين توماناً أخرى . وبالرغم من أن رشيد الدين سبق أن وعده باقتسام قيمة هذه الجائزة فإنه لم يعطه درهماً واحداً مع أنه المؤلف والمصنف الذى بذل مجهوداً كبيراً ، وصرف فى سبيل إعداد كتابه سنين عديدة . وفى آخر هذه الرواية عبر الكاشانى عن أسفه وحسرتة شعراً قائلًا : « لقد تحملت المشقات ، ولكن مخدومى أخذ عملى ونسبه إلى نفسه » . وإليك النص الفارسى لهذا الاتهام الخطير : « وروز يكشنبه پنجم شوال وصول اردوқта از جانب خراسان ، وآدينه دهم دستور ايران خواجه رشيد الدين كتاب جامع التواريخ كه ، تأليف وتصنيف اين بيچاره بود بدست جهودان مردود بر راي پادشاه عرضه كرد . وجايزه آن پنجاه تومان مال از املاك وديه وضياع بستد . وهرسال از محصول مستدركات وريوع ارتفاعات آنجايبست تومان نقد عفوا صفوا بوى ميرسد وباجود وعده تصيف يك درم به مؤلف ومصنف آن نداد كه سعى بليغ وجهد نجيح نموده بود ، وبسالها جمع كرده .

بيت :

رنج من بردم ولى مخدوم من آن بنام خويشتن بردار كرد (٢)
ونحن إزاء هذا الاتهام الخطير لا يسعنا إلا أن نقف عنده وقفة متأنية
لنناقشه بدقة وعناية لنصل إلى الحقيقة .

(١) انظر . Quatremère, P. LXXI. نقلا عن المجموعة الرشيدية .

(٢) بلوشيه : مقدمة تاريخ المغول ، ص ١٣٣ نقلا عن تاريخ اوجاياتو لعبد الله الكاشانى .

سبق أن تعرض المستشرق الفرنسي بلوشيه لمناقشة هذا الموضوع فساق عدة أدلة تؤيد ادعاء الكاشاني وأصدر رأيه بأنه لا يكاد يوجد شك في أن عبد الله الكاشاني كما يدعى ذلك بنفسه هو المؤلف الحقيقي لجامع التواريخ وأن فضل الله رشيد اقتصر على توقيع هذا الكتاب بعد أن تم دون أن يدفع له المبلغ الذي كان قد وعد بإعطائه إياه (١) .

والواقع أن بلوشيه انخدع بما ذكره الكاشاني وصدق ادعاءه ، وتسرع في إصدار حكمه دون ترو وتأن ودون تفحص وتعمق ؛ لأننا سوف نرى الآن أن مناقشاته لهذه المسألة لم تكن مقنعة تماماً . فليست هناك أية إشارة بخصوص توقيع رشيد الدين لا في كتاب الكاشاني ولا في متن جامع التواريخ . وفي الغالب لا يوقع المؤلفون الشرقيون على مؤلفاتهم ، ولكن يذكرون أسماءهم في المقدمة وفي أماكن متفرقة من الكتاب ، وأحياناً في آخره . وكما نعلم توجد مثل هذه المواضع في كتاب جامع التواريخ ، وكلها تبرهن على أن كتاب جامع التواريخ كتب باسم مؤلف واحد هو رشيد الدين (٢) .

ثم إن بلوشيه كان قد نسي تماماً أنه قال في مكان آخر :

« إذا كنا نملك مخطوطاً واحداً بغير مقدمة عن تاريخ المغول لما ترددنا لحظة واحدة بعد قراءة كلمات الكاشاني إن نقول إن أماننا كتاب جامع التواريخ لأبي القاسم عبد الله الكاشاني » (٣) .

وعلى هذا لم يكن هناك داع مطلقاً لأن يتسرع فيصرح بأنه من المستحيل أن يكون عبد الله الكاشاني شخصاً مجنوناً أو جريئاً عديم الإحساس حتى ينسب لنفسه استحقاق عمل لم يكتبه (٤) ؛ لأن بلوشيه يفترض بهذا أن النفس البشرية قد بلغت حد السكالم المطلق ، وأن ما يقوله كل شخص معناه الصدق الذي لا ريب فيه ؛ إذ ليس هذا صحيحاً دائماً فما لم يقم دليل واضح يؤيد ما يقوله

(١) انظر بلوشيه مقدمة تاريخ المغول ، ص ١٥١ - ١٥٢ .

(٢) انظر بارتولد : مجلة العالم الإسلامي ، ص ٩٢ .

(٣) بلوشيه : مقدمة تاريخ المغول ، ص ١٤٠ .

(٤) انظر نفس المصدر ص ١٥٣ .

هذا الشخص ، يجب أن نتوقف في قبوله . وإلا فإذا كان موقف بلوشيه بعد أن انتهى من تأليف كتابه وكتب « فهرسه » عن المخطوطات الفارسية الموجودة بالمكتبة الأهلية بباريس ، واتضح له أن اسم المؤلف في إحدى النسخ الخطية من كتاب جامع التواريخ لا هو الكاشاني ولا هو رشيد الدين ، ولكنه شخص ثالث اسمه « أحمد بن محمد البخارى » (١) فهل يعود بلوشيه مرة أخرى ويقول عن أحمد البخارى ما قاله عن عبد الله الكاشاني ؟.

وهكذا نتيجة لتسرع بلوشيه عادت المسألة مرة أخرى في الحواشي الإضافية لكتابه لغزاً غامضاً قد استعصى حله (٢) .

ولقد لاحظ بلوشيه نفسه أن أسلوب الكاشاني في كتابه تاريخ أوجلايتو لا يشبه مطلقاً أسلوب كتاب تاريخ المغول لرشيد الدين . ولكنه حيناً قارن بين متن كتاب زبدة التواريخ للكاشاني نفسه وبين النص المرتبط بتلك الحوادث من كتاب جامع التواريخ لاحظ وجود تشابه يكاد يكون حرفياً ، كما لاحظ أن كتاب الكاشاني يحتوى على بعض تفصيلات أهملها رشيد الدين (٣) .

ومن هذا يتبين أن كلا من رشيد الدين والكاشاني كتب بأسلوب يخالف الآخر تماماً وذلك عن الحوادث التي كانت معاصرة لهما ، ولكن حيناً كانا يقتبسان أو يختصران من كتب المؤرخين الإسلاميين كانت روايتهما تتشابه إلى حد كبير ، وإذن فمشاركة الكاشاني لعمل رشيد الدين كانت تنحصر كما يبدو في تلك الأجزاء التي يكتبها المؤرخ حيناً يكون مصنفها تماماً .

وإنه لمن الصعب أن نفهم ماذا كان يعنى بلوشيه باستعماله تلك الألفاظ الضخمة الرنانة الطنانة : « السارقون ، المقلدون ، الوقحون » فيما يتعلق برشيد الدين وحافظ آبرو ومن على شاكلتهما (٤) لأن معنى التقليد في الحقيقة لم يكن مفهوماً مطلقاً لدى جميع المؤلفين في العصور الوسطى من مسلمين وأوروبيين وصينيين . فإذا ما نقل المؤلف ما في مصدر سابق كلمة كلمة دون أن يتحمل عرض هذه المطالب بأسلوبه الخاص فإن ذلك لم يكن يعد عيباً . وهكذا كان سلوك

Bloch: Catalogue des Mss. persans de la Bibliotheque Nationale, (١)

Vol. I p. 204.

(٢) بلوشيه : مقدمة تاريخ المغول ، ص ١٥٤ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٤٥ وما بعدها .

(٤) انظر بارتولد : مجلة العالم الإسلامى ص ٩٤ .

رشيد الدين في تاريخ المغول حينما ساحت له الفرصة في استعمال كتاب سلفه عطا ملك الجويني ، وفي تاريخ الهند بترجمة ما كان ينقله عن المؤلف ألي الرحان البيروني ، وفي تاريخ السلاجقة بما كان ينقله عن الراوندي . وقد سلك هذه الطريقة نفسها من أخذ عن رشيد الدين من أمثال البناكتي وحافظ آبرو وظهر هذا التقليد أيضاً بوضوح تام في مؤلف عبد الرزاق السمرقندي حينما استفاد من مؤلفات حافظ آبرو . فلو أخذنا بمقياس بلوشيه لجاءت النتيجة بخيبة للآمال وهي أن أغلب المؤرخين الشرقيين في العصور الوسطى كانوا سارقين ومقلدين ووقحين .

ومع كل هذا فإننا نلاحظ أن أسلوب القسم الأكبر من كتاب رشيد الدين يختلف اختلافات جوهرية عن أسلوب المؤرخين الإيرانيين بوجه عام كما يختلف أيضاً عن أسلوب الكاشاني نفسه . وهذا مما يضطرنا إلى أن نفترض أن نشاط الكاشاني وأمثاله ممن كانوا يعاونون رشيد الدين كان محصوراً في حدود ضيقة للغاية . وفي مثل هذه الأحوال من الصعب أن نصرح بأن رشيد الدين قدر عمل الكاشاني لدرجة أنه يعده بأن يقتسم معه جائزة السلطان المتوقعة . ولكن يبدو أن عبد الله الكاشاني شعر بأنه قد صدم حقاً لأن رشيد الدين لم يؤجره الأجر الذي كان يستحقه . وحتى هذا الادعاء أيضاً فيه نظر لأن رشيد الدين الذي كان في مقدمة ما يتميز به الجود والكرم والبذل والعطاء لدرجة أنه كان يؤجر النساخ قطعاً ذهبية وأحجاراً كريمة كما ذكر شمس الدين الكاشاني في منظومته — ليس هو بالشخص الذي ييخل على الكاشاني فلا يعطيه ما يستحقه إلا إذا كان قد صدر منه ما أغضب الوزير عليه وجعله يبخسه حقه . على كل حال نسلم مع الكاشاني بأن رشيد الدين لم يؤجره شيئاً ، ومعنى هذا أنه كان شخصاً موتوراً . وكنا نتوقع منه أن يرزق الشجاعة الأدبية الكافية التي تحمله على التفكير في اتهام الوزير أثناء حياته ، أو على الأقل الامتناع عن العمل له (١) . ولكن قد يعترض معترض ويقول : إن الكاشاني ما كان

(١) لما كانت الفكرة الرئيسية أن يكون كتاب جامع التواريخ مشتملاً على تاريخ أوجلايتو وجغرافية العالم إلى جانب المحتويات الأخرى ، ولكن لم يعثر عليها في مخطوطات هذا الكتاب فقد ذهب بلوشيه إلى أن المؤلف لم يكتب شيئاً عنهما وعلل ذلك بأنه بعد ٢٠ إبريل سنة ١٣٠٧ (شوال ٧٠٦) رفض الكاشاني أن يشغل لرئيسه الجاحد ؛ ولهذا لم يستطيع أن يكمل كتابه . وهذا التعليل في نظري واه جداً لأن مثل هذا الوزير في سطوته وجبروته كان يستطيع بكل تأكيد أن يجد أشخاصاً كثيرين لإنجاز هذا العمل لو كان في حاجة إلى هؤلاء .

يجرؤ على فعل شئ من ذلك وهو يعرف تماماً من هو رشيد الدين ، فقد كان في ذلك الوقت الوزير المهيمن على كل شئون الدولة وكان يتمتع بجاه عريض ونفوذ كبير .

وردنا على هذا الاعتراض أنه وجدت في حياة رشيد الدين فترة كانت فرصة سانحة للتشجيع والطعن عليه ، فعلى أثر إقصائه عن منصبه في سنة ٧١٦ هـ وزوال سيطرته وقوته وتكاتف عوامل الشر ضده ، كان يمكن بسهولة أن يجد هذا الاتهام شيوعاً ورواجاً ، ولكن بمثابة خنجر مسموم آخر يوجه إليه إلى جانب التهم الأخرى التي انهالت عليه من عدوه البلود على شاه الحيلاني وأعوانه .

ولكن إذا كان الكاشاني لم يجرؤ على اتهام الوزير ، ولم يستطع الإضراب عن العمل له ، فإنه لم يعدم وسيلة أخرى بنفس بها عن شعوره المكبوت وذلك بأن يستمر في النسخ لرشيد الدين على أن يحتفظ لنفسه بنسخة أخرى من نفس المؤلف أعني بذلك القسم الذي يشتمل على مختصر لتاريخ العالم كما يبدو في نظر المسلمين ، والذي أطلق عليه الكاشاني اسم « زبدة التواريخ » ونسبه إلى نفسه وادعى في مقدمته أنه مكلف بتأليفه من قبل السلطان أوجلايتو . يقول أحد الباحثين الإيرانيين (١) : « كان أبو القاسم عبد الله الكاشاني أحد موظفي الديوان الذين ساعدوا رشيد الدين على استنساخ كتابه جامع التواريخ . ويظهر بوضوح من التتبع الدقيق لكتاب « زبدة التواريخ » أن رشيد الدين كان في حاجة إلى بعض المصادر التاريخية المعروفة ليستعين بها على تأليف كتابه جامع التواريخ . ولسهولة الاستفادة من تلك المصادر كان يضع علامة على الجزء الذي يهمله في كل كتاب ، ويسلمه إلى عبد الله المشار إليه ليقوم باستنساخه في مجلد أو في عدة مجلدات . ولكن في ذلك الوقت ولأسباب مجهولة انضم الكاشاني إلى أعداء رشيد الدين الذين لا حصر لهم ، وسرق نسخة من تلك الأوراق المجموعة ، ونشرها باسمه تحت اسم « زبدة التواريخ » دون أدنى تغيير عن الأصل . ومن حسن الحظ أن عبد الله المذكور كان ساذجاً لدرجة

(١) إسماعيل أفسار : مجلة مهر ، السنة الثانية ، العدد الأول ص ٢٨ ، خرداد ماه سنة ١٣١٣

أنه لم يصف شيئاً يذكر على أصل تلك المصادر سوى بعض المقدمات المهلهلة .
إن رشيد الدين في أوج عظمته واهتمامه بأن تصل مؤلفاته إلى الأجيال
المقبلة لتكون له شارة فخار ورمز تمجيد وتخليد ، لم يكن يدور بخالده مطلقاً
أنه في هذا الوقت بعينه يسجل عليه أحد الرجال الموتورين اتهاماً خطيراً
وأن هذا الاتهام سوف يصل إلى الأعقاب . ولكن مما يهون من شأن هذا
الاتهام أن الكاشاني وحده هو مذيعة وناشره ، فلم نجد من بين المؤرخين
المعاصرين لرشيد الدين أو من جاء بعده من يقول إن كتاب جامع التواريخ
كان من تأليف عبد الله الكاشاني ، ولم يكن لرشيد الدين في تأليفه مجهود
يذكر وإنما نسبه إلى نفسه زوراً وبهتاناً .

وأخيراً نخلص من مناقشة هذه المسألة إلى أن كتاب « جامع التواريخ »
هو من تأليف رشيد الدين حقيقة . وأما عبد الله الكاشاني وشريكه أحمد
البخاري فهما المؤلفان الخياليان لهذا الكتاب .

أما عن تاريخ أوجايتو فمن المحتمل أن يكون كلا المؤلفين قد كتب هذا
التاريخ ، ولم يصل إلينا إلا مؤلف الكاشاني فقط (١) .

الفصل الثالث

أقسام كتاب جامع التواريخ ومنابعها

أشار رشيد الدين إلى أقسام كتابه «جامع التواريخ» في الفهرست الجامع الذى كتبه لكل مؤلفاته فى مقدمة المجموعة الرشيدية التى ألفها باللغة العربية (١) حيث يعطى عن مؤلفه «جامع التواريخ» معلومات هى أكثر تفصيلا من الفهرست الموجود فى مقدمة الكتاب نفسه . فهناك نقرأ أن هذا الكتاب كان ينقسم إلى أربعة مجلدات .

الأول : فى أصل الأمم التركية ، وتعداد قبائلها ، وذكر الملوك والأمراء والأميرات المعبرين من كل قبيلة ، وشرح أمكنة كل طائفة ، وذكر تاريخ أجداد جنكيز ، ثم تاريخ جنكيز نفسه ، وشرح أحوال أولاده وأحفاده الذين تولوا الحكم حتى عهد السلطان أوجلايتو وإيراد قائمة أنساب كل أمير وعرض صفاته الحسنة والسيئة ، والتحدث عن زوجاته وأولاده ، والتأريخ للخلفاء والملوك والأتابكة الذين كانوا يعاصرونهم وذكر الحوادث والنوادر الواقعة فى عهدهم .

وهذا المجلد هو الذى ألفه رشيد بناء على طلب غازان خان وأطلق عليه «تاريخ غازانى» .

الثانى : يتركب من مقدمة وقسمين :

١ — فى تاريخ حياة السلطان أوجلايتو ابتداء من تاريخ ميلاده إلى الوقت الذى يكتب فيه المؤلف . على أن يضم إلى هذا المجلد ملحق يشتمل على أعمال هذا السلطان سنة فسنة .

٢ — يشتمل على تاريخ مختصر للأنبياء والخلفاء والسلطين من عهد

(١) نشر كاترمير هذه المقدمة مع متن تاريخ هولكو خان .

آدم حتى عصر المؤلف ، كما يشتمل على تاريخ مفصل لعدد من الأمم لم يذكر عنها المؤرخون معلومات صحيحة قط . وقد اقتبس كل ما ذكره عن هذه الأمم من كتب علماءها الصحيحة المعتبرة ، وضم إلى هذا ما زوده به أعلم الرجال في كل أمة . فيجد المرء هنا تاريخ اليهود والنصارى ، وحياة أشهر السلاطين والأمراء في كل إقليم ، كما يجد تاريخ الإسماعيلية . هذا إلى جانب ما يعثر عليه من قطع أخرى غريبة ومفيدة .

الثالث : ويضم بأوسع تفصيل شعب الأنبياء والملوك والخلفاء وقبائل أقوام العرب والصحابة من عهد آدم إلى آخر خلفاء بني العباس . وفي هذا المجلد يتحدث المؤلف عن أسلاف محمد صلى الله عليه وسلم ، والقبائل التي ينتمون إليها ، وسلسلة الأنبياء الذين ظهوروا في قوم بني إسرائيل ، والملوك الذين خضع لهم هؤلاء الأنبياء وقبائلهم المختلفة ، والأنساب الصحيحة للقيصرة وغيرهم من أمراء النصارى مع بيان أسمائهم ، وعدد سنى حكمهم . وقد أورد المؤلف كل هذه التفاصيل بدقة من تواريخ هذه الشعوب ، ورتبها تبعاً لنظام منهجى سهل التناول لم يسبق إليه .

الرابع : في الجغرافيا ويشتمل على تحديد دقيق لكل إقليم من الأقاليم السبعة وولايات ممالك العالم ، والوضع الجغرافى والوصف الصحيح لمعظم المدن والبحار والبحيرات والوديان والجبال مع الإشارة إلى الأطوال والعروض . ولم يكتف في تحرير هذا المجلد من كتابه بجمع وقد وتمحيص ما يوجد في أحسن المؤلفات الجغرافية بل لقد أضاف إلى المعلومات السابقة ، معلومات أخرى استقاها من أرباب الخبرة ومن أولئك الذين رأوا بأعينهم الأقاليم المختلفة وذلك حتى لا يكون هناك تفاوت بين ما وصفه وبين ما هو في الواقع والحقيقة .

هذا التقسيم الذى ذكره رشيد الدين لكتابه في المجموعة الرشيدية يخالف ما سار عليه المؤلف في المقدمة التي توجد في أول كتابه جامع التواريخ ، فقد أشار في هذه المقدمة إلى ثلاثة مجلدات فقط . وما ذلك إلا لأنه جدد كل ما يكون الجزعين الثانى والثالث في مجلد واحد ، واعتبره المجلد الثانى من كتابه . ولكن لما كان هذا المجلد لا يتناسب في حجمه مع المجلدين الآخرين

رأى بالتالى أنه من الأفضل أن يقسمه قسمين متساويين تقريباً . وعلى هذا صار كتابه يتكون من أربعة مجلدات . وهذا هو التقسيم الذى سار عليه حينما كون مجموعة كاملة لمؤلفاته (١) .

ولكن الغريب حقاً أننا إذا تلمسنا مخطوطات كتاب «جامع التواريخ» (٢) ورحننا نبحث عن تلك الأقسام التى أشار إليها المؤلف فى مقدمة هذا الكتاب أو عن تلك التى أشار إليها فى مقدمة مؤلفه الآخر «المجموعة الرشيدية» لا نجد أنها تطابق تماماً الفكرة الرئيسية التى كان يهدف إليها المؤلف . فبالجزء الأول المشتمل على تاريخ المغول والذى يطلق عليه «تاريخ غازانى» يشتمل بالتفصيل على البابين الآتين :-
الباب الأول :

فى التحدث عن الأجناس المختلفة التركية والمغولية ، وكيفية انشعاب قبائلهم وأنسابهم ، ومعرفة عاداتهم وتقاليدهم . وهذا الباب يشتمل على ديباجة وأربعة فصول :

الديباجة : فى ذكر حدود مواضع الأتراك وتفصيل أسماء وألقاب كل شعبة من شعب تلك الأقوام .

الفصل الأول : التاريخ الخرافى لقبائل أوغوز ، وقد ذهب المؤلف إلى أنهم منحدرون من نسل يافث بن نوح الحد الأكبر للأتراك .

الفصل الثانى : فى ذكر أقوام الأتراك الذين يطلق عليهم الآن المغول ولكن فى قديم الأزمان كان لكل قوم اسم ولقب خاص .

الفصل الثالث : قبائل تركية أخرى كانت مستقلة ، ولم تكن تربطها صلات قرابة بالأقوام السابقة المذكورة فى الفصل الثانى .

الفصل الرابع : فى ذكر أقوام الأتراك الذين كان يطلق عليهم قديماً لقب المغول وكانت لغتهم الأصلية هى المغولية .

(١) انظر Quatremère, p. LXXIV.

(٢) مقدمة جامع التواريخ ، نشر كاتمرير ؛ مقدمة جامع التواريخ ، مخطوط مكتبة مشهد تحت رقم ٤١٠١ ؛ مقدمة جامع التواريخ ، مخطوط المكتبة الأهلية بتهران تحت رقم ٨٦٩ .

الباب الثانى :

فى ذكر أحوال ملوك المغول والأتراك وغيرهم ويشتمل على فصلين :-
الفصل الأول : فى تاريخ آباء وأجداد جنكيزخان ابتداء من جده الأعلى « ألان قوا » إلى أبيه « يسوكاى بهادر » .

الفصل الثانى : فى تاريخ جنكيز خان وأبنائه وأحفاده وهم على هذا الترتيب .

١ - أوكتاى الابن الثالث لجنكيز وخليفته من بعده على عرش المغول .

٢ - جوجى (الابن الأكبر لجنكيز) وأسرته .

٣ - جغتاي (الابن الأوسط لجنكيز) وأسرته .

٤ - تولوى الابن الرابع لجنكيز .

٥ - كيوك خان الابن الأكبر لأوكتاى ، وقد تولى عرش المغول بعد وفاة أبيه .

٦ - منگوقاآن الابن الأكبر لتولوى الذى تولى العرش بعد كيوك خان .

٧ - قوبيلاي الابن الثانى لتولوى الذى تولى العرش بعد منگوقاآن .

٨ - تيمورقاآن ابن أخى قوبيلاي .

٩ - هولاكوخان الابن الثالث لتولوى الذى تولى عرش المغول فى إيران ، وأسس سلسلة حكمت إيران من بعده ، وكانت تعرف باسم الإيلخانيين فى إيران .

١٠ - آباقا الابن الأكبر لهولاكو الذى تولى العرش فى إيران بعد أبيه .

١١ - أحمد تكودار ابن آخر لهولاكو جلس على عرش المغول فى إيران بعد آباقا .

١٢ - أرغون الابن الأكبر لآباقا الذى تولى العرش بعد وفاة أحمد تكودار .

١٣- كيخاتو بن آباقا الذى تولى العرش بعد أرغون .

١٤- غازان خان الابن الأكبر لأرغون .

١٥- تاريخ جلوس السلطان أوجليانو .

ولإلى جانب هؤلاء المغول يلاحظ أن هذا الفصل قد شمل الملوك الذين كانوا يعاصرونهم . وتوجد نسخة خطية قيمة من هذا المجلد فى طوب قاپو سراى - مكتبة روان كوشكى « روان كوشكى كتيبخانه سى » بتركيا (١) تحت رقم ١٥١٨ عدد أوراقها ٣٤٣ ورقة مقاس ٢٩ × ٤١ ، وتشتمل كل صفحة على ٢٨ سطراً .

وفى الورقة الأولى (٢) تحت هذا العنوان : « مجلد أول جامع التواريخ » يبدأ المؤلف كتابه بالحمد والثناء على هذا النحو : « حمد وثنا فراوان وشكرو سپاس بى پايان مر آفریدگار بیچون مبدع صنایع کن فیکون جل جلاله وعم نواله ، وصلوات نا معدود وتحيات نا معدود نثار حضرت رسالت وبارگاه جلالت سرور جمله أنبیا ومهتر کافه أولیا واصفیا محمد مصطفى » .

هذه النسخة تشتمل على التاريخ المفصل للمغول منذ أقدم الأزمنة حتى جلوس السلطان أوجليانو ، وهى فى تقسيمها لا تخرج عما سبق ذكره . ومن المحتويات التفصيلية يتبين أنها نسخة كاملة ليس بها سقطات . يضاف إلى هذا أنها من أقدم المخطوطات التى عثر عليها من كتاب « جامع التواريخ » ، إذ أن تاريخ تحريرها « شعبان سنة ٧١٧ هـ » كما ورد فى الورقة ٣٤٢ (ب) « مخدوم جهانیان آصف عهد مصنف این کتاب که موسومست بتاريخ مبارک غازانی بنام سلطان سعید مغفور مرحوم غازان خان أنار الله برهانه ساخته . وبنام پادشاهان وقت سلطان سلاطین الأرض ومغاربها مجلدى دیگر ساخته است که موسومست بتاريخ عالم . وآن مجملیست از عهد آدم تا اکنون ، وتاريخ وحکایات این پادشاه وقت تا قیام ساعت پاینده ومستدام باد از ابتدای ولادت او تا منتهای که جاوید بود ذیل آن کتاب باشد . . . »

(١) هذه المعلومات مستقاة من الأستاذ الدكتور إبراهيم أمين الشواربى الذى أطلع على النسخة المذكورة من كتاب جامع التواريخ واختبرها عند زيارته لتركيا فى صيف ١٩٥١ .

(٢) ورقة / ١١ أ .

« تمام شد این کتاب مبارک در ماه شعبان سنة سبع عشرة وسبعمائه هلالیه بمقام بغداد حماها الله » .

وكننا نتوقع أن يتحتم الكتاب بهذه العبارة لكننا نجد بعد ذلك ورقة أخيرة كتب في صفحتها الأولى عنوان : « بدء قصة سلطان الإسلام أوبلخايتو خلد ملكه ومقدمة ذلك » (١) . وفي ظهر هذه الصفحة عنوان آخر . « حكايات وصول الرايات الميمونة وجلوس سلطان الإسلام المبارك -- خلد ملكه -- على سرير السلطنة » (٢) .

وأغلب الظن أن النساخ كانوا قد نسوا أن يضعوا هذه الورقة قبل العبارة السالفة الذكر فلم يكن هناك مفر من أن يضعوها بعدها . والدليل على ذلك أن هذه الورقة تكون آخر محتويات المجلد الأول المشتمل على تاريخ المغول في المخطوطات الأخرى لكتاب جامع التواريخ .

وكما سبق أن ذكرنا استمد رشيد الدين معلوماته في هذا الجزء من الوثائق المغولية والمستندات التي وضعها غازان تحت تصرف المؤرخ ، ومن أقوال پولاد جينگ سانگك سفير الخاقان في بلاط غازان والذي كان يحيط إحاطة تامة بتاريخ المغول وعاداتهم وتقاليدهم ، ومن غازان نفسه وكان أعلم سلاطين المغول وأمراءهم بتاريخ أجداده وآبائه وأخيراً من علماء كل أمة وهؤلاء كانوا يعيشون في بلاط غازان في ذلك الوقت فكان رشيد الدين يتصل بهم ويحصل منهم على ما يريد من مادة تتعلق بتاريخ بلادهم .

ويلاحظ أن هذا الجزء قد أضفى أهمية كبيرة على عمل رشيد الدين نظراً لما يحويه من مادة غزيرة كافية للكشف عما نغض من تاريخ أقوام المغول .

أما الجزء الثاني من هذا المؤلف فقد تم بناء على أمر السلطان أوبلخايتو . وهو في التاريخ العام . ولكن لم يعثر فيه على القسم الذي كان يتعلق بتاريخ أوبلخايتو كما كان ينبغي المؤلف .

(١) « آغازدستان پادشاه اسلام اوبلخايتو سلطان خلد ملكه ومقدمه آن » (ورقة ٣٤٣ أ)

(٢) حكايت وصول رايات همايون وجلوس مبارک پادشاه اسلام خلد ملكه بر سرير

سلطنت » (ورقة ٣٤٣ ب) .

وعندما كنت في طهران عثرت على مخطوط من كتاب «جامع التواريخ» محفوظ في المكتبة الأهلية بطهران ، يشتمل على المجلد الثاني وعلى بعض الأقسام من المجلد الأول .

ولعله من المناسب هنا أن أعطي وصفاً تفصيلياً لتلك النسخة وما اشتملت عليه خصوصاً فيما يتعلق بالجزء الثاني المتعلق بالتاريخ العام .

هذه النسخة مدرجة تحت رقم ٨٦٩ مقاس ٤٥٥ × ٢٩٥ والمتن موجود داخل إطار مقاسه ٣٣٥ × ٢٠٣ وعدد صفحاتها ٧٢١ صفحة تحتوي كل صفحة على ٢٦ سطراً ، والعناوين والآيات القرآنية مكتوبة بالمداد الأحمر . ومما يؤسف له أنه لم ينص على تاريخ استنساخ هذه النسخة .

تشتمل النسخة المذكورة على ما يلي :

الباب الأول : ويحتوي على تاريخ أوجهايتو وهو مفقود من هذه النسخة كما أنه لا يوجد في أي مخطوط آخر من كتاب جامع التواريخ .

الباب الثاني : ويشمل التاريخ العام للعالم ، ويقع في مقدمة وقسمين : المقدمة : في ذكر آدم ونوح وأبنائهما .

القسم الأول : في ذكر ملوك الفرس القدماء والحوادث التي وقعت في عهد كل منهم وذلك منذ عصر كيومرث أول ملوك الفرس الأسطوريين حتى آخر عهد يزدجرد بن شهريار آخر ملوك الفرس الساسانيين ، وهو يقع في أربع طبقات :

(أ) طبقة الپيشداديين .

(ب) طبقة الكيانيين .

(ج) طبقة الإشكانيين .

(د) طبقة الساسانيين .

القسم الثاني : وينقسم بدوره إلى الأقسام الثلاثة الآتية :

١ - في ذكر تاريخ النبي صلى الله عليه وسلم ، وتاريخ الخلفاء حتى آخر عهد المستعصم بالله ، وسرد للحوادث والوقائع التي حدثت في عهد كل منهم ويقع هذا القسم في أربع مقالات :

(أ) في ذكر أحوال النبي صلى الله عليه وسلم ، وبيان نسبه وانشعاب قبائل قريش ، وسرد شيء من تاريخ آبائه الأجداد .

(ب) في ذكر تاريخ الخلفاء الأربعة الراشدين : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي .

(ج) في ذكر خلفاء بني أمية .

(د) في ذكر الخلفاء العباسيين .

وإلى هذا الحد لم يشر رشيد الدين إلى المصادر التي أخذ عنها . ولكن يبدو أنه أخذ عن المصادر العربية وفي مقدمتها الطبري وابن الأثير لأنه سار على المنهج الذي سار عليه من قبل هؤلاء المؤرخون . ويزعم براون أنه رغم غزارة هذا الجزء وإحكامه ، فإنه من المحتمل ألا يشمل على مادة أكثر من تلك التي يمكن استخلاصها من المؤرخين العرب القدماء كالطبري وابن الأثير (١) ٢ - الدويلات الفارسية التي نشأت في إيران على أثر ضعف الخلافة العباسية . وقد حرص المؤلف على أن يجيء هذا القسم في أسلوب سهل قريب من الأفهام حتى يعرفه الترك والعرب بعيداً عن التكلف والتصنع ، مع تجنب الاستطراد (٢) .

وهذه الدويلات كما يرويها المؤرخ هي :-

(أ) تاريخ الدولة الغزنوية ابتداء من ناصر الدين سبكتكين حتى أبي الفتح محمود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين . ويلاحظ وجود بعض صفحات بيضاء في تاريخ ناصر الدين سبكتكين مما يدل على وجود نقص في هذا القسم .

منابعه : مستمدة من كتاب تاريخ اليمن في تاريخ الدولة الغزنوية فقد قارن أحد الإيرانيين بين متن زبدة التواريخ لعبد الله الكاشاني فيما يتعلق

(١) . The Journal of the Royal Asiatic Society, 1908, P.24 .

(٢) « وبه تبعت لازمى آيد كه بادراك وافهام قريب بود ، وترك وتازيك آنرا بدانند واز تكلف وتصلف دور باشد . وحكايتى كه از أسلوب كتاب بعيد باشد تجنب نمائيم » مخطوط المكتبة الأهلية بطهران ص ٢٩١ .

بتاریخ هذه الدولة ، و بین متن کتاب الیمینی وخلص من المقارنة بأن الکاشانی نقل تاریخ الیمینی بنصه و فصره من أوله إلى آخره غیر أنه حذف المقدمة لهذا الکتاب لطولها و کثرة الأشعار العربية بها . و حیث أن کتاب «زبدة التواریخ» یطابق نظیره من کتاب جامع التواریخ مطابقة تکاد تكون حرفية کما سبق أن بین بلوشیه ؛ فلا بد أن رشید الدین أيضاً قد أخذ مادة تاریخ الغزنویین من کتاب تاریخ الیمینی (۱) .

(ب) تاریخ السلاجقة ، و یقدم المؤلف لتاریخ هذه الجماعة بالثناء علیهم . فهو بعد أن یعدد الدویلات الفارسیة التي تعاصر الخلفاء العباسیین مثل الطاهریین و الصفاریین و السامانیین و الغزنویین و الدیلمة یقول عن السلاجقة : « لم یکن من هؤلاء السلاطین أعظم و علی الرعية أشفق و لرعاية الخلق أجدر من ملوک السلاجقة رحمهم الله . و ما ذلك إلا لأنه قد ظهر فی عهدهم خیرات و مبرات کثيرة من إحياء معالم الدین و تشیید قواعد الإسلام . و ما أثرهم التي أقاموها من مساجد و مدارس و أربطة ، و الأوقاف التي وقفوها علی القضاة و الأشراف و الزهاد و العباد و الأخیار و الأبرار لم یوجد مثلها فی أى عصر ، و لا تزال للآن باقية فی الممالك الإسلامیة » (۲) .

منابعه : هذا القسم أخذہ المؤلف بحذافیره من کتاب راحة الصدور للراوندی و إن کان أسلوبه یختلف كثيراً عما هو موجود فی راحة الصدور (۳) . و لقد استفاد الأستاذ محمد لإقبال بهذا القسم فی تصحیح متن کتاب راحة الصدور الذی قام علی نشره . و صرح بهذا فی المقدمة إذ یقول : « وقد

(۱) انظر إسماعیل أفشار : مجلة مهر ، السنة الثانیة ، العدد الأول خرداد ماه ، سنة ۱۳۱۳ هـ . ش ، ص ۲۹ ؛ بهار : سبک شناسی ، ج ۳ ، ص ۱۷۳ .

(۲) « و از این جماعت سلاطین بزرگو ارتر و بررعیث مشفق تر و بر رعایت خلق سزاوارتر از ملوک آل سلجوق - رحمهم الله - بودند . . . چه چندان خیرات و مبرات که در آیام دولت ایشان ظاهر گشت از احیاء معالم دین و تشیید قواعد مسلمانی . و ماثر ایشان از مساجد و مدارس و رباطات و أوقاف که بر علما و صلحا و قضاة و سادات و زهاد و عباد و اخیار و ابرار کرده اند در هیچ روز گاری نبوده است ، و آثار آن در ممالك اسلام هنوز باقیست (جامع التواریخ ، المكتبة الأهلية بطهران ص ۳۴۰) .

(۳) انظر بهار : سبک شناسی ، ج ۳ ، ص ۱۷۳ .

استخدمت هذا الجزء من «جامع التواريخ» بمثابة نسخة أخرى من المتن التاريخي لكتاب (راحة الصدور) فكان في منتهى النفع في كشف بعض المواضع الغامضة والمغلقة» .

« وفي رأيي - بقدر ما استطعت أن أصل إليه من قراءتي - أن رشيد الدين لم يذكر أنه استخدم راحة الصدور ، وما لم يكن قد ذكر ذلك في موضع آخر من كتابه لم يقع عليه بصري ، فان إهمال رشيد الدين لذكر ذلك يعد أمراً جسيماً غير معتفر من مؤرخ كبير مثله » (١). وقد أضيف إلى هذا القسم ذيل أبي حامد محمد بن إبراهيم الذي يطلق عليه «تواريخ آل سلجوق» والذي يشتمل على خاتمة أعمال طغرل بن أرسلان آخر ملوك السلجقة في العراق (٢) .

(ج) تاريخ دولة الخوارزميين . وقد نقل رشيد الدين هذا القسم من كتاب «مشارب التجارب لابن فندق» (٣) ومن كتاب تاريخ جهانگشای الجزء

Ar-Rawindi, Rāhatu s-Sudur, P. XXXV. Gibb Memorial Series II, (١)

1921.

وانظر أيضاً نفس المصدر تحت عنوان : راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، نقله إلى العربية الأستاذ الدكتور إبراهيم أمين الشواربي والدكتور عبد النعم محمد حسنين والدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد ، ص ٣٠ ، القاهرة ١٩٦٠ .

(٢) ألف أبو حامد هذا الذيل في شهر ربيع سنة ٥٩٩ هـ كما يستفاد من مقدمة «تواريخ آل سلجوق» : اين ذيل أبو حامد محمد بن إبراهيم تأليف کرده است بعد از تصنيف که مشتمل است بر خاتمه کار سلطان طغرل در وقتی که جهان از امن و راحت در آرایش بود ، ودل و جان خلایق در آسایش . چون أبو حامد محمد بن إبراهيم اينجا رسيد خواستی که همه اين تاريخ تا آخر عهد و خاتمه سلطنت در قلم آرد ، و اين ذيل در ربيع الآخر سنه تسع وتسعين و خمسمائه هجرى نوشته آمد . هشت سال و دو ماه از واقعه سلطان شهيد طغرل بن ارسلان گذشته » .

(٣) هو أبو الحسن علي بن زيد البيهقي المعروف بابن فندق . كان أحد أئمة العلم والأدب في القرن السادس الهجري . ولد سنة ٤٩٣ هـ وتوفي سنة ٥٦٥ هـ . ألف كتباً كثيرة أغلبها بالعربية وبعضها بالفارسية . فيا قوت حين يترجم لهذا الرجل يعدله ٧٤ مؤلفاً (انظر معجم الأدباء ج ١٣ ص ٢١٩ - ٢٤٠ طبع مصر) ضاع معظمها .

وقد بقي لنا من مؤلفاته الفارسية كتاب «تاريخ بيهقي» ومن مؤلفاته العربية كتاب تنمة صوان الحكمة . أما كتاب مشارب التجارب وغوارب الغرائب فهو من أشهر مؤلفاته العربية وهو عبارة عن ذيل لتاريخ البيهقي يشتمل على الحوادث التاريخية لإيران من سنة ٤١٠ - ٥٦٠ (انظر تاريخ بيهقي ص ٢٠) ويبدو أن هذا الكتاب كان موجوداً حتى أواسط القرن الثامن ثم فقد بعد ذلك .

الثاني . وكان تارة ينقل عبارات الجويني بنصها وتارة كان يحذف بعضها وذلك حتى نهاية عصر السلطان جلال الدين منكبرتي (١) يقول الأستاذ محمد بن عبد الوهاب القزويني : « لما كان معلوماً بأن رشيد الدين ضمن كتابه الأجزاء الثلاثة من كتاب تاريخ جهانگشاي من البداية إلى النهاية ، وذلك حسب اختلاف المواقع فأحياناً ينقل عنه نفس عباراته ، وأحياناً يلخصها ويختصرها ، وأحياناً يبسطها ويزيد عليها كثيراً – فإنه من البديهي أن نسخة مضبوطة من كتاب جامع التواريخ كانت تسهل العمل جداً في تصحيح كتاب تاريخ جهانگشاي (٢) وحينما اختبرت هذا القسم في نسخة المكتبة الأهلية بطهران لاحظت أن تاريخ هذه الدولة ليس كاملاً .

(د) تاريخ السلغرين أتابكة فارس وبه نقص أيضاً في هذه النسخة .

(هـ) تاريخ الإسماعيلية وكان المفروض أن يأتي عقب تاريخ السلغرين إلا أنه محذوف كله مع الأسف من نسخة طهران مع أنه يحتل قسماً كبيراً في بعض المخطوطات الأخرى من كتاب «جامع التواريخ» . ونظراً للعناية الكبيرة التي أعطاها رشيد الدين لهذا الجزء فإني أذكر ملخصاً له من نسخة جامع التواريخ الموجودة بالمتحف البريطاني تحت رقم 7928 (٣) كما وصفها براون . في النسخة المذكورة يحتوي هذا القسم على مقدمة يصرح فيها المؤلف بأنه كتب هذا التاريخ بعد الانتهاء من التاريخ العام للعالم فكان كذيل له (٤) . ويلاحظ أن تاريخ الإسماعيلية يشتمل على :

(أ) تاريخ الخلفاء الفاطميين في المغرب ومصر مع مقدمة تدور حول معتقداتهم .

(ب) في تاريخ إسماعيلية قوهستان مع مقدمة عن تاريخ الحسن بن

(١) انظر بهار : سبك شناسي ، ج ٣ ص ١٧٣ .

(٢) انظر تاريخ جهانگشاي ، ج ٣ ص ٣٠ من المقدمة .

(٣) انظر Browne: The Journal of the Royal Asiatic Society, 1908, PP.

18-19 .

(٤) نفس المصدر ، ص ٢٦ .

الصباح مؤسس هذه الجماعة . يقول براون : « هذا القسم الأخير يشتمل على معلومات غزيرة عن إسماعيلية الموت حتى سقوطهم على يد هولوكو في سنة ٦٥٤هـ (١) . وقد أخذ رشيد الدين تاريخ هذه الجماعة عن كتاب تاريخ جهانگشای ، وعن كتاب سرگذشت سيدنا .

٣ — ينتقل رشيد الدين بعد ذلك إلى التحدث عن تاريخ دول أخرى غير العرب والفرس والمغول ولكنه مع هذا يسلك في هذا القسم ترتيباً غير عادى إذ يعود فيتحدث عن :

(أ) تاريخ « أوغوز » جد الأتراك كما يتحدث عن الأتراك الذين انحدروا منه وهذا القسم أيضاً غير موجود في نسخة طهران .

(ب) تاريخ قبائل الخطا وأحوال ملوك الصين والماجين . تم تأليفه عام ٧٠٤هـ (٢) . وقد استعان رشيد الدين في تأليف هذا القسم بالمعلومات التي أخذها عن العالمين الصينيين « ليتاچى » و « يكسون » . ويزعم بلوشيه أن رشيد الدين لم يقل شيئاً عن مصادره الصينية (٣) . ولكن هذا غير صحيح لأنه إذا رجع إلى مجموعة البارون « فيكتور روزن » التي نشر فيها بعض المنتخبات من جامع التواريخ عام ١٨٨٦ لوجد أن رشيد الدين يشير إلى هذين المصدرين (٤) .

(ج) تاريخ بنى إسرائيل ، ذكره المؤرخ في ستة فصول :

الأول : من ابتداء خلق العالم وآدم حتى نوح .

الثاني : نوح وأبناؤه .

الثالث : من إبراهيم إلى موسى .

الرابع : من موسى إلى داود .

الخامس : من ميلاد داود لغاية الإسكندر المقدوني .

(١) نفس المصدر ونفس الصفحة .

(٢) انظر بارتولد : مجلة العالم الإسلامى ، ص ٩٦ .

(٣) بلوشيه : مقدمة تاريخ المغول ، ص ٩٨ ، ٣٩٥ .

Baron Victor Rosen: Collections Scientifiques (Manuscripts pers). Vo (٤)

III, P. 106 .

السادس : من الإسكندر حتى عزرا آخر أنبياء اليهود . ويلاحظ أن هذا القسم يضطرب في نهايته ، وقد فصل المؤلف القول في تاريخ هذه الجماعة ؛ ولا غرو فقد كان ينحدر من أصل يهودي كما بينا وبالإضافة إلى هذا كان يعرف اللغة العبرية فأتاح له هذه الظروف أن يطلع على تواريخ هؤلاء القوم ، وأن يأخذ كثيراً من المعلومات عن علمائهم والواقفين على تاريخهم كما قرأ كتب التوراة واستفاد منها (١) .

(د) تاريخ الإفرنج والقياصرة ابتداء من ظهور آدم حتى سنة ٧٠٥ وهي سنة تأليف هذا التاريخ : « ايتزمانكه جامع اين كتاب ، اين حكايات نوشته است تاريخ هجرية در شهور سنهٔ خمس وسبعمائه بوده است » (٢) وتاريخ الإفرنج ينقسم إلى قسمين :
القسم الأول :

من ابتداء ظهور آدم عليه السلام حتى ولادة المسيح وذلك في أربعة أبواب :

الأول : في حصر طوائف الملوك السابقين .

الثاني : في خلق آدم عليه السلام وذكر أبنائه ومقدار أعمارهم .

الثالث : في ذكر نوح عليه السلام وأبنائه وبيان أعمارهم .

الرابع : في ميلاد إبراهيم عليه السلام وذكر ذريته حتى مريم والدة المسيح .

القسم الثاني :

من بدء ميلاد المسيح عليه السلام إلى أيام المؤرخ أى إلى سنة ٧٠٥ هـ .
ويقع هذا القسم أيضاً في أربعة أبواب :

(١) « هرچند این تاریخ براین ترتیب جمع نکرده اند . این ضعیف سعی نمودن از تواریخ ایشان جمع کرد ، و از جماعتی که ایشان بر آن واقف بودند ، و از بیست و چهار توره و از کتب تواریخ متفرق این تقریر کرده تا بدین موجب تاریخی نوشته شد » (جامع التواریخ . مخطوط المکتبة الأهلية بطهران ص ٤٣٦) .

(٢) رشید الدین : تاریخ افرنج ، نشر کارل یان ، ص ٤٥ .

الأول : فى معتقدات النصرارى فى المسيح .
الثانى : فى بيان حدود ولاية الأرمن والحديث عن مدنها ومواقعها وفنونها .

الثالث : فى بيان معرفة ولايات الفرنج والكلام على بحارها وجزائرها وبيان خصائص كل ولاية وذكر ملوكها .

الرابع : فى ذكر ميلاد المسيح وما صحب ذلك من حوادث ثم الكلام على البابوات والقيصرة الذين هم ملوك الفرنج .
ويلاحظ أن المؤلف قد أعطى البابين الأخيرين من هذا القسم أهمية أكثر فكانا يحتويان على معلومات جديدة (١) .

وكما يبدو من عنوان الباب الثالث نرى أنه يدور حول عرض جغرافى وسياسى لبلاد الغرب ولخصائصها . كذلك يوجد فيه عرض لأصل إمبراطورية الفرنجة ومركزها « روما العظيمة » يتبعها وصف لأوروبا يبدأ من طرف شبه جزيرة أيبيريا . وبعد أن يمس عدداً كبيراً من أقاليم الغرب ودوله ينتهى بطرف شبه جزيرة الإبنين (صقلية) . ومن أقاليم أقصى الشمال يذكر النرويج والقطب الشمالى ، ومن الحدود الشمالية والشرقية يذكر الروس والترك والصقالبة واليونان ، ويذكر من البلاد التى توجد فى أقصى الشرق من إمبراطورية الفرنجة بوهيميا وبولونيا والمجر .

فهذا العرض إذن يدور باختصار حول الغرب المسيحى المرتبط بعضه ببعض سياسياً وروحياً تحت ظل الإمبراطورية الرومانية المقدسة . ويلاحظ أن المؤلف يعطى معلومات أوسع عن البلاد المتاخمة للبحر أكثر مما يعطى عن بلاد القارة الأخرى .

وأما الباب الرابع فهو خاص بتاريخ البابوات والأباطرة . وقد بدأه المؤلف بمقدمة قصيرة عن ميلاد المسيح وصلبه ، وتحدث بعد ذلك عن البابوات والأباطرة فى ترتيب منتظم وذكر عن كل واحد منهم تاريخ حكمه محددًا بالسنة والشهر واليوم .

(١) انظر نفس المصدر ، ص ٤ من المقدمة .

ويراعى أن رشيد الدين يسوق أحياناً تفاصيل ذات أهمية تاريخية كبيرة وأحياناً يورد روايات غريبة وأساطير عجيبة . وفى بعض المواضع يختصر الحوادث اختصاراً مخلاً بحيث يتعذر على القارئ فهمها إلا إذا رجع إلى المصادر الأوروبية المقابلة (١) .

مصادر تاريخ الإفرنج :

لم يشر رشيد الدين إلى المصادر التى استقى منها هذا التاريخ . ولكن القصة التى سردها المؤلف عن العلاقات بين البابا والإمبراطور ، والتى تبرز أهمية البابا على وجه الخصوص جعلت « بارتولد » يستنتج أن الذين عاونوا رشيد الدين فى تأليف هذا القسم كانوا من رجال الدين ، وربما كان من بينهم راهب فرنسى (٢) .

أما « كارل يان » (٣) فىرى أن استنتاج بارتولد يجب أن يصحح بعض الشيء على الأقل فيما يتعلق بالباب الثالث . ففى المجتمع الغربى المسيحى فى القرن الثالث عشر الميلادى كانت هناك فرقة كبيرة بين حزب البابوية وبين حزب الإمبراطورية ، وكانت هذه الفرقة تعبر عن نفسها فى السياسة الخارجية لعهد المغول ، وذلك بتعاون البابوات وتابعيهم مع تبريز فى حين أن الأباطرة اختاروا حلفاءهم من بين السلاطين المماليك . وينتج بوضوح من هذه الظاهرة البسيطة أنه لا يمكننا أن نبحث عن مصدر رشيد الدين إلا من الحزب المشايخ للبابا . وهناك أيضاً ما يدل على ذلك دلالة كبيرة فى عواطف المؤلف المتجهة نحو البابا .

ولكن كارل يان يذهب إلى أن مصدر رشيد الدين كان أحد المدنيين المشايخين للبابا ، وكان كثير الرحلة والانتقال ، يدل على ذلك القدر العظيم من الإشارات الخاصة بالتجارة والتى لا يمكن أن ترجع إلا إلى تاجر متعلم .

(١) انظر . Karl Jahn : Histoire des Francs, P.5

(٢) انظر P.45 Barthold : Turkestan Down to the Mongol Invasion

ونفس المؤلف : تاريخ الحضارة الإسلامية ، الطبعة الثانية ، ص ٩٦ .

(٣) . Karl Jahn: Histoire Des Francs, PP.6-9

ويرجح كارل يان أن يكون هذا الرجل هو أحد التجار الإيطاليين ذوى النفوذ الذين كانوا يقيمون فى هذه الفترة فى تبريز ، وكان مقرباً جداً لدى الإيلخانيين ويدعى « ايولوس داپيزا » Iolus de pisa فلا يبعد إذن أن يكون هو الشخص أو الوسيط الذى زود رشيد الدين بمعلوماته عن أوربا .

وفىما يختص بترجمة المصادر واختيار التفاصيل قد يكون رشيد الدين قد لجأ إلى مساعدين من بين رجال الدين .

أما عن المصدر الرئيسى من الكتب التى قد يكون رشيد الدين قد رجع إليها فى تأريخه عن الإفرنج فيفترض « كارل يان » أن يكون هو كتاب « مارتينس أوبافينسيس Martinus Oppaviensis » الذى ألف فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر ، وترجم إلى كل اللغات الأوروبية لأنه كان يحتل مكانة خاصة لسهولة أسلوبه ، ولما اشتمل عليه من الوقائع والأساطير ولأنه كان ينظر إليه على أنه التاريخ الرسمى للبابوات والأباطرة ، خصوصاً وأن مؤلفه كان قد شغل مركزاً هاماً مدة طويلة فى مقر البابوية . والذى حمل كارل يان على هذا الافتراض هو أنه لاحظ أن تاريخ رشيد الدين لم يكن فى معظم أجزائه إلا مقتطفات من هذا التاريخ ، فتعاقب الأباطرة والبابوات ومدة حكمهم والتفصيلات المتباعدة التى وردت فيه ، كل هذا متفق مع ما هو موجود فى كتاب مارتينس .

وبخلاف هذا المرجع الأساسى يذكر « كارل يان » أن رشيد الدين قد استعان فى تأريخه عن الإفرنج ببعض المؤلفين الآخرين ، وإن تكن استعانته هذه غير منظمة (١) .

(هـ) تاريخ الهند : وترتيبه يأتى فى نهاية الكتاب مع أنه أول قسم كتبه المؤلف فى التاريخ العام ؛ إذ أن المؤرخ « حيدر الرازى » يذكر أن رشيد الدين ألف تاريخ الهند فى سنة ٧٠٣ هـ أى فى نفس السنة التى أمر فيها السلطان أوجايتو مؤرخنا بأن يكتب جزءاً ثانياً فى التاريخ العام .

ويحدثنا رشيد الدين عن الباعث له على تأليف هذا التاريخ فيقول :

(١) انظر تاريخ الافرنج ، ص ١٠ - ١١ من مقدمة الناشر .

«إِنَّه لما كانت أقاليم الهند واسعة جداً ، وملوكهم لا يمكن عدّهم وحصرهم وما روى عنهم كان كثيراً جداً واعتقاداتهم تخالف الإسلام لم يكن في مقدور شخص في هذه المملكة أن يطلع على تاريخهم كما ينبغي ، اللهم إلا بعض الفوائد التي كان يستطيع أن يسمعها من أفواه الرواة والمسافرين وبعض الملتقطات من كتاب أبي الريحان البيروني الذي كان حكيماً ومنجماً للسلطان محمود الغزنوي ، وملازماً له مدة أربعين سنة فاستطاع أن يقيد ما سمعه أو رآه سواء أكان غثاً أم ثميناً من علم النجوم والفقه والحساب والهندسة والمبدأ والمعاد . كما ساق معلومات عن الجبال والصحارى والمياه والمدن والقصبات والضباب والرسوم والعادات .

» وحيث أننا التزمنا في مقدمة كتاب جامع التواريخ أن نجتمع فيه سائر الأمم والأطراف في العالم حتى يكون المعنى مساوياً للفظ ، لم يكن هناك بد أيضاً من ذكر تاريخ الهند والسند اللذين لا حصر لأفرادهما . بناء على ذلك ألف هذا التاريخ من التقطات أفواه الرواة وترجمة أبي الريحان «(١)» .

وتاريخ الهند ينقسم قسمين :

القسم الأول :

في معرفة ديار الهند ووصف جبالها ومياهها ، ومدنها وقراها وقصباتها

(١) «از آن جهت که طول و عرض ممالک هندوستان بغایت وسیع و فسیح است و پادشاهان بی حصر و راویان بیحد وعد دارد ، واعتقادات و عبادات ایشان خلاف اهل ایمان و اسلام ، درین ملک کسی بر تاریخ ایشان کما ینبغي اطلاع دارد میسور و مقدور نشد ، مگر آنکه بعض فواید از أفواه روات و مسافران استماع افتاد . و بعض ملتقطات از کتابی که تألیف مفضل الحکما ابو الريحان است که ملازم و حکیم و منجم سلطان محمود بن سبکتگین بود . مدت چهل سال تمام در آنجا از علوم نجوم و فقه و حساب و هندسه و مبدأ و معاد نفس و کیت و کیفیت کوهها و صحراها و آبها و شهرها و قصبات و ضیاع و عقار و آئین و رسوم حالات ایشان از غث و ثمین آنچه دیده و شنیده در قید کتابت و سلك عبارت کشیده و کرده شد . . و چون ما در مقدمه کتاب جامع التواريخ التزام نموده ایم که تاریخ سایر اصناف امم و اطراف و اکناف عالم در آن جمع کنیم معنی مساوی لفظ باشد از تاریخ هند و سندنیز چاره نبود که افراد و اعداد ایشان بی قیاس است . بنابراین آن از التقاطات افواه روات و ترجمه کتاب ابوریحان تألیف کرده آمد» (جامع التواريخ : مخطوط المكتبة الأهلية بطهران ص ۵۰۵) .

وفنونها ، ثم ذكر تاريخ ملوك الهند وكشمير . وهذا القسم يقع في عشرة فصول :

الفصل الأول : في معتقدات أهل الهند وكشمير .
الفصل الثاني : في معرفة مساحة أرض الهند واتساعها .
الفصل الثالث : في معرفة جبالها ومياهها .
الفصل الرابع : في معرفة أقاليم الهند ومدنها وسكانها .
الفصل الخامس : في تاريخ سلاطين دهلي ونسبهم .
من الفصل السادس حتى العاشر : في معرفة ولاية كشمير ووصف جبالها ومياهها وأوضاع مدنها وتاريخ ملوكها .

القسم الثاني :

في تاريخ ساكيموني الذي كان في زعم الهنود نبياً وقائداً . ويقع هذا القسم في عشرين فصلاً تتناول ميلاد ساكيموني وسيرته وسلوكه ومجاهداته ورياضاته ، ووضعه دين التناسخ ، وعقائده فيما يتعلق بالثواب والعقاب واللجنة والنار والأمر والنهي وغير ذلك حتى وفاته .

وفي نهاية هذه الفصول كتب رشيد الدين رسالة مسببة يرد فيها مذهب التناسخ ويبطله .

وواضح مما ذكره رشيد الدين أن مصادر هذا التاريخ استمدتها المؤلف من الرواة ومن ترجمة أبي الريحان البيروني (١) . ويذكر الأستاذ بهار أن رشيد الدين حينما كتب تاريخ الهند استفاد من كتاب مهابهارتا ، ولكنه لا يعلم ممن أخذ الرسالة التي رد فيها مذهب التناسخ إذ أن هذه الرسالة لا ترى في كتاب « ما للهند . . الخ » لأبي الريحان (٢) . كما أنه استفاد من راهب بوذي من كشمير اسمه « كمالشري » (٣) وأخذ عنه المعلومات التي كتبها عن تاريخ

(١) المراد كتابه المسمى « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة » .

(٢) انظر بهار : سبك شناسي ، ج ٣ ص ١٧٤ .

(٣) انظر ؛ Barthold : Turkestan Down to the Mongol Invasion , P. 45 .

نفس المؤلف : تاريخ الحضارة الإسلامية ترجمة الأستاذ ، حمزة طاهر ، الطبعة الثانية ص ٩٦ .

ملوك كشمير ووصف حالات وميلاد ساكيموني وكان هذا العالم مطلعاً على كتاب ساكيموني وعالمياً بما جاء فيه .

وبهذا يكون قد تم الجزء الثاني الذي يتعلق بالتاريخ العام وهو كما ترى قد جعل فيه رشيد الدين من تاريخ عالمه المحصور نوعاً ما تاريخاً عالمياً (١) .

ومن هذا المجلد توجد نسخة خطية محفوظة قيمة بمتحف طوب قابو سراي . ومدرجة ضمن مكتبة بيلديز في استانبول (٢) . تحت رقم ١٦٥٤ عدد أوراقها ٣٥٠ ورقة مقاس ٣٧ × ٥٥ والمتن داخل إطار مقاس ٢٦ × ٣٦ . وتشتمل كل صفحة على ٣١ سطراً والخط نسخ واضح . وفي هذا المخطوط ٩٥ صورة ولوحة و ٨ صفحات مقدمة .

هذه النسخة عبارة عن المجلد الثاني المشتمل على التاريخ العام ، ولكنها ليست كاملة ، إذ أنها تبدأ بالقسم الأول المشتمل على ذكر ملوك الفرس القدماء ، والحوادث التي وقعت في عهد كل منهم . فهي بهذا تسقط المقدمة الموجودة في نسخة طهران والمشملة على ذكر آدم ونوح وأبنائهما .

أما القسم الثاني فهو ناقص أيضاً في نسختنا الحاضرة إذ توجد منه بعض أجزاء فقط مثل تاريخ النبي صلى الله عليه وسلم ، وتاريخ الخلفاء حتى آخر عهد المستعصم ، والوقائع التي حدثت في عهد كل منهم ، وتاريخ بني إسرائيل وتاريخ الإفرنج ثم تاريخ الهند .

ولكن لهذه النسخة قيمة كبيرة إذ أنها كتبت في عهد المؤلف نفسه فتاريخ تحريرها ٣ جمادى الأولى سنة ٧١٧ كما جاء في الورقة الأخيرة (٣٥٠ ب) من المخطوط المذكور .

« تمام شد کتابت کتاب جامع التواریخ بیاری تعالی آنرا بر صاحبش مبارک و میمون گرداند . وفواید آن بکافی مسلمین و مسلمات عاید باد . . . »

(١) انظر K.Jahn: Histoire des Franks, P.3 .

(٢) هذه المعلومات مستقاة من الأستاذ الدكتور إبراهيم أمين الشواربي الذي اطلع على النسخة المذكورة من كتاب جامع التواریخ واختبرها عند زيارته لتركيا في صيف عام ١٩٥١ .

واتفق الفراغ من التحرير بعون الله وحسن التيسير في ثالث شهر جمادى الأولى سنة سبع عشرة وسبعمائة . غفر الله لكاتبه ولجميع المسلمين .

بقيت هناك مسألة أخرى جديرة بالملاحظة فعند ما كنت أقرأ محتويات القسم الثاني من هذه النسخة استرعت نظري العبارة التالية « القسم الثاني من زبدة التواريخ في ذكر سيد الأصفياء محمد عليه أفضل الصلوات والتحيات حتى آخر عهد المستعصم بالله » (١) . « زبدة التواريخ » سبق أن عرفناه في الفصل السابق اسم كتاب لمؤلف آخر هو عبد الله الكاشاني الذي ادعى بأنه هو المؤلف الحقيقي لكتاب جامع التواريخ ، وأن رشيد الدين سرقة منه ونسبه إلى نفسه فهل لذلك « زبدة التواريخ » هنا صلة بهذا الاتهام ؟

نستبعد ذلك لسبب بسيط هو أننا عندما رجعنا إلى هذا القسم في نسخة المكتبة الأهلية بطهران وجدنا هذه العبارة : « القسم الثاني من كتاب جامع التواريخ في ذكر سيد الأصفياء محمد المصطفى عليه أفضل التحيات والتسليمات وخلفائه حتى آخر عهد المستعصم بالله » (٢) وإذن فكلمة « زبدة » في نسخة استانبول يجب أن تفسر على أنها تحريف وقع فيه النساخ فنقرأ بدلا منها كلمة « جامع » كما وردت في نسخة طهران .

نبحث بعد هذا عن الجزء الثالث الذي يتناول شرح جغرافية العالم والذي أشار إليه المؤلف في مقدمة كتابه « جامع التواريخ » فنجد أن وضعه كوضع القسم الذي يتناول تاريخ أوجايتولا أثر لهما في مخطوطات هذا الكتاب . وقد اختلفت الآراء بشأنهما فمن قائل بأنهما كانا فكرة لم تخرج بعد إلى حيز التنفيذ وأن رشيد لم يكتبهما (٣) ، ومن قائل بأن المراد بالجزء الجغرافي هو ما كتبه المؤلف في وصف جغرافية الهند (٤) .

(١) قسم دوم از زبدة التواريخ در ذكر سيد الأصفياء محمد عليه افضل الصلوات والتحيات وخلفاء تا آخر روزگار معتصم (؟) مستعصم بالله (مخطوط مكتبة بيلديز باستانبول ص ٥١)
(٢) قسم دوم از كتاب جامع التواريخ در ذكر سيد الاصفياء محمد المصطفى عليه افضل التحيات والتسليمات وخلفاء اوتا آخر روزگار مستعصم بالله (جامع التواريخ ، مخطوط المكتبة الأهلية بطهران ص ٩٢) .

(٣) انظر بلوشيه : مقدمة تاريخ المغول ص ١٥٥ .

(٤) انظر بهار : سبك شناسی ، ج ٣ ص ١٧٥ حاشية (١) .

ورغم تضارب هذه الآراء فقد راجت إشاعة تقول بأن القسم المتعلق بتاريخ أوجلايتو قد عثر عليه في بعض مخطوطات جامع التواريخ ، وزعم بعض المستشرقين أن الأستاذ « أحمد زكي وليدي » أستاذ التاريخ بجامعة استانبول اكتشف تاريخ أوجلايتو عام ١٩٢٣ في نسخة من كتاب جامع التواريخ محفوظة بمدينة مشهد (١) .

ولقد أتيت إلى الفرصة فسافرت إلى مدينة مشهد عندما كنت في إيران فكان أول ما خطر ببالي هو زيارة المكتبة العامة التي توجد في هذه المدينة ويطلق عليها الإيرانيون اسم « كتابخانه آستانه قدس رضوى » ، وتفحصت تلك النسخة التي أشار إليها المستشرقون فوجدتها مقيدة تحت رقم ٤١٠١ وكتب عليها في الصفحة الأولى كتاب جامع التواريخ ، فارسى لمؤلفه رشيد الدين فضل الله . وهى ليست مرقمة ومقاسها ٢٤ × ١٥ وعدد أوراقها ٦٤٩ ورقة تشتمل كل صفحة على عشرين سطراً ، والخط نسخ واضح مقروء والعناوين مكتوبة بالمداد الأحمر .

هذه النسخة عبارة عن الجزء الأول المشتمل على تاريخ المغول وهى أقدم نسخة شاهدتها في إيران من حيث جمال الخط ونوع الورق وخلوها من السقطات ؛ ومن حيث ترتيبها الحسن واشتمالها على التاريخ الكامل للمغول . وتمتاز على المخطوط الذى اعتمد عليه كاترمير ونشر منه تاريخ هولوكو بالفهارس الدقيقة المدون بها مدة حكم كل سلطان من سلاطين المغول بالسنين والشهور والأيام . كما أنها تمتاز بصحة الأعلام التي وجدت مضطربة كل الاضطراب في أغلب مخطوطات جامع التواريخ (٢) . ولكنها مع هذا ليست قديمة إذ يرجع استنساخها إلى بداية القرن الرابع عشر الهجرى سنة ١٣٠٠ كما يستفاد ذلك من الصفحة الأخيرة إذ كتب فيها تحت عنوان : « خاتمة الكتاب » العبارة التالية :

(١) انظر Barthold: Turkestan Down to the Mongol Invasion P.47 ؛

Storey : Persian Litreature, Section II P.75 .

Minorsky. Bulletin of the School of Oriental Studies

(٢) انظر

Vol. VIII, Part I, 1935, p.256 .

« قد وقع الفراغ من تسويد كتابة هذا الكتاب الميمون المبارك الموسوم بجامع الرشيدى حسب الأمر جناب جلالته أب أجل أكرم أفخم أعظم ولى النعم آقاى صنيع الدولة دام اقباله العالى بيد أقل السادات سيد محمد على الرضوى الموسوى الحسنى العلوى الفاطمى فى يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر رجب المرجب سنة ١٣٠٠ يكهزار وسيصد من الهجرة النبوية » (١) .

فى تلك النسخة عثرت حقيقة على تاريخ أولجايتو ولكن ليس هو الجزء الذى كتبه رشيد الدين كما يفهم من عبارة زكى وليدى التى روجها المستشرقون ولى تاريخ أولجايتو تاريخ ابنه السلطان أبى سعيد بهادر خان ، وهذا التاريخ وذلك كتبه مؤرخ آخر كان يعيش فى العصر التيمورى ؛ ذلكم هو حافظ آبرو الذى كتب ذيلًا لجامع التواريخ بناء على أمر شاهرخ بن تيمور وضمنه تاريخى أولجايتو وأبى سعيد ليستكمل بذلك تاريخ الإيلخانيين فى إيران . وقد صرح حافظ آبرو بهذا حين قال : « إنه بناء على رغبة السلطان شاهرخ بهادر فى أن يطلع على أحوال السابقين كانت تقرأ كتب التواريخ فى حضرته ومن بينها كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله الذى أتمه فى سنة ٧٠٤ فلما وقف السلطان على مضمون ذلك الكتاب ، طلب أن يزداد عليه تاريخ أولجايتو وابنه أبى سعيد ويكون ذيلًا له (٢) .

فلو كان كتاب جامع التواريخ مشتملا على تاريخ أولجايتو ذلك الحين لكان من العبث أن يشير شاهرخ على حافظ آبرو بأن يكتب تاريخ حياة هذا السلطان من جديد ليكمل به عمل رشيد الدين ويكون ذيلًا له .

هناك احتمال آخر هو أن هذين القسمين المتعلقين بتاريخ أولجايتو وبجغرافية العالم قد كتبهما رشيد الدين فعلا ولكنهما فقدوا عقب الفاجعة التى أودت بحياة صاحبهما . فنحن نعلم أنه على أثر موت رشيد الدين حدث أن نهبت الضاحية التى كانت قد بنيت بأمره شرقى مدينة تبريز والتى أطلق عليها اسمه . وكانت أصول كتبه موضوعة فى مكتبة الربع الرشيدى التى كانت تكون جزءاً من

(١) جامع التواريخ ، مخطوط مكتبة مشهد .

(٢) نفس المصدر .

هذه الضاحية . فمن الممكن إذن أن تكون هذه الأجزاء قد هلكت في تلك المناسبة إما بفعل أعداء رشيد الدين إمعاناً في الانتقام منه ، وإما من جراء الكارثة التي تصحب النهب عادة (١) .

ثم إن رشيد كان قد رصد مبلغاً كبيراً من المال لينسخ من كل مؤلف من مؤلفاته نسخة في كل سنة . ولكن العقارات التي كان قد خصص ريعها للصرف على الربع الرشيدى ، قد صودرت جميعها على أثر مقتله ، ولذلك يغلب على الظن أن إرادة صاحب الوصية قد أهملت ، ولم يعن أحد بعد ذلك باستنساخ مؤلفاته . هذا إلى أن أولجايو كان قد مات ، ولم يعمر ابنه أبو سعيد طويلاً . وفضلاً عن هذا فقد تمزقت الإمبراطورية المغولية على أثر موت أبي سعيد بسبب الحروب الأهلية التي أضعفت الدولة وأسعرت بها نحو الانهيار . ولم يكن من شأن هذه الأحداث أن تساعد على عمل مباحث تدور حول التاريخ والجغرافيا اللتين خلفهما رشيد الدين . ينضم إلى هذا كله أن المؤلف قد مات مبغوضاً عليه من أعدائه الذين سرهم أن يحصلوا على إعدامه بعد أن ألصقوا به من الاتهامات ما جعله مكروهاً من كل رعايا الإمبراطورية ولاسيما المسلمين منهم . ورغم أسف السلطان أبي سعيد على موت رشيد الدين ومحاولته تخفيف الصدمة على أسرته وذلك بتولية ابنه الخواجه غياث الدين محمد منصب الوزارة رغم أن هذا كان من شأنه أن يبرهن على براءة ساحة الوزير فإن ذلك جاء متأخراً بعد أن تأصلت جذور تلك الاتهامات المعادية التي أشاعها أعداؤه عنه . فلم يكن من السهل انتزاعها بعد ذلك وأصبح ينظر إلى رشيد الدين على أنه مجرم لأنه نكب .

وعلى هذا يمكننا أن نخمن بأن هذه النكبة التي لحقت به قد شملت كتبه أيضاً .

وإلى مثل هذا الرأي ذهب بارتولد إذ يقول : « إذا سلمنا بأن هذين القسمين قد كتباً حقاً فيبدو أنهما فقدوا وأتلفا على أثر انهيار رشيد الدين . ولا يوجد مؤرخ قط ذكر شيئاً عن تاريخ أولجايو أو جغرافية الأقاليم بعد موت رشيد الدين » (٢) .

(١) انظر Quatremère, p. LXXXI

(٢) بارتولد : مجلة العالم الإسلامى ، ص ٧٥ - ٧٦ .

الفصل الرابع

قيمة كتاب جامع التواريخ

رأينا في الفصل السابق كيف استطاع رشيد الدين أن ينتهى من مؤلفه جامع التواريخ خلال بضع سنوات ، ذلك المؤلف الذى كان ينبغي أن يستغرق كل حياة الكاتب المليئة بالمشاغل والمسئوليات . ولا شك أن الفضل فى إنجاز هذا العمل الجبار إنما يرجع إلى جهود رشيد الدين نفسه ، وما كان عليه من غزارة العلم وسعة الاطلاع ، وما امتاز به من مقدرة فائقة على الكتابة فى سهولة ويسر . يضاف إلى كل هذا ما توافر لديه من أسباب العون والمساعدة ما لم يتوافر لشخص غيره ؛ فقد علمنا كيف كان يجتمع علماء كل أمة فى القصر الإيلخانى ، وكيف وضع هؤلاء جهودهم تحت تصرف رشيد الدين وذلك بما كانوا يمدونه من تواريخ أمهم . يقول بارتولد : « من المحتمل جداً أن خلق مثل هذا العمل بمساعدة العلماء من جميع الأمم إنما جاء نتيجة لحملة المغول التى ربطت بين الأمم المتمدينة الواحدة بالأخرى » (١) .

اتخذ هذا الكتاب شكل موسوعة تاريخية مفصلة لم يؤلف شخص قط مثلها لا فى آسيا ولا فى أوروبا فى العصور الوسطى (٢) فكان بهذا أحسن وأكمل كتب التاريخ العام فى الأدب الفارسى (٣) ، وصار يشغل فى آداب العالم مكانة ممتازة من حيث اتساع دائرته ومن حيث أهمية المعلومات التى اشتمل عليها . يقول بارتولد : « لم نر اجتماع علماء جميع الأمم المتحضرة فى العالم القديم وجمعهم للروايات التاريخية المتصلة بالتاريخ العام فى كتاب واحد لا قبل

(١) . Barhold : Turkestan Down to the Mongol Invasion, p.46 .

(٢) نفس المؤلف ونفس الصفحة .

(٣) . Levy Persian Literature, p.66 .

ذلك الزمان ولا بعده « (١) .

ويقول « روماسكفتش (٢) » : « يعتبر هذا الكتاب من أهم الآثار التاريخية التي أخرجت للناس في العصور الوسطى ، وهو فريد في بابه ، لا في الشرق وحسب ، وإنما في الآداب العالمية جمعاء . ويتبدى موسوعة تاريخية كبرى ، حين لم يكن مثله من وجود لدى أية أمة في آسيا ولا أوروبا وذلك في العصر الوسيط ؛ وعليه فإن تأليف مثل هذا السجل للمعلومات التاريخية العالمية يعتبر — والحالة هذه — أمراً جديداً لم يسبق له مثيل في هذا الزمان » .

« ولقد شارك في تأليف جامع التواريخ ، من يمثلون أمماً متحضرة مختلفة ، كانت خاضعة للمغول أو متصلة العلاقات بهم . وفي الكتاب معلومات تاريخية عن القبائل المختلفة والشعوب : تبدأ بالمغول وتنتهى بالأوروبيين ؛ ولكتاب رشيد الدين أهمية خاصة لتاريخ بلادنا ؛ إذ أنه يحوى معلومات تاريخية على أعظم جانب من الأهمية لا عن البلاد المتاخمة لنا ليس إلا كمنغوليا وتركستان الشرقية وإيران ، وإنما عن بلاد آسيا الوسطى وشعوبها وما وراء القوقاز وما وراء نهر الفولجا ، وهى بلاد تدخل الآن ضمن دولتنا وهى الاتحاد الأعلى للجمهورية السوفيتية الاشتراكية » .

وفي الحقيقة كان كتاب رشيد الدين خير ممثل للاتجاه إلى التأليف في التاريخ العام الذى ساد العصر المغولى ، فقد كثرت فيه الموسوعات والجاميع وتعدد المكثرون من درس الموضوعات التاريخية المختلفة حتى ليصح أن يطلق عليه « عصر الموسوعات » .

ولقد أشاد ابن خلدون بهذا النوع من التأليف ووصفه بأنه الهدف الأول للمؤرخ إذ يقول : « التاريخ هو ذكر الأخبار الخاصة بعصر أو جيل أما ذكر الأحوال العامة للآفاق والأجيال والأعصار فهو أس للمؤرخ تبنى

(١) بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ترجمة الأستاذ حمزة طاهر ، الطبعة الثانية

ص ٩٦ .

(٢) رشيد الدين : جامع التواريخ ، الإيلخانيون (مغول إيران) ، نشر عبد الكريم

على اوغلو على زاده ، ص ٧ من المقدمة الروسية التى كتبها روما سكفتش ، باكو ١٩٥٧ .

عليه أكثر مقاصده وتبين به أخباره . وقد كان الناس يفرّدونه بالتأليف «(١) .

ولعل الدافع إلى هذا الاتجاه يرجع إلى خضوع كثير من الممالك الإسلامية وغير الإسلامية لسيطرة المغول ، مما شجع على الكتابة في تاريخ تلك الأمم لاسيما وأن هؤلاء المغول لم يكادوا يختلطون بالشعوب المهزومة حتى تخلصوا من وحشيتهم القديمة ، وراحوا يسرون في طريق الحضارة بخطى تدريجية وصارت إيران مركزاً لارتباط الممالك الشرقية والغربية . وكان يوم عاصمة الإيلخانيين في هذه البلاد علماء من مختلف أمم العالم منهم الصينيون والأويغوريون وأهل التبت والفرنجة والأرمن وغيرهم من أقوام الترك والأعراب . ومن هؤلاء العلماء الفلاسفة والأطباء والمنجمون والمؤرخون والمتفقهون في الأديان ولاشك أن كل ذلك كان حافزاً على التأليف في التاريخ العام للعالم بخلاف ما كانت عليه الحالة قبل هذا العصر إذ كان وجود كثير من الدويلات المحلية وتنازع حكامها وتنافسهم على السيطرة والغلبة — عاملاً فعالاً على الإكثار من كتب التاريخ الخاص .

وهكذا . . بشدة الإقبال على التأليف في التاريخ العام تكون قد عادت إلى الانتعاش تلك النظرة الإنسانية التي كانت تقوم على أن التاريخ هو حواريات عن البشر . ولقد سجل الشرق بذلك فخراً على الغرب إذ أن علماء أوروبا حتى القرن التاسع عشر كانوا يريدون أن يفهموا من التاريخ العام تاريخ أوروبا الغربية فقط . ومن رواية عبد الله الكاشاني يتبين أنه منذ ابتداء القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) كان ينظر إلى تاريخ العرب والفرس على أنه : « جزء من كل وفرع من أصل ونهر من بحر بالنسبة لتاريخ العالم العام » (٢) .

منهج رشيد الدين في كتابة التاريخ :

نهج رشيد الدين في تنظيم مؤلفه منهجاً جديداً فقسمه إلى أبواب وفصول

(١) انظر مقدمة ابن خلدون ، الطبعة الأزهرية سنة ١٩٣٠ ، ص ٢٧ .

(٢) ازروي حقيقت تاريخ عجم وعرب نسبت بآن تاريخ (يقصد تاريخ العالم العام) جزويست ازكلي ، وفرعي از اصلي ، ونهري از بحريست . (بلوشيه : مقدمة تاريخ المغول ص ١٤١ نقلا عن كتاب زبدة التواريخ لعبد الله الكاشاني) .

متداخلة ، وتتبع تاريخ كل دولة على حدة من البداية إلى النهاية مع مراعاة نقط الوصول والتدخل بين مختلف الدول . ودرج في كل مكان من كتابه أثناء تأريخه للمغول في الشرق — على أن يجمع في فصل خاص الوقائع التي حدثت في عدة سنوات ، وتشتمل على تاريخ سلاطين المغول ، ثم يعقبها بفصل آخر مشتمل على الوقائع التاريخية التي حدثت للأمم غير المغولية ، والتي كانت تعاصر المغول من ملوك الإسلام والصين والمساچين والخطا وغيرهم ، وينقل في هذا الفصل حوادثهم التاريخية التي حدثت في تلك الفترة المعينة من السنوات ثم يعود بعد ذلك إلى تاريخ المغول في فترة أخرى ويعقبها بتاريخ الوقائع للأمم غير المغولية وهكذا (١) . وبهذه الطريقة يكون تصور الموضوع أشمل وأكمل ولكنه قد يدعو إلى التكرار عندما يعود المؤلف ويفرد تاريخ هذه الأمم غير المغولية بالتأليف . ورشيد الدين يبين لنا الطريقة التي انتهجها في تدوين تاريخه فيذكر (٢) أن المؤرخ لا يشهد بعينه القضايا والحكايات التي يكتبها ويقررها في مؤلفه ، كما أنه لا يستقي معلوماته عن طريق المشافهة من أفراد الطائفة التي كان التاريخ سجلا لسرد أخبارها . إنما يكتب ما يتناقله الرواة وما يذيعونه . وكما ذهب أهل الحديث في تقسيم النقل إلى متواتر وغير متواتر (آحاد) فكذلك النقل في روايات التاريخ عند رشيد الدين ، نوعان :

متواتر وغير متواتر .

وعنده أن المتواتر يؤدي إلى العلم ، وليست فيه شبهة . ومن هذا نقل ما يتعلق بالرسل والملوك والعظماء الذين عاشوا في القرون الحالية . وكذلك منه تاريخ البلاد البعيدة مثل مكة ومصر .

وأما غير المتواتر فإنه يحتمل الصدق والكذب . ويجب أن يجتهد المؤرخ في درسه حتى إذا اطمأن إلى صحة رواية ما ، أخذ بها . وإذا شك في رواية ما طرحها أو ذكر أنه يشك في صحتها . ومن هذا النوع أكثر روايات التاريخ

(١) انظر تاريخ جها نكشاي ، ج ٣ ص ١١١ من المقدمة .

(٢) انظر جامع التواريخ ، المجلد الثاني - الجزء الأول ، تاريخ هولوكو ، الترجمة

العربية ، ص ١٩٦ وما بعدها .

الأمر الذى يجعل من الصعب معرفة تاريخ بعض الأمم والأقوام فى مختلف العهود معرفة يقينية . ولا مفر من النظر فى هذا النوع الثانى من الروايات لأنه الأكثر .

ولو ذهب المؤرخ إلى وجوب أن يكون كل ما يكتبه مقطوعاً بصحته فإنه قد لا يستطيع أن يكتب تاريخ أية أمة لأن أكثر ما ينقل إليه إنما يكون لغير المتواتر من الأخبار . ويحذر رشيد الدين من هذا التشدد فى اشتراط يقينية روايات التاريخ ، فإن هذا يؤدى إلى حرمان الناس من مزايا معرفة هذا التاريخ .

ولهذا يرى أن وظيفة المؤرخ ، بالنسبة لغير المتواتر ، أن ينقل ويكتب أخبار كل قوم وكل طائفة على نحو ما وردت فى كتبهم وبالطريقة التى رويت بها من الكتب المشهورة المتداولة بين هؤلاء القوم ، ومن أقوال مشاهيرهم والبارزين فيهم ، تاركاً العهد على الراوى .

وهكذا سار رشيد الدين على قاعدة تسجيل الروايات التاريخية ، كما سمعها من روايتها بدون تغيير ؛ فليس كتابه من هذه الوجهة تاريخاً علمياً بالمعنى المفهوم اليوم . ولقد عاد المؤرخ فكشف لنا عن الخطة التى اتبعها فى تدوين التاريخ وذلك فى مقدمة القسم الذى كتبه عن تاريخ بنى إسرائيل إذ يقول : « على المؤرخ أن يكتب تاريخ كل قوم كما يبدو فى زعمهم ، وليس عليه أن يزيد فيه أو ينقص منه ، فإذا كان حقاً أو كان باطلاً فلينقل كما هو فى اعتقاد كل طائفة وذلك يلقى عبء مسئولية الزيادة والنقصان والحق والباطل فى ذلك التاريخ على أصحابه لا على المؤرخ . وإننى أعود فأكرر هذا المعنى هنا أيضاً حتى لا أؤاخذ على ما يبدو غير معقول وغير مستساغ ، وحتى لا يمتد إلى لسان الطعن فأعذر فى هذا المعنى إن شاء الله الواحد العزيز » (١) .

(١) شرط مورخ آنست كه تاريخ هر قومى بزعم ايشان نويسد وبراى خود در آن زيادت و نقصان نكند . اگر حق باشد و اگر باطل برهان موجب كه دعوى وزعم هر طايفه باشد نقل تا عهده زياده و نقصان و حق و باطل آن برايشان باشد نه بر مورخ . اين جاىگاه نيز همان معنى ياد ميكند تهرچه نامعقول و بيوچه نمايد اين ضعيف را مواخذه فنانيد ، و زبان طعن دراز نكنند و مرا در اين معنى معذور دارند ان شاء الله الواحد العزيز (جامع التواريخ : مخطوط المكتبة الاهلية بطهران ص ٤٣٦) .

إذن لم يبق هناك شك بعد هذا التصريح في أن مؤرخنا لم يكن يعرف النقد التاريخي ونعني به النظر في التاريخ بعين النقد ، وبيان ما قد يعتوره من المغالط والأوهام (١) .

وفي الحقيقة لم يفهم التاريخ بالمعنى الذى نفهمه اليوم إلا ابن خلدون الذى عاب في مقدمته الرائعة من سبقه من المؤرخين لكثرة ما وقع لهم وللمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو ثميناً ولم يعرضوها على أصولها ، ولا قاسوها بأسبابها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار ففضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط (٢) . يقول الأستاذ محمد عبد الله عنان : « يمتاز ابن خلدون عن جمهرة المؤرخين المسلمين بل عن جميع المؤرخين قبله ، بأنه نظر إلى التاريخ كعلم يستحق الدرس لا رواية تدون فقط . وقد أراد أن يكتب التاريخ على ضوء منهج جديد من الشرح والتحليل ، فأنهى به التأمل والدرس إلى وضع نوع من الفلسفة الاجتماعية وكتب مقدمة مؤلفه التاريخي لتكون شرحاً وتمهيداً يقرأ على ضوءها التاريخ وتفهم وقائمه ، فجاءت وحدة مستقلة من الابتكار الفائق ، تسجل مذهباً جديداً في فهم الظواهر الاجتماعية وتعليلها ، وفي فهم التاريخ ونقده وتحليله (٣) »

على أن ابن خلدون نفسه لم يستطع أن يحقق المنهج القويم الذى تحدث عنه في المقدمة ، بل ارتد على عقبه وسار في تاريخه كما سار أسلافه من قبل واعتمد على النقل دون تمحيص أو تدقيق . يقول بارتولد : « إن المقدمة المشهورة التى وضعها ابن خلدون لكتابه في التاريخ العام ، لم يأت كتاب من نوعه في الأدب العربى وتجربة وحيدة لتخليص التاريخ من القصص وجعل التحقيق مسيطراً عليه ، وللبحث في قوانين التاريخ . ويسمى ابن خلدون التاريخ علماً جديداً بناء على إدراكه الشخصى . ولم يستطع ابن

(١) انظر جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، جزء ٣ ص ١٤٨ .

(٢) مقدمة ابن خلدون « الطبعة الأزهرية » ص ٧ .

(٣) ابن خلدون : حياته وتراثه الفكرى ، الطبعة الثانية ص ١١٦ .

خلدون تطبيق نظريته على الأحداث التاريخية كما حدث لكثير من أصحاب النظريات في الأزمان القديمة والحديثة ، فقدمة ابن خلدون الجليلة تشبه جداراً مزخرفاً لواجهة جميلة ، فإذا أخرجنا المقدمة بقي كتابه مجموعة من الحوادث فهو كجميع جامعي القرون الوسطى ، ينقل روايات من سبقه من المؤرخين بدون تغيير في معظم الأوقات «(١) .

كان رشيد الدين من مؤرخي البلاط والمشهور عن هؤلاء أنهم كان يهتمهم قبل كل شيء إرضاء السلاطين والأمراء ومجاراتهم بما يريدونه ، وكتابة ما يوافق أغراضهم وميولهم ، والإغضاء عما لا يرضونه . فلم يكن هناك مفر من أن يبدو في روايتهم للحوادث — التحيز والتلق وإخفاء الحقائق والنظر إلى المسائل الاجتماعية والسياسية والدينية نظرة ضيقة والالتجاء إلى الطنطنة والافتقار إلى الحكم السليم . فهل كان رشيد الدين على شاكلة هؤلاء ؟ وهل استطاع ككاتب مسلم أن يتجرد عن التعصب حينما كان يتصدى لكتابة تاريخ الأمم الوثنية واليهودية والمسيحية والذي كان يتعارض أحياناً تعارضاً تاماً مع نصوص القرآن ومبادئ الإسلام ؟

بالرغم من أن رشيد الدين كان في وضع خاص جداً ؛ إذ وضع فيه العاهل غازان ثقته التامة فعهد إليه بمنصب الوزارة وكلفه بتأليف كتابه جامع التواريخ فصار بهذا مؤرخاً للبلاط ، بالرغم من هذا لم ينحرف رشيد الدين عن المنهج الذي اختطه لنفسه . وهو التزام الحياد الزيه بقدر المستطاع فهو معجب بالمغول يطرى شجاعته ويشتد بأعمالهم الحيدة دون إنكار ولكن دون مبالغة أيضاً . ولم يمنعه قط اتصاله بالمغول وخدمته الطويلة لهم من أن يقول فيهم كلمة الحق فقد كان يحكى دون إنكار ولكن دون مبالغة أيضاً قسوتهم الفظيعة ونهبهم للمدن وانهاكهم لحرمة المساجد وقتلهم لكثير من الأهالى الذين ذبحوهم ذبح الخراف دون أن يقيموا لهذا الدم المسفوح أى وزن وكأن تلك الأفعال البشعة قد أصبحت عادية في نظرهم لا تحرك عاطفتهم ولا تلين قلوبهم . ولم يقف رشيد الدين عند هذا الحد بل راح يصف أعمال

(١) بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ترجمة الأستاذ حمزة طاهر ص ٥٨ .

التخريب والتدمير التي قاموا بها في مساجد بخارى وغيرها من المدن من تمزيق مصاحف القرآن ووطئها بالنعال واتخاذ جلودها القيمة أدوات للخيل (١) .

أما كيف أرخ رشيد الدين - مع إسلامه - للأهم الوثنية واليهودية والمسيحية فهذا أيضاً لما يدعو إلى الإعجاب والتقدير . فرغم أنه كان يظهر تعلقه الصادق بدينه الإسلامى في جميع كتابه إلا أنه كان يتجنب بلباقة كل نكرة غير مفيدة ، وظل واثقاً من نفسه طول الوقت إذ كان يعتقد أنه من الضروري أن تعرض تقاليد كل قوم حسب الصورة التي يحفظ بها الناس هذه التقاليد كما سبق أن بينا .

ويمكننا أن نقول دون أية مبالغة أن مؤرخنا قد أظهر في كل موضع من كتابه حياداً يدعو إلى الإعجاب والاحترام خصوصاً إذا كان هذا الحياد صادراً عن مؤرخ .

بعد هذا نتساءل عما إذا كان رشيد الدين قد رجع إلحاً إلى المصادر التاريخية الفريدة للشعوب الأجنبية التي أرخ لها . لم لا نشك في كل ما قاله عن هذا الموضوع في مقدمة كتابه ونحمله على أنه تمويه محتمل حاذق أراد أن يخدعنا كما خدعنا في محاولته إخفاء أصله اليهودى ، فراح بعد أن جمع كتابه - حسبما اتفق - يقرظه ويبالغ في الدقة المتناهية التي أخذ نفسه بها حتى جاء فريداً في بابه لم يؤلف شخص قط مثله . وهكذا يستغل سذاجة قرائه فيعلن لهم أنه يستقى تفاصيل جد جديدة من مصادر فريدة لم يطلع أحد عليها قبله ..٢

للإجابة على هذا نطرح كل ما قاله المؤرخ في هذا الشأن ، ونحيل القارئ إلى ما قرره مؤرخ معاصر لرشيد الدين هو أبو سليمان فخر الدين البناكتى الذى يقول في كتابه (٢) : « در زمان پادشاه اسلام غازان خان فرمان شد تا تاريخ مبارك غازانرا تأليف كنند . خواجه رشيد الدين وزير از حكماى خطاى ليتاچى ويكسون نام راکه ايشان هر دو بر علم طب و نجوم و تواريخ واقف و مستحضر بودند . و بعضى از آن كتب از خطاى باخود

(١) انظر Quatremère, p.CVI.

(٢) روضة أولى الألباب في تواريخ الأكابر والأنساب ، مخطوط مكتبة ملك بطهران .

آورده احضار فرمودند. وایشان تقریر کردند که هر چند تاریخ اهل خطای و عدد سالها و ادوار ایشان نامنهای است ، لیکن تاریخی که اسامی پادشاهان آنجا در آن مشروح و مفصل است ، و بنیاد حکایات بر آن نهاده ، و در این وقت میان اهل خطای شهرتی دارد ، و بر آن اعتماد کرده اند کتابیست که آنرا سه حکیم معتبر باتفاق ساخته اند : یکی را نام فوهین خوشانگک . فوهین : اسم است و خوشانگک : صفت یعنی بخشی ، و اواز شهر « تای جان چیو » ، و دیگر را نام فنچو خوشانگک از شهر کین چیو ، و نام دیگر شیخون خوشانگک از شهر لاووکین . ایشان هر سه آن تاریخ را از کتب قدیم انتخاب کرده اند ، و تمامت حکماء ایشان تصحیح و مقابله کرده و جمله بر آن گواهی نوشته که با کتب قدیم مقابست .

و ترجمه هذا النص :

« فی عهد ملک الإسلام غازان خان صدر الأمر بتألیف کتاب « تاریخ مبارک غازان » . فاستدعی الحواجه رشید الدین الوزير العالمین : لیتاجی ویکسون من علماء الخطا ، وکان کلاهما مطلعاً و متفقها فی علوم الطب و النجوم و التواریخ . وکانا قد أحضرا معهما من الخطا بعضاً من تلك الكتب وقررا أنه مهما كانت تواریخ أهل الخطا و عدد سنواتهم و عصورهم ممتدة غیر متناهية ، فإن هناك کتاباً یشتمل علی شرح مفصل لأسماء ملوکهم و یرجع إلیه فی استقاء أساس الروایات المختلفة عنهم . و هو کتاب ألفه ثلاثة من العلماء المشهورین : اسم أحدهم اللاما فوهین (فوهین اسم و خوشانگک صفة بمعنى بخشی) ، و هو من مدینة تای جان چیو و الثانی اسمه اللاما فنچو من مدینة کین چیو و الثالث اللاما شیخون من مدینة لاووکین . و قد اختاروا ذلك الكتاب من بین الكتب القديمة ، و صححه حکماء الصينیین و علماءهم ثم شهدوا جميعاً بأنهم راجعوه علی الكتب القديمة » .

هذا الكتاب هو الذى استرشد به مؤلفنا فی كتابة تاریخ الصين ، و لاشك أنه لم یکن فی وسع أى كاتب أن یستشیر مصدرراً خیراً من هذا . و قد رأینا حیثاً تحدثنا عن أقسام کتاب جامع التواریخ کیف أن المؤلف لم یدخر وسعاً

في الرجوع إلى أوثق المصادر وأحسنها ، وأنه لم يهمل الحصول على خير المواد في أغلب موضوعات كتابه .

وليس هناك من شك أيضاً في أنه قد أتيح لرشيد الدين فرصة الاطلاع على الوثائق المكتوبة والإفادة منها ، وهذه ميزة كبيرة لم تتح لغيره من كتب عن تاريخ المغول من السابقين أو المعاصرين له فقد كان الجويني يستفيد من المحادثات الشفوية وكثيراً ما كان يصرح في مواطن عديدة من كتابه بتلك الجملة: « سمعت من جملة المغول الثقات » (از جمله مغولان معتبر شنیده ام) وربما كان ينقل من بعض الوثائق المكتوبة . أما رشيد الدين فقد استخدم تلك الوثائق على نطاق واسع (١) .

ولو لم يكن رشيد الدين صادقاً في أقواله لما وقع الوثوق به ، ولما أشاد بذكره معاصروه ومن جاءوا بعده ، ولما قلده كثير من المؤرخين في عهده وبعد وفاته مما سوف نشرحه في موضعه من هذا الباب .

إن أهمية كتاب جامع التواريخ لتتضح على وجه الخصوص إذا ماتصورنا الحالة التي كانت عليها كتب التاريخ والجغرافيا قبل ظهور هذا الكتاب . فنحن نعلم تمام العلم أن هذين العلمين لم يكونا قد حققا قبل الفترة التي نتحدث عنها جميع خطوات النجاح التي كنا ننتظرها منهما . كانت الصفة الغالبة على التصنيف التاريخي البحث هي كتابة الحوليات المعاصرة مع التقديم لها في الغالب بموجب في التاريخ العام . ولم يصبح في وسع مؤلفي هذه الحوليات أن يجعلوا أغراضهم ورواياتهم علمية فكل مؤلف مقيد بحدود النظام السياسي الذي يعيش في كنفه ويندر أن يوفق في معالجة حوادث تجرى في أقاليم بعيدة عنه (٢) . زد على ذلك أن كثيراً من مؤرخي العرب والفرس كانوا قد اعتادوا أن ينسبوا لأنفسهم كل شيء وقد أعماهم التعصب الوطني فلم يوفوا الشعوب الأجنبية حقها من البحث والدرس فكانوا كما قال ابن الأثير : « يختلفون ما بين مطول قد استقصى الطرق والروايات ، ومختصر قد أحل بكثير من الأشياء » . ومع

(١) انظر Barthold: Turkestan Down to the Mongol Invasion P.41.

(٢) انظر ترجمة دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الرابع ص ٤٩٤ .

ذلك فقد ترك كلهم العظيم من الحوادث والمشهور من الكائنات ، وسود كثير منهم الأوراق بصغائر الأمور التي لو أعرض عنها لكان ذلك أولى ، وترك تسطيرها أخرى ، وأرخ كل منهم إلى زمانه وجاء بعده من ذيل عليه وأضاف المتجددات بعد تاريخه إليه ، والشرقي منهم قد أدخل بذكر أخبار الغرب والغربي قد أهمل أحوال الشرق فكان الطالب إذا أراد أن يطالع تاريخاً احتاج إلى مجلدات كثيرة وكتب متعددة مع ما فيها من الإخلال والإملال» (١) .

كذلك نلاحظ أن أغلب الموسوعات التاريخية قبل عصر رشيد الدين قد وضع في صورة جداول تاريخية مرتبة وفق السنين ، وجمعت حوادث كل سنة رغم تباعدها وتباينها فتأتى مقطعة لا يحصل منها على غرض ، وتصبح مهمة الباحث شاقة عسيرة إذا أراد تقصى الموضوع والإلمام بأطرافه من جميع الوجوه . ولكننا نرى رشيد الدين قد عدل عن هذه الطريقة إلى طريقة الفصول والدول المتصلة وهي أقرب إلى الدقة وحسن التنسيق . وإذا كان قد وجد قبله من المؤرخين الذين دونوا التاريخ فصولاً متصلة فإنه يمتاز عنهم بالوضوح والدقة في تبويب الموضوعات ووضع الفهارس ، وإدراك الجزئيات إدراكاً دقيقاً والتوفيق في ربط الحوادث وتنسيق الوقائع التاريخية . هذا فضلاً على أنه كتاب جامع لأخبار أُمّ الشرق والغرب وما بينهما يتحدث عن الحوادث والكائنات من أول الزمان متتابعة يتلو بعضها بعضاً إلى وقت تأليفه .

ثم إن أكثر مؤرخي العرب والفرس قبل رشيد الدين كانوا يعولون في تعريف أبطال التاريخ على الأوصاف المجردة من إطرء أو إعجاب ويندر أن يشيروا إلى وصف المظاهر الطبيعية أو الصناعية أو الأبنية أو غيرها من المراثيات ، ولا كانوا يصورون المواقع ولا الرجال لكرامية الإسلام للتصوير فترتب على ذلك نقص هام في التصوير العربي لخلو كتبه من الخرائط أو الرسوم أو الصور المنقولة عن الطبيعة (٢) . أما كتاب رشيد الدين فإنه لم يغفل وسائل الإيضاح هذه ولا سيما التصوير فكان عاملاً هاماً في ازدهار

(١) ابن الأثير : الكامل في التواريخ ، ص ٤ - ٥ .

(٢) جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ٣ س ١٥١ .

هذا الفن في العصر المغولي كما سوف نرى عندما نتحدث عن قيمة كتاب جامع التواريخ من الناحية الفنية . كذلك كان الجزء الجغرافي المفقود مشتملا على الخرائط والرسوم كما أخبرنا المؤلف بذلك في مقدمة كتابه .

هذا بالنسبة للكتب التاريخية . أما الكتب الخاصة بالجغرافيا فلم تكن هي الأخرى تحتوى على تفاصيل كافية إذ أنها بمجرد أن تخرج عن حدود الجزيرة العربية وإيران وبعض الأقاليم المجاورة فإنها حينئذ تطفر في ميدان الخرافة . وقد أدى الأمر بكتاب الجغرافيا أن صارت معرفتهم لأقاليم آسيا الوسطى والشمالية في القرن الثامن الهجرى أقل جودة مما كانت عليه في القرن الرابع (١) ، ففي هذا القرن وجد كاتب عربى موهوب هو أبو الحسن على بن الحسين المسعودى المؤرخ الشهير المتوفى عام ٣٤٦ (٢) جاب هذا الرجل كل أقاليم الشرق تقريباً وواظب على قراءة الكتب وكانت تستنفد وقت فراغه فاستفاد مما قرأ وقدم فى كتبه معلومات دقيقة قيمة عن الجغرافيا والتاريخ وعنى بتنفيذ الدعاوى الزائفة التى تركها أسلافه تحذوه روح الصدق العالية والموهبة النافذة الدقيقة . ولكن رغم كل هذا استمر الناس يكررون الأخطاء التى بين المسعودى شاعتها العقلية (٣) .

فإذا كانت هذه هى الحالة التى كان عليها التاريخ والجغرافيا أمكننا أن ندرك دون مشقة — مقدار الخدمة الجليلة التى استطاع رشيد الدين أن يقدمها لمعاصريه إذ سد بكتابه ذلك الفراغ الهائل الذى وجد فى هذين العلمين ، وأمدنا بمعلومات صحيحة دقيقة تستند إلى أقوم الوثائق فحلت محل الأخبار الخرافية التى كانت ثمرة الجهل وسرعة التصديق . يقول مورلى : « ليس هناك ضرورة تدعو لأن نؤكد الأهمية العظمى للمعلومات التاريخية والجغرافية لهذا المؤلف الضخم المشتمل على المعلومات الكافية المستمدة من أوثق المصادر . وبالرغم من كل هذا فقد تواضع المؤلف وأضنى على عمله النقص الذى قل أن يصادفه

(١) انظر Quatremère, p.LXXV.

(٢) انظر ابن شاكر : فوات الوفيات ، ج ٢ ص ٤٥ .

(٣) انظر دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ، ترجمة أبى ريده ص ٨١ ؛

Quatremère, p.LXXV,

الإنسان بينما نرى السهولة القصوى والقدرة على التعبير عن أفكاره يظهران
بجلاء ووضوح في مؤلفه (١) .

ويبالغ كاترمير في إبراز قيمة مؤلفنا ككتاب جغرافي فيقول : « إنه
هو الذى أعطانا أفكاراً ثابتة عن عدد لا حصر له من النقط الغامضة ، وهو
الذى دلل لنا كثيراً من الصعوبات التى ظلت غير قابلة للحل حتى عصره والتى
لولاها لاستمرت على تلك الحالة زمناً طويلاً ؛ إذ من المفيد أن نلاحظ أن
الأقاليم التى كان فى مكتبة رشيد الدين أن يجمع عنها المعلومات الإيجابية الصحيحة
هى الأقاليم التى لم تكن معروفة لنا قط وأعنى بذلك هذه الرقعة الممتدة لتلك
الأراضى التى تبدأ من بحر قزوين حتى الأطراف الشرقية لإيران ، والتى
تحتل وسط آسيا جميعه وتذهب حتى حدود الصين . وفى هذا العهد كانت
تلك الأقاليم تكون جزءاً من إمبراطورية المغول ، وكانت تحتلها حامياتهم
ويحكمها قوادهم ، ويخترقها بصورة مستمرة وفى كل الجهات مندوبوهم
ورسلهم . نقول إن هذه الأقاليم قد وصفها مؤلفنا الجغرافى أدق وصف
وأصدق . وقد أضاف إلى ملاحظاته الشخصية القيمة ما استطاع أن يجمعه
عن مواقع المدن وطبيعة الجو وحاصلات الأرض والعادات والتقاليد الخاصة
بجزء من المعمورة لم ينفذ إليه أى سائح من قبل . فآية فائدة مثلاً أسداها إلينا
لإشارته إلى كل المواقع التى كانت توجد فى الإمبراطورية المغولية ، والتى
كانت تتتابع من بغداد حتى « خان باليق » المعروفة اليوم ببيكين فمثل هذا الوصف
ما كنا لنستطيع الحصول عليه برجعنا إلى جميع المؤرخين والجغرافيين .
ولذلك لست فى حاجة إلى أن أؤكد بأن كتاب رشيد الدين هو الكتاب الذى
لا بد وأن ضياعه كان يترك أشد أنواع الأسف أكثر من جميع الكتب الشرقية
التي لم تصل إلينا » (٢) .

ونحن مع اعترافنا بأهمية الإشارات الجغرافية التى وردت فى أقسام كتاب

(١) Morley: The Journal of the Royal Asiatic Society, 1841, p.18 .

(٢) انظر Quatremère, PLXXVII .

جامع التواريخ بوجه عام وفي الأقسام المتعلقة بتاريخ الصين والهند بوجه خاص لا نستطيع أن نقر كاترمير على مبالغته في إطرء رشيد الدين ككؤلف جغرافي وذلك لسبب بسيط هو أن الجزء الجغرافي الذي خصصه مؤلفنا لشرح جغرافية العالم، مفقود من جميع النسخ الخطية ، ولا يعلم على وجه التحقيق إذا ما كان هذا الجزء قد ألفه رشيد الدين فعلاً أم كان فكرة لم تخرج إلى حيز الوجود ؟.. وعلى هذا لم يره كاترمير وبالتالي لا يستطيع أن يصدر حكماً صادقاً على شيء لم يطلع عليه .

على أن حق رشيد الدين في الشهرة الخالدة لا يرجع إلى تاريخه العام أو إلى مؤلفاته العديدة الأخرى في شتى أنواع المعارف الإنسانية ، بل يرجع إلى ذلك الأثر العظيم الذي كتبه عن تاريخ المغول فهنا تبدو عبقريته في الكشف عن تاريخ هذه الجماعة وإزالة ما كان يكتنفه من إبهام وغموض .

وإن الفصول التي تتناول الحديث عن الأتراك والقبائل المغولية وعن جنكيز وأجداده وانضواء منغوليا تحت لوائه والعبارات المنسوبة إليه وغير ذلك لما يعطى قصة رائعة عن الحياة البدوية التي لم تشوه بضروب المحسنات الفارسية، والتي تثير الرغبة الشديدة وتلقى الأهمية الكبيرة لدى القراء الأتراك (١) . يقول الأستاذ أحمد زكى وليدى : « خص رشيد الدين المغول والترك لأول مرة في التاريخ بنسبتهم إلى مدنية أصيلة تجمعهم ، وأفسح لهم مجالاً خاصاً بهم » (٢) . كذلك تبدو أهمية هذا الكتاب في وصف الأحداث التي كان يعاصرها المؤلف فنحن نعلم أن رشيد الدين قد عاصر دولة المغول في أبهى عصورها وأزهى أيامها . شاهد تحطيم قلاع الإسماعيلية ، وشاهد أيضاً حصار بغداد وفتحها أيام الطاغية هولاكو (٣) . وقد التحق بخدمة المغول في عهد ابنه آباقا واستمر منذ ذلك الوقت يلازم أعظم سلاطين المغول وأقطاب دولتهم إلى أن اعتلى في عهد غازان أسمى منصب في الإمبراطورية واستطاع وسط التيارات

(١) بارتولد: مجلة العالم الإسلامي ، ص ٩٩ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ، عالم الإسلام ، باللغة التركية ، ج ٩٨ ، ص ٧١٠ .
استانبول ١٩٦٣ .

(٣) انظر بارتولد مجلة العالم الإسلامي ، ص ٨١ .

الجارفة أن يحافظ على ذلك المنصب في عهد أولجايتو وأوائل عهد ابنه أبي سعيد إلى أن راح ضحية الدسائس والمؤامرات ، فكان موته نذيراً بانهايار دولة المغول والقضاء على شوكتهم . ولقد أتاح له منصبه أن يقف على كل صغيرة وكبيرة في الإمبراطورية فصار راسخاً في العلم بكل التفاصيل والنظم المعمول بها في حكومة المغول ، وعرف ما يدور في خبايا قصورهم من دسائس ومؤامرات ، ووقف على ذلك الصراع العنيف الجبار الذي كان يدور بين أحزاب المغول وما كان يجره ذلك النزاع . من بطش بعضهم ببعض في أبشع صورة وأقسى وسيلة ، ووضح له ما كان يفعل هؤلاء القوم بوزرائهم وقادتهم يرفعونهم إلى أعلى مكانة ثم يتغيرون عليهم فجأة فينزلونهم إلى الخضيض ويجزونهم جزء سنار ، كذلك أتاح له منصبه أن يصاحب ساسة العصر وعلماءه وفضلاءه على اختلاف نحلهم وملهمهم .

فاذا جاء هذا الرجل بعد هذا وأرخ لهذه الفترة بمحاسنها ومساوئها فإنما يؤرخ لأحداث كان يعاصرها ويشهدها بعيني رأسه ، ويصفها وصف المثقف الخبير بشئون الحياة . ثم هو فوق هذا ليس بالكاتب المتفرج الغريب عن تلك الأحداث بل الكاتب الذي لبث نحو نصف قرن شخصية بارزة في الإمبراطورية المغولية يؤثر بأعماله ونفوذه في تطوراتها ومصائرها . وإذا كان المؤرخ الذي يكتب فهو أيضاً الشخصية التي تلعب دوراً هاماً في تكييف هذه الحوادث . فأقواله إذن من أصح المستندات التي يعول عليها في تاريخ تلك الحقبة ومظاهر الحضارة فيها . يقول الأستاذ بديع الزمان الخراساني : « كتابه جامع التواريخ من أهم المصنفات التاريخية في هذا العصر ، وهو يحوى فوائد كثيرة ويعد على وجه الخصوص من أصح المصادر في تاريخ المغول » (١) .

وإذا كانت عبقرية رشيد الدين كمؤرخ قد تجلت في تأريخه لحنكيز خان فإنها لتتجل أيضاً في تأريخه لغازان خان ، وإحاطته تلك الإحاطة الشاملة بجميع أطراف حياة هذا العاهل الكبير ، ووصف ما تم في عهده من إصلاحات

(١) كتاب جامع التواريخ تأليف اومى باشد كه از مهترين مصنفات تاريخي اين دور وحاوى فوائد بسيار وبخصوص از صحيحترين منابع تاريخ مغل بشار است (منتخبات أدبيات فارسي طبع دوم ، ص ٢٦٥) .

فالأقوال التي وردت في هذا الشأن لم تذكر في أى مصدر آخر على نحو ما نراه في مؤلف رشيد الدين من الإسهاب والتفصيل .

وفي الحقيقة حينما أراد رشيد الدين أن يكتب عن غازان خان نحس أنه قد أخذ على عاتقه تمجيد هذا السلطان ؛ إذ رأى من واجبه الأول أن يبرز تلك الشخصية في صورة كاملة من شتى جوانبها فكان فيما كتبه عنه موقفاً غزير المادة . ولقد استطاع في مهارة تدعو إلى الإعجاب أن يخلق من سيرة غازان صورة حية صادقة قلما نصادفها في العصور الوسطى بين المؤرخين في آسيا أو في أوروبا (١) . ونحن في الحقيقة لانستطيع أن نلوم رشيد الدين على ما كتبه عن غازان لأن سائر المؤرخين الذين كتبوا عن هذا السلطان قد أجمعوا على تمجيده والإشادة بذكوره .

أما إذا كان العالم الألماني « شميدت Schmidt » (٢) قد اتهم رشيد الدين كما اتهم جميع كتاب العرب والفرس بأنهم كتبوا تاريخ العصور الأولى للإمبراطورية المغولية دون معرفة تامة بالحوادث ، كما ساقهم جهلهم باللغة المغولية إلى أن ينسبوا إلى هذه اللغة بعض الكلمات التي هي من أصل تركي (٣) فإن كاترمير قد برهن بما لا يدع مجالاً للشك—على عدم صحة هذه الاتهامات (٤) بالنسبة لرشيد الدين نظراً لما اعتمد عليه هذا المؤلف من المصادر الموثوق بها ونظراً لضروب الاحتياطات الكثيرة التي اتخذها ليحجى كتابه كاملاً بقدر المستطاع . هذا بالإضافة إلى أن الفترة التي عاش فيها لم يكن قد بعد العهد بها عن عصر الفتوح الكبرى وعصر جنكيز وأتباعه الأولين إلا بمدى قصير فكان إذن في وسع مؤلفنا أن يتصل بأبناء أو أحفاد أولئك الذين لعبوا دوراً

(١) بارتولد : مجلة العالم الإسلامي ، ص ٥٨ .

(٢) نشر هذا الكتاب الذي ألفه Sanag Setzen وترجمته الألمانية وهو كتاب يحوى معلومات مفيدة عن انتشار البوذية بين المغول وعن تاريخ هذه الطائفة منذ طردهم من الصين ولكن المعلومات الغامضة التي يذكرها هذا المؤلف المغولى عن عصور جنكيز وخلفائه لا تكاد تعرفنا بشئ ذى بال ولا يمكن بحال أن نقارنها بالحوادث المتصلة الكاملة التي ذكرها رشيد (انظر Quatremère, p.CIV) .

(٣) نفس المصدر ص ١٠٥ (CV) .

(٤) نفس المصدر ص ١٠٥ وما بعدها .

خطيراً في هذه الكوارث الهائلة ، أو بالرجال الذين كانوا ضحية تلك الحوادث . لأنه قد عاش بين شخصيات حية تربطهم بتلك الحوادث صلات مختلفة فلم يدخر وسعاً في أن يتلقى من أفواههم معلومات قيمة استطاع أن يقارنها بالتفاصيل الموجودة في سجلات الدولة وفي المذكرات المختلفة التي احتفظت بها الأسرة المغولية .

أما اتهام رشيد الدين بأنه كان يجهل المغولية فهو اتهام لا يقوم على أساس صحيح لأن رشيد الدين ذكر صراحة أنه ألفت كتباً بهذه اللغة (١) . ولا يمكن أن يتم ذلك إلا إذا كان يعرف المغولية معرفة عميقة . ولو لم يذكر هذه الحقيقة لكان علينا أن نفترضها افتراضاً ؛ إذ كيف يمكننا أن نتصور أن رجلاً ارتفع شأنه في الإمبراطورية المغولية وتولى أعلى المناصب في المملكة ، وكان عليه أن يشتغل يومياً بأعقد المسائل ، وأن يظل متصلاً بالأمراء والعظماء من أحفاد جنكيز خان عن طريق المكاتب والمراسلة . كيف يتأتى لنا بعد كل هذا أن ندعى بأنه كان يجهل اللغة التي يتحدث بها في كل مكان من إمبراطورية المغول والتي كانت وحدها لغة التفاهم بين الغالبية العظمى من أرقى الأوساط في دولة المغول ؟..

وإذا كان مؤلفنا قد خلط كلمات تركية بأخرى مغولية ، فإن ذلك لم يحدث إلا نادراً ولكنه على العموم كان يعنى بأن يرشد القارئ إلى ما إذا كان المصطلح الذي يذكره ينتسب إلى لغة الترك أو إلى لغة المغول . ومع هذا فيجب ألا يغيب عن بالنا أن اللغتين المغولية والتركية كانتا مختلطتين أشد الاختلاط منذ عهد جنكيز فقد كان يصطحب في حملاته كثيراً من الناس كانت لغتهم الأصلية هي التركية فكان لابد أن تحرف إحدى اللغتين الأخرى ولا بد أنه قد نشأ عن الزيجات التي كانت تحدث يومياً بين رجال من جنس مغولى وبين نساء من جنس تركي الأمر الذي أدى إلى إدخال كلمات وعبارات تركية كثيرة في لغة المغول ، بل إن اللغة المغولية نفسها قد تركت مكانها للغة التركية في أقاليم واسعة بعد مرور قرن ونصف من الاحتلال المغولي . فكان

(١) انظر فهرس مؤلفات رشيد الدين ، نشر كاترير ص ١٦٢ (CL X II) .

السكان المغول الذين يتطنون لإقليم ما وراء النهر لا يستخدمون منذ عصر تيمور غير اللغة التركية .

وأما إذا كان قد لوحظ أن بعض الألفاظ قد كتبت خطأ في كتاب مؤلفنا فإن هذه الأخطاء يجب أن نعزوها إلى النساخ الذين كانوا لا يعرفون شيئاً عن اللغة المغولية فكتبوا هذه الكلمات حسبما اتفق دون أن يتحروا الدقة في البحث عن هجائها الصحيح . كذلك الحال بالنسبة للناشرين الأوروبيين الذين يجهلون لغة المغول جهلاً تاماً قد وقعوا هم الآخرون في أخطاء كثيرة فيما يتعلق بهجاء الألفاظ المغولية ، ولكن هذه الأخطاء لا يمكن أن نعزوها إلى رشيد الدين بأية حال .

ولكن يلاحظ أن النشاط الذى بذله ملوك المغول لرفع شأن شعبهم في إيران لم يكن مفيداً بقدر ما أفاد شعور الأتراك القوي ، فإن الأتراك هم الذين استفادوا من الأوصاف الواضحة التي ذكرها رشيد الدين في وصفه لحياة الرحل في كلامه على جنكيزخان وأسلافه والقبائل المغولية والتركية الأخرى . وقد ترجم لهذا القسم إلى التركية مرات عديدة . كذلك بتأثير رشيد الدين صاغ الترك الروايات الشعبية الأسطورية الخاصة بهمجدهم « أوغوز خان » في قالب أدبي . فقد ألف « يازيجي » أوغلي أحد مؤرخي آسيا الصغرى كتاب « سلعو قنامه » باللغة التركية في عصر السلطان مراد الثاني (١٤٢١ - ١٤٥١) والقسم الأول من هذا الكتاب عبارة عن ترجمة ما جاء في كتاب جامع التواريخ خاصاً بأصل الأتراك والقبائل التركية . والغريب أن الكاتب لم يتحرج من أن يأخذ الحكم التي وردت على لسان جنكيزخان والتي ذكرها رشيد الدين في كتابه وينسبها إلى « أوغوز خان » جد الأتراك (١) .

وكما يقول الأستاذ العزاوي عول على كتاب رشيد الدين كتاب الترك العثمانيين ومؤرخوهم في ترويج سياسة الخلافة بدخولها فيهم وبيان ضعفها وما كانت عليه أيام هجوم المغول استفادة من أقوال هذا المؤلف ؛ فإنه فتح نهجاً مشى عليه من جاء بعده فاتخذة مثالا يحتذى فكانت طريقته وسلوكها مقدمة أو ضرورة لازمة لخلاقهم (٢) .

(١) انظر بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ١٠٠ .

(٢) انظر تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ١٥ .

وإذا كنا قد تحدثنا عن أهمية المجلد الأول المشتمل على تاريخ المغول ووضعه في المتزلة التي يستحقها ، فإننا لن ندعى مطلقاً بأن جميع التفاصيل التي ذكرها رشيد الدين في هذا المجلد جديرة بثقتنا واطمئناننا إذ أن الأمر الذي لاشك فيه أن هناك بين الحوادث التي تتعلق بعصور قديمة ما يمكن أن يكون غامضاً بل وما يمكن أن يكون زائفاً . ولكن المؤلف معذور إذ لم تكن لديه أية وسيلة لتحقيق مثل تلك الحوادث فاقصر على تسجيلها بأمانة على النحو الذي جاءت عليه في التقاليد الشعبية المغولية .

أما المجلد الثاني الذي تحدث فيه رشيد الدين عن التاريخ العام ، فإنه قد صادف شهرة أقل مما صادفه المجلد الأول ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن رشيد الدين استقى كثيراً من مشتملاته من مصادر مألوفة مطروقة ، ولم يأت فيها بمعلومات أزيد كثيراً عما كنا نجده في المصادر السابقة . ويرى « بلوشيه » أن القسم الذي يتعلق بتاريخ المغول من كتاب جامع التواريخ هو المهم فقط وأما المكملات لهذا القسم فهي عبارة عن تراجم اختصرت كثيراً أو قليلاً من كتب التواريخ المشهورة جداً في إيران ، ولهذا لا يظن أن المطالب التي جمعها رشيد الدين عن تاريخ الهند والصين وأوروبا تحتوي على شيء جديد لم يعرفه القراء الإيرانيون في أوائل القرن الرابع عشر (١) . ولكن بلوشيه نسي تماماً أنه قد ناقض نفسه حيناً أعطى في موضع سابق من كتابه بعض الأهمية لتاريخ الهند والصين وعلى الخصوص لتاريخ الإسماعيلية (٢) .

والواقع أن رشيد الدين قد وفق في إعطائنا معلومات مفيدة في بعض الأقسام التي يحتويها هذا المجلد قد لا نجدها في غيره من المصادر فقد أفاض في الحديث عن طائفة الإسماعيلية وذكر خلاصة وافية لكتاب « سرگذشت سيدنا » الذي يشتمل على معلومات قيمة عن تاريخ الحسن بن الصباح مؤسس هذه الجماعة ، فكانت هذه الخلاصة إلى جانب الخلاصة التي كتبها عطا ملك الجويني في الجزء الثالث من كتابه تاريخ جهانگشای في غاية الأهمية والقيمة

(١) انظر بلوشيه : مقدمة تاريخ المغول ، ص ١٥٢ .

(٢) نفس المصدر ص ٩٥ .

خصوصاً إذا علمنا أن المعلومات النفيسة التي شملتها هاتان الخلاصتان لا توجد قط في أى كتاب آخر (١) .

كذلك أمكننا أن نعرف من هذا المجلد أشياء كثيرة عن مناطق كانت مجهولة لدينا ، فهناك مثلاً إشارات عن إقليم التبت واعتناق أهله للبوذية وارتفاع شأنه في عهد المغول ، لأن البوذية كانت تنتشر منه وتجذبهم إليها (٢) . ويقرر رشيد الدين أن كهان التبت كانوا أعظم كهان البوذية مكانة (٣) . كما أنه يذكر معلومات مفصلة عن فن طباعة الكتب الذي كان معروفاً في إيران كما كان معروفاً في الصين من زمن بعيد (٤) .

وأما المعلومات التي ذكرها رشيد الدين في تاريخ الفرنج فإنها تتميز بالدقة فضلاً على أنها كانت مثيرة للدهشة في ذلك الوقت ؛ إذ ذكر بالتفصيل قصة الكفاح بين البابا والإمبراطور ، وكان يعرف أن اسكتلندا تدفع الجزية لإنجلترا وأنه لا توجد ثعابين في إيرلندا (٥) .. ولا شك أن ماذهب إليه برتلز من تقديره لقيمة هذا الكتاب العجيب لا يحمل طابع المبالغة فيمكن أن نعرف أن سعة اطلاع رشيد الدين وتنوع ثقافته جعلت من المتعذر على أى دارس حتى يومنا هذا أن يحاول نشر تراثه بأ كمله مهما توافر له من الإمكانيات ومهما أوتي من ضروب العبقرية (٦) . يقول كارل يان : « بالرغم من الثراء في التفاصيل الممتعة التي ذكرها مؤرخنا عن تاريخ الإفرنج ، يمكننا أن نقول على وجه العموم إن هذا التاريخ لا يكاد يأتي بشيء جديد أو غير معروف يمكن أن يفيد الباحث في تاريخ الغرب في العصور الوسطى ، ومع ذلك فإنه

(١) « أين دو خلاصه در غایت قیمت است ، ومعلومات نفیسه که در آن مضمّن است در هیچ کتابی دیگر یافت نمیشود » (تاریخ جهانگشای ج ١ ص ١٠٠ من المقدمة) ، انظر أيضاً رشيد الدين : جامع التواريخ ، قسمت أساعیلیان و فاطمیان و زاریان و داعیان و رفیقان ، نشر محمد تقی دانش پره و محمد مدرسی (زنجان) ص ١٤ من مقدمة الناشر ، طهران ١٣٣٨ هـ . ش .

(٢) انظر دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الرابع ، ص ٥٣٠ .

(٣) انظر جامع التواريخ ، نشر بلوشيه ، ص ٥٤٥ .

(٤) انظر بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، الطبعة الثانية ، ص ١١٣ .

(٥) The Encyclopaedia of Islam, Vol. II, p.1124 .

(٦) انظر A. J. Arberry: Classical Persian literature, p.156 london, 1958 .

جدير بأن يصف للباحث الأفكار الخاصة بالعالم كما هي في رأس مسلم متحضر وهي صورة تشهد بأن وجهة النظر الجغرافية والتاريخية للعالم الإسلامي كانت تتمتع في عصر المغول باتساع يفوق بكثير وجهة نظر الأوربيين» (١) .

وفما يتعلق بالإشارات والملاحظات الخاصة التي ذكرها رشيد الدين عن بلاد الإفرنج ، نلاحظ أنه على الرغم من سداجة عباراتها فإنها لا تدل فقط على خبرة المؤلف وتجاربه ، بل تدل كذلك على ذكاء المؤلف ، ووضوح رأيه . وهذا ما يعطيه أهمية وقيمة مميزة مما حدا بالعلماء الأوربيين أن يقتبسوا عنه كثيراً من التفاصيل في مناسبات عديدة (٢) .

وحين نتحدث رشيد الدين عن تاريخ الهند بسط الحديث في جغرافية هذه البلاد وشرح مختلف العادات والتقاليد والأديان التي كانت تسود هناك . وعلى هذا يمكننا أن نقول إن الأقسام التي نتحدث فيها رشيد الدين عن الأمم الأجنبية كالصين والهند والإفرنج كانت ذات أهمية خاصة إلى جانب ما ذكره في تاريخ الإسماعيلية .

وحتى المختصر الذي ذكره المؤلف عن تاريخ العالم الإسلامي قد اعتبر في بعض الأوقات في القرن الخامس عشر (التاسع الهجري) حتى ظهور ميراخواند وخوندمير – مثالا حذا حذوه المؤرخون . وإن كتاب زبدة التواريخ لعبد الله الكاشاني ليين في وضوح أن بعض المعاصرين لرشيد الدين قد فهموا جيداً الفكرة التي بنى عليها مؤلفه (٣) .

القيمة الفنية لكتاب جامع التواريخ :

كان رشيد الدين رجلاً حكيماً صاحب ذوق سليم وقرينة وقادة وخط حسن وشغف بالفنون . فبالإضافة إلى الدقة المتناهية التي تحررها في جمع مادته اللازمة لتأليف كتابه ، نراه قد بذل كل ما في وسعه حتى تظهر مؤلفاته بوجه عام وكتابه جامع التواريخ بوجه خاص في أحسن نوع من الورق ، ومكتوبة

(١) . Histoire Des Francs, p.5 .

(٢) انظر نفس المصدر ، ص ٤ .

(٣) انظر بارتولد : مجلة العالم الإسلامي ، ص ٩٩ .

بخط جميل ، ومشملة على صور فنية ولوحات رائعة ومغلقة بأحسن غلاف .
يقول الأستاذ أحمد زكي وليدى : « ولقد زين رشيد الدين كتابه بالصور
وفتح فى كتابة التاريخ الإسلامى عصرًا جديدًا بإفساح المجال للحديث عن
المؤسسات والاقتصاديات ، وتبوأ مكانة سامية إلى جانب البيرونى وابن
خلدون » (١) .

ولما كان هذا الوزير يملك ثروة طائلة وجاهاً عريضاً وسلطة لا تحد
استطاع أن يشرف على تنفيذ ذلك فى سهولة ويسر إذ أنشأ مدينة صغيرة شرق
مدينة تبريز أطلق عليها اسم « الربع الرشيدى » ، واستقدم مهرة الخطاطين
والمصورين والمشتغلين بالتذهيب والمغلّفين من مختلف البقاع الإسلامية لاستنساخ
مؤلفاته وتزيينها بالصور وفى مقدمتها كتابه جامع التواريخ الذى لا تزال
مخطوطاته المصورة شاهدة على ارتقاء هذا الفن فى عصر المغول . ولم يكن
مؤلفنا يرضى على هؤلاء المؤلفين بكل ما يطلبونه . وهكذا أنفق بسخاء فى سبيل
إعداد هذه المؤلفات وتجميلها فيذكر صاحب تاريخ الوصاف أنه صرف أكثر
من ٦٠٠٠٠ دينار فى النسخ والتحرير والزخرفة والتصوير والتجليد (٢) .

وعلى هذا لم تقتصر قيمة كتاب جامع التواريخ على الناحية التاريخية
والجغرافية فحسب بل صار له قيمة فنية كبيرة . ولاشك أن ازدهار التصوير
فى عهد المغول يرجع إلى حد كبير إلى هذا المؤرخ (٣) بل إن أكثر صور
المدرسة المغولية توجد ممثلة فى مخطوطات كتاب جامع التواريخ . ونحن نشير
إلى بعض هذه المخطوطات دون أن نحاول استقصاءها .

١ - قسمان من نسخة عربية لكتاب جامع التواريخ :

الأول : محفوظ بمكتبة دار الفنون بأذربه باسكتلندا (٤) ، وتاريخ
تحريره سنة ٧١٧ هـ . ويشتمل على تاريخ الأنبياء وملوك إيران قبل الإسلام

(١) دائرة المعارف الإسلامية ، عالم الإسلام ، باللغة التركية ، ج ٩٨ ، ص ٧١٠ ،
استانبول ١٩٦٣ .

(٢) انظر تاريخ الوصاف ، ص ٥٣٩ .

(٣) M.S.Diamand: A Handbook of Mohammadan Art, 2nd. Edition, p.29 .

(٤) انظر . Storey, Persian Literature, Section II, p.75 .

وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء ، وتاريخ الغزنويين والسلاجقة والحوارزميين . وهذا القسم قد ضاعت منه بعض الأوراق في البداية والنهاية . وتوجد فيه سبعون صورة هي غاية في الروعة والإبداع .

الثاني : محفوظ في مكتبة الجمعية الآسيوية الملكية (١) وخطه واضح نستعليق وعلى ورق جيد سميك من الحجم الكبير ، ويشتمل على تاريخ الصين ومعظم تاريخ الهند وبعض الأجزاء من تاريخ بني إسرائيل . عدد أوراقه ٥٩ ورقة ، وصوره تبلغ المائة تعرض الزمن الذي صورت فيه . وقد علمت بطريقة فنية دقيقة وفي أسفل كل صورة بيانات مكتوبة بالفارسية توضح المقصود منها .

حرر هذا المخطوط عام ٧١٤ هـ أى بعد أربع سنوات من إتمام المؤلف الأصلي . وهذه الترجمة تمت على يد المؤلف أو تحت إشرافه ثم أودعت المسجد مع النسخة الأصلية في الربع الرشيدى . ولأهمية هذا المخطوط كان مورلى يعتقد أنه قدم لعالم الأدب والتاريخ خدمة كبرى باكتشافه هذا القسم من جامع التواريخ (٢) .

هذان القسمان كانا في الأصل يكونان جزءاً واحداً (٣) ، وتمثل صورهما موضوعات كثيرة من السيرة النبوية والتاريخ الإسلامى والإنجيل وتاريخ الهند والديانة البوذية ، كما توجد عدة صور أخرى تتعلق برسم والأساطير الإيرانية القديمة (٤) .

٢ — نسخة قديمة من كتاب جامع التواريخ محفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس وهى عبارة عن المجلد الأول المشتمل على تاريخ المغول ولكنها ناقصة من المبدأ والنهاية ؛ غير أن القسم الذى يحوى تاريخ الإيلخانيين ابتداء من

(١) انظر Morley: The Journal of the Royal Asiatic Society, 1841, pp.II-43.

(٢) انظر نفس المصدر ، ص ٣١ .

(٣) انظر Catalogue of the International Exhibition of Persian Art No.

537 A & 537 B: Storey: Persian Lit. Sec. II, p.75.

(٤) انظر ج. كريسى ويلسن : تاريخ صنایع إيران ، ترجمة عبد الله فريار ص ١٦٧ ؛

زكى حسن : الفنون الإيرانية في العصر الإسلامى ، ص ٨٨ .

هولاً كوحى نهایة غازان یکاد یکون تاماً . و هو مزین بعدد کبیر من الصور و رغم أن الجزء الأكبر منها یعتبر أقل من المتوسط من حیث القیمة الفنیة إلا أنها ذات أهمیة عظیمة من جهة کونها وثائق للعصر المغولی (١) و یعتقد بلوشیه استناداً على طريقة الخط والتصویر أن هذه النسخة کتبت فی عهد رشید الدین (٢) .

٣ - نسخة جامع التواریخ المحفوظة بمتحف طوپ قابو سراى و مدرجة ضمن مكتبة ییلدیز تحت رقم ١٦٥٤ ، فهى تحتوى على ٩٥ صورة قیمة فنیة كبیره . وفضلاً عن ذلك فان هذه النسخة أيضاً تمتاز بقدمها إذ أنها کتبت فی سنة ٧١٧ هـ .

٤ - نسخة أخرى من جامع التواریخ (٣) محفوظة بنفس المتحف بتركیا ، و مدرجة تحت رقم ١٦٥٣ غیر أن هذه النسخة موضوعة على أنها قسم من كتاب زبدة التواریخ الذى ألفه حافظ آبرو فی العصر التیمورى . و على حد تعبیر الأستاذ أحمد آتش : « لم یتحمل حافظ آبرو حتى مشقة نسخ هذا القسم لإدراجه فی مؤلفه ، بل نزع من مكان ما نسخة جامع التواریخ و وضعها داخل مؤلفه » . و قد حررت هذه النسخة فی سنة ٧١٤ هـ و هى أيضاً مزدانة بكثیر من الصور الجمیلة ، و تعتبر بسبب قدمها ذات أهمیة كبیره . و یلاحظ على هذه الصور بوجه عام أن أكثرها یصور مناظر القتال توضیحاً للكتب فی التاریخ أو فی القصص الحربی أو مناظر تمثل أمراء المغول بین أفراد أسراتهم و حاشیتهم (٤) . و هناك صور أخرى تشرح موضوعات دینیة إذ كانت مخطوطات جامع التواریخ من أسبق المخطوطات الإسلامیة فی

(١) انظر بلوشیه : فهرس المخطوطات الفارسیة ، ج ١ ص ٢٠٢ تحت رقم 254 .

(٢) Des Enluminures des Miniatures Orientaux, Paris 1926, pp.76-78 .

(٣) كنت قد التمت إلى الأستاذ الدكتور عبد القادر قره خان الأستاذ التركى الزائر بكلية الآداب بجامعة عین شمس فی العام الجامعى ٦٣ - ١٩٦٤ أن یكتب لى زمیله الأستاذ أحمد آتش أستاذ الدراسات الفارسیة و العربیة بجامعة استانبول لیزودنى بآخر المعلومات عن الأجزاء التى قام بنشرها من كتاب جامع التواریخ ، فتفضل سیادته مشکوراً و أرسل لى معلومات مفیده منها هذه الإشارة .

(٤) زکى حسن : التصویر فی الإسلام ، مقالة نشرت فی هدیة المقتطف عام ١٩٣٨ ص ٩

إدخال التصوير الدينى الذى كان قد ضعف شأنه بسبب كراهية الإسلام
للتصوير والمصورين (١) .

ويبدو فى هذه الصور تأثير الأساليب الفنية الصينية والمغولية والمسيحية
والهندية (٢) على أن الأساليب الصينية كانت أوضح من غيرها . ولاشك أن
هذا التأثير نتج عن الارتباط الوثيق الذى كان قائما بين إيران والشرق الأقصى
فى العصر المغولى إذ أن الأسرتين اللتين كانتا تحكمان فى الصين وفى إيران طوال
القرنين السابع والثامن الهجريين هما أسرتان مغوليتان تجمعهما روابط الجنس
والقربة . وفضلا عن ذلك فإن المغول عندما استوطنوا إيران استصحبوا معهم
فنانين وصناعا وتراجمة من الصينيين .

بهذا نكون قد انتهينا من الحديث على قيمة كتاب جامع التواريخ التاريخية
والفنية . ولكننا لانستطيع أن نترك هذا الفصل دون أن نشير بكلمة وجيزة
إلى الأسلوب الذى التزمه رشيد الدين فى كل كتابه ؛ فقد تحرى أن يكون
جامعا بين البساطة وقوة التعبير وحسن الأداء والتناسق دون أن يقحم فيه
أساليب البيان والصنائع البديعية تلك الآفة التى ابتلى بها التاريخ فأخرجته
فى كثير من الأحيان عن الغرض الذى وضع من أجله . فالفقارئ لكتاب
رشيد الدين يستطيع أن يتابع موضوعه فى سهولة ويسر دون أن يعترض
طريقه مايشوش عليه بحثه ويدعوه إلى السأم والملل .

ويلاحظ أن أسلوب الكتاب يجرى على نسق واحد فى معظم أجزائه .
أما حينما كان المؤلف ينقل أو يقتبس من كتب المؤرخين الإسلاميين أى
حينما كان يبدو مصنفًا تماما كان الأسلوب يتأثر قليلا ويأتى مشابها لما فى
هذه المصادر ، ولكن الطابع الغالب هو طابع أسلوب رشيد الدين .

وقد زعم البعض أن الانقلاب فى عصرى المغول والتموريين قد أدى
إلى انقلاب آخر فى الأدب الفارسى ، وخاصة فى النثر فظهرت فيه الصناعة

(١) نفس المؤلف : فنون الإسلام ، الطبعة الأولى ص ١٦٤ وما بعدها .

(٢) نفس المصدر ص ١٦٧ ؛ كريستى ويلسن : تاريخ صنائع إيران ، ترجمة عبد الله

فريار ، ص ١٦٧ .

وفقد الطبيعة السلسة والجمال القديم إلى حد ما ، وشغل عدد من الكتاب بالألفاظ وأدوا ما يرغبون في استعارات ومجاز وكناية وإطناب ، وترسموا العبارات الغريبة واستعمال الحشو والتشبيهات المستحيلة والمبالغات التي لا محل لها . حتى الأسلوب التاريخي نفسه لم ينج من ذلك فقد كانوا يؤدون الأفكار اليسيرة في صحائف طويلة بعبارات ثقيلة (١) .

ونحن ننكر هذا الرأي على إطلاقه فيما يتعلق بالعصر المغولي لأن أسلوب الكتابة كان متفاوتاً في هذا العصر . وهذا التفاوت يرجع قبل كل شيء إلى ذوق الكاتب الشخصي ومدى اطلاعه وثقافته منذ الصغر وإلى بيئته العائلية . وأما عصره فليس له تأثير كبير في هذا المجال . فمثلاً تاريخ جهانگشاى للجويني وطبقات ناصري للجوزجاني وگلستان سعدى بالرغم من أن هذه الكتب الثلاثة قد ألفت في عصر واحد تقريباً وتعد من أحسن النماذج في النثر الفارسي فإننا نرى أن كلا منها قد كتب بأسلوب خاص .

وكذلك كتاب جامع التواريخ وتاريخ الوصاف كلاهما كتب في عصر واحد ومع هذا نرى الأول سلس الأسلوب واضح العبارة بينما نرى الثاني قد أغرق في استعمال الصناعة اللفظية . وكان التكلف الذي بدا في هذا الكتاب بمثابة مذبذب ضحى عليه الكثير من الحقائق التاريخية فجاء مغلقاً معقداً في كثير من مواضعه .

ولكن إذا كان كتاب جامع التواريخ قد سلم من التكلف فقد طغى عليه سيل جارف من الألفاظ التركية والمغولية شأنه شأن غيره من الكتب التاريخية التي ألفت في هذا العصر . وفي الحقيقة بدأت تلك الألفاظ تتسرب إلى اللغة الفارسية في عهد استيلاء السلاجقة والأتراك الغز والقراخانيين على مواطن هذه اللغة . ولكن هذا التأثير كان ضعيفاً بالقياس إلى ما صار عليه الحال في هذا العصر . ويلاحظ أن أكثر تلك الألفاظ كان يتعلق بشئون الإدارة والحكم وآداب المغول وتقاليدهم .

(١) رضا زاده شفق : تاريخ الأدب الفارسي ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

ولاشك أن سهولة الأسلوب التي تجلت في كتاب جامع التواريخ إلى
جانب المزايا العديدة التي تمتع بها هذا المؤلف كانت عاملا فعلا في اشتهاره
ولإقبال المؤرخين على تقليده ، والاستفادة بما جاء فيه على نحو ما نفصله في
الفصل التالي .

الفصل الخامس

المصادر التاريخية التي تأثرت بكتاب رشيد الدين

صار رشيد الدين بطريقته في التاريخ إماماً اقتدى به كثير من المؤرخين الذين كانوا يعاصرونه . ولم يقف أمر هؤلاء عند حد التقليد فحسب بل أقبلوا على كتابه جامع التواريخ يأخذون عنه كثيراً من المعلومات خصوصاً تلك التي تتعلق بتاريخ المغول . ثم إن رشيد الدين نفسه كان له أكبر الأثر في إظهار مؤرخين مهرة امتازوا امتيازاً خاصاً في هذا العصر على سائر العصور .

لم يقلد رشيد الدين معاصروه فحسب بل قلده كذلك كثير من المؤرخين الذين جاءوا بعده . يقول بارتولد : « استفاد المعاصرون الوصاف والبنككتي من هذا الكتاب وكذلك قلده المؤلفون في القرنين الخامس عشر والسادس عشر وحتى السابع عشر » (١) . ويرى « بلوشيه » (٢) أن جميع المؤرخين الذين أعقبوا رشيد الدين والذين تكلموا عن الحوادث التي جرت ما بين سنوات ١٢٩٩ و ١٣٠٣ قد أخذوها بجذافها عن رشيد الدين (٣) .

وقصارى القول أنه كان ينظر إلى كتاب رشيد الدين على أنه المثل الأعلى لما يجب أن يكون عليه التأليف في التاريخ العام ، وأنه بطريقته هذه كون له مدرسة امتد تأثيرها حتى القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) ونحن بعد أن أبرزنا قيمة كتاب جامع التواريخ يجب أن نتحدث عن تلاميذ تلك المدرسة ونصف مؤلفاتهم ، ونكشف عن المواطن التي تأثروا فيها بكتاب

(١) انظر بارتولد : مجلة العالم الإسلامى ص ٩٨ .

(٢) بلوشيه : مقدمة تاريخ المغول ، ص ٤ .

(٣) يبدو أن بلوشيه كان مبالغاً فيما زعمه إلى أقصى حد لأنه يعلم أن الجوينى والوصاف تحدثا عن قسم كبير من الحوادث التي طرقها رشيد الدين وأن كثيراً من اللاحقين قد استفادوا من مؤلفيهما مباشرة .

رشيد الدين ، وسوف نرى أن ما ذهب إليه أحد الكتاب الأوربيين من أنه على الرغم من ذبوع صيت كتاب رشيد الدين في الحافقين فإنه ارتكس فجأة ونبذ جميع الكتاب المنتمين إلى هذه المدرسة طريقته نبذاً تاماً مع أنهم كانوا موضع رعايته (١) - لا يستند إلى أساس صحيح .

وكذلك ما جاء في قول « مورلى » من أن المؤرخين الشرقيين قلما يتحدثون عن كتاب جامع التواريخ ، وأن أبا الغازی بهادر وميرخواند وخوندمير قد جهلوا هذا الكتاب (٢) ، مثل هذا القول لا يعبر عن الحقيقة والواقع لأن هؤلاء الثلاثة قد استفادوا مما جاء في كتاب رشيد الدين وصرحوا بهذا في كتبهم .

والآن نتحدث عن الشخصيات البارزة من المؤرخين الذين تأثروا برشيد الدين وساروا على منواله ، وعملوا على تقليده وذلك حسب الترتيب الآتي :

١ - البناكتى

هو أبو سليمان فخر الدين على بن أبي الفضل داود بن محمد البناكتى (٣) كان شاعراً ممتازاً ومؤرخاً كبيراً في بلاط المغول الإيلخانيين ، وكان مقرباً إليهم وخاصة إلى غازان . ويروى البناكتى نفسه أن غازان خان حاكم إيران المغولى قد لقبه بملك الشعراء عام ٧٠١ هـ (٤) . ويقول دولتشاه : « للبناكتى منزلة رفيعة في الشعر وقد نظم قصائد غراء ومقطعات محكمة » (٥) .

ولكن شهرة البناكتى الحقيقية ترجع إلى كتابه المسمى « روضة أولى الألباب في تواريخ الأكابر والأنساب » . وقد عرف بين المؤرخين باسم « تاريخ البناكتى » وذلك على سبيل الاختصار .

(١) ترجمة دائرة المعارف الإسلامية المجلد الرابع ص ٥٠٦ .

(٢) J.R.A.S., 1841, p.19

(٣) نسبة إلى بناكت أوفناكت وهى إحدى المدن في إقليم ماوراء النهر .

(٤) انظر بارتولد : ترجمة دائرة المعارف الإسلامية المجلد الرابع ص ١٨٨ .

(٥) دولتشاه : تذكرة الشعراء ، ص ٢٨٨ طبع ليدن .

عاش البنائكى حتى عام ٧٣٥ (١) ، وألف كتابه فى سنة ٧١٧ فى عهد
السلطان أبى سعيد بهادرخان ويشتمل على تسعة أقسام على النحو التالى :

القسم الأول : الأنبياء والرسل .

القسم الثانى : ملوك الفرس القدماء .

القسم الثالث : تاريخ النبى والخلفاء الراشدين .

القسم الرابع : الدول الفارسية المعاصرة للخلافة العباسية .

القسم الخامس : اليهود .

القسم السادس : المسيحيون والفرنج .

القسم السابع : الهنود .

القسم الثامن : الصين .

القسم التاسع : المغول .

ومن هذا التقسيم يتبين أن البنائكى قد خصص جزءاً كبيراً من كتابه
لسرد تاريخ الشعوب غير الإسلامية مثل الصينيين والهنود واليهود والقياصرة
وغيرهم . يقول دولتشاه : « ودر أنساب سلاطين خطا واقصاى هند وحالات
يهود وقياصره وغيرهم اطنابى ميكند ، واز مؤرخان هيچ كس شرح اين
حالات چون او نداده » (٢) .

وترجمته :

« وهويطنب فى ذكر أنساب سلاطين الخطا وأقصاى الهند وأحوال
اليهود والقياصرة وغيرهم . وهذه الموضوعات لم يشرحها واحد من المؤرخين
قط مثلما فعل » .

ونحن إذا استثنينا بعض الفقرات المختصرة التى ذكرها البنائكى فيما يتعلق
بالمسلمين المتأخرة نلاحظ أنه يوجز ما أورده رشيد الدين فى كتابه « جامع

(١) صادق إصفهانى : كتاب شاهد صادق ، مخطوط مكتبة مجلس النواب (كتابخانه

مجلس شورای ملی) بطهران ص ٣٧٦ تحت رقم ٥٥٠٩ .

(٢) تذكرة الشعراء ، ص ٢٢٧ .

التواريخ » مع تغییر فی ترتیب الحوادث . وعلى هذا ينظر إلى البناکتی علی أنه تابع ومقلد لرشید الدین . كثيراً ما ينقل عنه عباراته بنصها أو یغیر فیها تغییراً طفيفاً كما يتضح من المقارنة الآتية : -

تاریخ البناکتی

« حکایت توجه هولاکو خان بایران زمین ومقدمهٔ جلوس او بر سریر خانی » :

منگو خان برادر خود هولاکو خانرا بالشکر گران از مرز توران بکشور ایران فرستاد وفرمود : زتوران گذر کن بایران خرام

برآور بخورشید رخشنده نام وبر رسوم ویسون ویاسای جنکیز خان باش . واز جیجون آمویه تا اقصای بلاد مصر هرکه اوامر ونواهی ترا مطیع ومنقاد باشد اورا سیور غامیشی کن وآنک مخالفت نماید مقهور ومخدول گردان ، واز قهستان خراسان آغاز کرده قلعهها خراب کن : شعر

بکن گرده کوه ودز لنبه سر

سرش زیر گردان تنش رازبر
ممان هیچ کاند رجهان دز بود

نه يك تودهٔ خاک هرگز بود
واز آنجا آهنگ عراق کن ولور

جامع التواريخ

« مقدمه جلوس او بر سریر خانی : »
منگکوکو آن از روی اشفاق برادرانه هولاکو خانرا نصیحت فرمود وگفت ترا بالشکری گران وسپاهی بی پایان از مرز توران بکشور ایران می باید رفت بیت :

زتوران گذر کن بایران خرام

برآور بخورشید رخشنده نام ورسوم ویوسون ویاسای جنکیز خان را در کلیات وجزویات امور اقامت کن واز جیجون آمویه تا بأقاصی بلاد مصر هرکه اوامر ونواهی ترا منقاد ومطیع گردد اورا بنواز وبأنواع عاطفت وسیور غامیشی مخصوص گردان وآن که گردن کشی وسر افزای نماید اورا بازن وفرزند وخویش وپیوند در دست پایمال قهر واذلال گذار واز قهستان خراسان آغاز کرده قلاع وحصارها را خراب کن
مثنوی :

بکن گرده کوه ودز لنبه سر

سرش زیر گردان تنش رازبر

تاریخ البناکتی

وکردرا که همواره در راهابی
راهی میکنند از راه بردار . و اگر
خلیفه بغداد بخدمت مبادرت نماید
بهیچوجه اورا تعرض مرسان .
و اگر تکبر کند و دل و زبان یکی
نداردا و را بادیگران ملحق گردان..
بعد از اتمام نصایح ووصایا اورا
روانه گردانید : « روضة أولى
الالباب فی تواریخ الأكابر والأنساب »
(مخطوط مکتبة ملك بطهران) :

جامع التواریخ

ممان هیچ کاند رجهان دز بود
نه يك توده خاك هرگز بود
و از آنجا فارغ شده آهنگ عراق
کن و لر و کرد را که همواره در
راههایی راهی میکنند از راه بردار .
و اگر خلیفه بغداد بخدمت و طاعت
مبادرت نماید اورا بهیچ وجه
تعرض مرسان . و اگر تکبر کند
و دل و زبان را يك ندارد اورا بادیگران
ملحق گردان ... و بعد از اتمام
نصایح ووصایا جهت هولاکو
خان وخوانین و فرزندانش او علی
حده از زر و جامه و چهارپای
عطایای وافر فرستاد .
(جامع التواریخ ، نشر کاترمیر ،
ص ۱۴۰ - ۱۴۴) (۱) .

و أحياناً يختصر البناکتی عبارات رشید الدین وینشرها . وقد اعترف
بأنه أخذ عن الكتب الموثوق بها ولا سيما كتاب جامع التواریخ إذ يقول :

« أردت أن أكتب تاريخاً مشتملاً على ذكر مشاهير الأنبياء العظام
والسلاطين الكرام والملوك ذوي الاحترام خصوصاً أنساب حضرة سيد
المرسلين وخاتم النبيين والأئمة المهديين ومشاهير الصحابة والتابعين والعلماء
المجتهدين والخلفاء وطبقات المشايخ والقراء والصالحين والوزراء والكبراء
من كل طبقة ومن كل نوع أخذتها عن الكتب المعتمدة والتواریخ والأنساب

(۱) انظر أيضاً رشيد الدين فضل الله الهمذاني : جامع التواریخ ، المجلد الثاني - الجزء
الأول ، الترجمة العربية ص ۲۳۶ - ۲۳۸ ، القاهرة ۱۹۶۰ .

التي رأيتها وعرفتها وسمعتها من النسابة . وعلى الخصوص من كتاب جامع التواريخ الرشيدى الذى جمع بناء على أمر سلطان الإسلام غازان . وقد ألفته على سبيل الإيجاز والاختصار ، وقرنته بذكر ملوك الخطا والهنود وغيرهما من عهد آدم إلى يومنا هذا وإلى أيام دولة الخاقان الأعظم السلطان أبى سعيد بن محمد أولجايتو خان بن أرغون خان بن آباقا خان بن هولاكو خان بن تولى خان بن جنكيز خان . وكان ذلك فى الخامس من شهر شوال سنة ٧١٧ هجرية (١) وفى القسم الذى كتبه عن الصين يصرح المؤلف بأن كل ما ذكره عن تاريخ ملوك الخطا قد أخذه من « تاريخ الغازانى » الذى يسمى أيضاً جامع التواريخ والذى كتبه الخواجه رشيد الطيب إذ لم يجد فى غيره من المصادر أى خبر مفصل عن كل ما يخص الأمراء الصينيين (٢) .

ومما هو جدير بالذكر أن هذا القسم قد نشره مولر (Müller) بالفارسية واللاتينية عام ١٦٧٧ تحت هذا العنوان الخطأ ألا وهو :

Abd alla Beidawaie : Historia Eiensis.

ولكن كاترمير أثبت بعد ذلك بما لا يدع مجالاً للشك أن هذا القسم ليس من كتاب نظام التواريخ للبيضاوى ، وإنما هو قسم من كتاب روضة أولى الألباب للبناتكى (٣) .

(١) خواصم تاريخى نويسم كه مشتمل بر ذكر مشاهير أنبياء عظام وسلاطين كرام وملوك ذوى الاحتشام خصوصاً انساب حضرت سيد المرسلين وخاتم النبيين صلى الله عليه وآله وأصحابه باشد. ومشحون بذكر خلفاء راشدين وأئمة مهديين ومشاهير اصحاب وتابعين وعلماء مجتهدين وخلفاء وطبقات مشايخ وقراء وصلحا ووزرا وكبرا وازهر طبقه وازهر نوع كه از كتب معتبره وتواريخ وانساب ديده ودانسته ، واز نسابه شنيده وتخصيص از كتاب جامع التواريخ رشيدى كه بفرمان سلطان اسلام غازان خان نور الله مضجعه جمع شد وعلى سبيل الإيجاز والاختصار در قلم آوردم كه مقرون بود بذكر پادشاهان ختاي وهنود وغيرهما از ابتدائى دور آدم الى يومنا هذا والى ايام دولت خاقان اعظم سلطان عالم مالك ملوك آفاق شاهنشاه باستحقاق وهو ابو سعيد سلطان خلد الله تعالى ملكه بن محمد اولجايتو خان بن ارغون خان بن آباقاخان بن هولاكو خان بن تولى خان بن جنكيز خان است وهو الخامس من شهر شوال سنة سبع عشر وسبعماية هجريت بر سبيل اتصال آوردم .

(البناتكى : كتاب روضة أولى الألباب فى تواريخ الأكابر والأنساب ، مخطوط مكتبة ملك بطهران) .

(٢) انظر كاترمير ، ص ٩٩ . (XCIX)

(٣) نفس المصدر ، ص ٨٥ (LXXXV) وما بعدها .

ولكن رغم أن اطلاعات هذا المؤرخ بخصوص اليهود والمسيحيين والهنود والصينيين والمغول مأخوذة غالباً من كتاب رشيد الدين ، وحتى في معظم الحالات كان ينقل عباراته بنصها ، إلا أنه مع هذا زاد عليها معلومات أخرى كان يسمعها مشافهة من سفراء هذه الأمم إذ كان المؤلف كما أسلفنا شاعراً في بلاط غازان خان ؛ فأتيحت له الفرصة للتعرف بالأجانب الذين كانوا يفدون على البلاط المغولي من أماكن بعيدة . وعلى هذا وردت بالكتاب إشارات عن حوادث تاريخية وقعت في مناطق نائية عن البلاد الإسلامية كالبرتغال وبولندا وبوهيميا وإنجلترا واسكتلندا وإيرلندا وقطالونيا (١) .

٢ - حمد الله القزويني

الآن نتبع مؤرخاً آخر يعد بحق من أخلص تلاميذ رشيد الدين ومن أشدهم تأثراً به ذلكم المؤرخ هو حمد الله المستوفي القزويني . كان من الشعراء والكتاب المحيدين في اللغة الفارسية . تتصل ساسلة نسبه بحر بن يزيد الرياحي فهو من أصل عربي ، ولكن أسرته استوطنت مدينة « قزوین » زمناً طويلاً فصارت تربطه بایران علاقة وطيدة . وكان جده الأعلى أمين الدين نصر مستوفياً (٢) للعراق ثم اختار حياة العزلة والزهد وقتل في نهاية الأمر على يد المغول . وكان أخوه زين الدين محمد من عمال رشيد الدين . ورشيد نفسه هو الذي اختار المؤلف أيضاً ليكون مستوفياً على قزوین وزنجان (٣) وأهر (٤) . كان حمد الله يميل في شبابه إلى الاطلاع على الكتب التاريخية ومباحثة العلماء والفضلاء الذين كان تحتلط بهم كثيراً وكان أغلب هؤلاء يحضرون مجلس رشيد الدين الذي كان مركزاً لاجتماع العلماء والأدباء فكان حمد الله يستفيد من مصاحبتهم كثيراً .

وبعد قتل رشيد الدين فضل القزويني أن يلتحق بخدمة ابنه غياث الدين

(١) انظر براون : التاريخ الأدبي لایران ، ج ٣ ص ١٠١ - ١٠٢ .

(٢) المستوفي هو الشخص الذي كان يقوم بحياطة الضرائب .

(٣) مدينة مشهورة بأرض الجبال بين أهر واخلخال (زكريا القزويني : آثار البلاد ص

٢٥٦) .

(٤) مدينة بأرض الجبال (قهنستان) بناها ساپور ذو الأكتاف (آثار البلاد ص ١٩١)

محمد وذلك اعترافاً بفضل أسرة رشيد الدين عليه ، وما كان لعميدها رشيد الدين من أثر كبير في تنشئته وتربيته . وبعد قتل غياث الدين محمد لا نكاد نعرف شيئاً عن حياة مؤلفنا سوى أنه توفي في سنة ٧٥٠ (١) .

وكتابه الذي يقلد فيه رشيد الدين هو « تاريخ گزيده » ألفه عام ٧٣٠ وهو في التاريخ العام يتناول بالبحث جميع ما عرف عن إيران منذ آدم عليه السلام حتى سنة تأليفه ، وأطلق عليه اسم « تاريخ گزيده » أى التاريخ المنتخب (٢) . وقد رجع المؤلف إلى مصادر عديدة ذكرها في كتابه ومن بينها جامع التواريخ (٣) . ومن مقدمة الكتاب نعلم أنه أهداه إلى الخواجه غياث الدين محمد بن رشيد الدين الذى كان وزيراً للسلطان أبى سعيد بهادر خان .

وكتاب تاريخ گزيده يحتوى على مقدمة وستة أبواب والأبواب تنقسم إلى فصول ، ثم تأتى في النهاية الخاتمة (٤) .

الباب الأول : في ذكر الأنبياء والحكماء والرسل .

الباب الثانى : في ذكر ملوك الفرس القدماء الذين عاشوا قبل الإسلام .

الباب الثالث : في ذكر النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه وأولاده وأحفاده وصحابته والتابعين ثم ذكر خلفاء بنى العباس حتى سقوط الخلافة عام ٦٥٦ هـ .

الباب الرابع : في ذكر الملوك الذين حكموا إيران بعد الإسلام وقد خصص المؤلف الفصل الثانى عشر من هذا الباب للحديث عن المغول في إيران .

(١) حاجى خليفة : كشف الظنون ، المجلد الثانى ص ٤٧٤ .

(٢) واين كتاب را گزيده نام کرده . مبنى گردانيده بر ذکر انبيا وأوليا وپادشاهان ووزراء ايران زمين وآثارى که از ايشان بازمانده از عهد آدم عليه السلام تا زمان تأليف اين مختصر که در سنة ثلثين وسبعمائه هجرى مصطفويست (تاريخ گزيده ، نشر براون ص ٨) .

(٣) انظر نفس المصدر ونفس الصفحة ، براون : التاريخ الأدبى لايران ، ج ٣ ص

٨٨ - ٨٩ .

(٤) نفس المصدر الأخير ، ص ٩٠ وما بعدها .

ويعقب هذا الباب باب إضافي ليس من تأليف المؤلف وإنما ألحقه أحد النساخ بكتاب تاريخ كزیده (١) .

الباب الخامس : في ذكر الأئمة والقراء والمشايخ وعلماء الدين .

الباب السادس : في ذكر مدينة قزوین موطن المؤلف ومكان تنشئته وتربيته .

الخاتمة : في ذكر شجرة الأنساب والسلاسل لطوائف الأنبياء والأولياء والأئمة والملوك والوزراء وغيرهم . وقد سار فيها على النهج الذي اتبعه رشيد الدين في كتابه ولكن هذه الشجرة محذوفة ولأن لم يعثر عليها في أى مخطوط من مخطوطات تاريخ كزیده (٢) .

ولقد استطاع المؤلف في مهارة تدعو إلى الإعجاب حقاً أن يورد تاريخه حسب هذا التقسيم الواسع الضخم فجاء واضح المطالب وافياً بالغرض بعيداً عن التطويل الذي يدعو إلى السأم والملل . ولقد عبر عن ذلك المؤلف أحسن تعبير فقال : « ولو أن هذا الكتاب مجمل موجز إلا أنه مع ذلك كان خلاصة لقلادة هذا الفن وبيت القصيد في هذه الصنعة ومنتخباً من كتب العلماء من هذه الطائفة » (٣) .

على أن الإشادة بأهمية هذا الكتاب لم تكن قاصرة على مؤلفه فحسب بل لقد نوه به أيضاً المؤرخ التركي « حاجي خليفة » إذ يقول : « هو من الكتب المعتمد عليها في التاريخ وكلامه ونقله كالحجة فيما بينهم ذكر فيه أنه اكتسب المعارف في خدمة الوزير رشيد الدين فضل الله ، وأن أوقات الوزير مستغرقة بمجالسة العلماء ومباحث العلوم وعلم التواريخ خصوصاً ، وهو

(١) هذا الباب الإضافي يشتمل على ذكر تاريخ ملوك آل مظفر وهو خلاصة وتهذيب لكتاب مواهب الهى لمعين الدين اليزدى (انظر الدكتور إبراهيم أمين الشواربي) : مصادر فارسية في التاريخ الإسلامى ص ٢٠ - ٢١ كتبه شخص يدعى محمود گیتی سنة ٨٢٣ وأضاف إليه الوقائع التي حدثت حتى انقراض أسرة المظفرين وألحقه بكتاب تاريخ كزیده .

(٢) انظر براون : التاريخ الأدبي لإيران ، ج ٣ ص ٩٤ .

(٣) اگرچه این موجز است مجمل اما آنچه خلاصه قلاده این فن وبيت القصيد این صنعت و محمول و مختار كتب استادان این طایفه بوده (تاريخ كزیده ، نشر براون ص ٧)

يستفيد من زوايا المجالس استفادة كبيرة فيكون ذلك سبباً لمراجعة كتب التواريخ ومطالعتها» (١) . وهكذا حتى جاء العصر الحديث فكان المستشرق الإنجليزي براون سابقاً إلى التبصير بأهمية هذا الكتاب من حيث احتواؤه على مطالب خاصة كثيرة لا توجد في مصادر أخرى وخاصة في القسم التاريخي الذي كان يعاصره المؤلف (٢) . وإلى مثل هذا الرأي ذهب المستشرق الألماني اشبولر (٣) .

ولكن على الرغم من هذه المزايا إذا وضع الكتاب المذكور موضع المقايسة من تاريخ جهانگشای أو جامع التواريخ أو تاريخ الوصاف فلاشك أنه يأتي في المرتبة التالية لهذه الكتب .

نشر براون الكتاب بأكمله في سنة ١٩١٠ من مخطوط قديم استنسخ عام ٨٥٧ هـ . وفي عام ١٩١٣ اشترك مع « نيكلسون » (Nicolson) في إخراج ترجمة مختصرة لهذا الكتاب مع الفهارس والحواشي الكاملة . وقد طبع هذان المجلدان الأصل والترجمة ضمن المجموعة التذكارية لأوقاف جب (٤) .

من مؤلفات حمد الله القزويني الأخرى كتاب ظفر نامه ونزهة القلوب . والأول عبارة عن منظومة تاريخية نظمها المؤرخ عام ٧٣٥ هـ في البحر المتقارب على نمط الشاهنامه وجعل موضوعها تاريخ العرب والعجم والمغول منذ بداية الإسلام حتى سنة ٧٣٢ هـ . ونجربنا المؤلف في مقدمة كتابه تاريخ گزیده أنه عندما شرع في التأليف بدأ بهذه المنظومة ، ونظم منها أكثر من ٥٠٠٠ بيت وأنه يتوق إلى أن يوصلها إلى ٧٥٠٠٠ بيت (٥) . وقد بر القزويني بوعده وأتم منظومته في مدة خمسة عشر عاماً وضمها ٧٥ ألف بيت في تاريخ العرب والعجم والمغول فخصص للأول ٢٥٠٠٠ بيت وللثاني ٢٠٠٠٠ بيت وللثالث ٣٠٠٠٠ بيت . وأطلق على سائر المنظومة اسم « ظفر نامه » . يقول : « غانیت المشتقات في هذا العمل خمس عشرة سنة ، ونظمت خمسة وسبعين ألف بيت .

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون ، المجلد الثاني ص ٤٧٤ .

(٢) انظر براون : التاريخ الأدبي لایران ، ج ٣ ص ٩٤ .

(٣) انظر . Spuler: Die Mongolen in Iran, p.9 .

(٤) . E.J.W.Gibb Memorial Series Vol. XIV. I&2 .

(٥) انظر تاريخ گزیده ص ٥ .

فخص العرب من هذا العدد خمسة وعشرون ألفاً ، والعجم عشرون ألفاً والمغول ثلاثون ألفاً . فسم هذا الكتاب « ظفر نامه » ، وجدد به رسم الشاهنامه « (١) » .

ومع أن هذه المنظومة لا تصل في مرتبتها من حيث بلاغة النظم إلى شاهنامه الفردوسي ، إلا أنها على كل حال تعد من أهم كتب الحماسة التاريخية بعد القسم التاريخي الذي تضمنته الشاهنامه . ويؤكد لنا الدكتور « ريو » أهمية تلك المنظومة إذ أن مؤلفها قد تحرى الدقة في ضبط الوقائع والتواريخ وأسماء الأعلام والبلاد . وفي القسم الذي سرد فيه تاريخ المغول ذكر لنا معلومات قيمة جداً ، وساق وصفاً واضحاً للقتل العام الذي حدث في مسقط رأسه قزوین . وفي الغالب استقى المؤلف هذه الأخبار من جده الأعلى أمين نصر المستوفى الذي كان يبلغ في ذلك الوقت الثالثة والتسعين (٢) .

أما كتاب نزّهة القلوب فهو في الجغرافيا ألفه حمد الله سنة ٧٤٠ هـ ويشتمل على مقدمة وثلاث مقالات وخاتمة. والمقالة الثالثة هي أهم المقالات لأنها تتضمن معلومات مفيدة عن وصف الحرمين الشريفين وبيت المقدس كما أنها تشرح جغرافية إيران والعراق العربي وآسيا الصغرى بينما تشتمل المقالات الأخرى على معلومات تتعلق بعلم الأفلاك والأجرام السماوية والربع المسكون ونوع البشر إلى غير ذلك من الأبحاث. ثم تأتي الخاتمة في شرح عجائب الموجودات في العالم بصفة عامة وفي إيران بصفة خاصة .

وهذا الكتاب له أهمية كبيرة من الناحية الجغرافية والوقوف على الأوضاع الاقتصادية في ممالك إيران في القرون الوسطى . يقول خوندمير : « ومن بين مؤلفات حمد الله الأخرى كتاب نزّهة القلوب وفيه يتضح كمال الفضيلة وسعة

(١) كشيذم درين پانزده سال رنج بگتم سخن پانزده بار پنـج
عرب بیست و پنج و عجم بیست هزار مغول سی هزار آمد اندر شمار
ظفر نامه کن نام این نامه را بدین تازہ کن رسم شہنا مدرا
(انظر الدكتور ذبیح الله صفا . حماسه سرائی در ایران ص ٣٣٨) .
(٢) انظر ريو : متم فہرس المخطوطات الفارسیة ، ص ١٧٢ .

اطلاع حمد الله ، كما يظهر فيه كثير من الغرائب والعجائب في العالم وكذلك خواص الأشياء» (١) .

ورغم أن هذا الكتاب في الجغرافيا إلا أنه يشتمل على معلومات قيمة وترد به إشارات تاريخية تفيد الباحث في التاريخ .

قام على نشر هذا الكتاب الأستاذ ل . استرانج Le Strange وترجمه إلى الإنجليزية ضمن مجموعة أوقاف جب التذكارية (٢) . كما أنه استفاد جداً بما ورد في هذا الكتاب ونقل عنه كثيراً في مؤلفه « بلدان الخلافة الشرقية » (٣) .

٣ - سيف بن يعقوب الهروي

من الكتب التاريخية الأخرى التي تأثرت بكتاب رشيد الدين وأفادت منه كتاب « تاريخ نامة هراة » وهو من كتب التاريخ الخاصة التي توّرخ لدولة من الدول أو لبلدة من البلدان . وقد شغف الإيرانيون بهذا النوع الأخير من التأليف إذ كان لكل مدينة كبيرة كتاب مهرة يسجلون تاريخ مسقط رأسهم وذلك مثل تاريخ بخارى وسجستان وقم وطبرستان واصفهان ونيسابور ومرو وبهق وجرجان وغيرها . وذلك بقصد المحافظة على آثار القدماء وتخليد مآثر المعاصرين (٤) . وليس أدل على شغف الإيرانيين بهذا النوع من التأليف من أن حاجي خليفة قد أحصى سبعة من المؤرخين كتبوا تاريخ مدينة هراة في عصور مختلفة (٥) .

وبالرغم من أن الصفة الغالبة على التأليف التاريخي في عصر المغول كانت تتجه إلى كتابة الموسوعات التاريخية ، فإن كتابة التواريخ الخاصة لم تتوقف

(١) واز جله مؤلفات حمد الله ديگري نزهة القلوب است واز آن كتاب فضيلة وجامعيت حمد الله بوضوح پیوندد و بسیاری از غرایب و عجایب عالم و خواص اشیا ظاهر میگردد . (حبيب السیرم ٣ ج ١ ص ١٢٦م) .

(٢) E.J.W.Gibb Memorial Series, XXIII, 1913 .

(٣) The Lands of the Eastern Caliphate, Cambridge, 1930 .

وهذا الكتاب ترجمه إلى العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، بغداد ١٩٥٤

(٤) انظر بیست مقاله قزوینی ج ٢ ص ٧٧ .

(٥) كشف الظنون المجلد الأول ص ٣٠٩ - ٣١٠ .

بل ظلت تكثر وتنتشر لأن القرن الثامن في إيران كان عصر دويلات صغيرة أخذت تتنافس في تسجيل تواريخها ، فأخرجت لنا مجموعة من الرسائل التاريخية الخاصة التي استطاعت أن تحتفظ بمكانتها إلى جانب هذه الموسوعات الكبيرة (١) .

من بين هذه الكتب كتاب تاريخ « نامه هراة » الذي ألفه سيف بن محمد بن يعقوب الهروي . ولد في مدينة هراة سنة ٦٨١ هـ (٢) وحصل المعلومات والمعارف التي كانت معروفة في عصره ، وكان مطلعاً اطلاقاً واسعاً على آداب اللغتين الفارسية والعربية . وقد رزق سليقة شعرية فكان شاعراً ممتازاً . ولاشك أن هذه المواهب والمميزات مهدت له الوصول إلى بلاط آل كرت (٣) حكام هراة فاتصل بالملك فخر الدين كرت (٤) (٦٩٥ - ٧٠٦) حتى سقطت هراة على يد المغول في عهد السلطان أوجلايتو فوقع أسيراً في قبضة المغول واتهم بالخيانة ولقي منهم العنت والعذاب وحكم عليه بالإعدام غير أنه أقر بذنبه واستعطفهم وتعهد لهم بالوفاء ففكوا أسره وعفوا عنه .

ولما توفي الملك فخر الدين ، قبل أخوه وخليفته الملك غياث الدين الدخول في طاعة أوجلايتو وصار يتمتع برضاه فنصبه على هراة . وقد حاول الهروي أن يتصل بهذا الملك ولكنه أعرض عنه وربما فعل ذلك لأنه يعلم أنه كان من أنصار أخيه الملك فخر الدين الذي كان دائم النزاع معه ، أو لأنه كان يعلم أن أمراء المغول لا زالوا ينظرون إلى سيف بعين الريبة والحذر

(١) الدكتور إبراهيم أمين الشواربي : مصادر فارسية في التاريخ الإسلامي ، ص ٢ .
(٢) انظر تاريخ نامه هراة ص ٣٨٠ حيث يقول المؤلف إنه كان في سنة ٦٧٨ قد بلغ من عمره .

(٣) اختلفت الآراء في ضبط هذه الكلمة والشائع أن « تكتب » كرت بفتح الكاف بينما يفضل براون أن تنطق كرت بضم الكاف لأنها وردت على هذا النحو في تاريخ هراة لمعين الدين الاسفزاری .
Lit. Hist. Pers., Vol III, p.178 .

واستعملها مينورسكي بفتح الكاف كرت . B.S.O.S., VIII, Part. I, P. 257 وأما هورث فقد كتبها بكسر الكاف كرت . (His. of the MongoIs, III p.739) ونحن نفضل استعمالها بالفتح كرت جريا على الشائع .

(٤) انظر تاريخ نامه هراة ص ٤٦١ .

واستمرت الحال على هذا الوضع حتى عام ٧١٧ هـ . وفي هذه السنة رضى
السلطان عن سيف وأفسح له الطريق في بلاطه حتى صار محط عطفه ورعايته
وأمره بأن يكتب تاريخ هراة منذ هجوم جنكيز حتى عهده ووضع تحت
تصرف سيف جميع الأسناد والوثائق الرسمية ليستعين بها في تأليف هذا الكتاب
فأطاع الأمر وأنجز مهمته في عامين ونصف (١) . ولا يعلم تاريخ تأليف هذا
الكتاب على وجه التحديد . ولكن يرجح الأستاذ محمد زبير الصديقي ناشر
الكتاب أنه ألفه بين سنوات ٧١٨ و ٧٢٢ هـ وقدمه إلى السلطان بعد عودته
من الحج في سنة ٧٢٢ هـ (٢) . أما تاريخ وفاة المؤلف فلا زال سرّاً مجهولاً
لا نعلم عنه شيئاً .

الكتاب الذى نحن بصدده يقع في ١٣٨ فصلاً منها عشرون فصلاً تدور
حول تأسيس مدينة هراة والأحداث النبوية التي وردت في مدحها وهجوم
جنكيز عليها وإيراد سائر الأحداث الأخرى التي مرت بها حتى ظهور أسرة
كرت . وأما باقي الفصول فتتعلق بالنواحي المختلفة من أسرة كرت حكام هراة
منذ ظهورهم سنة ٦٤٣ هـ حتى العام السادس عشر من حكم السلطان غياث
الدين ، ويلاحظ أن المؤلف نخص تاريخ هذا السلطان بالتفصيل . وهو لا يكتفى
بذكر الأعمال السياسية والعسكرية لهذه الأسرة بل يتعرض للناحية الأخلاقية
وطرق الحياة ونظم الحكم عند هؤلاء السلاطين ورعايتهم للأدباء والشعراء .
كما أنه يصف العمارات والأبنية التي تمت في عهد الملك فخر الدين وأخيه
الملك غياث الدين ، ويتكلم على الحوادث التي جرت بين أمراء المغول
وقوادهم ، كما يتحدث عن حروبهم ومؤامراتهم وغير ذلك من الموضوعات
المفيدة .

وعلى هذا فإن لدينا وصفاً مفصلاً دمج يراع شاهد عيان للحياة في بلاط
آل كرت حتى عصر السلطان غياث الدين . ويكاد يكون كتابه المصدر الوحيد

(١) نفس المصدر ص ٦٣٦ .

(٢) انظر مقدمة الناشر ص ١٩ (X I X) .

الذى يفصل جزئيات الحياة اليومية لإحدى النقط الهامة في إقليم خراسان حتى أوائل القرن الثامن (١) .

وكل الدلائل تدل على أن المؤلف ثقة يعتمد على أصح الوثائق الرسمية وأدقها ، وطريقته في التاريخ جديرة بالاحترام والتمجيد فهو يمثل المؤرخ العالم الذى ينقل الحوادث مفصلة مبسطة ولايحيد عن طريق الصدق والصواب وطالما كان يصرح بأنه يكتب فقط كل ما هو محقق وموثوق به وي طرح جانباً كل ما هو زائف باطل (٢) .

وقصارى القول أن « سيف » تحرى منتهى الدقة في ضبط الحوادث وكان يهتم بذكر جوانب من أخلاق كل شخص تحدث عنه من الحكام والأمراء والوجوه والقواد والغادين والرائحين مؤيداً أقواله بالحكم والأشعار والآيات القرآنية والأحاديث النبوية . ونظراً لأن الوقائع الهامة التى شملها جزء كبير من الكتاب ، كلها قد حدثت في عصر المؤلف فإن ما ذكره عنها إنما هو من اطلاعاته الشخصية ومشاهداته ومسموعاته . وأما الحوادث السابقة لعصره فقد استقاها من المصادر الأخرى التى ذكرها في كتابه وأهمها :

- ١ - تاريخ هراة تأليف عبد الرحمن بن عبد الجبار الفاي .
 - ٢ - كرت نامه لربيعى البوشنجى .
 - ٣ - طبقات ناصرى لمنهاج السراج الجوزجاني .
 - ٤ - تاريخ جهانگشا لعطا ملك الجوينى .
 - ٥ - « تاريخ غازانى » (٣) أى المجلد الأول من كتاب جامع التواريخ المشتمل على تاريخ المغول لرشيد الدين فضل الله .
- ويلاحظ أن المؤلف كان ينقل عن جامع التواريخ العبارات بنصها بينما كان يتصرف فيما ينقله عن غيره تارة بالزيادة وتارة بالنقصان وأحياناً

(١) انظر مجله دانش ، السنة الأولى ، العدد الثانى عشر ، اسفند ماه ١٣٢٨ هـ . ش = مارس ١٩٤٩ ، ص ٦٢٩ .

(٢) انظر تاريخ نامه هراة ، ص ٨ و ١٤٠ .

(٣) انظر نفس المصدر ، ص ٥٧ - ٥٨ .

بالتهديب إلى غير ذلك . فكنا نجد في أما كن متعددة من كتابه عبارة : « وخواجه رشيد الدولة در تاريخ نامه كه موسوم است بتاريخ غازاني » آورده است » (١). وفي موضع آخر نرى هذه العبارة : « ودر تاريخ غازاني مذکور است » (٢). والمؤرخ يلقب رشيد الدين « برشيد الدولة » جرياً على عادة المؤرخين الذين أصرّوا على إعطائه هذا اللقب دون غيره لأنه في نظرهم لم يكن مسلماً مخلصاً . كذلك صار كتاب « سيف » مرجعاً للمؤرخين الذين أتوا من بعده من أمثال حافظ آبرو وعبد الرازق السمرقندي فكانا يقتبسان منه إما بالتلخيص وإما بنقل عبارة المؤلف بنصها .

قيمة الكتاب الأدبية :

لهذا الكتاب — فضلاً عن مزاياه التاريخية التي تحدثنا عنها — قيمة أدبية ممتازة لأنه يحتوي على تفصيلات هامة عن حياة بعض الشعراء المعاصرين للمؤلف مثل ربيعي الپوشنجي وغيره من شعراء القرن الثامن ، كما أنه يكشف النقاب عن الزوايا الخفية والنقط المجهولة من حياة بعض العلماء الذين كانوا يعاصرونه . وبالإضافة إلى هذا كان مؤلفه يتمثل بكثير من الأشعار العربية والفارسية استعملها في مكانها اللائق . ولما كان أغلب هذه الأشعار قد ضاع أو لازل في بطون المخطوطات ينتظر النشر وذلك مثل المنظومة الحماسية « كرت نامه » لربيعي الپوشنجي وسائر الآثار المنظومة التي ألّفها المؤلف ولم تصل إلينا فإن هذا لما يزيد في أهمية الكتاب . يقول الأستاذ « سيد محمد كاظم » : « هذا الكتاب يعد الأثر الوحيد من بين المصادر الفارسية الذي تناول بالتفصيل شرح أحوال الشاعر ربيعي الپوشنجي ؛ فرغم ارتفاع منزلة هذا الشاعر الأدبية لا تكاد كتب الأدب الفارسي تذكر عنه شيئاً . أما الهروي فقد عقد فصلاً في شرح أحوال ربيعي وتمثل بما لا يقل عن ٢٥٠ بيتاً من أشعاره نقلها من منظومته التاريخية المسماة « بكرت نامه » . وهذا المقدار وحده كاف للتدليل على المقام السامي لهذا الشاعر ومنظومته التاريخية » (٣) .

(١) نفس المصدر ، ص ١٠١ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٠٤ .

(٣) انظر « مجلة دانش » ، العدد ١٢ السنة الأولى ص ٦٢٩ .

نتقل الآن إلى مؤرخ كبير غزير المادة كثير التأليف عاش في العصر التيموري ، لم يتأثر بكتاب رشيد الدين فحسب بل قام بعمل هام آخر هو تكملة كتاب رشيد الدين نفسه .

اسمه شهاب الدين عبد الله بن لطف الله بن عبد الرشيد الخوافي المدعو بحافظ آبرو (١) . ولد في « خواف » (٢) ، ونما ونشأ في همذان ، ولا يعلم تاريخ ميلاده على وجه التحقيق . ويرجح الدكتور بياني أنه ولد في سنة ٧٦٣هـ (٣) التحق بخدمة الأمير تيمورلنك وصحبه في حروبه وغزواته ، وشاهد ما جرى من حوادث ، وكان ملازماً له عند ما استولى على حلب ودمشق في سنة ٨٠٣هـ (٤) . وبعد موت تيمور التحق بخدمة ابنه وخليفته « شاهرخ » وعاش في العاصمة هراة ثم اتصل بحفيده « بايسنقر » . وهكذا عاش حتى توفي في أواخر سنة ٨٣٣ كما يستفاد من قول معاصره فصيح الخوافي في نهاية حوادث هذه السنة (٥) . « وفات مولانا اعظم مولانا شهاب الدين عبد الله خوافي المعروف به حافظ آبرو جامع مجمع التواريخ السلطاني في يوم الأحد ثالث شوال بموضع سرچم بوقت معاودت ، حضرت أعلى خاقاني از آذر بايجان مدفوناً بزنجان قريب بزار شيخ رباني أخى ابوالفرج الزنجاني » (٦) . أهم مؤلفات حافظ آبرو :

١ - في سنة ٨٢٠ أمره شاهرخ بجمع أخبار العالم فأخذ يعد نفسه لهذا

(١) ذكر عبد الرزاق السمرقندى وتبعه في ذلك كثير من المؤرخين منهم خوندمير (حبيب السير ٣ ، ج ٣ ص ١٤٤ أن اسم مؤلفنا « نورالدين لطف الله بن عبد الله الهروي » ونحن نرجح رواية موطنه ومعاصره فصيح الخوافي خصوصاً وأن المؤلف نفسه ذكر أن اسمه عبد الله وأما لطف الله فهو اسم أبيه (انظر حافظ آبرو : ذيل كتاب ظفر نامه نظام الدين شامى ص ٩) .

(٢) مدينة بخراسان (القروينى : آثار البلاد ص ٢٤٤) .

(٣) انظر ذيل جامع التواريخ ، ص ج .

(٤) انظر حافظ آبرو : ذيل ظفر نامه ص ٩ Browne: Lit. His Pres. III, p.425.

(٥) انظر براون : التاريخ الأدبى لإيران ترجمة الأستاذ على أصغر حكت ، ج ٣ ص ٤٧٦ .

(٦) كان من كبار رجال الصوفية توفى في سنة ٥٧٤ (انظر شرح أحواله في كتاب نفحات

الأنس لجامى ص ١٤٧ - ١٤٨) .

العمل واختار مجموعة من أهم الكتب التاريخية المعروفة في ذلك الوقت كانت تشمل على الترجمة الفارسية التي كتبها البلعمي (١) لتاريخ الطبري ، وكتاب جامع التواريخ لرشيد الدين ، وظفرنامه لنظام الدين الشامي (٢) ونسخ تلك الكتب كلمة كلمة (٣) .

ولما كان كتاب جامع التواريخ يشتمل على ذكر الحوادث التاريخية حتى عهد غازان فقط ؛ عهد شاهرخ إلى حافظ آبرو بأن يكمل هذا الكتاب فألف ذيل جامع التواريخ وابتدأ بذكر تاريخ أوبلجايو أي من حيث انتهى رشيد الدين ، ثم وصل به إلى حوادث سنة ٨٢٠ (٤) .

يقول في مقدمة كتابه الجغرافي : « حضرت سلطنت شعاري خلد الله تعالى ملكه وسلطانه ازشعف واهتمامي كه بمطالعة تواريخ وآثار گذشتگان دارد در أنساب وأحوال أُمم ومواقف ومجاري ملوك ترك وعرب وعجم وشعب آنعلم خوضي تمام فرموده وبر تصاريف احداث واقف گشته اشارت فرمود بكتابت مجموعه كه حاوي اقسام اين فن باشد ومعتبر ترين كتب تواريخ كه حالا در اين روزگار متداول است ترجمه تاريخ محمد بن جرير الطبري است كه أكثر قصص آن نقل از تفاسير است وبآيات كلام الله مستشهد . وآن كتاب بيان أحوال پيغميران وقبائل أعراب وملوك عجم وذكر

(١) هو أبو علي محمد بن محمد البلعمي وزير منصور بن نوح بن نصر الأمير الساماني السادس (٣٥٠ - ٣٦٦) كان مطلعاً اطلاعاً واسعاً على الفنون الأدبية والعلوم الفلسفية والرياضية كما كانت له إحاطة تامة باللغتين العربية والفارسية . اختلف في سنة وفاته فقيل في سنة ٣٦٣ وقيل في سنة ٣٦٨ .

(٢) نظام الدين الشامي هو أول مؤرخ كتب تاريخ تيمور . كان يعيش في بغداد عندما فتحتها تيمور سنة ٧٩٥ فأسرع لقائه ، وقدم الخضوع له . وفي عام ٨٠٤ أمره تيمور أن يؤلف تاريخاً شاملاً لحكمه وغزواته فألف كتاب ظفرنامه وانتهى فيه إلى ذكر حوادث سنة ٨٠٦ أي قبل وفاة تيمور بسنة واحدة (انظر الدكتور إبراهيم أمين الشواربي : مصادر فارسية في التاريخ الإسلامي ص ٢٣ ، ٢٤) .

(٣) انظر ترجمة دائرة المعارف الإسلامية المجلد السابع ص ٢٠٩ ؛

Hafiz-Abru : Chronique des Rois Mongols en Iran, Paris, 1936, pp. XIV-XV.

(٤) نشر الدكتور «بياني» الأستاذ بجامعة طهران القسم الأول من هذا الذيل المشتمل على تاريخ أوبلجايو وأبي سعيد وطرف من تاريخ الدويلات التي أعقبت عصر أبي سعيد حتى آخر حكومة الجلایريين سنة ٧٩٥ في طهران عام ١٣١٧ هـ . ش .

رسالت مآبی علیه افضل الصلوات وأصحاب آنحضرت وبنو أمیة وبنو عباس است تازمان المکتفی بالله که هفدهم بود از خلفای عباس در شهور سنة خمس وتسعين ومائتين . بعد از آن جامع التواریخ رشیدی که تتبع بسیار کرده و أحوال سلاطین وحکام و طوایف جمع گردانیده و آن کتاب بنام سلطان غازان نوشته شده است . و در ابتداء دولت أوجایتو سلطان بتاریخ خمس وسبعمائته و آنچه بعد از این بوقوع پیوسته است إلى یومنا هذا که تاریخ هجری به هشتصد و بیست رسیده خواست که بدان ملحق شود تا این کتاب جامع باشد . این کمترین بندگان را بدان مأمور گردانید که از کلیات وقایع و حوادث روزگار و تغییر و تبدیل حکام و سلاطین کامکار آنچه تواند بقدر وسع جمع گردانیده آن را مذیل سازد . و بعد از آن کتاب ظفر نامه حضرت صاحبقرانی در عقب آن فتوحات و واقعات زمان هما یون حضرت سلطنت شعاری خلد الله ملکه بدان منظم شود « (۱) » .

و ترجمته :

« لشغف حضرة شعار السلطنة — خلد الله تعالى ملکه و سلطانه — و لاهتمامه بقراءة التاريخ ، و الاطلاع على آثار السالفين ، کان میل میلا تما إلى معرفة أنساب الأمم و أحوالها ، و مواقف ملوک الترك و العرب و العجم و سلوکهم و کان یخوض فی فروع ذلك العلم ، و یقف على تصاریف الأحداث ، فأشار بكتابة مجموعة من الكتب تحوی أقسام هذا الفن .

و أهم كتب التاريخ التي هي الآن متداولة في هذا العصر :

(أ) ترجمة تاریخ محمد بن جریر الطبری ، و أكثر روایاته منقول من كتب التفاسیر ، و هو یشهد بالآیات من كلام الله . و قد ألف ذلك الكتاب في شهور سنة ۲۹۵ فی بیان أحوال الرسل و قبائل العرب و ملوک العجم و ذکر رسالة الرسول — علیه أفضل الصلوات — و أصحابه ، و بنی أمیة ، و بنی العباس حتی عهد المکتفی بالله الذی کان الخلیفة السابع عشر من الخلفاء العباسیین .

(۱) ذیل جامع التواریخ صر - ز نقلا عن مخطوط مکتبة ملك بطهران .

(ب) بعد ذلك جامع التواريخ رشيدى الذى بذل فيه مؤلفه جهداً كبيراً وجمع فيه أحوال السلاطين والحكام والطوائف . وذلك الكتاب كان قد ألف باسم السلطان غازان خان ، وتم بتاريخ سنة ٧٠٥ فى بداية حكم أوجلايتو . ولكى يكون هذا الكتاب جامعاً ؛ رغب السلطان فى أن يلحق به ما وقع بعد ذلك من أحداث إلى يومنا هذا الذى بلغ فيه التاريخ الهجرى سنة ٨٢٠ فأمر أقل العباد بأن يجمع - بقدر ما فى وسعه - كليات الوقائع وأحداث العصر ، وتغيير الحكام والسلاطين المظفرين وتبديلهم ويجعل ذلك ذيلًا لكتاب جامع التواريخ .

(ج) ثم كتاب ظفر نامه فى تاريخ حضرة صاحب القران (المراد به تيمورلنك) ، على أن يعقبه تاريخ تلك الفتوحات وأحداث العهد المبارك لحضرة شعار السلطنة - خلد الله ملكه » .

٢ - مجمع التواريخ : فى عام ٨٢٦ هـ تلقى حافظ آبرو الأمر من الأمير بایسنقر بهادر خان الابن الثالث لشاهرخ ليقوم بتأليف كتاب جامع فى التاريخ العام من بدء الخليفة حتى سنة ٨٣٠ (١) . وهذا الكتاب يقع فى أربعة مجلدات يطلق على كل مجلد اسم « ريع » .

الربع الأول : يشتمل على مقدمة يذكر فيها سبب تأليف هذا الكتاب والمصادر التى اعتمد عليها فى استقاء معلوماته فيذكر من بينها كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين (٢) . وبعد ذلك يسرد تاريخ الأنبياء والرسل الذين جاءوا قبل الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم ملوك الفرس القدماء حتى الملك يزدرجرد الثالث آخر الملوك الساسانيين .

الربع الثانى : يشتمل على تاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين وبني أمية وبني العباس حتى سقوط خلافتهم بقتل المستعصم عام ٦٥٦ هـ .

(١) يزعم خوند مير أن هذا الكتاب يشتمل على الحوادث التاريخية منذ بدء الخليفة حتى سنة ٨٢٩ فقط (حبيب السير ، م ٣ ج ٣ ص ١٤٤) .
(٢) انظر ذيل جامع التواريخ ، ص ٣ من المقدمة .

الربع الثالث : هو أهم المجلدات جميعاً : ويشتمل على تاريخ إيران بعد سقوط الخلافة العباسية حتى موت السلطان أبي سعيد بهادر خان عام ٧٣٦ هـ . وهذا المجلد ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : في تاريخ الدويلات المختلفة بعد الإسلام وهي الصفارية والسامانية والديلمية والغزنوية والسلاجقة والأتابكة والغورية والحوارزمية والقراطائية . وفي هذا القسم يعيد المؤلف تاريخ الخلفاء العباسيين أيضاً حتى قتل المستعصم .

القسم الثاني : في تاريخ أصناف المغول وكيفية تشعبهم وذكر آباء وأجداد جنكيز خان ، والقبائل التي ينتسبون إليها ، وحكم جنكيز وأبنائه وأحفاده في منغوليا والصين وإيران .

ولاشك في أن هذا المجلد هو أهم المجلدات الأربعة بل لعله أقيم وأفيد مؤلفات حافظ آبرو جميعها وذلك لأنه يحتوي على تاريخ الدويلات التي حكمت إيران بطور مفصل واضح . وتبلغ قيمته الذروة إذا ما علمنا بأن قدراً كبيراً من تاريخ هذه الدويلات لازال غامضاً (١) .

الربع الرابع : ينقسم كذلك إلى قسمين :

القسم الأول : ويشتمل على تاريخ الأمير تيمور گوركان .

القسم الثاني : ويشتمل على تاريخ شاهرخ حتى سنة ٨٣٠ ويطلق على هذا الجزء اسم « زبدة التواريخ » بايسنقرى (٢) . وأما الكتاب بأجزائه الأربعة فاسمه كما ذكر فصيح الخوافي « مجمع التواريخ السلطانية » (٣) .

وكان يظن أن المجلدين الثالث والرابع مفقودان ولم يعثر عليهما (٤) غير

(١) انظر مجلة يادگار السنة الرابعة العدد ٩ ، ١٠ ، خرداد - تير ١٣٢٧ هـ . ش يونيه -

يولية ١٩٤٨ ص ١٧٦ .

(٢) صرح المؤلف بهذا فقال : واين ربع را زبدة التواريخ بايسنقرى نام نهاد (ذيل

جامع التواريخ ص أب نقلا عن مقدمة الربع الرابع لحافظ آبرو) .

(٣) براون : التاريخ الأدبي لإيران ، ج ٣ ص ٤٢٥ .

(٤) انظر (Baron Victor Rosen: Collections Scientifique (Manuscripts Persans

Vol. III, p.53.

أنهما موجودان الآن في مكتبات طهران فالمجلد الثالث توجد منه نسختان إحداهما في مكتبة ملك (١) . والأخرى في المكتبة الأهلية وقد أتيت لي فرصة الاطلاع على تلك النسخة الأخيرة ، وأفدت منها في مواضع كثيرة من هذا البحث . وهي نسخة قيمة جداً مقاسها ١٧ × ٢٥ سنتيمتر . وعدد أوراقها ٤٧٥ ورقة ، وتشتمل كل صفحة على ٢٩ سطراً والخط نستعليق واضح القراءة والعناوين مكتوبة بالمداد الأحمر والنسخة غير مرقومة وتاريخ تحريرها عام ٨٣٠ أى أنها كتبت في حياة المؤلف نفسه ، وقبل وفاته بثلاث سنوات . ويبدو أنها النسخة الأصلية التي أمر شاهرخ بتحريرها لتوضع في مكتبته الخاصة ولهذا كانت لها أهمية كبيرة (٢) . وأما المجلد الرابع فتوجد منه نسختان في مكتبة ملك بطهران (٣) .

من المؤلفات الأخرى لحافظ آبرو كتاب « ذيل ظفر نامه نظام الدين الشامى » كتبه في سنة ٨١٤ بناء على أمر شاهرخ بهادر خان وضمنه حوادث السنة الأخيرة من حياة تيمور وهي سنة ٨٠٧ ، كما أنه أعاد ذكر هذا القسم في كتابه زبدة التواريخ بایستقرى .

كذلك له كتاب آخر في الجغرافيا كتبه باللغة الفارسية تلبية لطلب شاهرخ أيضاً ما بين سنة ٨٢٠ ، ٨٢٣ . وهذا الكتاب يحتوي على إشارات تاريخية هامة عن إقليم خراسان .

مما تقدم نرى أن حافظ آبرو كان غزير التصنيف والتأليف ، ضمن كتبه أخباراً كثيرة استقاها من المؤلفات التي فقدت منذ عهده . أما عن الحوادث التي جرت في عصره والأحوال التي كانت سائدة فيه فإن الخاصة بها من كتبه تعد مراجع من الدرجة الأولى (٤) .

ومن المهم أن نقرر هنا أن حافظ آبرو بوضعه ذيل جامع التواريخ

(١) انظر ذيل جامع التواريخ ، ص ١ من المقدمة .

(٢) مجلة یادگار ، السنة الرابعة ، العدد ٩ ، ص ١٠ ، ١٧٤ - ١٧٥ .

(٣) ذيل جامع التواريخ ص أب - أت من المقدمة .

(٤) انظر ترجمة دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد السابع ص ٢٦١ .

يكون قد تم هذا العمل الخالد الذى قام به المؤرخ الكبير رشيد الدين . وفى الحقيقة كانت هذه التكملة ضرورية جداً ليكون تاريخ المغول بأكمله تحت تصرف الباحث فى سلسلة واضحة المعالم متصلة الحلقات . ثم إن حافظ آبرو قدر عمل رشيد الدين فعكف على كتابه يستنسخه كلمة كلمة . ليس هذا فحسب بل استفاد بما جاء فى هذا الكتاب ، وأخذ عنه كثيراً عندما ألف كتابه مجمع التواريخ ، بل سار فى جزء كبير من هذا الكتاب على نفس النمط الذى اختاره رشيد الدين لكتابه . وسوف يذكر لحافظ آبرو بالحمد والثناء نقله المصادر الموثوق بها وفى مقدمتها جامع التواريخ لأنه بهذا قد حفظها لنا من الضياع . وأخيراً يجب أن نذكر أن حافظ آبرو قد صار بدوره إماماً اتبعه من جاء بعده من المؤرخين من أمثال عبد الرزاق السمرقندى وميرخواند وخوندمير فكانوا ثلاثهم ينقلون عنه كثيراً ، وخصوصاً عبد الرزاق السمرقندى الذى كان حريصاً على أن ينقل عبارة حافظ آبرو بنصها وأحياناً مع الاختصار .

٥ - ميرخواند

يعد هذا المؤلف كذلك أحد الذين تأثروا برشيد الدين ، واستفادوا بما كتب . وهو محمد بن خاوند شاه بن محمود المعروف بميرخواند ألف هذا الرجل كتاباً ضخماً حاز شهرة فى إيران اسمه روضة الصفا فى سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء . ويعرف اختصاراً باسم روضة الصفا .

والمعروف عن المؤلف قليل جداً فهو من أسرة عريقة تنتسب إلى الأشراف وكانت تقطن بخارى . ثم هاجر والده « سيد برهان الدين » (١) من بخارى واستقر فى بلخ حيث توفى هناك . وأما مؤلفنا فقد ولد فى سنة ٨٣٧ وأمضى جزءاً كبيراً من حياته فى هراة حيث التحق بخدمة الأمير على شيرنوائى (٢) ، وأقام هناك حتى أدركته الوفاة بعد مرض طويل فى الثانى من ذى القعدة عام ٩٠٣ فى سن السادسة والستين .

(١) ذكر مؤلف مجالس المؤمنين (ص ٩٤ ، ٢٧٠ طبع طهران) أن اسم والد ميرخواند «سيد خواند شاه» بدون ذكر برهان الدين .

(٢) كان زميلاً فى الدراسة للسلطان حسين ميرزا بايقرا ، وقد طلبه السلطان حسين سنة ٨٧٣ من سمرقند ومنحه منصب «حامل الأختام» وكان هو الشخص الأول فى الدولة المفضل على =

وكتابه روضة الصفا يقع فى سبعة أجزاء :

الجزء الأول : فى بيان أول المخلوقات وذكر قصص الأنبياء وملوك العجم والحكام

الجزء الثانى : فى بيان أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم وغزواته وخلفائه الراشدين

الجزء الثالث : فى ذكر الأئمة الاثنى عشرية وخلفاء بنى أمية وبنى العباس .

الجزء الرابع : فى ذكر الدويلات الإسلامية التى حكمت فى فارس فى عهد الدولة العباسية .

الجزء الخامس : فى تاريخ أحوال سلاطين المغول والتتار وحكومة الإيلخانيين فى إيران .

الجزء السادس : فى ذكر تاريخ تيمور وخلفائه حتى سنة ٨٧٣ .

الجزء السابع : يتناول تاريخ حياة ممدوحه ومرييه أبى الغازى السلطان حسين بايقرا (١) من يوم ولادته حتى وفاته ، كما يشتمل كذلك على تاريخ أولاده حتى سنة ٩٢٩ هـ .

= الجميع . وظل يتمتع بتلك المنزلة الكبيرة حتى توفى فى سنة ٩٠٦ . كان على شير أدبيا عالما يشجع الأدباء والعلماء ويعد أعظم طلائع الأدب التركى الحفظائى . له ديوان شعر بالتركية والفارسية والـ ألف كتاب مجالس النفائس باللغة التركية الحفظائية يشتمل على شرح أحوال الشعراء الذين كانوا يعاصرونه ، وقد ترجم هذا الكتاب إلى الفارسية فى القرن العاشر الهجرى ونشره الأستاذ على أصغر حكمت فى طهران عام ١٣٢٣ . هـ . ش . وبالإضافة إلى هذا له مؤلفات أخرى عديدة أهمها خمسة المتحيرين فى شرح أحوال الشاعر عبد الرحمن الجامى (انظر تحفه سامى ص ١٨ طبع طهران) . (١) السلطان حسين ميرزا بايقرا (٨٧٥ - ٩١١) هو حفيد بايقرا بن عمر الشيخ بن الأمير تيمور توفى فى ١٦ من ذى الحجة عام ٩١١ بعد أن أمضى ٣٦ سنة فى الحكم .

يعد هذا الرجل من أشهر الأمراء التيموريين ، كان عصره من أروع العصور فى تاريخ الحضارة الإيرانية ، إذ كان بلاطه يجمع العلماء والأدباء والخطاطين والمصورين ويكنى للتدليل على روعة هذا العصر أن نذكر أنه كان يعيش فيه الشاعر نور الدين عبد الرحمن الجامى والمؤرخ ميرخواند والمصور بهزاد . وقد بذل السلطان حسين كل ما يمكن أن يبذله ملك فى سبيل تشجيع العلماء والأدباء وتزيين عاصمته بأفخم العمارات والأبنية التى كانت تعد نموذجا حسنا لفن العمارة الإسلامية وكان من أهمها مكتبته النفيسة والمدرسة الكبيرة التى لم يسمع الناس بمثلها فى تلك العهود .

ولما كنا قد ذكرنا أن المؤلف توفي عقب مرض مزمن في ذى القعدة عام ٩٠٣ ؛ فإنه يكون من المؤكد أن شخصاً آخر هو الذى كتب تاريخ الفترة الباقية حتى سنة ٩٢٩ وألحقه بالكتاب . ويرجح أن يكون هو حفيده خوندمير صاحب حبيب السير إذ أن ما ذكر في هذا الجزء يتفق تماماً مع ما كتبه خوندمير . يقول فرهاد ميرزا . « جلد هفتم روضة الصفا كه در اين مدت كتاب قديم نوشته اند و در اين زمانها چاپ كرده اند بتمامه از حبيب السير نقل كرده ضميمه روضة الصفا كرده اند » (١) .

ومن التقسيم السابق يتضح أن هذا الكتاب من نوع التاريخ العام . ولا شك أن مؤلفه اطلع على كتاب رشيد الدين ونقل عنه فهو يذكره ضمن مؤرخي العجم الذين رجع إليهم فيقول : « وخواجه رشيد الدين طبيب صاحب جامع » (٢) . كما أنه ينقل عن صاحب تاريخ الوصاف وعن حافظ آبرو .

ولشمول كتاب روضة الصفا واتساع مطالبه نال شهرة كبيرة في إيران وفي خارج إيران يدل على ذلك الطبعات العديدة التي صادفها هذا الكتاب فقد طبع في بمباي مرتين الأولى في سنة ١٢٦٦ والثانية في سنة ١٢٧١ ، وطبع في طهران عام ١٢٧٠ ، وترجم إلى اللغة التركية وطبع في استانبول عام ١٢٥٨ هـ . وبالإضافة إلى هذا ترجمت أجزاء متفرقة من هذا الكتاب في فترات مختلفة .

ولأهمية هذا الكتاب نرى أيضاً أنه في العهد القاجارى الأخير ألف أحد الكتاب المشهورين وهو رضاقلی خان المتخلص « بهدايت » ذيلاً لهذا الكتاب سماه « متمم روضة الصفا » ، وضممنه الحوادث التاريخية التي أعقبت نهاية روضة الصفا حتى عهد السلطان ناصر الدين شاه . ويعتبر هذا الذيل منبعاً هاماً للوقوف على تاريخ إيران في الأزمنة الأخيرة لا سيما الحروب الداخلية التي حدثت في ذلك الوقت (٣) .

(١) زينيل فرهاد ، ص ٢٠٠ طبع طهران .

(٢) ميرخواند : روضة الصفا ، ص ٨ طبع طهران .

(٣) انظر براون : التاريخ الأدبي لإيران ، ج ٣ ص ٤٣٢ .

مؤرخ آخر ظهر تأثير رشيد الدين فيه بوضوح أكثر من سلفه ميرخواند هو غياث الدين بن همام الدين المشهور بخوندمير (١) ، وأبوه هو مولانا « الخواجه همام الدين محمد بن برهان الدين محمد الشيرازي » . كان ينهض بأعباء الوزارة للسلطان محمود ميرزا بن السلطان أبي سعيد گوركان عدة سنوات (٢) وأمه هي ابنة ميرخواند مؤلف روضة الصفا ، فيرخواند إذن هو جده لأمه وليس أباه كما ظن خطأ بعض المؤرخين (٣) .

ولد مؤلفنا في هراة في سنة ٨٨٠ أو في السنة التي تليها . وقد حصل في صغره المعارف المعروفة في عصره من طب وتفسير وشعر وأدب ولغة . وصارت معلوماته تنمو شيئاً فشيئاً لدرجة أنه أصبح مقرباً إلى الأمير على شيرنوائى الذي كان محضره مجمع العلماء والفضلاء في أواخر القرن التاسع . وإن بلوغه هذا الحد الكبير من الثقافة ، ليرجع قبل كل شيء إلى أسرته التي كان معظم أفرادها علماء أفاضل من كبار الشخصيات في خراسان . وقد عرفنا من هؤلاء جده لأمه ميرخواند المؤرخ المعروف والكاتب الكبير فكان يلقي منه العناية والرعاية وهو الذى أشرف على توجيهه وتربيته ، وغرس في نفسه حبه للعلم والأدب .

شغف خوندمير بالتاريخ أكثر من شغفه بأى فرع آخر من فروع الأدب . ولما لمس على شير استعداده ونبوغه ألحقه بخدمته ووضع مكتبته الزاخرة بروائع الكتب - تحت تصرفه ، فعكف مؤلفنا على تلك الكتب يطالعها ويستفيد بما حوته من معلومات فاستطاع بذلك أن يؤلف كتابه خلاصة الأخبار في مدة ستة أشهر ، وأن يقدمه إلى الأمير على شير (٤) .

-
- (١) هذه الكلمة تكتب بصور مختلفة خوندمير أو خواندمير أو خواندامير .
 (٢) انظر خوندمير : حبيب السير ، م ٣ ج ٣ ص ١٩٤ ؛ دستور الوزراء ص ٧ .
 (٣) فرهاد ميرزا : زنبيل ص ٣٩ ، ٩٩ ، ٢٠٠ ؛ حاجى خليفة : كشف الظنون المجلد الأول ص ٧١٧ ، ٩٢٧ .
 (٤) « أما عالم السر والخفيات آگاهست كه اگر نه يمن اعتنا وحسن اهتمام عاليحضرت خداوند گارى هدايت شعارى بودى آنچه در قرب شياه نوشته شده بمدت شش سال باتمام نرسيدى (خوندمير : خلاصة الأخبار ، مخطوط الأستاذ جعفر سلطان القرائى بطهران) .

ومنذ ذلك الوقت صارت منزلته ترتفع على مر الأيام وتعلو مرتبته لدى
الأمراء التيموريين فاتخذوه نديماً ، وتوطدت علاقات الود والمحبة بينه وبينهم .
ولكنه كان يؤثر عليهم « بديع الزمان ميرزا » (١) الابن الأكبر للسلطان حسين
بايقرا . وقد بقي في خدمته حتى خاتمة الدولة التيمورية . وكان في هراة حين
استولى عليها الشيباني عام ٩١٣ هـ فلقى كثيراً من الضيق والحر ج . وكان مقيماً
بها أيضاً عام ٩١٦ هـ حينما قتل الشاه إسماعيل الصفوي « الشيباني » . وانتزع
منه هراة .

وفي سنة ٩٢٠ كان يعيش في عزلة في قرية « بشت » إحدى القرى
بغرجستان وصار يشتغل هناك بالتأليف . ثم رحل إلى الهند عام ٩٣٤ ، واتصل
بالأمير « بابر » وصحبه في حملته إلى البنغال . وبعد موت بابر سنة ٩٣٧ التحق
بخدمة ابنه الأمير همايون ، وصحبه في حملته على كجرات ، وعند عودته توفي
على الأرجح سنة ٩٤٢ هـ (٢) . وهناك رأى آخر يقول إنه توفي أثناء ملازمته
للأمير همايون في كجرات على أثر إصابته بمرض الإسهال ، وحمل نعشه
إلى دلهي حيث ووري التراب (٣) .

كان خوندمير كاتباً غزير المادة ، ألف كثيراً من الكتب (٤) يهمننا منها

(١) هو الابن الأكبر للسلطان حسين ميرزا بايقرا . وعلى حسب ما يروى في مجالس
النفائس (ص ٣١٥ طبع طهران) وتحفة سامي (ص ١٢ طبع طهران) كان على شاكلة أبيه
شغوفاً بالأدب ميالاً إلى تشجيع العلماء والأدباء ؛ خصوصاً وأنه نفسه كان شاعراً . وقد وردت
له عدة أبيات في كتاب تحفة سامي (ص ١٣) . وبالإضافة إلى علمه وفضله كان شجاعاً مقداماً
جواداً كريماً . ولكن رغم هذه الخصال لم ينل من الدنيا سوى الحسرة والألم والتشرد . هزمه محمد
خان الشيباني عام ٩١٣ فلبجاً إلى حماية الشاه إسماعيل مع جماعة آخرين في الري . ثم خاض عدة معارك
في سبيل استرداد ملكه لم يكن نصيبه منها غير الفشل . وأخيراً لجأ إلى السلطان سليم في استانبول
عام ٩٢٠ ولم يمض عليه وقت طويل حتى توفي هناك بمرض الطاعون .

(٢) انظر شاهد صادق ، مخطوط مكتبة مجلس النواب الإيراني ، ص ٣٩٠ ؛ Storey:
Persian Literature, p. ١٠١, دستورالوزراء ص ب - ت من مقدمة الناشر الأستاذ سعيد نفيسي.

(٣) انظر تاريخ فرشته ج ١ ص ٤٠٢ .

(٤) انظر خوندمير : دستورالوزراء ، مقدمة الناشر الأستاذ سعيد نفيسي ، طهران

١٣١٧ هـ . ش ؛ رجال حبيب السير ، مقدمة الناشر الأستاذ عبد الحسين نوائى طهران ١٣٢٤ .

هـ . ش .

كتابه الذائع الصيت « حبيب السير في أخبار أفراد البشر » ففضلا عن أنه أكبر وأحسن آثار خوندمير فإنه يتصل كذلك اتصالا مباشراً بموضوع دراستنا من حيث تأثيره بكتاب رشيد الدين .

شرع خوندمير في تأليفه بناء على أمر الأمير غياث الدين محمد بن يوسف الحسيني (١) . وبينما هو منكب على عمله في التأليف قتل ممدوحه ومخدومه بيد الأمير خان أحد حكام خراسان (٢) . وكان قتل هذا الرجل داعياً لإثارة القلاقل والفتن في ذلك الإقليم . وفي هذا الجو المكفهر وجد خوندمير أنه يتعذر عليه أن يتابع التأليف ، وفقد كل أمل في أن ينجز ما بدأه من عمل ، وانتظر يترقب هدوء الحالة واستقرار الأمور في هراة ليعاود التأليف مرة أخرى . ومن حسن الحظ أنه لم يطل صبره طويلا ؛ إذ أرسل الشاه إسماعيل « دورمش خان » حاكماً جديداً على خراسان فأعاد الأمن وأقر النظام فيها . وقد اختار « دورمش » هذا خواجه كريم الدين حبيب الله الساجي وزيراً له ، وكان رجلاً شهماً كريماً يميل إلى العلماء والأدباء ، فأسرع خوندمير إلى خدمته ، وعرض عليه الأجزاء المشتتة من كتابه فشجعه على إتمامه ؛ لاسيما وأنه كان هو أيضاً من المؤرخين ورجال الحديث . كما كان على علم بأحوال السابقين . وهكذا وجد خوندمير الفرصة أمامه سانحة لاستئناف العمل . ولما كان لهذا الوزير الأديب أكبر الفضل في تشجيع خوندمير على تأليف كتابه سماه باسمه .

وكتاب حبيب السير من نوع التاريخ العام شرع المؤلف في تأليفه عام ٩٢٧ . وهو يشتمل على الحوادث التاريخية منذ بدء الخليقة حتى سنة ٩٣٠ هـ ويقع في ثلاثة مجلدات يندرج تحت كل مجلد عدد من الأجزاء على النحو الآتي : —

المجلد الأول : عبارة عن مقدمة وأربعة أجزاء :

(١) كان يتولى التدريس في إحدى المدارس بهراة ، وكان مقرباً إلى السلطان وأتباعه ، ثم أصبح قاضياً في خراسان زمن الشاه إسماعيل الصفوي .

(٢) انظر تفاصيل هذه الحادثة في كتاب حبيب السير م ٣ ج ٤ ص ٩٨ - ١٠٠

المقدمة : فى تاريخ خلق العالم

الجزء الأول : الأنبياء والرسل والحكماء

الجزء الثانى : ملوك العجم والعرب الأقدمين

الجزء الثالث : فى سيرة النبي وغزواته

الجزء الرابع : تاريخ الخلفاء الراشدين

المجلد الثانى : فى أربعة أجزاء :

الجزء الأول : تاريخ الأئمة الاثنى عشرية

الجزء الثانى : بنو أمية .

الجزء الثالث : بنو العباس .

الجزء الرابع : تاريخ الدول الفارسية المعاصرة للخلافة العباسية .

المجلد الثالث : فى أربعة أجزاء .

الجزء الأول : تاريخ المغول الإيلخانيين .

الجزء الثانى : تاريخ الدول المعاصرة لدولة المغول الإيلخانيين .

الجزء الثالث : تاريخ تيمور وأعقابه .

الجزء الرابع : تاريخ الشاه إسماعيل الصفوى إلى سنة ٩٣٠ هـ .

الخاتمة : فى ذكر بدائع الربع المسكون وغرائب ، ووقائع العالم وعجائبه .

هذا الكتاب كما قلنا يعد أكبر وأحسن وأشهر مؤلفات خوندمير .

ولاشك أن القسم التاريخى الذى يشمل الحوادث التى عاصرها المؤلف مثل

تاريخ السلطان حسين بايقرا وأبنائه والشاه إسماعيل وبابر والشيبانى يعد من

أوثق وأدق المصادر ، وقد لا يعد له مرجع آخر فى دراسة هذه الموضوعات .

يقول الأستاذ سعيد نفيسى : « إن المؤلف بواسطة كتابه حبيب السر

يعتبر أحد كتاب الفرس المشهورين فى القرن العاشر الهجرى ، ويجوز أن

يكون إلى عصرنا هذا أيضاً أوفى كتاب ألف فى تاريخ إيران حتى بدء الدولة

الصفوية » (١) .

(١) خوندمير : دستور الوزراء ، ص « أ » من مقدمة الناشر .

ميزة أخرى لهذا الكتاب هو أنه يتحدث عن رجال العلم والأدب والمؤرخين في مختلف العصور ، ويترجم لهم تراجم مختصرة الأمر الذي يجعل كتابه سجلاً تاريخياً أدبياً كبير القيمة (١) .

كذلك نلاحظ أن خوندمير في خاتمة كتابه قد عقد فصلاً في بيان عجائب البلاد والأطراف ، وما ذكره في هذا القسم يعتبر مقياساً لثقافة الإيرانيين ومدى معلوماتهم عن أوضاع الدنيا في القرنين التاسع والعاشر الهجريين .

والكتاب كما يبدو من التقسيم السابق عبارة عن موسوعة تاريخية حرص مؤلفها على أن تجيء شاملة لتاريخ إيران في شتى العصور .

ومن الواضح أن خوندمير سار على نهج رشيد الدين ، وتأثر بكتابه جامع التواريخ ونقل عنه كثيراً . وكان يصرح بهذا فهو مثلاً حين يتحدث عن أخلاق غازان خان وإصلاحاته تحت عنوان : « ذكر شمه از محاسن اوصاف وحماد آثار غازانی ، وبيان قوانين پسند يده آن » (٢) ، مدح هذا العاهل وأثنى عليه بما هو أهله ، وكشف عن نواحي العظمة في شخصيته ، وذكر أنه لم يقصر في تأسيس بناء الدولة ، وتمهيد مراسم العدل ، والاهتمام بشئون الرعية . وقد ساق خوندمير عشرين حكاية لتكون دليل صدق وشاهد عدل لإثبات ما يدعيه ، واعترف بأنه نقل هذه الحكايات من كتاب جامع التواريخ (٣) . ولم يكتف بهذا بل كان ينص في أغلب هذه الحكايات على أنه نقلها عن رشيد الدين ، ويعبر عن ذلك بعبارات مختلفة منها : « از سياق كلام قدوة وزراء آفاق جواهر رشيد الدين فضل الله طاب ثراه » (٤) أو « در جامع رشیدی مسطوراست » (٥) وأحياناً نجد عبارة : « در جامع رشیدی بنظر در آمده » (٦)

(١) الدكتور إبراهيم أمين الشواربي : مصادر فارسية في التاريخ الإسلامي ، ص ٣٦ .

(٢) انظر خوندمير : حبيب السير ، م ٣ ج ٣ ص ٩١ وما بعدها .

(٣) « ودر تأسيس مبانی سلطنت و سروری و تمهید مراسم عدالت و رعیت پروری هرگز از خود تقصیر راضی نبود . ودلائل صدق این معانی وشواهد عدل این دعاوی بیست حکایتست که خامه بلاغت مآب از کتاب جامع نقل می نماید » (حبيب السير ، م ٣ ج ٣ ص ٩١) .

(٤) نفس المصدر ص ٩٤ .

(٥) نفس المصدر ص ٩٥ .

(٦) نفس المصدر ص ١٠٢ .

إلى غير ذلك من العبارات التي تختلف في اللفظ وتتفق في المعنى .
كذلك كان خوندمير ينقل عن « روضة الصفا » في أماكن عديدة من كتابه ، ولكنه مع هذا كان يفيض القول في أماكن أخرى فيتحدث عن الدول الصغيرة التي أهملها « روضة الصفا » (١) .

طبع كتاب حبيب السير في طهران عام ١٢٧١ ، وفي بمباي بين سنة ١٢٧١ - ١٢٧٣ هذا بخلاف الأقسام المختلفة التي نشرها الأوربيون من هذا الكتاب أو ترجموها إلى لغاتهم (٢) .

٧ - حيدر الرازي

امتد تأثير رشيد الدين حتى القرن الحادي عشر الهجري حيث نجد مؤرخاً آخر هو حيدر بن علي الحسيني الرازي . بدأ تأليف كتابه « تاريخ حيدري » سنة ١٠٢٠ هـ = ١٦١١ - ١٦١٢ م ، وانتهى منه عام ١٠٢٨ هـ = ١٦١٨ - ١٦١٩ م ، وكان في سن الخامسة والثلاثين (٣) .

يطلق على هذا الكتاب أسماء مختلفة فيعرف في بعض المخطوطات باسم « تاريخ حيدري » وفي بعضها الآخر باسم « مجمع التواريخ » وأحياناً باسم « زبدة التواريخ » ، وربما كان يرجع هذا الاختلاف إلى أن مؤرخنا لم يعط كتابه عنواناً خاصاً . والملاحظ أن الرازي لم يهد كتابه إلى أي حاكم من الحكام وهذا الأمر وتفسيره في مقدمة الكتاب يدلان على شعور بالاستقلال مستغرب من مشرقى (٤) .

كتابنا الحاضر عبارة عن تاريخ مفصل في التاريخ العام ، نهج مؤلفه منهجاً غريباً في ترتيب الحوادث ، إذ أنه لم يتبع الترتيب التاريخي ، بل اتبع تقويم البلدان فقسم كتابه إلى خمسة أبواب خصص كلا منها لمنطقة قائمة بذاتها . (أ) العالم العربي (ب) العالم الفارسي (ج) آسيا الوسطى والشرقية (د) الغرب (هـ) الهند .

(١) الدكتور إبراهيم أمين الشواربي : مصادر فارسية في التاريخ الإسلامي ، ص ٣٥ .

(٢) انظر . Strey: Persian Literature, Section II, p.106-108 .

(٣) انظر نفس المصدر ، ص ١٢٤ .

(٤) ترجمة دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد السابع ص ١٥٧ .

ولكنه على الرغم من ذلك توخى الترتيب التاريخي في مادة كل باب على حدة (١) .

ويؤكد ريو أن هذا التاريخ ليس فيه مادة أصيلة ، وإنما يمكن وصفه بأنه جمع شامل قيم للمصنفات التاريخية المعروفة (٢) . ولكن هذا القول لا يتفق مع الواقع تماماً إذ أننا كثيراً ما نجد للمؤلف نظرة انتقادية وترجيح بعض الروايات على بعضها الآخر . هذا من جهة ومن جهة أخرى كثيراً ما نجد الرواية في هذا الكتاب تتسلسل حتى عهد المؤلف ومن ثم تشمل معلومات لا يمكن أن تكون قد استقيت من مصادر مكتوبة (٣) .

يلاحظ أن هذا المؤلف كان يقلد رشيد الدين ؛ إذ يذكر الملوك والأمراء المعاصرين لسلطين المغول ، والذين كانت تقوم بينهم وبين المغول العلاقات المختلفة . ثم إنه حين يتحدث عن غازان ، ويذكر بعضاً من صفاته ، لا يفيض في هذا الموضوع ، وإنما يحيل القارئ إلى كتاب رشيد الدين باعتباره المصدر الذى يفصل الكلام في تاريخ غازان : فيقول في سياق حديثه عن هذا العاهل « فصاحت وبلاغت وحسن سؤال وجواب وصبر وثبات وبذل وعطا ولطف وخلق او محتاج به بيان نيست . . . خواجه رشيد كه پرورده نعمت او بود درين ابواب حكايات مفصل نوشته چون جميع آن سخنان لياقت سياق اين كتاب نداشت جويای آن سخنان رجوع بآن كتاب خواهد نمود » (٤) . وكذلك حينما يتحدث عن حكام الخطا والتركستان يشير إلى كتاب رشيد الدين كمصدر واف لتفصيل تاريخ هذه الأقوام ، وينقل عنه كثيراً ؛ ففي مواضع عديدة نرى هذه الجملة : « در جامع رشيدى مسطور است » . وكذلك الحال عندما يتحدث عن تاريخ بنى إسرائيل والفرنج نراه يستمد أغلب معلوماته من كتاب

(١) نفس المصدر ونفس الصفحة .

(٢) Rieu: Catalogue: Supplement, p.21 .

(٣) ترجمة دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد السابع ص ١٥٧ .

(٤) حيدر الرازى : مجمع التواريخ ، مخطوط الأستاذ سعيد نفيسى ص ٥٧١ .

جامع التواريخ فيذكر الحملة السالفة ، وإلى جانبها نرى : « بروايت رشيد طبيب ، اول ابن جماعت . الخ » (١) .

من هذا العرض يتبين لنا إلى أى حد امتد تأثير كتاب رشيد الدين وفي الحقيقة لم يكن تأثيره قاصراً على كتاب الفرس وحدهم ؛ بل استفاد منه أيضاً المؤرخون العرب نذكر منهم على سبيل المثال المؤرخ العراقي ابن الفوطى وهو عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد الصابوني المعروف بابن الفوطى . ولد سنة ٦٤٢ و ذكر أنه من ولد معن بن زائدة الشيباني (٢) . أسر في واقعة سقوط بغداد على يد هولاكو ، ولم يكن قد جاوز الرابعة عشرة من عمره إلا أنه سرعان ما أفرج عنه بفضل مساعي الفيلسوف نصير الدين الطوسى فتعلم عليه في مراغة وقرأ عليه العلوم الرياضية والفلسفية ، كما قرأ علوم الأوائل واشتغل بالأدب . وعهد إليه نصير الدين بالإشراف على خزانة كتب المرصد ، فاطاع على ما حوته من نفائس ، وشغف بالتاريخ ، وأمضى هناك ما يربو على العشر سنوات ثم تحول إلى بغداد في عهد حكومة علاء الدين عطا ملك الجوينى فكلفه هو الآخر بالإشراف على خزانة كتب المستنصرية وكانت من أشهر المكتبات في العالم في ذلك الوقت ، فقام بمهمته خير قيام وعكف على قراءة الفقه والحديث حتى بلغ مرتبة الأئمة فيه ، ونال درجة الحفاظ ولهذا عده ابن شاكر الكتبي أحد المحدثين (٣) .

وفي سنة ٧٠٤ هـ ترك ابن الفوطى وظيفته ، ورحل إلى تبريز حيث اتصل بالوزير العالم المؤرخ رشيد الدين ، ووجد منه العناية والرعاية والتشجيع ففضى الشطر الأخير من حياته قريباً منه . وعلى أثر مقتل رشيد الدين عام ٧١٨ غادر أذربيجان ، وقصد بغداد حيث توفى فيها بعد مضي خمس سنوات أى في سنة ٧٢٣ هـ .

لابن الفوطى مؤلفات عديدة ضاع معظمها أثناء الغارة على الربع الرشيدى عقب مقتل رشيد الدين (٤) . وأشهر مؤلفاته المعروفة الآن :

(١) نفس المصدر ص ٨٠٩ ، ١١٤٩ ، ١١٥١ .

(٢) أنظر فوات الوفيات ، ج ١ ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٧٢ .

(٤) انظر الأستاذ محمد رضا الشيبى : مؤرخ العراق - ابن الفوطى ص ١٥ .

١ - كتاب الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة (١) وهو مصدر هام عن العراق في عصر المغول ، ويعطى تفصيلات هامة عن سعد الدولة اليهودى لم تذكر في أى مرجع آخر (٢) .

٢ - مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب (٣) وهو في تراجم الرجال حسب الترتيب الهجائى . يورد فيه اسم ولقب المترجم له وشهرته واسم أبيه وجده ، ثم يعطى شرحاً إجمالياً لتاريخ حياته مع ذكر تاريخ ميلاده ووفاته ، وإيراد أسماء أساتذته ومؤلفاته . وأحياناً إذا كان المترجم له شاعراً يورد نماذج من أشعاره (٤) .

وما يعيننا من أمر ابن الفوطى هو أن نذكر أنه كان من تلاميذ رشيد الدين ومن المتصلين به اتصالاً وثيقاً . تأثر به ونقل عنه كثيراً فيما كتبه عن تاريخ المغول (٥) . وقد وجد من رشيد الدين كل إعزاز وتكريم مما شجعه على أن يكتب قسماً من معجمه في التراجم خلال إقامته في تبريز . والغالب أنه كان يشتغل تحت إشراف رشيد الدين ، في بعض المعاهد العلمية أو دور الكتب التى أنشأها هذا الوزير ، ولهذا يدعوه ابن الفوطى « شيخنا الخدم الأعظم » في كثير من مواضع المعجم المشار إليه (٦) .

بعد هذا يجب أن نذكر أن الاستفادة من كتاب جامع التواريخ لم تكن قاصرة على مؤرخى الفرس والعرب القدماء فحسب ، بل إننا الآن نغترف مما جاء في هذا الكتاب القيم ، ونحصل منه على معلومات لم نكن لنغثر عليها في غيره من المصادر . يقول كاترمير : « إذا كان العرب والفرس والمغول قد وجدوا في مؤلف رشيد الدين منبعاً فياضاً لأقوم الوثائق ، فإننا نحن أيضاً

(١) نشره الأستاذ مصطفى جواد في بغداد سنة ١٣٥١ هـ .

(٢) انظر Spuler: Die Mongolen in Iran, p.15 .

(٣) الجزء الرابع من هذا الكتاب المحرر بخط المؤلف نفسه محفوظ بالمكتبة الظاهرية بدمشق كما توجد صور شمسية للنسخة المشار إليها في المكتبة العامة ببغداد .

(٤) انظر مجله یادگار السنة الثالثة العدد السابع ص ٧٢ .

(٥) انظر محمد رضا الشيبى : مؤرخ العراق - ابن الفوطى ص ١٣ .

(٦) نفس المصدر ص ١٤ .

قد اغترفنا منه قدراً عظيماً من المعلومات التي نبحث عنها عبثاً في غيره من المراجع ؛ فكم من شعاع سلطه على تاريخ بضعة أقاليم من أقاليم الشرق كان لا يزال تاريخها مجهولاً ، وذلك الذي كتبه بتوسع عن تاريخ الأمم التركية وخصوصاً عن الأويغوريين حيث استمدته الكاتب من حوليات هذه الشعوب نفسها ، وحيث يشير إلى هذه الحوليات في أكثر من موضع «(١) .

وبالإضافة إلى ما لكتاب جامع التواريخ من جليل الفوائد ، رأى فيه علماء الغرب مثلاً حسناً يصلح لأن يقتدوا به في كتاباتهم عن التاريخ العام . يقول الأستاذ عباس إقبال : « إذا لم يكن رشيد الدين أكبر مؤرخي الفرس فلا شك أنه من أعظمهم فكتابه جامع التواريخ علاوة على أنه في أحد أجزائه يعنى المشتمل على تاريخ جنكيزخان وأجداده وأولاده يعتبر نسيج وحده ويحتوى على مطالب وإطلاعات لم تذكر في أى مصدر من المصادر العالمية يعد أول كتاب ألف في تاريخ العالم العام ، سار على نمطه تقريباً فيما بعد علماء الغرب في مؤلفاتهم عن التاريخ العام »(٢) .

(١) انظر Quatremère, p.LXXXVI.

(٢) انظر مجلة يادگار السنة الثانية ، العدد الثالث ، آبان ماه ١٣٢٤ هـ . ش . ص ٣٣ .

الفصل السادس

« ما نشر من كتاب جامع التواريخ وضرورة نشره بأكمله »

بعد أن وقفنا على مزايا كتاب جامع التواريخ ، وعرفنا قيمته وأهميته بالنسبة للمشتغلين بالتاريخ الإسلامي ، وتبعنا تأثيره في مؤلفات معاصريه ومن جاء بعده ، يجدر بنا أن نقف على المنشور من هذا الكتاب ونطرحه على بساط النقد لنرى ما إذا كانت الحاجة تدعو إلى إعادة طبع الكتاب بأكمله أم لا ؟... وفي حالة ما إذا استقر رأينا على إعادة طبعه ما هي المخطوطات التي يمكن أن نعتمد عليها في هذا الشأن ؟ .

بالرغم مما بذله الأفراد والجماعات في سبيل نشر المتون الشرقية سواء أكانت عربية أم فارسية ، فإنها لا تعد شيئاً مذكوراً إذا ما قيست بالكثرة الهائلة التي لا تزال قابضة في بطون المخطوطات ولا زلنا نرى ما ينشر عنها يسير على نطاق ضيق بالنسبة للمشتغلين بالدراسات الأدبية والتاريخية لإيران ووسط آسيا .

هذا على الرغم من أن نشر هذه النصوص يعتبر عملاً مفيداً جداً إذ يقفنا على مجموعة هائلة من الحقائق التاريخية التي هي أساس البحث التاريخي . لهذا كان من أهم ما عني به الباحثون هو أن يقوموا بنشر وترجمة هذه الآثار ولا سيما التاريخية منها ، حتى يتيحوا بذلك الفرصة لأكثر عدد من القراء كي يطلعوا عليها ويستفيدوا بما جاء فيها .

وهنا يجب أن نعترف بالخدمات الجليلة التي أداها المستشرقون للدراسات الشرقية عربية كانت أم فارسية أم تركية ، فقد عكفوا على كثير من المتون في هذه اللغات نشرًا وتعليقًا وترجمة ، وبذلوا في هذا السبيل جهوداً موفقة لا يمكن أن تنسى أو نتجحد كلما ذكرت هذه الدراسات .

ففي عام ١٩٠٦ قرر قرار لجنة أوقاف جب على نشر أحد الآثار الهامة في التاريخ الأدبي لإيران ، وهو كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله (١) وذلك تحت إشراف المستشرق الفرنسي « بلوشيه » الذي أخذ على عاتقه أن ينشر الكتاب بأكمله على أن يبدأ بتاريخ المغول . وقد أبان المستشرق براون أن اللجنة تعلق أهمية كبيرة على نشر هذا الكتاب ، وأنها لا تدخر وسعاً في إخراج هذا المشروع إلى حيز التنفيذ (٢) .

ومن الواضح أن نشاط اللجنة منذ السنوات الأولى المبكرة من حياتها كان مركزاً ومنصباً على إخراج هذا الأثر الذي يرجع إلى أوائل القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) والذي يعد فريداً في نوعه ليس فقط في الأدب الفارسي بل في الأدب العالمي (٣) .

وفي الحقيقة استرعى كتاب جامع التواريخ أنظار المستشرقين قبل ذلك بزمان طويل في النصف الأول من القرن التاسع عشر . في ذلك الوقت اقترحت الحكومة الفرنسية أن تنشر مجموعة قيمة من المتون الشرقية تهديها إلى الملك لويس فيليب ، وقد عهد بإخراج هذه الفكرة إلى حيز التنفيذ إلى واحد من أعلام المستشرقين في عصره وهو كاترمير ، وحتى ذلك الحين لم يكن قد عرف من كتاب جامع التواريخ غير الجزء الأول فقط الذي يتناول تاريخ المغول . يقول كاترمير : « كانت المطبعة الملكية على وشك أن تنشر مجموعة للمؤلفين الشرقيين مع عزمها بأن تتبع كل مؤلف بترجمة فرنسية وبتعليقات . وكنت أول الأمر قد أخذت على عاتقي أن أخرج مجلد رشيد الدين دون أن أحذف منه كلمة واحدة ، ولكن لما اخترته عن قرب وتحققت من اتساع هذه المهمة التي كنت قد فرضتها على نفسي ، ولما فكرت في قصر الحياة الإنسانية ، وفي البطء الذي ستسير عليه المطبعة ، رأيت أن هذا العمل فوق طاقتي ، وأني لن أستطيع أن أعد بإتمامه ؛ لذلك اقتصررت على نشر الجزء الذي يتناول تاريخ الإيلخانيين في إيران ، وإذا ما سمح لي الوقت سأضيف إليه

(١) انظر براون : التاريخ الأدبي لإيران ، ج ٢ ص ٤٣٥ .

(٢) Browne: The Journal of the Royal Asiatic Society, 1908. p.17 .

(٣) انظر بارتولد : مجلة العالم الإسلامي ، ص ٥٧ .

الذيل الذى يحتوى على الحياة المفصلة للسلطانين المغولين خدابنده وأبى سعيد (١).
وكما قدر كاترمير قصر العمر الإنسانى ، مات دون أن يستطيع إكمال
ما أمل أن ينشره عن تاريخ الإيلخانيين ، ولم يظهر إلا الجزء الأول فقط
عن تاريخ هولاكو خان ، وبالتالي لم يمهل القدر حتى يضيف إلى عمله ذلك
الملحق الذى كان يزمع نشره .

وهكذا اختار كاترمير لنفسه منذ أكثر من مائة سنة أن ينشر القسم
الذى يتناول تاريخ الإيلخانيين فى إيران . وقد استطاع فى سنة ١٨٣٦ أن
ينشر الجزء الأول فى كتاب كبير الحجم جداً ، كان يشتمل على تاريخ
« هولاكو » بن تولى بن جنكيز خان منذ تحركه من منغوليا لفتح قلاع الملاحدة
فى أواسط سنة ٦٥١ إلى سنة وفاته فى ١٩ ربيع الثانى سنة ٦٦٣ على شاطئ
نهر جغاتو فى آذربيجان مع ترجمة فرنسية فى مقابل كل صفحة للمتن الفارسى
وقد صدرت هذه الطبعة بمقدمة ضافية عن حياة رشيد الدين وآثاره . ونشر
الكتاب تحت عنوان :

*Histoire des Mongels de la Perse, écrite en persan, par
Raschid-Eldin, publiée, traduite en français, accompagnée de
notes et d'un mémoire sur la vie et les ouvrages de l'aut-
heur, par M. Quatremère, Paris 1836.*

كان أبرز ما فى هذا الكتاب إلى جانب المعلومات المفيدة التى كتبها رشيد
الدين عن تاريخ هولاكو ، الحواشى والتعليقات المفصلة التى كتبها الناشر
والتي تحتفظ بقيمتها وأهميتها حتى وقتنا هذا .

والكتاب يقع فى ٤٥٠ صفحة متن وترجمة يضاف إليها ١٧٥ صفحة
هى عبارة عن مقدمة مفصلة فى شرح أحوال رشيد الدين وتعداد مؤلفاته
وفهرس جامع لأبوابها وفصولها وغير ذلك من الفوائد . ولما كان ورق هذا
الكتاب من القطع الكبير جاء كبير الحجم جداً .

وفى سنة ١٨٤٧ أعيد طبع هذا القسم من كتاب جامع التواريخ فى باريس .

من نفس نسخة كاترمير ، ولكن اقتصر في هذه المرة على نشر المتن الفارسي وحده ، دون نشر الحواشي والمقدمة والترجمة الفرنسية . وقد تم طبع هذا الكتاب في ورق من القطع المتوسط ، وكان يحتوي على ٤ صفحات مقدمة + ١٣٨ صفحة متن ، ونشر تحت عنوان :

Extraits de l'Histoire des Mongols de Rashid-Eldin, Texte persan. Paris 1847.

كان هذا الكتاب هو الجزء الوحيد فقط الذي لم يعقبه آخر إذ لم يعش « كاترمير بعد نشر هذا الكتاب أكثر من عشرين سنة ثم توفي في سنة ١٨٥٧ .

ولكن رغم هذا المجهود الجبار الذي بذله كاترمير في هذه الطبعة الفاخرة فقد خلا الكتاب من فهرس يتيح للباحث العثور على ما يريده في سهولة ويسر . فكان هذا النقص في كتاب كبير الحجم داعياً إلى عدم الاستفادة استفادة كاملة بما حواه من معلومات غزيرة .

وبعد أن ظهرت طبعة كاترمير بمدة طويلة ، نشر الأستاذ السيد جلال الدين الطهراني أحد المعاصرين الفضلاء من الإيرانيين — كل المتن الذي نشره كاترمير ومن نفس طبعة باريس الأصلية ، ولكن مع حذف الحواشي والترجمة الفرنسية والمقدمة . وتشتمل هذه الطبعة على ٨٤ صفحة من القطع الصغير جداً . ظهرت في طهران عام ١٣١٣ هـ . ش .

وخلال السنوات التي أعقبت موت كاترمير أعد عالم روسي هو برزين — العدة لنشر كتاب جامع التواريخ ، قاصداً نشر تاريخ المغول فقط ، كما كان يقصد كاترمير ، وقد لاحظ برزين أن تاريخ المغول يرتبط عن قرب بتاريخ الأمة الروسية ، وأنه يوجد في تاريخ روسيا فترة مغولية ، وأن شرح هذه الفترة إنما يقع على عاتق المستشرقين الروس . وهكذا نجح برزين خلال حياته الطويلة في أن ينشر المتن الفارسي وترجمته الروسية مع الحواشي والفهارس للقسم المشتمل على تاريخ قبائل الترك والمغول وأجداد جنكيز خان ، وتاريخ أحوال جنكيز نفسه ابتداء من يوم ميلاده حين وفاته . وظهرت هذه الطبعة في بطرسبورج في ثلاثة أجزاء من الحجم المعتاد ضمن مؤلفات القسم الشرقي التابع للجمعية الأثرية للإمبراطورية الروسية

وقد صرح « برزين » بأنه لم يهدف إلى استعمال حواشى وشروح مفصلة كما فعل « كاترمير » ، ولم يجزؤ على أن يخاطر وينشر مثل هذه المادة الغريبة التى تجلت بوضوح فى كتاب هذا المستشرق الفرنسى ، وإنما قصد فقط أن يفسر أسماء الأعلام المغولية والتركية .

وفى المقدمة التى كتبها أعطى وصفاً مختصراً لكتاب رشيد الدين ، وعدد المخطوطات الكثيرة التى اعتمد عليها فى نشر الكتاب (١) .

هذا القسم الذى نشره « برزين » يقع كما قلنا فى ثلاثة أجزاء موضحة على النحو الآتى (٢) :

الجزء الأول : فى تعداد قبائل الأتراك والمغول والأخبار والحكايات المتعلقة بهؤلاء ويحتوى على ٢٨٦ صفحة متن فارسى و ٣٢٢ صفحة ترجمة روسية لهذا المتن تسبقها مقدمة باللغة الروسية أيضاً تقع فى ٣١ صفحة ويعقب الترجمة ١٦ صفحة أخرى للحواشى والفهارس . وقد جاء فى بدء هذا الجزء : « باب أول از مجلد أول از كتاب جامع التواريخ در بيان حكايات ظهور أقوام أترك وكيفية انشعاب ايشان بقبائل مختلفه وشرح حال آبا واجداد هر قوم بر سبيل كلى . وآن مشتمل است بر ديباجة وچهار فصل .. الخ » (٣) . وهذا الجزء تم طبعه فى المدة ما بين سنوات ١٨٥٨ ، ١٨٦١ .

الجزء الثانى : فى تاريخ آباء وأجداد جنكيز خان ابتداء من جده الأعلى « ألان قوا » إلى أبيه « يسوكاى بهادر » ، ثم تاريخ أحواله هو من ابتداء ولادته فى سنة ٥٤٩ لغاية جلوسه على العرش فى سنة ٥٩٩ وهو فى سن التاسعة والأربعين .

وهذا الجزء يحتوى على ٢٣٩ صفحة متن ، ٤٤ صفحة مقدمة باللغة الروسية ، ويعقبها ٣٣٥ صفحة ترجمة روسية ، وبلى الترجمة أربع صفحات

(١) انظر بارتولد : مجلة العالم الإسلامى ، ص ٥٩ .

(٢) انظر الجوينى : تاريخ جهانگشای ج ٣ ص ٦٥ وما بعدها من مقدمة الناشر .

(٣) رشيد الدين : جامع التواريخ ، نشر برزين ، ج ١ ص ١ .

حواشی وفهارس . وقد طبع هذا الجزء في سنة ١٨٨٦ . وذكر في أوله العبارة التالية : « باب دوم از مجلد أول از كتاب جامع التواريخ در بيان داستانهای پادشاهان اقوام مغول و اتراك وغيرهم ، و اين باب مشتمل است بر دو فصل :

فصل أول

در داستانهای آباء واجداد جنكيز خان بما فيه حكايات احوال خويشان ايشان « (١) .

الجزء الثالث : بقية تاريخ جنكيزخان من سنة ٦٠٠ هـ يعنى عقب جلوسه على العرش إلى وفاته في سنة ٦٢٤ . وهو في الثالثة والسبعين من عمره . وفي هذا الجزء يتحدث المؤلف عن حروب جنكيزخان وفتوحاته وسيرته وأخلاقه وأمثاله وحكمه . وهذا الجزء يحتوى على ٢٣١ صفحة متن ، ٢٦٣ صفحة ترجمة روسية يضاف إليها أربع صفحات حواشی وفهارس . وقد طبع هذا الجزء في سنة ١٨٨٨ م وصدر بالعبارة الآتية : « تاريخ جنكيزخان از ابتداء قولقته ييل كه سال موش باشد موافق ماه جمادى الآخر سنة ستماية تا غايت مورين ييل كه سال اسب بود موافق شعبان سنة ست وستمائة كه مدت هفت سال باشد » (٢) .

ورغم أن برزين لم يدخر وسعاً في تحرى منتهى الدقة والإتقان بالإضافة إلى مقابلته لمخطوطات كثيرة ، فإن عمله قد شابه نقص كبير لا يمكن أن يغتفر له (٣) ؛ ذلك أنه أسقط جميع الفصول المعارضة التي تتعلق بتاريخ الأمم غير المغولية التي كانت تعاصر المغول ، وكان رشيد الدين قد ذكر طرفاً من تاريخها أثناء كلامه على المغول . وبهذا يكون برزين قد اقتصر على نشر تاريخ المغول فقط .

وإذا كان بارتولد قد راح بدافع العصبية القومية يدافع عن مواطنه

(١) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٢ .

(٢) نفس المصدر ، ج ٣ ص ١ .

(٣) انظر الجويني : تاريخ جهانگشای ، ج ٣ ص كب من المقدمة .

فيقول : « كان برزين على حق في أن يسقط من طبعته هذه الحوادث التي أقحمها رشيد الدين عن الممالك المجاورة ، والتي سببت اضطراباً وتشويهاً في ذكر الحقائق التاريخية . ذلك لأن برزين قصد ألا يوقف القارئ على كل ما ذكره رشيد الدين ، وإنما ليوقفه فقط على تاريخ المغول مجرداً عن الحوادث الأخرى . وفضلاً عن هذا فقد لاحظ هو نفسه هذه الفجوات ، وأعلن القارئ أنه قد اعتزم جمع هذه الأجزاء المعارضة ليكون منها جزءاً واضح المعالم يكمل تاريخ المغول » (١) . فإن هذا الدفاع لا يمكن أن ينهض لطمس الحقيقة المتعارف عليها ، وهي أنه ليس من حق الناشر أن يتصرف في المتن الذي ينشره بالاقتضاب أو بالزيادة ، وإنما عليه أن ينشره كاملاً كما هو موجود في المخطوطات خصوصاً ؛ وأن هذه الفصول المعارضة ليست منقطعة الصلة بتاريخ المغول كما زعم بارتولد لأن هناك العلاقات الواضحة التي كانت تربط بين هذه الدول وبين المغول . وإذا نشر المتن برمته فإن تصورنا للموضوع يكون أتم وأوضح . ثم إن برزين لم يبر بوعده في جمع هذه الأجزاء المعارضة في كتاب يضم شتاتها ويكون ملحقاً لتاريخ المغول .

ولكن هذا النقص لا يمكن أن يقف حائلاً دون تقدير هذا العالم الذي كان أول مترجم لكتاب رشيد الدين ، والذي كان يجيد معرفة اللغتين التركية والمغولية إلى حد كبير ؛ فلا غرو أن يعد عمله خطوة كبيرة في سبيل تقدم العلم والإخلاص في أداء الواجب كما لاحظ ذلك المختصون الذين كانوا يعاصرونه (٢) . صعوبة أخرى كانت تحول دون الاستفادة بمجهود برزين ذلك أن هذه الأجزاء الثلاثة التي نشرها من كتاب جامع التواريخ كانت نادرة الوجود جداً لا يكاد يعثر عليها إلا بشق الأنفس .

يقول الأستاذ محمد بن عبد الوهاب القزويني : « لا يخفى أن هذه الأجزاء الثلاثة أندر من الكبريت الأحمر ، ورغم وجود هذه الأجزاء المطبوعة فإنني

(١) انظر بارتولد : مجلة العالم الإسلامي ، ص ٦٠ .

(٢) انظر Bretschneider: Mediaeval researches from Eastern Asiatic

Sources, Vol. I, p.198 .

لا أدري لأى سبب ولأية علة كانت أندر من النسخ الخطية ؟» (١) وحتى المكتبات الأوربية المعروفة لا يوجد فى أغلبها نسخة كاملة من تلك الطبعة . ورغم ما عرف عن المستشرق الإنجليزى المرحوم « إدوارد براون » من حرص شديد على اقتناء الكتب والمخطوطات فى المكتبة النفيسة التى كان يملكها ورغم أنه كان كثير البحث والتنقيب والتحقيق فى كل ما يتعلق بكتاب جامع التواريخ وهو الذى كتب رسالة قيمة تتعلق بالمخطوطات المعروفة ، والمتون المطبوعة من هذا الكتاب . وفى رسالته تلك قدم اقتراحات لطبع الكتاب بأكمله (٢) وبين كيفية تقسيمه إلى مجلدات مختلفة متقاربة فى الحجم والمقدار . رغم هذا كله يذكر أنه لم يصادف طول عمره نسخة من هذا القسم الذى طبعه برزین (٣) وقد أمضى العلامة القزوینى وهو أحد العلماء الإيرانيين الذين عرفوا بشغفهم باقتناء نفائس الكتب والمخطوطات — نحو العشرين سنة يبحث عن تلك الاجزاء حتى وفق فى النهاية فى العثور عليها كاملة وذلك بعد مشقة كبيرة . وقد ضمها إلى مكتبته النفيسة ، تلك المكتبة التى آلت بعد وفاته فى صيف عام ١٩٥٠ إلى مكتبة كلية الآداب بجامعة طهران . وكنت سعيد الحظ إذ اطلعت على تلك النسخة أثناء إقامتى فى إيران .

هناك قسم آخر طبع من المجلد الأول من كتاب جامع التواريخ وهو يأتى مباشرة بعد القسم السابق الذى نشره برزین . قام على نشره المستشرق الفرنسى « بلوشيه » ، ويتضمن تاريخ أبناء وخلفاء جنكيز خان الذين كانوا يحكمون فى منغوليا والصين وباكستان والقبچاق وجنوب روسيا أى أنهم كانوا يحكمون فى غير إيران وهم :-

أولا — أوكتاى قاآن بن جنكيز خان وخليفته من بعده .

(١) « مخفى نماند كه اين سه مجلد جامع التواريخ طبع برزین از كبريت احمر نادر تراست وبوجود آنكه چاپي است نيمدانم در نتيجه چه علت وسببى بمراتب از نسخ خطى ناياب ترووعزيز تراست (تاريخ جهانكشای ج ٣ ص كد) .

Suggestions for a complete edition of the Jami'ul t-Tawarikh of Rashid'd (٢)

Din Fadl Allah, by Edward G.Browne, in the J.R.A.S.January, 1908, pp.17-37.

(٣) انظر براون : التاريخ الأدبى لإيران ، ج ٣ ص ٤٣٥ .

ثانياً - تاريخ إخوة أوكتاى قاآن وهم جوجى وجغتاي وتولوى .

ثالثاً - كيوك خان بن أوكتاى قاآن ، ومنكو قاآن بن تولوى بن جنكيزخان ، وأخوه قوبيلاي قاآن . وفى النهاية تيمور قاآن بن چيم كيم بن قوبيلاي قاآن . وكان هذا الأخير معاصراً لمؤلفنا رشيد الدين .

وقد طبع هذا القسم على نفقة أوقاف جب التذكارية فى مدينة ليدن إحدى مدن هولندا عام ١٩١١ (١) . وهو يشتمل على ٦١٧ صفحة و ٧٢ صفحة من ملحقات وتوضيحات باللغة الفرنسية . وقد احتلت الحواشى المفصلة التى كتبها بلوشيه أغلب صفحات الكتاب . ورغم أن الناشر لم يقع فى الخطأ الذى وقع فيه برزين إذ نشر النص كاملاً دون أن يحذف الأجزاء المعترضة فإنه لم يتحرر الدقة التى اتبعها سلفاه كاترمير وبرزين .

ومما تقدم يتبين بوضوح أن قسماً كبيراً هاماً متصل الحلقات قد نشر من المجلد الأول من كتاب جامع التواريخ ، ويشتمل على تاريخ أقوام المغول منذ أقدم الأزمنة حتى حكم هولاكو ، وذلك باستثناء بعض الأجزاء المعترضة التى أسقطها برزين . ونحن إذا نظرنا إلى هذه الأقسام حسب الترتيب التاريخى نرى أنه يأتى فى المقدمة القسم الذى نشره برزين ، يليه القسم الذى نشره بلوشيه . وفى النهاية يأتى القسم الذى نشره كاترمير .

وعلى هذا يكون قد بقى من المجلد الأول المشتمل على تاريخ المغول - قسم يشتمل على تاريخ أحفاد هولاكو فى إيران وهم آباقا بن هولاكو وأحمد تكودار بن هولاكو ، وأرغون بن آباقا ، وكيخاتو بن آباقا وغازان بن أرغون .

وقد طبع من هذا القسم تاريخ غازان خان . قام على نشره المستشرق « كارل يان » Karl Jahn فى لندن عام ١٣٥٨ = ١٩٤٠ ضمن مجموعة أوقاف جب (٢) .

هذا القسم يشتمل على تاريخ مفصل لغازان خان منذ ولادته إلى وفاته

فى سنة ٧٠٣ هـ ، وشرح ما تخلص تلك الفترة من حروب وأحداث ، والكشف عن علاقات المغول بالدول المجاورة ، ثم التحدث عن الإصلاحات العديدة التى قام بها هذا العاهل فى شتى الميادين . وبعد هذا القسم من أقيم وأعرق ما كتب رشيد الدين .

أما الفصول المتعلقة بتاريخ آباخان وأحمد تكودار وأرغون وكيخانو خان فقد نشرها كارل يان نفسه فى براغ عام ١٩٤١ (١) .

وفى عصرنا الحاضر الذى يوجه فيه الأفراد والحكومات عنايتهم القصوى بالمسائل العلمية ، حظى كتاب جامع التواريخ بالخط الأوفى من تلك العناية وأدخلت تطورات على دراسته كأثر رائع من آثار الشرق التاريخية .

فكان أن نشطت المدرسة الروسية ، وقرر معهد الدراسات الشرقية بأذربيجان السوفيتية عام ١٩٣٦ نشر كتاب جامع التواريخ نشرأ علمياً محققاً إذ أن العلماء الروس قد لاحظوا أنه على الرغم من أهمية الأجزاء التى نشرها العلماء المستشرقون من كتاب جامع التواريخ ؛ فإن هؤلاء العلماء قد اعتمدوا على عدد ضئيل من المخطوطات التى يرجع تاريخها إلى زمن متأخر . كما أن هذه النصوص المنشورة ليس لها طابع نقدى . ومن العسير أن يتبين القارئ المنهج الذى سار عليه الناشر لاسيما وأنهم لم يقارنوا بين ما جاء فى مختلف المخطوطات حتى يتبينوا الفوارق بين النصوص (٢) .

ولكن فى هذه المرة أيضاً استقر رأى العلماء الروس على نشر المجلد الأول المشتمل على تاريخ المغول نظراً لأهميته . أما المجلد الثانى المشتمل على التاريخ العام فلم يستقر الرأى بعد على الوقت الذى ينشر فيه ؛ ذلك أنه فى الوقت الحاضر الذى توجد فيه مجموعة من المصادر الأولى التى أفاد منها رشيد الدين فى تدوين تاريخه العام يرى هؤلاء العلماء أن قيمة ذلك التاريخ قد نقصت إلى حد بعيد (٣) .

(١) انظر Karl Jahn: Histoire Des Jiranc, p.2 .

(٢) انظر جامع التواريخ ، مغول إيران ، طبع باكو ، ص ٢ من مقدمة الناشر الأستاذ على زاده .

(٣) انظر نفس المصدر ، ص ٩ من مقدمة روما سكفتش .

وهكذا أخذ معهد الدراسات الشرقية على عاتقه تحت إشراف الأستاذين برتلس وروماسكفتش أن ينشر المجلد الأول المتضمن تاريخ المغول وذلك في ثلاثة أجزاء :

الجزء الأول : في نشأة القبائل التركية والمغولية ، وفي تاريخ جنكيزخان .
الجزء الثاني : في تاريخ خواقين المغول من أوكتاي قآن إلى تيمور .
الجزء الثالث : في تاريخ الإيلخانيين (مغول إيران) .

وقد روعى أن ينقسم كل مجلد إلى نصفين : يتضمن النصف الأول المتن الأصلي ، ويحتوي الثاني على الترجمة الروسية .

ولتيسير الاستفادة من الأجزاء المنشورة ، استقر الرأي على أن يخصص جزء رابع للشروح والوثائق ، وللإحالة على المصادر المكررة والمتقابلة في الأجزاء المنفصلة (١) .

ولإخراج هذا المشروع إلى حيز التنفيذ ، ولتهيئة النص تهيئة نقدية تمهيداً لطبعه ، وضعت اللجنة تحت أنظارها سبعة من أوثق المخطوطات الخاصة بكتاب جامع التواريخ والمحفوظة بمكتبات العالم المختلفة . وقد أكدت اللجنة الأهمية القصوى لمخطوطتين اثنتين من بين هذه المخطوطات وهما :

١ - مخطوط المكتبة الأهلية في أوزبكستان بمدينة طشقند . ورغم أنه لم ينص على تاريخ تحرير هذه النسخة ، فإنه يستفاد من رسم الخط ونوع الورق أنها من أقدم المخطوطات .

٢ - مخطوط استانبول المحفوظ بمكتبة روان كوشكي تحت رقم ١٥١٨ استنسخ في سنة ٧١٧ هـ أي أثناء حياة المؤلف .

ومن هنا وضح أن هذين المخطوطين هما خير ما يمثل لغة المؤلف وأسلوبه وكأنهما كتبا للمؤلف نفسه أو لناسخ يعمل تحت إشرافه (٢) .

ولكن رأى العلماء الروس أن يبدأوا بنشر الجزء الثالث المشتعل على

(١) انظر جامع التواريخ ، مغول إيران ، طبع باكو ، ص ٩ .

(٢) انظر نفس المصدر ونفس الصفحة .

تاريخ المغول في إيران ؛ إذ أن هذا الجزء في رأيهم لم يكن في متناول دائرة واسعة من الباحثين في التاريخ ، وهو عظيم الأهمية أولاً وبالذات لعرض الأحداث التي وقعت في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) في آذربيجان وجورجيا وأرمينيا وإيران وآسيا الوسطى ، وثانياً لما يتميز به من ميل إلى إيراد تفصيلات عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية في تلك الحكايات الأربعين التي أوردها المؤرخ متضمنة إصلاحات غازان خان الإدارية والعمرانية (١) .

ويحتل الأصل الفارسي الذي نشره الأستاذ على زاده الصفحات من ٥ - ٦١٩ ، أما الترجمة الروسية فقد قام بها الأستاذ ارندس ، وتحتل الصفحات من ١٥ - ٣٢٨ . ويسبق الترجمة مقدمة بقلم الناشر كتبها تحت عنوان « تهيئة النص تهيئة علمية نقدية » . ويحتل الصفحات من ١ - ٦ . يلي ذلك مقدمة أخرى كتبها الأستاذ روماسكفتش أحد المشرفين على إخراج هذا العمل . وهذه المقدمة تحتل الصفحات من ٧ - ١٤ .

والحق أن هذه النشرة تمتاز على غيرها بتحرى الدقة ، والهدف إلى إخراجها في أكمل صورة ممكنة .

وفي طهران نشر الدكتور بهمن كريمي المجلد الأول بأكملة في جزئين بلغت صفحاتهما ١١١٣ صفحة بدون حواش أو فهارس أو تعليقات وذلك في سنة ١٣٣٨ هـ . ش . = ١٩٥٩ . وقد اكتفى الدكتور كريمي بجمع شتات الأجزاء المتفرقة التي سبق أن نشرها المستشرقون بعد أن ترك الشروح المفيدة التي أكسبت نشراتهم قيمة كبيرة .

وقد أخبرنا الناشر في مقدمته (٢) أن طبعته تضمنت الموضوعات التالية :

١ - المقدمة الفارسية والعربية (من كتاب كاترمير) .

٢ - أقوام المغول وأجداد جنكيزخان (من برزين) .

(١) أيضاً نفس المصدر ونفس الصفحة .

(٢) انظر جامع التواريخ ، جلد أول ، ص ٥ .

- ٣ - تاريخ جنكيزخان (من حافظ آبرو) .
- ٤ - تاريخ أبناء جنكيز خان - من أوكتاى قاآن حتى تيمور قاآن (من بلوشيه) .
- ٥ - تاريخ هولاكو خان (من كاترمير) .
- ٦ - تاريخ أولجايتو (من كارليان) .
- ٧ - تاريخ غازان خان (من كارليان) .

ونلاحظ أن هناك خطأ ربما لم يكن مقصوداً وهو فى البند السادس الذى يقول إن كارل يان نشر تاريخ أولجايتو ؛ إذ الحقيقة أن تاريخ أولجايتو لا وجود له فى جميع مخطوطات كتاب جامع التواريخ كما سبق أن ذكرنا . والصحيح هو أن كارل يان نشر القسم المتعلق بتاريخ أبناء هولاكو خان (آباقا خان - أحمد تكودار - أرغون خان - كيخاتو خان) . وهو بعينه الذى نقله الدكتور كريمى فى الجزء الثانى من طبعته . ويليه القسم المتضمن تاريخ غازان خان وهو الذى نشره كارل يان أيضاً .

ومهما يكن من نقص فى هذه النشرة (١) ، فإن الدكتور كريمى قد بذل جهداً مشكوراً فى جمع شتات هذه الأجزاء ونشرها فى مكان واحد تحت أنظار الباحثين والدارسين . ثم إن له فضلاً آخر هو أنه بنقله تاريخ جنكيزخان كاملاً من مخطوط جامع التواريخ الموضوع ضمن مجموعة حافظ آبرو يكون قد أكمل النقص الذى شاب عمل برزين ، إذ أنه أعاد جميع الفصول المعترضة التى تتعلق بتاريخ الأمم غير المغولية والتى كان برزين قد أسقطها من طبعته .

فإذا انتقلنا إلى المجلد الثانى المشتمل على التاريخ العام نجد أنه برغم اكتشاف وجوده منذ وقت مبكر أى على أثر إخراج كاترمير لطبعته (٢) ، لم ينشر منه

(١) انظر دائرة المعارف الإسلامية ، عالم الإسلام باللغة التركية ، ج ٩٨ ، ص ٧٠٩ ، مقالة عن رشيد الدين بقلم الأستاذ زكى وليدى طوغان ، استانبول ١٩٦٣ .

(٢) انظر Morley: J.R.A.S., 1841, p.31.

سوى أقسام قليلة بالقياس إلى الموضوعات العديدة التي يشملها . فمما نشر من هذا المجلد مثلاً القسم المتعلق بتاريخ الإفرنج . قام على نشره أيضاً المستشرق « كارل يان » . ولكنه اقتصر على نشر البابين الثالث والرابع من القسم الثاني من هذا التاريخ : « باب سيم از قسم دوم از تاريخ إفرنج در معرفت ولايت وبحار وجزاير آن » .

و « باب چهارم در ولادت مسيح عليه السلام ، وحكايت حادثه او و ذكر پاپان و قياصره كه پادشاهان افرنج اند » .

ولمّا فعل كارل يان ذلك لأنه لاحظ أن هذين البابين يحتويان على معلومات جديدة . أما ما عداهما فلا يمثل إلا وجهات نظر دينية وتاريخية تكررت من قبل (١) .

وفي تركيا نشطت الجمعية التاريخية بأنقره في نشر كتاب جامع التواريخ وقام الأستاذ أحمد آتش أحد أعضاء هذه الجمعية والأستاذ بجامعة استانبول بنشر الأقسام الخاصة بتاريخ الغزنويين والسلاجقة من هذا المجلد المشتمل على التاريخ العام . فظهر الجزء المتضمن تاريخ الغزنويين في سنة ١٩٥٧ ثم تلاه الجزء المشتمل على تاريخ السلاجقة وذلك في سنة ١٩٦٠ ، ويواصل هذا الأستاذ المحقق نشر الكتاب كله .

اعتمد الأستاذ أحمد آتش في نشر هذين الجزئين على ثلاثة مخطوطات من كتاب جامع التواريخ بيانها كالاتي : (٢)

١ - المخطوط رقم ١٦٥٤ المحفوظ بمتحف طوب قاپو سراي استنسخ لرشيد الدين في عام ١٩١٧ هـ ، وهو عبارة عن نسخة مزدانة بالصور .

٢ - المخطوط رقم ١٦٥٣ المحفوظ بنفس المتحف ، وهو عبارة عن نسخة من كتاب جامع التواريخ ، لكنها موضوعة تحت اسم كتاب « زبدة

(١) انظر كارل يان : تاريخ افرنج ، ص ٤ .

(٢) هذه المعلومات أمدني بها الأستاذ أحمد آتش في كتاب بعث به من استانبول إلى الأستاذ الدكتور عبد القادر قره خان الأستاذ التركي الزائر بكلية الآداب بجامعة عين شمس .

التواريخ » لحافظ آبرو . ويبدو أن هذا المؤرخ انتزع نسخة جامع التواريخ من مكان ما ، ولم يكلف نفسه حتى مشقة استنساخها لإدراجها في مؤلفه زبدة التواريخ . وقد حررت هذه النسخة في سنة ٧١٤ هـ ، وهي مزينة بالصور . ومن هنا كانت أهميتها بالغة إذ أنها تعتبر أقدم نسخة من كتاب جامع التواريخ .

٣ — مخطوط رقم ٢٩٣٥ محفوظ بمكتبة أحمد الثالث ، وهو عبارة عن نسخة استنسخت لأولوغ بك ، وهي جميلة جداً بوجه عام .

وفي طهران نشر الأستاذ محمد تقى دانش برؤوه ومحمد مدرسى (زنجانى) القسم المتضمن تاريخ الإسماعيلية في سنة ١٣٣٨ هـ . ش . . وهذا القسم له أهمية كبيرة لأنه يحوى خلاصة وافية لتاريخ الحسن بن الصباح مؤسس هذه الجماعة وخلفائه .

وربما تكون هناك أقسام أخرى قد نشرت من هذا المجلد إلا أنها على كل حال لا تعد شيئاً مذكوراً إلى جانب الأقسام التى لا تزال فى بطون المخطوطات فى زوايا مكتبات العالم المختلفة :

ولإيكم جدولاً بيانياً موضحاً فيه جميع موضوعات الكتاب ومبيناً أمامها ما نشر وما لم ينشر : —

« المجلد الأول في تاريخ المغول » (١)

الباب الأول :

يشتمل على ديباجة وأربعة فصول في بيان الأجناس المختلفة التركية والمغولية وكيفية انشعاب قبائلهم وأنسابهم ومعرفة عاداتهم وتقاليدهم .

الباب الثاني :

يشتمل على فصلين في ذكر أحوال ملوك المغول والأتراك وغيرهم .
نشر برزین هـ هذا القسم في سنة ١٨٦١ إلى سنة ١٨٨٨ .

الفصل الأول :

في تاريخ آباء وأجداد جنكيز خان .

الفصل الثاني :

في تاريخ جنكيز خان وأبنائه وأحفاده —
وهم على هذا الترتيب : —

١ — أوكتاي

٢ — جوجي

٣ — جغتاي

٤ — تولوي

٥ — كيوك

نشره بلوشيه في سنة ١٩١١ .

(١) نشر الدكتور همن كريمي هذا المجلد بأكمله في جزءين في طهران سنة ١٣٣٨ هـ . ش = ١٩٥٩ م ، ونشر معهد الدراسات الشرقية بأذربيجان السوفيتية القسم المشتغل على تاريخ المغول في إيران ابتداء من هولاکو خان إلى غازان خان ، وذلك في سنة ١٩٥٧ .

	٦ — منكوقا آن
	٧ — قوبيلاى
	٨ — تيمور
نشره كاترمير فى سنة ١٨٣٦ .	٩ — هولاكو خان
	١٠ — آبا قاخان
نشره كارل يان فى سنة ١٩٤١ .	١١ — أحمد تكودار
	١٢ — أرغون
	١٣ — كيخاتو خان
نشره كارل يان فى سنة ١٩٤٠ .	١٤ — غازان خان

المجلد الثانى فى التاريخ العام

الباب الأول :

فى تاريخ أوجايتو ولكنه مفقود .

الباب الثانى :

يقع فى مقدمة وقسمين فى التاريخ العام للعالم :

المقدمة :

فى ذكر آدم ونوح وأبنائهما .

القسم الأول :

فى ذكر ملوك الفرس القدماء ويقع فى
أربع طبقات :

(أ) طبقة الپيشداديين .

(ب) « الكيانين .

(ج) « الإشكانين .

(د) « الساسانيين .

القسم الثاني :

ينقسم إلى الأقسام الثلاثة الآتية :-

- ١ - في ذكر تاريخ النبي صلى الله عليه وسلم
وتاريخ الخلفاء حتى آخر عهد المستعصم
بالله وهو يقع في أربع مقالات :-

(أ) أحوال النبي . لم ينشر .

(ب) الخلفاء الراشدون .

(ج) خلفاء بني أمية .

(د) الخلفاء العباسيون .

- ٢ - الدويلات الفارسية التي نشأت في إيران

على أثر ضعف الخلافة العباسية وهي : -

(أ) تاريخ الدولة الغزنوية . نشره أحمد آتش في أنقره

عام ١٩٥٧ .

(ب) تاريخ السلاجقة . نشره أحمد آتش في أنقره

عام ١٩٦٠ .

(ج) تاريخ دولة الخوارزميين .

(د) تاريخ السلغريين أتابكة فارس .

(هـ) تاريخ الإسماعيلية .

نشره دانش پرثوه ومدرسي

(زنجاني) في طهران

عام ١٣٣٨ هـ . ش

لم ينشر .

- ٣ - تاريخ دول أخرى غير العرب والفرس

وهي : -

(أ) تاريخ أوغوز جد الأتراك .

وكذلك تاريخ الأتراك الذين

انحدروا منه .

(ب) تاريخ قبائل الخطا وأحوال

ملوك الصين والماچين .

(ج) تاريخ بني إسرائيل .

- (د) تاريخ الفرنج والقيصرة .
 نشره كارل يان في سنة ١٩٥١ .
 (هـ) تاريخ الهند مع ذكر قصة عن
 البوذية ومؤسسها ساكيموني .
 لم ينشر .

ومما سبق يتضح أن هذا الكتاب لم يجر وفق خطة محكمة ، ولا طريقة منظمة . وإنما جرى طبعه حسبما اتفق . ومن هنا جاءت طبعاته مشتتة متفرقة في أنحاء الشرق والغرب ، فضلاً عن أنها كلها بصفة عامة لم تخل من مآخذ وعيوب .

ولهذا أصبحت الحاجة ماسة إلى إعادة نشر هذا الكتاب نشرًا علميًا صحيحًا وفق خطة مدروسة واضحة لكي يستطيع الدارسون والباحثون أن يقفوا في يسر وسهولة — على ما حواه من معلومات مفيدة .

ولكن هذا العمل لا يبدو سهلاً هيناً ؛ إذ ليس من عيوب كتاب جامع التواريخ ضخامته الزائدة عن الحد ، ولا ندرة نسخه الخطية فحسب ؛ ولكن الترتيب الذي رأى المؤلف أن يسير عليه غريب للغاية ، يضاف إلى هذا أن أسماء الأعلام العديدة التي تملأ صفحات هذا الكتاب يرى أغلبها مغلوطاً إلى درجة محزنة في النسخ الخطية (١) . يقول الأستاذ محمد بن عبد الوهاب القزويني : « لما كان معلوماً أن رشيد الدين ضمن كتابه الأجزاء الثلاثة من كتاب جهانگشای من الأول إلى الآخر حسب اختلاف المواقع فتارة ينقل عنه نفس عبارته وتارة يلخصها ويختصرها ، وأحياناً يزيد عليها ويبسطها لهذا كان من البديهي أن نسخة مضبوطة من كتاب جامع التواريخ تسهل العمل جداً في تصحيح كتاب تاريخ جهانگشای . ولكن مع الأسف رغم وجود نسخ متعددة من كتاب جامع التواريخ ، كتب أغلبها في عهد المؤلف نفسه ؛ فإنه يندر جداً أن توجد نسخة مصححة مضبوطة من هذا الكتاب » ... ثم يضيف

الأستاذ القزويني قائلا : « إنني لم أصادف قط نسخة صحيحة من كتاب جامع التواريخ جديرة بالاطمئنان والثوق الكامل لم تتعرض فيها أعلام الأشخاص والأماكن ونحو ذلك للفساد والتصحيف والتحريف » (١) .

فإذا أريد أن يكون النجاح حليف هذا المشروع ، فإنني أقترح تكوين لجنة تضم أعلام المستشرقين وكبار العلماء في الأقطار الإسلامية على أن تضم اللجنة أعضاء يجيدون اللغات العربية والصينية والتركية والمغولية ؛ إذ بدون ذلك لا يمكن أن يضبط هجاء الأعلام والأسماء التي غيرها النساخ . ويكاد يكون مستحيلا أن تتوفر هذه الثقافات في شخص واحد مهما كانت عبقريته وتنوعت ثقافته .

ويؤيدنا في هذا الرأي الأستاذ على زاده الذي نشر في أذربيجان السوفيتية النص الفارسي للقسم المتعلق بمغول إيران من كتاب جامع التواريخ ؛ ورغم الدقة البالغة التي تحراها في هذه النشرة لم يتردد في أن يصرح بالحقيقة الواقعة فيقول (٢) : « هذه الطريقة التي اتخذناها في نشر النص النقدي ، لم تمنع ذلك النص من وجود مأخذ وعيوب ، نظراً لصعوبة تلك المهمة وتعقدها » . « ولا يسعنا إلا أن نقر بوجهة نظرنا ، وهي أن مثل هذا العمل الذي تصدينا له ، في حاجة ماسة إلى معونة المتخصصين من الباحثين للإدلاء برأيهم في بعض المسائل الهامة التي تتعلق بالشئون الاجتماعية والاقتصادية ، وبما له من خصائص سياسية ، ولبحث ما اعترضنا من ألفاظ وتعابير ، والنظر في المسائل اللغوية وما إلى ذلك » .

بعد هذا نتساءل ما هو الأساس الذي سوف تسير عليه اللجنة في طبع هذا الكتاب حتى يجيء في أجزاء متقاربة في الحجم والمقدار ؟

إننا نضع أمام أنظار تلك اللجنة الاقتراح الذي سبق أن ذكره المستشرق الإنجليزي براون لنشر هذا الكتاب بأكمله نشرأ علمياً صحيحاً (٣) ، فقد رأى

(١) الجويني : تاريخ جهانگشای ، ج ٣ ص ٦٨ من مقدمة الناشر .

(٢) جامع التواريخ ، مغول إيران ، من مطبوعات معهد الدراسات الشرقية بأذربيجان السوفيتية ، ص ٥ .

(٣) Browne: J.R.A.S. January, 1908, pp. 17-37 .

أن يضرب صفحاً عن التقسيم المضطرب الذى اختاره المؤلف ، وينشر الكتاب بأكمله فى سبعة أجزاء بحيث يقع القسم المشتمل على تاريخ الترك والمغول فى ثلاثة أجزاء تكون المجلد الأول من النسخة الأصلية بينما تكون الأجزاء الأربعة الأخرى المجلد الثانى وذلك على النحو الآتى :-

المجموعة الأولى - تاريخ الترك والمغول

الجزء الأول :

بدء الكتاب أى تاريخ القبائل التركية والمغولية ، وتاريخ جنكيز خان حتى وفاته . (١)

الجزء الثانى :

من جلوس أوكتاى حتى وفاة تيمور أولجايتو حفيد قويلاى خان (٢) .

الجزء الثالث :

من جلوس هولاكو حتى وفاة غازان خان . ويجب أن يضاف إلى هذا الجزء القسم المشتمل على بقية تاريخ الإيلخانيين أعنى تاريخ السلطانين أولجايتو وأبى سعيد (٣) . وهذا القسم هو الذى ألفه حافظ آبرو تحت اسم « ذيل جامع التواريخ » بناء على أمر السلطان شاهرخ ، ويوجد بالفعل ملحقة ببعض نسخ كتاب جامع التواريخ . وقد عثرت عليه فى مخطوط مكتبة مشهد .

المجموعة الثانية - التاريخ العام

الجزء الرابع :

مقدمة تاريخ ملوك الفرس القدماء حتى الدولة الساسانية ، وشرح أحوال النبي صلى الله عليه وسلم .

الجزء الخامس :

تاريخ الخلفاء الذين جاءوا بعد النبي من عهد أبى بكر حتى المستعصم آخر الخلفاء العباسيين .

(١) هذا هو القسم الذى سبق أن نشره برزين .

(٢) هذا هو القسم الذى سبق أن نشره بلوشيه .

(٣) ذكر تاريخ أولجايتو هنا عقب تاريخ غازان أنسب وأليق بما كان يهدف إليه المؤلف

من جعله فى مقدمة المجلد الثانى الذى يتحدث عن التاريخ العام .

الجزء السادس :

تاريخ الدويلات الفارسية بعد الإسلام (الغزنويون ، السلاجقة
الخوارزميون ، الأتابكة والإسماعيلية) .

الجزء السابع :

بقية الكتاب المشتمل على تاريخ الترك والصين واليهود والفرنجة والهنود .
وذلك القسم نقله المؤلف عن المصادر والأخبار والروايات التي قرأها وسمعتها
من علماء تلك الأمم .

ولاشك أن هذا التقسيم لا غبار عليه ويصلح لأن يكون أساساً سليماً
لإعادة نشر هذا الكتاب القيم حتى تعم به الفائدة . غير أنني أرى إدخال
تعديل بسيط فيما يتعلق بالترتيب الذي أشار إليه براون في اقتراحه . فإنا
قد صرفنا النظر عن الترتيب الذي سار عليه المؤرخ فإني أقترح أن يراعى
الترتيب الطبيعي للتاريخ فيكون القسم المشتمل على التاريخ العام هو الذي يكون
المجلد الأول ، ثم يليه المجلد الثاني المشتمل على تاريخ الترك والمغول . وهذا
الوضع قد وجد بالفعل في بعض المخطوطات مثل مخطوط المكتبة الأهلية
بتهران .

مخطوطات كتاب جامع التواريخ :

أما عن مخطوطات كتاب جامع التواريخ التي يمكن أن توضع تحت
تصرف اللجنة التي سوف يعهد إليها بنشر الكتاب ، فإنها متعددة ، وتوجد
متفرقة في مكتبات العالم المختلفة وقد تحدثت عنها كتب الفهارس (١) .

Dorn: St. Petersburg Catalogue, p.279 .

(١) انظر

Rieu: Catalogue of the Persian Manuscripts in the British Museum, Vol. I, pp.
74-79- Vol. III pp. 881-883 .

Ethé: Catalogue of the Persian Manuscripts in the Library of India Office, Vol.
I, pp. 1524-1529- Vol. II, p. 2

Bloch: Catalogue des Manuscrits persans de la Bibliothèque Nationale, Vol. I
pp. 201-204.

Mohammed Ashraful Huk & others: Edinburgh University Library, pp. 15-17

كما أشار إلى بعض تلك المخطوطات المستشرقون « مورلى » (١) « وبراون » (٢) وبارتولد (٣) و « أستورى » (٤) ؛ على أنه تبرز من بين تلك المخطوطات أهمية المخطوط رقم 7628 المحفوظ بالمتحف البريطانى والذي نسخ فى عصر شاهرخ (٨٠٧ - ٨٥٠) فى تاريخ سابق على موت ابنه الأمير بايسنقر عام ٨٣٧ إذ أن هذا الأمير كتب بيده على ظهر الورقة ٤١٠ البسملة التى تبدأ بها مقدمة المجلد الأول من تاريخ رشيد الدين (٥) .

هذا المخطوط ضخم وأوراقه من القطع الكبير ويبلغ عددها ٧٢٨ ورقة مقاس ٤٩ × ٣٠ ، ولعل هذه النسخة تماثل تقريباً حجم المخطوطات الأصلية التى نسخت بأمر المؤلف (٦) . وهى تشتمل كما وصفها « ريو » على المجلد الأول وقسم كبير من المجلد الثانى (٧) ؛ أى أنها تشتمل على تاريخ العالم منذ بدء الخليقة حتى عصر المؤلف .

وقد عدل النساخ عن النظام المؤلف الذى جرى عليه المؤلف فى ترتيب كتابه فقدموا المجلد الثانى المشتمل على التاريخ العام على المجلد الأول المشتمل على تاريخ المغول .

وبينما يقرر « ريو » أن نص هذا المخطوط مشوه جداً ، وأسماء الأعلام كتبت بطريقة خطأ ، وترك كثير من الألفاظ دون نقط (٨) ، نرى « براون » يعد هذا المخطوط من أحسن وأكمل المخطوطات (٩) .

كذلك يوجد بالمتحف البريطانى المخطوط رقم 16688 الذى يشتمل

Morley: J.R.A.S., 1841, pp. II-32. (١)

Browne: J.R.A.S., January 1908, pp. 33-37 . (٢)

Barthold: Turkestan Down to the Mongol Invasion, p.48 . (٣)

Storey: Persian Literature, SectionII, pp. 74-77 . (٤)

(٥) انظر بلوشيه : مقدمة تاريخ المغول ، ص ١١٤ .

(٦) نفس المصدر ونفس الصفحة .

(٧) ريو : فهرس المخطوطات الفارسية ، ج ١ ص ٧٥ .

(٨) نفس المصدر ص ٧٧ - ٧٨ .

(٩) انظر مجلة الجمعية الآسيوية الملكية ، يناير ، ١٩٠٨ ص ٣٣ .

على النصف الأخير من المجلد الأول (من جوجى حتى غازان خان) ولا يعلم تاريخ كتابة هذه النسخة . ولكن الجزء الأكبر منها مكتوب بخط محمد بن حمزة المعروف برشيد الخوافي (١) : « بنده دولت محمد بن حمزة معروف برشيد خوافي كه ناسخ اين كتاب مباركست » ويطلق هذا الكاتب على رشيد الدين عبارة « مخدوم جهانيان وآصف عهد » كما يطلق على السلطان أوبلخايتو ملك العصر السلطان السعيد ظل الله تعالى خلد ملكه » .

ومعنى هذا أنه لم يبق هناك شك في أن هذه النسخة قد كتبت في حياة رشيد الدين ، وفي عهد السلطان أوبلخايتو يعني قبل شوال سنة ٧١٦ . ويصرح ريو بأن هذا المخطوط أصح بكثير من سابقه (٢) .

وفي مكتبة إدارة الهند يوجد مخطوط قيم من هذا الكتاب تحت رقم 3524 (٣) عدد أوراقه ٥٩٩ ورقة ، ومقاسه ٣٩ × ٢٥ ، وتشتمل كل صفحة على ٢٥ سطراً .

وهذه النسخة تحوى المجلدين الأول والثاني ، ولكن القسم المتعلق بتاريخ الإسماعيلية مفقود بأكمله من هذه النسخة ، بينما يوجد كاملاً في نسخة المتحف البريطاني . ويصرح براون بأنه اعتمد على مخطوط إدارة الهند في كتابة مقالته التي قدم فيها اقتراحاته بنشر كامل لكتاب جامع التواريخ (٤) .

وفي إيران سبق أن تحدثنا عن المخطوط رقم ٨٦٩ المحفوظ بالمكتبة الأهلية بطهران وعن المخطوط رقم ٤١٠١ المحفوظ بمكتبة مشهد . وهذا الأخير يمتاز بدقته في كتابه أسماء الأعلام . يقول الأستاذ مينورسكى : « إن هذه النسخة

(١) يبدو أن رشيد الخوافي هذا ، هو الشخص الذى كتب أقدم نسخة من تاريخ جهانگشاى المحفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس وتاريخ تحريرها ٤ من ذى الحجة سنة ٦٨٩ (انظر بلوشيه : فهرس المخطوطات الفارسية ج ١ ص ٢٧٨ ؛ الجوينى : تاريخ جهانگشاى ج ١ ص ١٢٤ من مقدمة الناشر) .

(٢) انظر ريو : فهرس المخطوطات الفارسية ، ج ١ ص ٧٨ .

(٣) انظر براون : مجلة الجمعية الآسيوية الملكية ، يناير ١٩٠٨ ص ١٨ ؛ بلوشيه : مقدمة تاريخ المغول ص ١٢٦ بينما نرى هذا المخطوط نفسه في فهرس « آتیه » (ج ١ ص ١٥٢٤) مقيداً تحت رقم 2828 .

(٤) انظر براون . مجلة الجمعية الآسيوية الملكية يناير ١٩٠٨ ، ص ٣٤

بالإضافة إلى نسخة طشقند تعتبر هامة جداً لإصلاح الأسماء المعقدة للأشخاص والأماكن الجغرافية» (١) .

كذلك هناك نسخة كاملة قيمة من هذا المؤلف محفوظة بالمكتبة الإمبراطورية بطهران « كتابخانه سلطنتی ایران » (٢) .

أما في تركيا فلسنا في حاجة إلى إعادة بيان أهمية النسخة رقم ١٥١٨ المحفوظة بمكتبة روان كوشكى باستانبول والتي تشتمل على المجلد الأول المتعلق بتاريخ المغول .

والنسخة المحفوظة بمتحف طوب قابو سراى والمدرجة ضمن مكتبة بيلديز باستانبول تحت رقم ١٦٥٤ ، وهى عبارة عن المجلد الثانى المشتمل على التاريخ العام . وكذلك المخطوط رقم ١٦٥٣ المحفوظ بنفس المتحف والمدرج تحت اسم « زبدة التواريخ » لحافظ آبرو ، وهذه النسخ سبق أن أشرنا إليها (٣) . وفى تركيا أيضاً توجد نسخة أخرى مكتوبة باللغة العربية محفوظة بمكتبة أيا صوفيا باستانبول ، ويطلق عليها « تاريخ جنكيز » (٤) وهى عبارة عن جزء من المجلد الأول من كتاب جامع التواريخ كتبت فى غرة المحرم سنة ٧٨٥ (٥) وتشتمل على ما كتبه رشيد الدين عن القبائل التركية والمغولية وعن أجداد جنكيز خان وتاريخ جنكيز نفسه وفتوحاته وغزواته .

ومن هذه النسخة أخذت صور فوتوغرافية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٨٩ تاريخ (٦) . وقد اطلعت على هذه النسخة ويبلغ عدد أوراقها

Minorsky: Bulletin of the School of Oriental Studies, Vol. VIII, Part (١)

I, 1935, p. 256.

(٢) انظر براون : از سعدى تاجاى ، ترجمة على أصغر حكمت ، حاشية ١ ص ٨٧ .

(٣) انظر ص ٣٥٧ — ٣٥٨ من هذا الكتاب .

(٤) انظر عباس العزاوى : تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ١ ص ١٥ .

(٥) نفس المصدر ص ١٦ .

(٦) انظر فهرس دار الكتب المصرية ، ج ٥ ص ٩٩ . ويلاحظ أن الشخص الذى

كتب نبذة عن تلك النسخة فى الفهرس قد أخطأ خطأ فاحشاً حينما زعم أن رشيد الدين فرغ من جمع =

١٩٩ ورقة ، وتشتمل كل صفحة على ١٣ سطراً . وعلى الغلاف أطلق على الكتاب « تاريخ الغازاني - القسم الأول منه » . وفي الورقة الأولى كتب عنوان ما اشتمل عليه الكتاب « تاريخ جنكيزخان بالعربية » وأوله عبارة « الحمد الوافر والثناء المتكاثر لله الذى أبدع الأكوان بقوله « كن فيكون . جل جلاله وعم نواله ، والصلوات التامات والتحيات الزكيات على الحضرة التى هى معدن الرسالة ، ومنيع العزة والحلالة حضرة سيد الأنبياء وأكبر كافة الأولياء والأصفياء محمد المصطفى ونبيه المحببى ، وعلى أولاده الأطهار وأصحابه المهاجرين والأنصار ، وعلى أتباعه وأشيعه وسلم تسليماً كثيراً .. الخ (١) . هذه النسخة تشتمل على تاريخ القبائل التركية والمغولية ، وتاريخ آباء وأجداد جنكيزخان ، ثم تاريخ جنكيز نفسه ، وذكر حروبه وفتوحاته . ويقابل هذا القسم فى الأصل الفارسى المتن الذى نشره « برزین » . ومن مقارنة المقدمة العربية لهذه النسخة بالمقدمة الفارسية لاحظت أن المقدمة العربية تنقص فى نهايتها . كما لاحظت أن أبيات الشعر التى تتخلل تلك المقدمة بقيت فارسية ولم تترجم إلى العربية . كذلك يبدو أن النسخة ناقصة فى نهايتها ولا يعلم مقدار هذا النقص إلا بعد مقارنتها بنسخة أخرى .

ولاشك أن نسختنا الحاضرة جديرة بالنشر لاسيما وأنها مكتوبة باللغة العربية . وحينما زار المستشرق الروسى مينورسكى مصر فى سنة ١٩٤٩ شاهد تلك النسخة وعلق عليها بالإنجليزية (ورقة/ ١) وأبان أن القسم الفارسى الذى نشره برزین ضرورى جداً إذا ما أريد نشر النسخة المشار إليها . ولكن هذا لا يكفى لأننا نعلم أن برزین أسقط من طبعته الأجزاء المعترضة المشتملة

= كتابه فى غرة شهر المحرم سنة ٧٨٥ . لأنه فى هذا التاريخ يكون قد مضى على وفاة المؤلف سبع وستون سنة . والصحيح أن هذا هو تاريخ استنساخ هذه النسخة كما هو واضح فى الخبيث على نسخة آيا صوفيا .

(١) انظر رشيد الدين : تاريخ الغازاني ، صور فوتوغرافية بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١٨٩ تاريخ ورقة ٢ .

على تاريخ الملوك الذين كانوا يعاصرون المغول . وعلى هذا يكون لامفر من الرجوع إلى المخطوطات الهامة من كتاب جامع التواريخ إلى جانب نسخة « برزين » حتى يمكن مقارنة المتن العربي بالأصل الفارسي ، وتكملة مواضع النقص في النسخة العربية . ولكن كفانا هذه المثونة الدكتور بهمن كريمي إذ نشر هذا النص كاملا في طهران عام ١٣٣٨ هـ . ش . = ١٩٥٩ م .

البَابُ السَّادِسُ

رشيد الدين العالم الأديب

الفصل الأول

مؤلفاته العلمية

في الباب السابق درسنا رشيد الدين كهوُرخ ، وعرفنا قيمة كتابه جامع التواريخ خصوصاً فيما يتعلق بتاريخ المغول .

والآن نريد استكمالاً للبحث أن نعرفه كذلك كصاحب مؤلفات هامة أخرى في شتى المسائل العلمية والدينية والأدبية . وبهذا سوف يتضح لنا أن رشيد الدين لم يكن من الوزراء الكبار ورجال السياسة في إيران ، أو من مشاهير المؤرخين فحسب ، بل كانت له كذلك دراية كافية بفروع العلوم والفنون الأخرى .

نحن نعرف أن رشيد الدين بدأ حياته العملية بالاشتغال بالطب فكان يعمل طبيباً خاصاً في البلاط المغولي ، وظلت هذه المهنة عالققة به طول حياته فعلى الرغم من أنه كان يزاول عمل الوزير الأول في الإمبراطورية المغولية وعلى الرغم من أن أعباء هذا المنصب كانت ثقيلة للغاية ، كما كانت تشغل كل وقته تقريباً بحيث أن مهنة الطب لم تعد تأتي في المرتبة الأولى من عنايته ، على الرغم من كل ذلك آثر رشيد الدين أن ينص على انتسابه إلى تلك المهنة فكان كلما ذكر اسمه في المواضع العديدة من مؤلفاته أردفه بقوله : « المشتهر برشيد الطبيب » .

وقد نقل مؤلفنا عدة كتب طبية من لغات أخرى إلى الفارسية والعربية منها : —

١ — طب أهل الخطأ ، وهو عبارة عن ترجمة قسم من الكتب الطبية والعلمية الصينية إلى اللغة الفارسية . وتوجد منه نسخة خطية فريدة محفوظة بمكتبة آياصوفيا باستانبول تحت رقم ٣٥٩٦ (١) .

(١) انظر مجلة كلية الآداب بجامعة طهران ، العدد الأول من السنة الثالثة ، طهران ١٣٣٤

ويطلق رشيد الدين على هذا الكتاب اسم « تانكسوق نامه ايلخان در فنون علوم ختائی ». وكلمة تانكسوق وتنكسوق وتنسوق وتانسوخ وتنسوخ وتنسق وتنسخ أشكال مختلفة لكلمة مغولية دخلت اللغة الفارسية ، واستعمات بمعنى شئ عفيس وتحفة نادرة تقدم هدية للعظماء .

ورشيد الدين يعد هذا الكتاب هدية جديدة بأن تقدم إلى السلطان غازان الذي ترجم الكتاب في عهده .

يتكون الكتاب المذكور من مقدمة المترجم « رشيد الدين » . وتقع في أربعين صفحة (١) تحدث فيها عن اهتمام غازان بنقل الثقافات الأجنبية إلى الفارسية خصوصاً تلك التي لم يكن لإيران سابق عهد بها ، وفي مقدمتها العلوم الصينية ، وإسراع رشيد الدين إلى تحقيق هذه الرغبة . وتحدث كذلك عن خصائص اللغة الصينية والخط الصيني ، وبين أنه ليست له حروف معينة وإنما يرسم لكل اسم ولهظ شكل معين يدل عليه . ثم عقد مقارنة بين اللغة الصينية وبين غيرها من اللغات . كما تحدث عن المترجم الدقيق والشروط التي يجب أن تتوافر فيه . وأخيراً تكلم عن ثقافة الأشخاص الذين عاونوه على إنجاز هذا العمل . ثم يختم هذه المقدمة بقوله : « لقد وقف القراء على كثير من اللطائف والحكم من هذه الكتب التي ترجمها هذا الضعيف . ولكن ليس هناك مجال لأن أشرح كل ذلك ؛ فأكتفي بتسجيل هذا القدر حتى يقف عليه الأذكاء والعلماء ، ولا يشغلون بإنكاره . وكل واحد يعن فيه النظر بقدر سعيه واجتهاده ، ويستنتج من معانيه وحقائقه ، ويتفحص وجوهه ، ويسبر غوره » (٢) .

(١) انظر مجلة كلية الآداب بجامعة طهران ، العدد الأول من السنة الثالثة ، ص ١٤ وما بعدها .

(٢) « واز اين كتب كه اين ضعيف آن را ترجمه كرد بسيار لطايف و حكمتها معلوم شد ، ليكن مجال آنكه آن را شرح كنم نداشتم . حاليا اين قدر جهت آن در قلم آوردم تا زيركان ودانايان و حكما از آن واقف شده بانكار آن مشغول نگردند ، و هريك بقدر سعي و اجتهاد خود در آن نظر شافي كرده از معاني و حقايق آن استنباطات كنند ، و وجوه آن باديد كنند و بغور آن برسند » (انظر نفس المصدر ، ص ٢٥ نقلا عن مخطوط أهل الخطا) .

بعد ذلك تأتي المقدمة الأصلية للكتاب ، وتقع أيضاً في نحو أربعين صفحة .

ثم يرد اسم الكتاب ، وفهرست تفصيلي يبين أبوابه وفصوله ومشمولات كل منها ، ويستمر ذلك حتى صفحة ١٠٤ . وأخيراً يصادفنا المتن الأصلي للكتاب الذي ينتهي في صفحة ٥١٦ .

وقد تم تحرير هذا المخطوط في مدينة تبريز في سنة ٧١٣ هـ في حياة المترجم نفسه ، وهو بخط محمد بن أحمد بن محمود المعروف بقوام الكرمانى (١).

٢ — الأدوية المفردة الخطائية التي يمكن أن تستخدم في إيران .

٣ — الأدوية المفردة المغولية .

ولكن هذين الكتابين الأخيرين مفقودان ، ولم يعثر عليهما وإنما يرد ذكرهما في الفهرست الجامع الذي كتبه رشيد الدين لجميع مؤلفاته في مقدمة المجموعة الرشيدية .

وبالإضافة إلى ذلك كان رشيد الدين يعنى أشد العناية بالخدمات الطبية فيما ينشئه من مؤسسات فكان يقيم المستشفيات ويعين لها الأطباء ، ويتيح لهم الحياة الناعمة التي تمكنهم من القيام بواجبهم على أكمل وجه . كما كان يشجع الطلبة على دراسة الطب ، ويجلب الأدوية من مختلف الجهات ، ويشدد في العناية بالمرضى . وكانت ثروته الكبيرة أكبر عون له على تنفيذ هذا البرنامج الضخم .

ففي همدان أقام مستشفى وصيدلية لعلاج المرضى من الضعفاء والفقراء إذ كان يرى أن تعهد هؤلاء المرضى واجب على الحكام وولاية الأمور وأن إقامة بقاع الخير من المدارس والخوانق ودور الشفاء من الأمور التي لا تحتل الإبطاء ، ولا يستساغ فيها بأى وجه الإهمال أو الإغفال (٢) . ولذلك عند ما علم باختلال شئون هذا المستشفى وعدم العناية بالمرضى نتيجة لتسرب الفساد بين المشرفين عليه ، سارع فاختار طبيباً كبيراً لإدارته يدعى

(١) انظر مجلة كلية الآداب بجامعة طهران ، العدد الأول من السنة الثالثة ، ص ٢٦ .

(٢) انظر مكاتبات رشيدى ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

ابن المهدي ، كما عهد إليه بالإشراف على الأوقاف التي وقفها للإنفاق منها على المستشفى والصيدلية ، وكلفه بأن يعنى بتركيب الأدوية والمعاجين وبفحص المرضى بدقة وعناية . وأخيراً توجه إلى الوجهاء والأعيان ليعاونوا هذا الطبيب على أداء مهمته (١) .

وعندما نتحدث عن مؤسسة « الربع الرشیدی » التي أنشأها رشيد الدين شرقى تبريز ، سوف نرى إلى أى حد اهتم بالخدمات الطبية في تلك المؤسسة حتى يوفر لساكنيها حياة صحيحة سليمة .

وكان يرى أن صحة الجسم وسلامة البدن يعينان الإنسان على إقامة الطاعات وتأدية العبادات لأنه في حالة السقم والضعف لا يمكن تحصيل الكمالات النظرية واكتساب الملكات العملية ، وبسبب انحراف المزاج تعجز الحواس الظاهرة التي هي وسيلة لاصطياد المعارف – عن أداء وظائفها . ولندارك هذه النواقص وابتغاء الثواب كان حكام الإسلام يأمرّون بإقامة المستشفيات وتميئتها بكل ما يلزم من أدوية ومعاجين وأطباء (٢) . ولما كان رشيد الدين يقدر ذلك تمام التقدير ، فقد أعاد تجديد المستشفى الذي كان قد أقامه أتابكة فارس في شیراز (٣) بعد أن ظل معطلا مدة طويلة ، وعين طبيباً ماهراً لإدارته هو محمود بن إلیاس الشیرازی وكان أحد الأطباء المشهورين الذين عرفوا بسعة الاطلاع وكثرة التجارب . ألف كتاب « اللطائف الرشيدية » باسم رشيد الدين وكان مشتملاً على أصناف اللطائف وموشحاً بآلاف الظرائف . كذلك ألف كتاب « طبقات الحكماء » ويوجد مخطوط منه في القسطنطينية ، وله رسالة أخرى قصيرة عن « العلاج والتغذية » ألف أكثرها شعراً ويملك الطبيب «Cyril Elgood» نسخة منها (٤) .

ويوجد بين مؤلفات رشيد الدين بعض الموضوعات الطبية لم تبق أية

(١) نفس المصدر ص ٢٥٧ ؛ Elgood: A Medical History of Persia, p.312

(٢) مكاتبات رشیدی ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

(٣) يذكر المؤرخون أن الأتابك أبا بكر بن سعد بن زنكي (٦٢٣ - ٦٥٩) هو

الذي أقام مستشفى في شیراز (انظر تاريخ وصاف ص ١٥٧ ؛ شیراز نامه ص ٦٠ طبع طهران

(٤) . Elgood: A Medical History of Persia, p.313

ملاحظة نظراً لطغيان شهرة كتابه جامع التواريخ على كل ما عداه من المؤلفات الأخرى .

ولرشيد الدين من المؤلفات العلمية كتابان هما : « بيان الحقائق » و « الآثار والأحياء » .

أما بيان الحقائق : فهو يشتمل على موضوعات علمية إلى جانب الموضوعات الكلامية وتفسير بعض آيات القرآن الكريم . وهذا الكتاب لم يصل إلينا وكان يتكون من سبع عشرة رسالة مرتبة على النحو التالى (١) :

الرسالة الأولى : سؤال وجهه السلطان أوجايتو إلى المؤلف .

الرسالة الثانية : نصيحة نصح بها هذا السلطان .

الرسالة الثالثة : مسائل أثارها علماء مختلفون .

الرسالة الرابعة : تفسير آية ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها . . .

الرسالة الخامسة : تفسير آية ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم . . .

الرسالة السادسة : تفسير سورة إنا أنزلناه . . .

الرسالة السابعة : فى بيان حقيقة الألوان مع تفسير آية الله نور السموات والأرض .

الرسالة الثامنة . . . (٢) .

الرسالة التاسعة : فى بيان فوائد زيارة المشاهد ومقابر العظماء من رجالات الإسلام .

الرسالة العاشرة : فى نصيحة الإخوان .

الرسالة الحادية عشرة : فى تحقيق سبب الجدرى والاعتراضات على ما قاله الأطباء .

الرسالة الثانية عشرة : فى بيان حقيقة الحرارة وأنواعها .

(١) انظر فهرست مؤلفات رشيد الدين . Quatremère, p.CLV-CLVI .

(٢) عنوان هذه الرسالة محذوف .

الرسالة الثالثة عشرة : ذيل نفايس الأفكار في بيان دوام الخلود في الجنة والنار .

الرسالة الرابعة عشرة : في بيان حقيقة الخرقه ومناسبة نسبتها إلى أمير المؤمنين على بن أبي طالب .

الرسالة الخامسة عشرة : في شرح الخبر النبوي « أنا مدينة العلم وعلى بابها » .

الرسالة السادسة عشرة : في شرح المعقول والمنقول .

الرسالة السابعة عشرة : الناسخ والمنسوخ .

وأما كتاب الآثار والأحياء (١) فهو في الاقتصاد الزراعى ولا يشتمل على رسائل لكنه موضوع على أربعة وعشرين باباً موزعة على النحو التالى :
الباب الأول : في معرفة أحوال السنة وفصولها والأهوية الحارة والباردة وعلامة الريح والمطر .

الباب الثانى : في معرفة الماء والأرض والأقطار الحارة والباردة .

الباب الثالث : في أن كل عمارة تليق بأى شخص وأن ترتيب أدوات كل منها فى أى وقت وعلى أى وجه ينبغى أن يفعل ، وكل ما يكون من هذا القبيل .

الباب الرابع : فى كيفية القنوات ومباحث حكمية تناسبها وما يتعلق بذلك .

الباب الخامس : (٢) .

الباب السادس : فى معرفة البذور والأصول التى ينبغى أن تغرس والتمييز بين جيدها ورديئها .

(١) ذكر الوصاف ص ٣٥٩ هذا الكتاب ضمن مؤلفات رشيد الدين تحت اسم «الأخبار والآثار» وتحدث براون عن الكتاب المذكور تحت عنوان «الأحياء والآثار» .

(انظر . Browne: Lit. Hist. of Persia, III, p.75)

(٢) عنوان هذا الباب محذوف

الباب السابع : فى أن أى شىء ينبت من البذور ، وأن أى شىء ينبت من الأصل وما يتعلق بذلك .

الباب الثامن : فى معرفة أنواع الأشجار المثمرة وغير المثمرة بستانياً أو غير ذلك مما فى هذه الممالك أو فى غيرها .

الباب التاسع : فى معرفة أحوال وأصل الأشجار وفوائدها .

الباب العاشر : فى معرفة أحوال استعمال الزبل وأنواعه وفوائده وخواصه .

الباب الحادى عشر : فى معرفة أنواع البطيخ والبقول والخضروات .

الباب الثانى عشر : فى معرفة أحوال زراعة الحنطة والشعير وأنواع الحبوب وفوائد كل منها .

الباب الثالث عشر : فى معرفة أحوال زراعة قصب السكر والقطن والسمسم والكتان والنبيلج والقنب وأمثالها .

الباب الرابع عشر : فى معرفة دفع الجراد والفار والنمل والحية والعقرب وأمثالها .

الباب الخامس عشر : فى معرفة أحوال الحمام والدجاج وسائر الطيور الأهلية وكيفية نتائجها .

الباب السادس عشر : فى معرفة أحوال أصناف الخيل والبقر والحمير وسائر الحيوانات الأهلية والوحشية .

الباب السابع عشر : فى معرفة أحوال النخل وأنواعه .

الباب الثامن عشر : فى معرفة أحوال الآفات التى تصيب الأشجار والزرع ودفعها وتداركها .

الباب التاسع عشر : فى كيفية المحافظة على الغلة ، وأنواع الحبوب والحلوى والشراب والزبيب وأمثالها .

الباب العشرون : فى معرفة أحوال عمارة البلاد وبقاع الخير والقلاع وسائر الأبنية والأمكنة وما يتعلق بها .

الباب الحادى والعشرون : فى معرفة أحوال السفن والجسور والقناطر والمقابر .

الباب الثانى والعشرون : فى معرفة منافع أنواع الحيوانات وفوائدها .

الباب الثالث والعشرون : فى معرفة كيفية استخراج الجواهر من المعادن وترتيب آلاتها وأدواتها .

الباب الرابع والعشرون : فى معرفة فوائد الجواهر والأحجار وخواص كل منها وكيفية أحوالها .

ويذهب الأستاذ « بهار » إلى أن منتخبات من هذا الكتاب المفقود نشرها رجل يدعى عبد الغفار الشهير « بنجم الدولة » فى طهران عام ١٣٢٣ هجرية فى طبعة حجرية وألحقها بكتاب إرشاد الزراعة هروى وبكتابين آخرين فى علم الزراعة (١) وأدلت على ذلك .

١ - أن الناشر قد صرح فى مقدمة كتابه بأنه نقل هذه الفوائد من كتاب « الآثار والأخبار » حتى يكون للناس نصيب منها وهى بصفة عامة لا تخلو من فوائد للدنيا والآخرة « أما بعد اين فوايد برسيل استعجال از كتاب « آثار واخبار » نقل کرده ميشود تا خلايق را باشد که ازین بهره حاصل گردد وفى الجملة از فايده دنيائى وآخرتى خالى نخواهد بود والله المستعان » (٢).

٢ - من متن الكتاب عرف أن المؤلف كان رجلاً ذا نفوذ وصاحب قدرة ، كما كان نافذ الرأى ومعاصراً لغازان خان . فقد جاء فى ص ٨٦ تحت عنوان « أحوال الأرز » (أحوال برنج) قول المؤلف : « والأرز الصغير الذى يزرعونه فى الهند ويأكله الأكابر يقال له « سنته » وأريد زراعته فى عصر السلطان السعيد « غازان خان » فزرعناه . ولكن لما كان فى موضع قوى فقد ناثم وقف نموه ولم يثمر . وعلى سبيل التجربة طبخنا بعضاً من ذلك الحب عدة مرات فكان طعمه ورائحته أطيب من الأرز المعهود » (٣) .

(١) سبك شناسى ، ج ٣ ص ١٦٧ .

(٢) مجموعه علم ايراني در زراعت وفلاحت وباغبانى وغيره ص ٢ ؛ سبك شناسى ج

٣ ص ١٧٦ .

(٣) نفس المصدر الثانى ص ١٧٧ .

٣ - مما ذكره المؤلف عن نباتات الأقاليم المختلفة مثل الصين والهند والفرنج ومصر يبدو أنه كان رجلاً واسع الاطلاع له قدرة الوقوف على أحوال كل مكان والإلمام بمنتجاته كما أن له إحاطة تامة بخصوص الورق والحبر الصيني والشاي .

تلك المنتخبات تتمثل في الرسالة الأولى البالغ عددها ١١٦ صفحة . وهناك رسالة ثانية نشرت كذلك في مجموعة نجم الدولة وعدد صفحاتها ٦٢ صفحة يقول عنها الأستاذ بهار : « مؤلف هذه الرسالة مجهول كذلك ولكن أسلوب تحريرها يشبه تماماً أسلوب الرسالة الأولى وهي تحتوي على بضعة أبواب في معرفة الهواء والمطر وطلوع نجم الشعري والقمر وتأثير كل منهما في الزراعة ، ومكافحة الآفات وغير ذلك . أما الإشارة إلى زمن التأليف وشخصية المؤلف ومحل توطئه ، فإننا لا نراه في هذه الرسالة كما رأيناه في الرسالة الأولى » (١) .

وقد اطلعت على الرسالة الأولى من تلك المجموعة فلاحظت أن مشتملاتها تطابق تماماً رءوس المطالب التي ذكرها رشيد الدين في فهرست كتابه « الآثار والأحياء » الذي نحن بصددده ، وذلك فيما يتعلق بشئون الزراعة وما يرتبط بها ، هذا فضلاً على أن الأسلوب يمتاز بالسلاسة والسهولة والتسلسل المنطقي والبعد عن التكلف ، وتجنب الأسلوب الخاف المعقد الذي كثيراً ما يبدو في مثل تلك الموضوعات العلمية . وإذن فسمات أسلوب رشيد الدين تظهر بوضوح في تلك الرسالة . ونحن نكتفي هنا بإيراد مثل واحد .

في معرفة أحوال شجرة الليمون وكيفية غرسها وتعهدها :

شجرة الليمون أنواع ، أحسنها ما يأخذون منه الليمون الصغير الذي يقال له في بغداد « الليمون البعقوبي » ويكون جلده ضامراً جداً ورائحته أطيب من رائحة الليمون الآخر ، وهذه الأنواع كثيرة في مصر ، بينما تقل في الولايات الأخرى . وماء الليمون المصرى أحسن من البغدادى وأطيب منه رائحة ومذاقاً ولا يكون فيه أثر للمرارة . كما أنه أبيض ليس فيه غاظ .

(١) انظر سبك شناسى ، ج ٣ ص ١٧٩ .

ويعتَمَلون هذا النوع من الليمون في صنع شراب الليمون وماء الليمون .
وهناك نوع آخر من الليمون يكون كبيراً ورائحته قوية ، ولونه يشبه لون
النارنج ولكن ليست له خاصيته «(١)» .

وبعد هذا فلا يسعنا إلا أن نسلم مع الأستاذ بهار بأن الرسالة المذكورة
هي في الحقيقة عبارة عن منتخبات من كتاب « الآثار والأخبار » لرشيد الدين .
أما عن الرسالة الثانية فإننا لا نستطيع أن نقطع فيها برأى ، لأن الناشر
قد صرح في عنوان المجموعة التي نشرها بأن الرسالتين لشخصين وليس لشخص
واحد وذلك على النحو الآتي : —

« مجموعة علم إيراني »

در زراعت وفلاحت وباغبانی و غیره مشتمل

بر چهار کتاب

دو کتاب اول و دوم تألیف سلیم و سادہ ازدو

شخص معروف

کتاب سیم در قواعد پیوند زنی الخ .

کتاب چهارم إرشاد الزراعة تألیف فاضل هروی

(١) انظر مجموعة علم إيراني در زراعت وفلاحت و باغبانی ص ٣٦ .

الفصل الثاني

مؤلفاته الدينية

لم يكن كتاب جامع التواريخ قد قدم بعد إلى السلطان أوجايتو حتى شرع رشيد الدين في القيام بعمل أدبي من نوع آخر ينحصر في الناحية الدينية . وكان المؤلف يهوى المسائل الدينية ، والتأمل في المعاني الغيبية أو الصوفية للقرآن ، ولكنه لتواضعه وخوفه من النقد ، أحجم عن إثراء الجواهر أول الأمر ثم عاد ووجد من نفسه الشجاعة الكافية فذشر بأبحاثه ومعتقداته نزولا على رغبة أصدقائه . يقول في كتابه مفتاح التفسير : « عرف أنه إذا قرر شيئا من المنقول والمعقول في بعض الأحيان لا يكاد يسلم من لسان الحاسد والطاعن ؛ فلهذا السبب حصل له تردد في القول والكتابة إلى أن كرر الإخوة المخلصون ملتصق بهم ، وقالوا نرى الصلاح في أنك تكتب عدة كلمات في تلك المعاني والأبواب فتعلم من فحوى تقديراتك التي سمعناها أن ما تكتبه من ذلك لا يخلو عن فائدة » (١) .

وكان السبب الذي دعا رشيد الدين إلى أن يؤلف في تلك المسائل الدينية هو أنه في ليلة ٢٦ رمضان سنة ٧٠٥ رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فدار بينهما حديث حول البحث الذي كان قد قام به المؤلف فيما يتعلق بأمية الرسول (صلعم) وفيه يبرهن على أن أميته كانت من الوحي الإلهي ، وأنها كانت خير برهان على رسالته . فوجد من النبي التشجيع والرضا عن عمله وأراد أن يكافئه على تحمسه فأثار عقله ، وأعطاه قوة خارقة للتأمل في أعقد المسائل الدينية فكان يفسر هذه الأمور في سرعة ووضوح ، ووجد أمامه الطريق ممهدا لدرجة أنه عندما شرع في تحرير رسالته عن أمية الرسول ، استغرق ذلك منه نصف ساعة فقط « چون آغاز کتابت کرد بمقدار از نیم ساعت

(١) رشيد الدين : مفتاح التفسير ، مخطوط دار الكتب المصرية ، ورقة ٧ أ

زمانى در قلم آمد » (١) . وبعد قليل اتفق أن سأل السلطان أوجايتو بعض العلماء هذا السؤال : « أيهما أرجح من الآخر فى باب الفضيلة العلم أم العقل ؟ فأجاب كل منهم بقدر علمه وثقافته . وسئل هو بدوره ، ولم يكن يتوقع مثل هذا السؤال فكان البحث عن الإجابة أمراً عويصاً . فلما أعمل فكره قليلا انكشفت له بعض المعانى فصار يغتم الفرصة خلال اللحظات القصيرة التى أتيت له فى ثلاثة أيام أو أربعة ليسجل فيها تلك المعانى ، واستطاع بذلك أن يملأ عشرين ورقة من الحجم البغدادى (القطع الكبير) .

ثم اشتدت ثقة رشيد الدين بنفسه ، وأصبح لا يخشى أن يعرض أفكاراً أطول وأثبت من ذى قبل . وهكذا جاءت مؤلفات رشيد الدين الدينية ثمرة للبحث فى أمية الرسول (٢) . يقول بارتولد : « من الصعب أن نشك فى أن الدافع لرشيد الدين على طرق هذه الموضوعات كان سبباً آخر » (٣) .

ولكن هذا لا يبنى أن يكون مؤرخنا قد رزق منذ البداية عقلية جبارة نيرة وخيالا حاداً واسعاً ، وأنه بمرور الزمن ، وباتصاله بالعلماء وذوى الرأى قد اكتسب خبرة وتجربة . فلما تهيأت له الظروف بعد تأمل وتدبر ومران على تنظيم أفكاره بدأ يكتب مؤلفاته الضخمة (٤) .

وقد امتاز مؤرخنا بمقدرته الفائقة على الكتابة فى سهولة ويسر بأسلوب فصيح خال من الصنعة والتعقيد . وليس أدل على عبقريته وقدرته العجيبة على الكتابة والتأليف من أنه على الرغم من مشاغله العديدة وملازمته للسلطان ، وتصريف شئون الدولة كان ينتهز الفرصة أحياناً وقت السحر فيشتغل بالتأليف لدرجة أنه فى مدة أحد عشر شهراً استطاع أن يؤلف ثلاثة كتب ضخمة هى : التوضيحات ومفتاح التفاسير والسلطانية ورسائل أخرى ، مفصلاً معانيها فى كل باب وفى كل بحث وفى كل مسألة ، ومجملها فوائدها فى ديباجاتها

(١) رشيد الدين : لطايف الحقايق ، مخطوط «كتابخانه ملك» بطهران ورقة ٥٥ - ٥٦

(٢) نفس المصدر ، ورقة ٥٦ .

(٣) بارتولد : مجلة العالم الإسلامى ص ٩٨ .

(٤) انظر Quatremère, P.LXIII.

بحيث أنه لو أراد الآن أسرع الكتاب استنساخ مسودات هذه المؤلفات مع مواظبتهم على العمل طول اليوم ، لأمكنهم ذلك في مدة عامين (١) .

وإن الإنسان ليدّش حقاً إذ كيف استطاع رشيد الدين أن ينجز تلك المجموعة من الكتب في هذه المدة القصيرة ؟ . وإذا كان استنساخها فقط يحتاج إلى عامين على حدّ تعبير المؤلف فكيف سنة يستغرق تأليفها لو تم ذلك على يد مؤلف آخر ؟ لاشك أن ذلك يحتاج إلى سنوات من التفكير .

لقد قدر المستشرق الفرنسي « بلوشيه » عدد أوراق مؤلفات رشيد الدين الدينية والفلسفية مضافاً إليها كتاب جامع التواريخ بـ ٢٢٠٠ صفحة من أكبر قطع ثم تساءل في دهشة كيف أن رجلاً استطاع أن يجد الوقت المادي لكي يكتب علماً بهذا النوع ولكي يجد هذا الورق ؟ . ثم قال لاشك أنه يوجد في الآداب الشرقية كتب ضخمة مثل تاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير والمقرئزي وأبي المحاسن ، وديوان فريد الدين العطار ، وكتب السيوطي التي تناولت كل موضوع ، وبعض هذه الكتب كتب في ظروف عمل لا يتصور ، وفي وسط مشاغل متناقضة مع الاهتمام بالآداب ، ولكن كان في حياة مؤلفها وآثارهم وحدة تتيح لهم أن يستأنفوا نفس العمل أو أعمالاً مشابهة ، وأن يتابعوا السر دون انقطاع في نفس الاتجاه دون أن تقطعه عليهم قيود مهنتهم ولم يكن ذلك قط حال وزير غازان وأولجايتو (٢) .

(١) در مدت یازده ماه باوجود کثرت اشغال وملازمت بندگی حضرت وتوسطه امور مملکت ، وساختن مهمات وکتابت متنوع ، احياناً که بوقت فرصت در هنگام سحر بر مقتضا اشارت (انتهزوا الفرص فإن الفرص تمر مر السحاب) ، انتهاز فرصت می گردد وبآن معانی می پرداخته سه کتاب طول مثل توضیحات ومفتاح التفاسیر وسلطانیه ودیگر رسالات که معانی آن در هر باب وهر بحث وهر مسئله وفواید آن در دیباچه آن مفصل آمده در قلم آورد . وحقیقت توان گفت که بموجبی که گفته اند :

وكانت بالعراق لنا ليال سرقناهن من ريب الزمان

جملنا هن تاريخ الليال وعنوان المقاصد والأمان

آن چند شب که هنگام فرصت تقرر وتحریر معانی آن رسایل پرداخته سر دفتر عمر وزند گانی بوده چه در اندک زمان خلال فواید در قلم آورده که اکنون چون خواهند که مسودات آنرا بایضای برند ، کتاب زود نویس که همه روز بد آن مشغولند ، کتابت آن بمدت دوسال می توانند کرد . (رشید الدین : لطایف الحقایق ، مخطوط کتابخانه ملک بطهران ، ورقة ٥٦) .

Blochot: Introduction à l'Histoire des Mongols, p.129. (٢)

يجب أن نفترض أنه كان لرشيد الدين أعوان وأتباع كثيرون يعاونونه في البحث ؛ إذ يستحيل على رجل في مثل سنه وفي مثل منصبه أن ينجز هذا العمل الضخم في تلك المدة القصيرة . هذا من جهة ومن جهة أخرى يجب أن نتوقع أن يبدو طابع السرعة في هذه المؤلفات فلا يكون المؤلف دقيقاً في كل ما يقول ويدعى ، كما أن الأفكار لا تكون دائماً مرتبطة ببعضها ، وأحياناً يبدو الأسلوب معقداً يكتنفه كثير من الغموض .

والآن يرد هذا السؤال إذا كان رشيد قد رزق هذه المواهب الكثيرة فلماذا لم يكتب مؤلفاته الدينية إلا في سن متأخرة ؟ .

للإجابة على هذا السؤال نقول : إن رشيد الدين التحق بخدمة المغول منذ شبابه وسرعان ما صار مكلفاً بالإشراف على إدارة الإمبراطورية . وكان يخالجه شعور من التواضع المفرط إذ كان مقتنعاً بأنه لا يجوز الموهبة ولا المعرفة الكافيتين لكي نهج نهج الكتاب الذين لهم الفضل في إكساب أمتهم الفخر والمجد (١) . ومن ناحية أخرى كان يخشى ضروب النقد التي كان يتعرض لها كل من حمل القلم . وفوق هذا وذاك كان يعرف جيداً أصله اليهودي فدعاه هذا إلى الإحجام أول الأمر عن الخوض في مثل هذه الموضوعات حتى لا يطعن في دينه ويرمى بالإلحاد والزندقة . لكل هذه العوامل كان رشيد يقنع بالتأمل في صمت مكتفياً بأن يعلن للناس ثمرة تأملاته ودراساته عن طريق أحاديثه التي كان يلقيها في حضرة السلطان وفي محيط العلماء والمعارف والأصدقاء يقول في كتابه أسئلة وأجوبة : « بتوفيق الله لازم هذا العبد الضعيف الملوك من سن الصغر إلى أن بلغ عمره الثانية والستين ووجد منهم فوائد عديدة متنوعة وصاحب كبار الشيوخ والعلماء والحكماء واستفاد منهم بقدر الاستعداد . وكان له نصيب من العلوم التي كان يعرفها أبوه وأقاربه . والآن في وقت البحث وكشف الحقائق يستطيع أن يقول كلمة مع علماء العصر وحكمائه » (٢) .

(١) Quatremère, P.LXIII.

(٢) « ابن بنده ضعيف بتوفيق ايزدى از سن صغر تا اکنون كه عمر او بشصت ودوسال رسيد وملازمت حضرة پادشاهان كرده ، وبهمه نوع از پرتو نور پادشاهانه ايشان انار الله براهينهم فايد هابی شار يافت وصحبت خدمت مشايخ بزرگ وعلماء وحكا در يافت . وبقدر استعداد از خدمتشان مستفيد شد ، واز پدر وخويشان خود علوی كه دانستند بهر مند شد » . رشيد الدين : أسئلة وأجوبة ، سؤال رقم ٢٤ . مخطوط الأستاذ جعفر سلطان القرائى بطهران .

ولما وجد الفرصة مناسبة لنشر هذه الأفكار والآراء لم يتردد في نشرها .
والآن نتحدث عن تلك المؤلفات الدينية :

١ - التوضيحات :

اشتغل رشيد الدين بدراسة العلوم الدينية لأوجليانو في العقد السابع من حياته كما سبق أن اشتغل بدراسة التاريخ لسلفه غازان في العقد السادس . وكان السلطان أوجليانو يعنى بالمسائل الدينية أكثر مما يعنى بأى شىء آخر . وكل هذه السلسلة قد ألقت على وجه الخصوص للإجابة على الأسئلة التى كان يوجهها السلطان (١) . وفى إحدى المرات طلب السلطان إلى رشيد الدين أن يفسر بعض آيات من القرآن فلبى طلبه وفسر آيات متفرقة ، وبسط القول فيها ، وكتب رسائل فى كل باب ومن كل نوع وأودع الجميع مجلداً واحداً سماه التوضيحات .

هذا الكتاب يتكون من ديباجة وتسع عشرة رسالة . الديباجة فى التعميد والبواعث التى دعت المؤلف إلى تأليف هذا الكتاب .

الرسالة الأولى : فى تفسير اسم الله تعالى .

الرسالة الثانية : فى تقسيم الموجودات .

الرسالة الثالثة : تحتوى على تفصيلات واسعة حول هذا الموضوع .

الرسالة الرابعة : فى تفسير آية « قالوا سبحانك » .

الرسالة الخامسة : فى تفسير آية « ويسألونك عن الروح » (٢) .

الرسالة السادسة : فى تفسير آية « ألسنت بربكم » .

الرسالة السابعة : فى تفسير سورة « قل يأىها الكافرون » .

الرسالة الثامنة : تشتمل على ملحق للتفسير السابق .

الرسالة التاسعة : فى بيان أحوال المعارضين .

الرسالة العاشرة : تحتوى على مناقشة عميقة حول الإسراء والمعراج .

الرسالة الحادية عشرة : فى شرح حديث الأرواح جنود مجندة .

(١) بارتولد : مير إسلاما ، ص ٩٨ .

(٢) سورة الإسراء ، آية ٨٥ .

الرسالة الثانية عشرة : فى شعب النبى صلى الله عليه وسلم ، وتفسير
« سورة الكوثر » .

الرسالة الثالثة عشرة : عرض تفصيلى واضح لمسألة أمية الرسول .

الرسالة الرابعة عشرة : فى جواب المعارضين لحجة الإسلام الإمام
الغزالى .

الرسالة الخامسة عشرة : فى بيان فضيلة العقل والعلم .

الرسالة السادسة عشرة والسابعة عشرة : حول رؤيا للمؤلف .

الرسالة الثامنة عشرة : فى بيان حال القربان .

الرسالة التاسعة عشرة : فى اعتذار الحكماء (١) .

٢ - مفتاح التفاسير :

لم يكدر رشيد الدين ينتهى من تأليف كتاب التوضيحات حتى شرع
فى تأليف سلسلة أخرى من الكتب بسرعة لا تكاد تصدق . وأول هذه السلسلة
كتاب مفتاح التفاسير الذى أشار إليه بروكلمان (٢) ، ونبه إلى وجود مخطوط
منه باللغة العربية فى دار الكتب المصرية . وقد سارعت واطلعت على تلك
النسخة القيمة فوجدتها مقيدة تحت رقم ١٣٣ م تفاسير ، وهى مرقمة وعدد
أوراقها ٢٥٦ ورقة ومساحتها ٣٠ × ٢٢ر٨ سنتيمتر ، وورقها سميك يميل
إلى الصفرة ، والخط نسخ واضح مقروء والآيات والأحاديث مكتوبة بخط
الثلاث ، وأما العناوين فقد كتبت بالمداد الأحمر ولم ينص فى النسخة على تاريخ
التحرير .

وقد ذكر المؤلف أنه ألف هذا الكتاب بعد أن فرغ من تأليف كتابه المسمى
« التوضيحات » ثم يجرى على عادته من التواضع وإظهار نفسه بمظهر
الجهل الذى يخفى وراءه الاعتداد بالنفس ، والرسوخ فى العلم فيزعم أنه لم
يكن فى مبادئ أحواله سعى فى علم القرآن أو أنه اشتغل بذلك وسلك
طريقته أو خطر فى باله أن يشرع فى تفسير القرآن يوما أو أنه يقدر على

(١) انظر فهرست مؤلفات رشيد الدين . Quatremère, P.CL

(٢) انظر . Geschichte der Arabischen Litteratur Vol. II p.273

ذلك وليس عنده متسع من الوقت ، ولا فرصة يرتب فيها أفكاره ترتيباً جيداً . ولكنه بالرغم من كل هذا وجد نفسه مساقاً لتنفيذ مشيئة الله .

« أراد الحق تعالى أنه إذا جاء ميعاد ذلك الوقت وآن أوانه كما هو كائن في علمه تعالى وتقدس ، وصارت المشيئة والإرادة باعثين عليه يتحرك ذلك المعنى المقدر على التدريج فأسوق حينئذ كلمات بواسطة القلم واللسان فأى اختيار لى أم كيف أفعّل حتى لا أفعّل ؟ ، فأنقاد لذلك الأمر طائعا ، وشرعت فيه مستعينا بالله ، راغبا إليه في الهداية والتوفيق » (١)

ثم يبين رشيد الدين بعد ذلك منهجه في التفسير فيسوق آيات وأحاديث تدل على أن في القرآن مجالا واسعا للتأويل ، وأنه كان يتمنى أن تكون له القدرة على تفسير جميع آيات القرآن فيفسر كل آية منه بمقدار ما يصل إليه فهمه . وشرع في تنفيذ هذا البرنامج ، ولكنه عاد فرأى أنه فوق مقدوره فلم يربداً من أن يختار طريق الإيجاز والاختصار . يقول : « ولما كان تفسير القرآن المجيد لا نهاية له ، فإذا ركبنا ذلك البحر الذى لا يرى ساحله ينبغي أن نسعى ونجد حتى نقطعه سريعا ، ونلقى أنفسنا على الساحل لا جرم رأينا الحيلة في ذلك أن نسلك طريق الإيجاز والاختصار ونشرع في ذلك المقدار ، نقدم عليه ليحصل لنا المقصود في زمان يسير لأن الذى يحصله الإنسان في زمان قليل يكون به أكثر وثوقاً مما يحصله في الزمان الطويل . وأى وثوق أو اعتماد على ما يمكن تحصيله في العمر القصير حتى يثق الإنسان مما يحصل في العمر الطويل ؟ . والذى يقع في خاطر هذا الضعيف أنه وهب الله تعالى له عمراً طويلاً يتمتع بما كتبه وتممه في زمان يسير وله أنه سلك طريق الإطناب والتطويل ولم يكن الله قد قدر له من العمر ما بقي بإتمام ذلك ؛ لبقى ما عمله مهملاً غير تام . وحيث أنه تقرر أنه لا شيء أقرب إلى الإنسان من الموت كما ورد في الحديث النبوى : (والذى نفسى بيده وضعت في فى لقمة فظننت أنى أحيى حتى أسيغها) » (٢) .

(١) رشيد الدين : مفتاح التفاسير ، مخطوط دار الكتب المصرية ، ورقة ٢ أرقم ١٣٣ م تفاسير .

(٢) نفس المصدر ، ورقة ٦ أرقم ١٣٣ م تفاسير .

ورشيد الدين لا يسلك في تفسيره مسلك المفسرين المتأخرين الذين وجهوا كل همهم إلى ما قاله المتقدمون فنقلوه إلى عبارات أخرى وإلى اصطلاحات لهم على سبيل التقديم والتأخير فجاء مخالفاً في الصورة فقط لما جاء به أولئك . ولكن معاني الجميع متحدة . فهو لا يستطيع أن يتبع طريقة هؤلاء وإلا جاء كلامه تكراراً لما سبق ، ولا تكون فيه زيادة فائدة فضلاً عن أنه يحتاج إلى زمن طويل قد لا يفي به العمر ، ولكنه في الوقت نفسه لا يستطيع أن يعرض لإعراضاً تاماً عما ذكره الأسلاف ؛ إذ أن بعضه يتعلق بالمعنى والمراد من الكلام ، وبعضه يساق لبيان الاشتقاق والتركيب ، وتلفيق الألفاظ وبعضه أبحاث تتعلق بالنحو والصرف ، وبعضه تفاسير ومعاني تتعلق بظاهر الكلام وباطنه . ولا شك أن هذا حسن مختار ، وأكثره يجب أن يقرر ليعلم منه التفسير .

لهذا رأى المؤلف أن يخطط لنفسه طريقاً وسطاً فهو أولاً ينقل ما قاله العلماء ، وينبه على الوجه الذي انتخبوه ورتبوه ، ثم يضم إليه ما جاء في خاطره مناسباً للعقل والنقل بشرط أن يكون ذلك على سبيل الإيجاز والاختصار وتجنب الإطناب والتطويل (١) .

وهو يدعو إلى مبدأ هام في التفسير ؛ إذ يرى أنه من بين الشروط التي يجب على المفسر رعايتها أن يكون تفسيره مطابقاً لألفاظ الآية ، ويكون اللفظ دالاً على المعنى كدلالة المعنى على اللفظ . فإذا فسر على هذا الوجه لا يقع خلل في تفسيره (٢) . وهذا بعينه ما ترمى إليه الدراسة الحديثة في التفسير تجنباً من الوقوع في الخطأ ، والبعد عما ترمى إليه الآيات (٣) .

وكان رشيد يعرف أنه مقبل على أمر خطير إذ تعرض للإجابة على أسئلة محيرة وجهها إليه جهابذة العلماء في عصره ، وكانوا يحسنون الظن به

(١) نفس المصدر ورقة ٦ ب .

(٢) نفس المصدر ، ورقة ٨ أ .

(٣) انظر ترجمة دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الخامس ، مادة التفسير بقلم الأستاذ

أمين الخولي ص ٣٧١ .

فيشرفوه بحضورهم في أكثر الليالي يتناقشون في كل نوع من أنواع العلوم وفروع الحكمة والمعاني ودقائقها فكان يعتبر ذلك سعادة دينية ودنيوية ويعدّه توفيقاً تاماً وغنيمة عظيمة لأن هذا يفسح أمامه المجال للإفادة والاستفادة والكشف عن علمه الغزير ، وتفكيره القوي . ولكن لما كانت هذه المعاني تدور حول مسائل محيرة في صميم الدين والعقيدة طالما طرحت على بساط البحث قبل رشيد الدين ، وكانت سبباً في وجود صراع جبار بين الفرق الإسلامية ، فإن رشيد الدين تردد أولاً في طرق مثل هذه الموضوعات لأنه كان يعلم تمام العلم أنه إذا قرر شيئاً من المنقول والمعقول ، فسوف لا يسلم من لسان الحاسد والطاعن . ولكن نزولاً على رغبة أصدقائه وإخوانه الذين ألحوا عليه في أن يكتب في تلك المعاني ، صار يغتنم الفرصة لإنجاز هذا الكتاب . ثم لا ينسى رشيد الدين بعد ذلك أن ينبه إلى خطر هذه المعاني الدقيقة التي يتعرض لها فيدعو القراء إلى أن يمعنوا النظر جيداً ، ولا يصدروا حكمهم إلا بعد أن يقرأوا الرسائل كلها ، ويعملوا فكرهم فيما اشتملت عليه . يقول في هذا المقام : « إن أمثال هذه المعاني الدقيقة ، وحل المشكلات التي تشبه على بعض الناس ، تحتاج إلى مقدمات وأمثال كثيرة ؛ فعلى من يطالعها ألا يتعجل بالإنكار والجدل أولاً حتى يأتي على مطالعة الجميع كما وصينا به في مقدمة الكتاب والتمسناه . بل يثبت في ذلك بغير ملالة ويوازنها بعقله مراراً ويقابلها . ثم بعد ذلك يحكم عليها بما يتحققه منها (١) .

ويشتمل كتاب مفتاح التفاسير على مقدمة وثمانى رسائل موضوعة على

قسمين :

القسم الأول :

رسالتان في باب المعاني التي هي من أهم أمهات التفسير .

الرسالة الأولى : في بيان إعجاز القرآن وفصاحته وما فيه من المعاني

التي لا نهاية لها والمندرجة في ألفاظ قليلة .

(١) رشيد الدين مفتاح التفاسير ، مخطوط دار الكتب المصرية ، ورقة ١٣ أ رقم

١٣٣ م تفاسير .

الرسالة الثانية : فى بيان أحوال المفسرين وأقسامهم وشرح ألفاظ المعنى والتفسير والتأويل وذكر الشروط التى ينبغى للمفسر رعايتها .

القسم الثانى :

ست رسائل فى الإجابة على أسئلة إخوان المؤلف :

الرسالة الأولى : فى باب الخير والشر رداً على سؤال الذين قالوا : إذا كان الله قد خلق الخير فلماذا خلق الشر ولأى شىء خلقه ؟ والخير المحض والشر المحض هل هما موجودان أم لا ؟ فإن كانا موجودين فأى شىء هما ؟ والذى يعمل الشر ويصدر عنه فى كل يوم من أفعال الخير والشر آلاف بل عدد غير محصور على أى وجه يكون ثواب ذلك وعقابه ؟ وهل يكون ذلك بواسطة أو بغير واسطة ؟ وهل يكون ذلك فى الدنيا أو فى العقبى ؟ فإن كان فى الدنيا فأى الأوقات يكون مناسباً له ؟ وتلك المناسبة على أى وجه تكون وما سببها ؟ وإن كان فى العقبى فما كيفيته ؟ وأى شىء هو ؟ وعلى أى وجه يكون ؟ .

الرسالة الثانية : فى باب جزاء الأعمال الحسنة والسيئة . وعلى أى وجه يقع ؟ رداً على الذين سألوه عن قوله تعالى : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » وجاء فى بعض الآيات زيادة على ذلك ثم قال تعالى فى تمة الآية : « ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها . وقالوا : لم كان أجر الصبر يوفى بغير حساب كما نطق به القرآن المجيد : « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ؟ » وتحقيق هذه المعانى .

الرسالة الثالثة : فى باب الأجل وطول العمر والصدقة التى ترد البلاء رداً على الذين قالوا إن الله تعالى قال : « فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » فالأجل مقدر لا يزيد ولا ينقص قطعاً . وقد ورد فى الأحاديث « إن العمر يزيد وينقص . وإن الصدقة ترد البلاء » فكيف التوفيق بين هذه الآيات والأحاديث ؟ .

الرسالة الرابعة : فى باب الجبر والقدر رداً على الذين قالوا : إذا كان الأكابر من المتقدمين والمتأخرين قد قرروا فى هذه المعانى تقديرات متنوعة

إلا أنها غير مقنعة ولا مقبولة . فشرح ذلك وحقيقته وكيفيته على أى وجه يكون ؟ .

الرسالة الخامسة : فى باب التناسخ وحشر الأجساد . قالوا إنه قد ذهب طائفة من الناس إلى القول بالتناسخ . وأنكرت طائفة أخرى حشر الأجساد ووقع بين المتكلمين وبين أهل الأديان والملل وبعض الحكماء والمتقدمين بحوث فى ذلك . وأورد كل واحد من الفريقين أدلة على صحة مذهبه كما هو مذكور فى كتبهم ، وطلبوا إلى رشيد الدين أن يقرر هاتين المسألتين وأن يوضحهما حتى يلزم الخصم بدليل قاطع يثبت به ما ذهب إليه أهل السنة .

الرسالة السادسة : فى باب السعادة والاستعداد والإطالع الميمون والإقبال والدولة والتوفيق والفرق بين هذه الأشياء ونقائصها وذلك جواباً على الذين سألوا عن كيفية كل واحد من المسائل السابقة وكيف تكون سعادة الإنسان وهو فى بطن أمه . وطلبوا إلى المؤلف أن يبين الفرق بين كل واحد منها والآخر على وجه مفهوم لا يكون معمى أو مرموزاً أو مبهماً أو متفرقاً كما ذكره الآخرون . وأن يقرر أن كل واحد منها لأى وجهة وعلى أى وجه وما كيفيته وبأى شىء يتميز الواحد منها على الآخر .

يلى ذلك رسالة اسمها « نفائس الأفكار » ألحقها المؤلف بآخر الكتاب يقول عنها : « ولما ألفنا كتابنا المسمى بمفتاح التفاسير وضمناه رسالة فى إبطال التناسخ وإثبات حشر الأجساد ، ثم صنفنا بعد الفراغ منه رسالة سميناها « نفائس الأفكار » وجعلناها ذيلًا لتلك الرسالة ، لم يتيسر لنا كتابتها عقبها لكون الكتاب قد تمت كتابته ، وكتب به عدة نسخ فجعلنا موضعها منه آخر الكتاب » (١) .

وكنتم أفهم من قول المؤلف أن هذه الرسالة تشتمل على أبحاث تتعلق بإبطال التناسخ ولكننى بعد أن قرأتها وجدت أنها ليست رسالة واحدة ، بل هى عبارة عن سبع عشرة رسالة يندرج تحت كل منها أبحاث كثيرة فى مسائل متنوعة لا تقوم بينها فى الغالب رابطة فن تفسير بعض آيات من القرآن الكريم

(١) رشيد الدين : مفتاح التفاسير ، مخطوط دار الكتب المصرية ، ورقة ١١٧ رقم

وبيان ما يتصل به من الحروف التي توجد في أوائل السور وخواصها ، إلى موضوعات طبيعية تتعلق بالألوان وخصائصها ، إلى موضوعات فلسفية تتعلق بالتوحيد والتشبه بصفات الله والبحث في حسن الصوت هل هو كسبي أم طبعي . إلى موضوعات أخرى مختلفة في زيارة قبور الأولياء والأكابر والصلحاء ، وفي بيان أحوال شعيب عليه السلام ، وفي بيان مناقب الإمام على رضي الله عنه ، وفي تقسيم العلوم إلى معقول ومنقول وغير ذلك (١) .

٣ - السلطانية :

بدأ رشيد الدين تأليف هذا الكتاب في يوم الثلاثاء التاسع من شهر رمضان سنة ٧٠٦ هـ على أثر اجتماع حدث في حضرة السلطان أوجايتو . وهو لا ينقسم إلى رسائل ، ولكنه يتكون من أصل وذيل (٢) .

أما الأصل فيشتمل على فاتحة و متن :

الفاتحة : خصصت لمده السلطان أوجايتو وبيان فضائله ، وعرض أجل الأعمال التي قام بها .

المتن : يشتمل على ديباجة ومقدمة ومقاصد وخاتمة .

الديباجة : في بيان سبب الشروع في تأليف هذا الكتاب ، ووصف أحوال المصنف .

المقدمة : تمهيد لعرض المقاصد .

المقاصد : بحث عميق في بيان الإلهام والوحي والمعجزة والرسالة والنبوة ومعنى كون بعض الأنبياء أولى العزم وبيان معنى خاتم النبيين وعن الفرق بين هذه المراتب .

الخاتمة : في بيان المبدأ والمعاد ، وخلود أهل الجنة ، و خلاص بعض أهل النار وأسباب ذلك ، وخلود بعضهم وذكر موجداته .

وأما الذيل فقسمان :

القسم الأول : يشتمل على تفاصيل واسعة خاصة بالفروق التي توجد

(١) نفس المصدر تحت عنوان فهرست نفائس الأفكار ، ورقة ٢ أ .

(٢) انظر فهرست مؤلفات رشيد الدين ، Qatremère p.CLII .

بين الصالحين والأنبياء والخلفاء ، وأنساب بعض الناس ، وأدوار أولى العزم ووضع شعب أنساب الأولياء والخلفاء بطريقة ابتكرها المؤلف .

القسم الثاني : ذيل لمفتاح التفاسير اسمه « رسائل نفائس الأفكار » ألحق بكتاب السلطانية لمناسبته المقام .

٤ - لطايف الحقايق :

عثر على مخطوط من هذا الكتاب « بمكتبة ملك » بطهران وقد اطلعت على هذه النسخة فوجدتها محررة باللغة الفارسية ، ومساحتها ٣٢×٢٥ سنتيمترا وعدد أوراقها ٣٦٥ ورقة وتحتوي كل صفحة على ١٩ سطراً ، وتم استنساخها في سنة ٧٠٨ هـ أى في حياة المؤلف نفسه . وهذه النسخة مكتوبة بخط النسخ أكثره نستعليق (١) ، وهو يقرأ بصعوبة إلى حد ما . وفي أغلب الأحوال لا يراعى وضع النقط على الحروف . وأما الآيات والأحاديث والعناوين فهي مكتوبة بخط الثلث الأسود الواضح .

هذا الكتاب يشتمل على فاتحة في تمهيد المعذرة ، وديباجة في التحميد وأربع عشرة رسالة مرتبة على النحو الآتي : -

الرسالة الأولى : في بيان أحوال المؤلف .

الرسالة الثانية : في طي الأرض والزمن .

الرسالة الثالثة : في تفسير آية « قل لو كان البحر مداداً » (٢) ... الخ .

الرسالة الرابعة : في بيان السطح والتدوير .

(١) نستعليق (نسخ + تعليق) والتعليق هو خط فارسي ظهر في القرن السابع الهجري وأهم ما يميز هذا الخط كثرة ما فيه من استلقاء وإرسال ، وهو شبيه في استداراته بخط النسخ الذي تتضح فيه الاستدارات .

أما خط « نستعليق » فقد كثر استعماله في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) وصارت تكتب به كل المخطوطات وهو يستمد أصوله من خط (التعليق) مباشرة ولكنه يمتاز عنه بالخفة والطف ، ففي استداراته قوة وحياة يقابلها في خط التعليق جفاف واعتدال في بعض مواطن الكلمة (انظر كتاب الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي ص ٦٣ - ٦٥) .

(٢) سورة الكهف ، آية ١٠٩ .

الرسالة الخامسة : فى الحشر وفى تفسير سبب بعث شخصين معاً .

الرسالة السادسة : فى الفيض الإلهى ومباحث أخرى تتعلق به .

الرسالة السابعة : كنز المعانى فى جواب ثلاثة أسئلة عن وحدانية الله .

الرسالة الثامنة : آثار المعجزات النبوية والجواب على أسئلة طلاب العلم التى كانت تدور حول رسالة أمية الرسول .

الرسالة التاسعة : تفريعات جديدة حول مسألة الفيض الإلهى التى سبق إيرادها فى الرسالة السادسة .

الرسالة العاشرة : الدرجات المختلفة للكمال التى يمكن لكل روح أن تصل إليها وذلك لكى يقرب إلى الأذهان تفوق من كان آخر النبيين وخاتمهم .
الرسالة الحادية عشرة : الفتوحات .

الرسالة الثانية عشرة : الخيرات الجارية وهذه الرسالة تشتمل أيضاً على شروط الوقفية التى وقفها رشيد الدين على عمارة الربع الرشيدى وأعمال البر .

الرسالة الثالثة عشرة : جواب على سؤال طرحه للمناقشة السلطان أولجايتو عن موضوع هذا الحديث « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة » .
الرسالة الرابعة عشرة : فى تفسير الأعداد .

هذه الكتب الأربعة التى تدل على عقلية جبارة امتد نشاطها إلى كل أنواع المعرفة الإنسانية تكون مجموعة أطلق عليها المؤلف نفسه اسم « المجموعة الرشيدية » (١) .

ونسخة هذه المجموعة لا تخلو من أهمية بالنسبة لدراسة اللاهوت . وهى تدل على تقدم تلك الدراسة فى عصر السلطان أولجايتو (٢) بعد أن كان الصدا

(١) انظر فهرست مؤلفات رشيد الدين : Quatremère, P.CXLIX.

(٢) قال الدكتور بدر فى كتابه مغول إيران بين المسيحية والإسلام ص ٤٨ « إن رشيد الدين ألف فى عهد غازان المجموعة الرشيدية .. الخ » والواقع أن هذه المجموعة ألفها رشيد الدين فى عصر السلطان أولجايتو لا فى عصر غازان .

قد علاها واشتد إهمالها . يقول المؤلف في صراحة تامة : « إنها تحوى أبحاثاً متعمقة في عقائد الإسلام الأساسية ، وملاحظات قيمة على فروع العلوم المختلفة ، ومعلومات نافعة لكل من يريد أن ينظر في عجائب الكائنات أو يريد معرفتها بالتفصيل » (١) .

وقد اكتشفت تلك النسخة في القرن السابع عشر الميلادي ، وكانت النسخة العربية الأولى التي دخلت ضمن المجموعة الباريسية . يقول بارتولد : « نستطيع أن نقرر هذه الحقيقة وهي أن معرفة العلماء الأوربيين للمجموعة الرشيدية في المسائل الدينية كانت أسرع من معرفتهم لكتاب جامع التواريخ » (٢) . وكان العثور على هذا المخطوط كشفاً علمياً هاماً نظراً لقيمته ؛ ففي القرن السابع عشر قال عنه D'Herbélot في موسوعته الشرقية «Bibliothèque Orientale» إنه أكبر وأحسن المخطوطات العربية التي رآها على الإطلاق (٣) وهذا المخطوط هو بعينه الذي اعتمد عليه كاترمير وبلوشيه في استخلاص كثير من المعلومات عن رشيد الدين ، ويحفظ الآن بالمكتبة الأهلية بباريس Fonds Arabe تحت رقم 2324 وكان عند كاترمير تحت رقم 356 .

وصف نسخة المجموعة الرشيدية :

هي من القطع الكبير مساحتها ٥٢ × ٣٢ . وفي الصفحة الواحدة ٣٥ سطراً مقاس كل سطر ٢٨ سنتيمتر ، مكتوبة بخط نسخ جميل أكثره نستعليق ومضبوط إلى حد كبير . وهذه النسخة مطابقة تماماً للشروط التي اشترطها المؤلف في عقد وقف الربع الرشيدى فيما يتعلق بالنسخ التي طلب استنساخها من مؤلفاته كل سنة ، فقد اشترط أن تكون على قرطاس في غاية الجودة واللطافة بقطع كبير بغدادى بخط مليح صحيح (٤) . وهكذا كانت نسخة المكتبة

(١) . Blochet: Introduction à L'Histoire des Mongols, p.123 .

نقلا عن المجموعة الرشيدية .

(٢) بارتولد : مجلة العالم الإسلامى ، ص ١٠٠ .

(٣) انظر E'Herbélot: Bibliothèque Orientale, p.540 .

(٤) انظر فهرست مؤلفات رشيد الدين : Quatremère, P.CLXIII .

الأهلية بباريس كما وصفها بلوشيه فهي مكتوبة على ورق بغدادى ذى مساحة كبيرة هي أكبر مساحة معروفة . وكل ورقة منها طويت ورقتين يتألف منهما أربع صفحات . ونسخة هذا المجلد الضخم تشتمل على ٣٧٥ ورقة وخواص الكتابة في هذا المخطوط هي تلك التي فرضها رشيد الدين وهي عبارة عن وضوح الخط وسرعة الكتابة . وقد تمت كتابته في حياة المؤلف عام ٧١٠ هـ على يد محمد الأمين المعروف بالكاتب السريع « زود نويس » على نحو ماجاء في إحدى الملاحظات الموجودة بالمخطوط : « هذه الرسالة كتابة على يد أوج عباد الله إلى رحمته محمد الأمين المعروف بزود نويس البغدادى في سنة عشر وسبع مائة لتاريخ الهجرة الشريفة المعظمة النبوية » (١) .

وعلى رأس نسخة المجموعة الرشيدية توجد شهادات لسبعين من فقهاء المسلمين وعلمائهم يشهدون بصحة عقائد رشيد الدين ، ويعترفون بسلامة الخط وصحة القواعد التي اتبعت في تأليف هذا المجلد ، ويقرظون المؤلف بكل ما هو أهل له . كذلك توجد هذه الشهادة بأسرها مكتوبة بالعربية على رأس مخطوط فارسي آخر يحتوي على قطعة من ترجمة المذكرات التي كتبها بالتركية السلطان بابر (٢) .

وفي هذه المكتبة أيضاً توجد نسخة فارسية من كتاب لطايف الحقائق (٣) .

وعندما كنت في طهران سمعت أن هناك نسخة فارسية من تلك المجموعة توجد في المكتبة الإمبراطورية بطهران « كيتانجانة سلطنتي تهران » فحاولت عن طريق جامعة طهران أن أطلع على تلك النسخة ، ولكن مع الأسف الشديد

(١) انظر بلوشيه : مقدمة تاريخ المغول ، ص ١٢٥ نقلا عن المجموعة الرشيدية .

(٢) هو ظهير الدين محمد بابر شاه من أحفاد تيمور لنگ . ولد سنة ٨٨٧ (١٤٨٢م) وتوفي سنة ٩٣٧ (١٥٣٠م) أسس الدولة التيمورية في الهند . كان مثلاً رائعاً في علو الهمة والطموح والصبر على المكار . فقد إمارة ماوراء النهر ، فلم يستسلم لليأس ، ولكنه سعى حتى كونه نفسه ملكة في أفغانستان اتسعت من بعد حتى شملت البنجاب وبعض أقاليم الهند . وقد كتب بابر سيرته بنفسه المسماة بابرنامه وهي من أمتع السير وأروعها إذ سجل فيها الأحداث التي مرت به منذ صباه .

(٣) انظر Quatremère, P.CXX. & Browne: Literary History of Persia

لم أوفق إلى هذا ؛ لأنه تصادف في ذلك الوقت أن كانت تقوم في المكتبة المذكورة أعمال خاصة بالجرد وتنظيم فهارس لما تحويه من نفائس الكتب والمخطوطات . ولحسن الحظ نشر في مجلة مهر (١) وصف مختصر لتلك المجموعة ومحتوياتها . وقد جاء في هذا الوصف أنها نسخة قيمة جداً . عدد أوراقها ٣٣٦ ورقة والمخطوطة ثلاث واضحة ويبدو أنها كانت إحدى النسخ الأصلية التي أمر رشيد الدين بإعدادها في مكتبة الربع الرشيدى لأن تاريخ تحريرها كما جاء في نهاية أحد كتبها « ... في رابع عشرين من شهر الحرام ذى القعدة سنة ثمان وسبعمائة » . فتكون بهذا أقدم من النسخة العربية الموجودة بالمكتبة الأهلية بباريس ، وربما كانت هي الأصل ونسخة باریس هي الترجمة جرياً على عادة المؤلف من ترجمة جميع مؤلفاته الفارسية إلى العربية والعكس بالعكس . ويراعى أن جميع مشتملات هذه النسخة يتفق تماماً مع مشتملات النسخة العربية ما عدا ذيل نفائس الأفكار الملحق بكتاب مفتاح التفاسير فإنه غير موجود في نسخة باریس بينما هو موجود في نسخة طهران وفي النسخة العربية الموجودة بدار الكتب المصرية .

هذه المؤلفات تناولت تفسير القرآن ، وعالجت أكثر المسائل تجديداً في الأخلاق والميتافيزيقا ، ففتحت بذلك آفاقاً واسعة للفلاسفة والمفكرين والأدباء إذ تعرض فيها المؤلف لأهم مشاكل الفلاسفة كالبحث في الروح والعقل والعلم والأحلام والخير والشر والجبر والقدر والتناسخ وحشر الأجساد والإلهام والوحى والمعجزة والنبوة والمبدأ والمعاد وما إلى ذلك . كما تعرض فيها لمشاكل البلغاء في تفسير القرآن فتناول إعجاز القرآن وفصاحته وما فيه من المعانى التي لا نهاية لها والمندرجة في ألفاظ قليلة . وكتب في أحوال المفسرين وشرح ألفاظ المعنى والتفسير والتأويل ، وذكر الشروط التي ينبغي للمفسر رعايتها وتحدث عن خصائص الحروف التي توجد في أوائل السور .

ومؤلفات هذا شأنها من تنوع الثقافة ، واتساع الأفق ، كان يجب أن

تجلب لمؤلفها عرفان المخلصين من المسلمين ، وتكون خيراً وبركة عليه ترفع شأنه وتعلو قدره . لكنها — للأسف الشديد — كانت سبباً من أسباب النعمة ، إذ أثارت حوله كثيراً من الزوايع والأعاصير سببت له أشد أنواع الحزن والضيق ، وكثرت أعداءه الذين ناصبوه العداء ، واتهموه بأشد أنواع الاتهامات . وقد ذكر لنا كاترمير (١) نص الرسالة التي عبر فيها المؤلف عن حنقه من جراء ما أصابه . ونظراً لأن رشيد الدين يعرض في رسالته هذا الاتهام ويفنده ويكشف عن أسبابه ومراميه رأينا أن نقلها بمرتها لتبين وجه الحقيقة فيها . يقول :

« مؤلف هذا الكتاب ، العبد الحقير فضل الله رشيد الدين ، يعرض على إنصاف أعظم علماء الإسلام تلك المفتريات الظالمة التي رماه شخص جاهل حقود ، أراد بزيفه أن يبهز العامة ويشق طريقه نحو الجاه والمال . وقد بلغت به الجرأة أن شمل بمفترياته طائفة من جلة العلماء ذوى الشهرة الراسخة الذين يعتبرون اليوم من عمد الدين ، فنسب إليهم نوايا لم يعرفوها ، ورماهم بالمروق من الدين . وأراد بذلك أن يحط من قدرهم في نظر المسلمين ، وأن يجعلهم موضعاً لأقذع حديث وأمر نبذ ، بينما يحظى هو بطيب الأحداث وذبوع الصيت ؛ إذ يوهم الملاء بوثوقه من قوته إلى حد أنه استطاع أن يصدر آراء تناقض ما قال به فطاحل العلماء . وسنورد هنا الاتهامات ، ونفندها بأدلة مقنعة تتفق مع العقل السليم وصحيح الأثر . ونرجو من ذوى العلم في جميع الأمصار أن يتأملوا هذا الأمر بعناية فائقة ، وأن ينتقموا لنا وللعلماء الذين أشرنا إليهم من مفتريات هذا الجاهل . ولنا أن نأمل في أن كل من يقرأ هذه الرسالة يسارع بالرد على المسائل التي تنطوي عليها ، متبعاً الصديق وقواعد الإنصاف وساعياً جهده في التمييز بين الحق والباطل » .

وبعد أن عرض رشيد الدين أسلوب حياته حتى تلك اللحظة وميله دائماً إلى التفكير في عقائد الإسلام والمهام العديدة التي كانت تستغرق كل وقته

(١) انظر جامع التواريخ ، المجلد الثاني - الجزء الأول تاريخ هولاكو ، الترجمة العربية ص ١٥٣ وما بعدها من مقدمة كاترمير نقلاً عن مخطوط المجموعة الرشيدية المكتوب باللغة العربية والمحفوظ بالمكتبة الأهلية ببغداد تحت رقم ٣٥٦ .

واصل كلامه على هذا النحو قائلاً : « ظلمت منذ أن اعتلى السلطان الجايو
 العرش ، لا أجد أية فرصة لتسجيل فكرة من الأفكار التي طرأت في ذهني
 عن المسائل المتعلقة بالدين . وكنت في هذه الفترة قد بدأت بعرض نتائج
 تفكيري — أحياناً — في اجتماعات أعقدها مع رجال من ذوى الكفاءة النادرة .
 وذات يوم ذهبت في زيارة « لتاج الدين مؤمنى » الذى شغل منصب الوزارة
 مدة طويلة بمجدارة مقطوعة النظير . ثم هجر الجاه والمجد والثروة ، ليلجأ إلى
 تلك العزلة التى يقيم فيها منذ أربعة وعشرين عاماً ، لا يشغله فيها غير التفكير
 والانكباب على العبادة . واتفق أن جرننا الحديث إلى الكلام عن أمة محمد
 فطرأت في ذهني فكرة عرضتها على تاج الدين ، وهذه هى فحواها : لقد
 أطال العلماء القول بهذا الموضوع ، ومما لا ريب فيه أن آراءهم فائقة . غير
 أنه يبدو لى أن تعليقاتهم غير كافية ، حينما يتعلق الأمر ، بصفة خاصة
 بكائن سام كالنبي . وأدت بي هذه الملاحظة إلى النظر فى الأمر بإمعان
 فألهمنى الله طائفة كبيرة من الفكر ، كلها تلتقى لهدف واحد وهو إظهار ميزة
 هذه الأمة . وعضدت رأئى بأدلة مفحمة ، كفيلة بإقناع أعصى العقول
 وأشدّها إنكاراً . فأضفت أفكارى إلى أفكار العلماء الذين سبقونى وجمعتهما
 كلها فى مجلد واحد ؛ وأطلعت تاج الدين على عملى فرضى عنه كل الرضاء .
 ثم قال لى : لقد جئت بفكرة جديدة لم يسبقك إليها أحد ، وبينت حقيقة
 ذات أهمية عظمى . فشجعتنى هذه الشهادة ، وأقبلت من فورى على تحرير
 رسالتى عن أمة النبي . وفى هذا الحين كان يوجد فى تبريز عدد كبير من
 العلماء ، بعضهم من أهل هذه المدينة والبعض الآخر ممن وفدوا عليها من
 أقطار بعيدة كمصر والشام . وكان من بينهم قاضى القضاة ذائع الصيت ، بعث
 به ملكه فى رسالة خاصة . فلم يكده هؤلاء الأفاضل يسمعون برسالتى
 حتى طلبوا منى الإذن بنسخها وحملها إلى بلادهم ليقدموها هدية لعلماء الإسلام .
 ولما كان من شأنى أن أكون دائماً مقتصدًا فى كلامى ، حريصاً على
 ألا أحاكى الكافرين الذين يتواصون بالكذب ، لم أدع مطلقاً أنى تلقيت وحيًا
 فى المنام أو فى اليقظة ؛ ولكن ما أستطيع أن أوكدّه عن خبرة ومعرفة ، أنى
 منذ اللحظة التى بدأت فيها بتحرير هذه الرسالة ، شعرت بنور منبعث من

النبي يضىء جوانب ذهني ويهينى القدرة على التفكير فى حقائق الدين والوصول إلى أطيّب الثمار . واستطعت بفضل هذه الهبة الثمينة التى كانت فى تزايد مستمر أن أنفذ إلى غور بعض الأسرار الربانية وأن أكتشف حول تفوق محمد عدة اكتشافات جديدة لم يفتن إليها أحد ممن سبقونى . وهذا الرأى الذى أقرره هنا حقيقة لا ريب فيها ، ويستطيع من شاء أن يحكم على صدقه بالمؤلفات الضخمة الثلاثة التى أنجزتها ، والتى تضم بين دفتها جمحفا من الأفكار البكر والمناقشات العميقة حول أهم نقط الدين » .

« ومن اليسير إذن أن يدرك المرء أن الأنوار التى تطلبها تأليف هذه الكتب كانت هبة من الله ، وأثراً من آثار رعاية رسوله . وهذا ما أقر به العلماء الذين تكلمت عنهم ، وقرروا بالإجماع أنه لا يمارى فى هذا الأمر إلا جاهل حسود أحمق » .

« وبالرغم من أن هذه المؤلفات قد كتبت فى فترة جد وجيزة ، فقد حازت إعجاب عدد كبير من العلماء الذين أجمعوا على الشهادة بأن كثيراً من الكتاب البارعين لم يستطيعوا أن يصلوا بعد البحث الطويل والتفكير العميق إلى ما وصلت إليه أنا فى ذلك الزمن القصير » .

« ولكننا نعرف بالتجربة أن كثيراً من الناس الذين جاءوا إلينا فى فترات مختلفة يلتمسون مطالب غير عادلة أو لا أساس لها ، ولم تحقق لهم رغباتهم لاستحالة تحقيقها ، امتلأت نفوسهم بالحقد علينا ، وحصروا همهم فى الانتقاص من قدرنا فراحوا يشيعون عنا المفتريات ، ويكيلون لنا زائف التهم . ولما كان سلوكنا — والله الحمد — لا يتيح لهم أى مطعن فى طهارته ، فقد راحوا يتهموننا بأننا ندين باليهودية ؛ بالرغم من أنه لم يبد علينا نحو هذا الدين إلا النفور والبعد الشديد . وكنا حين نعلم بهذه المفتريات المغرضة نألوا على أنفسنا ألا نرد عليها ، تاركين مجازاة أصحابها إلى الله ورسوله . ومع ذلك فإنه يحسن بنا هنا أن نوجه النظر إلى ظاهرة فى غاية الغرابة : وهى أنهم كانوا ينظرون إلى قبل أن أكتب شيئاً عن تفوق النبي وأبحث بعض المسائل الدينية الهامة على أنى مسلم صادق الإسلام ، ولم يطعن أحد فى نقاء ديني . أما اليوم ، وقد بينا بالحجج

الدامغة مقام النبي محمد وشموه على جميع الأنبياء ، وفندنا بالحجج القاطعة مزاعم اليهود والنصارى ، وبرهنا أن دينهما قد نسخا ، وأن الإسلام هو الدين الحق الوحيد ؛ أما الآن وقد حظيت مؤلفاتنا بالرضاء الشامل واستحقت ثناء أجل العلماء في عصرنا ، فقد قام بعض الجهلة بالتهجم علينا واتهامنا بمفريات من الأولى أن توجه إليهم هم أنفسهم . وكان من أيسر الأمور علينا أن نعاقبهم ولو عاقبناهم لما كان في سلوكنا شيء لا تعضده مبادئ القرآن الكريم والحديث الصحيح وفتاوى الفقهاء . ولكننا رأينا أن خير انتقام لنا هو فشل هؤلاء المغتابين فيما قصدوا إليه ، وأنهم لم يجنوا من سوء قصدهم إلا العار الأبدي والتردى في وهدة الكفر واستحقاق جهنم التي تنتظرهم يوم القيامة » .

« أما الرجل الذي تكلمت عنه في بداية هذه الرسالة والذي لا أرغب في ذكر اسمه فإنه لم يقيم بمهاجمتي إلا مدفوعاً بهذه البواعث : وذلك أننا لما أخذنا في تنفيذ وصية المغفور له السلطان غازان خان ، عينا عدداً من العلماء ، وجعلنا لهم الحق في نصيب سنوى من ثمرة الأوقاف الخيرية لهذا الأمير . ولما كانت هذه الأنصبة أضخم من جميع الأنصبة الأخرى التي من هذا القبيل ، فقد حرص الجاهل الذي نتكلم عنه على أن يفوز منها بنصيب ووسط إلى عددا من الأشخاص ليكلموني في هذا الصدد . فأجبتهم بأن الاختيار قد تم وانتهى ، وأنه لو جاءني قبل ذلك لاستطعت أن أجيبه إلى طلبه ، ولكن القائمة الآن قد تمت وأغلقت . وقلت إن جميع الأشخاص الذين شملتهم كلهم من العلماء الممتازين ؛ ولذا لا يصح لى أن أعمل على حرمان أحد منهم من شيء يستحقه بكل جدارة . ثم أضفت قائلاً : هذا فضلاً عن أنى أعلم علم اليقين أن الشخص الذى ترجونى من أجله ، وإن كان من سلالة أسرة جليلة ويظهر الكثير من الورع والتقوى ، فإنه يقرض ماله بالربا ، ويرتكب أفعالا يجرمها دين الإسلام . ورجل هذا سلوكه ، لا يصح له أن يتطلع إلى إحسان خصص لأعمال البر وحدها ، ولا سيما إذا لم يكن في حاجة إليها . وكانت المدينة ملأى بالفقراء . ونزید على ذلك أن أخاه الأكبر قد جاءنى هنا مراراً عديدة يشكو إلى منه مر الشكوى ، ويقص على أفعاله التي يندى لها الجبين . فبعد كل هذا ، كيف يتأتى لرجال أفاضل أن يهتموا هذا الاهتمام

بشخص لا ذمة له ولا دين ؟ . . . أنا أعتقد أنه من الأولى أن ندعوه إلى الإقلاع عن هذه الحياة التي انغمس فيها حتى الآن . فإذا ارعوى عن غيه وسار في طريق الفضيلة ، ثم ان ترك أحد الذين تضمهم القائمة مكانه شاغراً استطعت أن أمنحه إياه عن طيب خاطر . ولما نقل هذا الحديث إلى أسماعه امتلأت نفسه غلا على ، وعلى أولئك الذين أوصوا بمن أدرجنا أسماءهم في قائمتنا ، وتوسطوا لهم في الحصول على هذا التكريم . ولما عجز عن إيجاد وسيلة للانتقام ، هداه وهمه السقيم إلى أن يشبع ضدنا ريباً مختلفة لأصل لها . « وكان السلطان أولوجاتيو ، ذلك الأمير المستنير ، يكرر لى دائماً في أثناء الأحاديث التي كانت تجرى بينه وبينى ، أن العالم هدف دائم لهجوم الجاهلين والحاسدين ، وأنى لا بد أن أكون عرضة لذلك ، ما دمت أحتل منصباً هاماً ، وأملك ثروة ضخمة . ويقول : لذلك يجب أن تراعى في مؤلفاتك وأحاديثك أقصى الحذر ، حتى لا تفتح لعدوك أية ثغرة للطعن فيك . وأجبت به بأن الكاتب لا يمكن أن يعدم الحاسدين والطاعنين ، وأن الأنبياء أنفسهم وأجلة الأئمة المسلمين لم ينجوا من أخط الاتهامات وأن الغزالي والإمام فخر الدين الرازى ، وهما من أعلم أهل الأرض ، ومن انتشرت كتاباتهم الرائعة في كل مكان ، لم يسلموا من كيد الحاسدين ودس الجاهلين الذين نجحوا في العمل على إحراق جزء من مؤلفاتهما . ولكن ذلك لم يمنع ذوى العقول المنيرة أن يعملوا منذ هذه الفترة على تلقى نتائج قرائح هذين العالمين الكبيرين بهجة لا تعادها بهجة ؛ حتى أن الكتاب الواحد من كتبهما بيع في بعض الأحيان بخمسمائة وبألف دينار ذهبي . وأضفت أن هذا الشيء نفسه قد وقع لعدد كبير من العلماء ، وأن السوء الذى ينجم عن المكائد والأعمال الخبيثة لا بد أن يترد إلى مرتكبه . هذا ولما كانت مدينة تبريز مقر الملك ، وملتقى لحماة المشاهير والرجال الممتازين بالعلم والنورانية وفضائل القضاة ، فإنى أضع تحت أيديهم مؤلفاتى ، لكي يقرؤوها ويفحصوها بكل عناية . والحقيقة التي لا مراة فيها أنه لا يمكن لرجال كرسوا السنين الطوال من حياتهم لتحصيل العلوم وسبر أغوارها إلا أن يكونوا قضاة عدولا مستنيرين ، ولا يسع عاقلا أن يظن فيهم السكوت على فكرة أو عبارة تصيب حقائق الدين الأساسية بأقل

غبار . ولست أشك في أنهم إذا وجدوا في مؤلفاتي خطأ أو إهمالاً ، فلن يتوانوا عن تصحيحه ، وأن مؤلفاتي ستصبح بعد فحص هؤلاء الرقباء الأجلاء لها ، جديرة بدخول مكتبة السلطان . ولما وافق أولجايتو على اقتراحى أرسلت من فورى إلى تبريز كتاب « التوضيحات » الذى يحتوى على تفسير بعض آيات القرآن ، ومعه عدة رسائل تدور حول المسائل الميتافيزيقية . وكتبت إلى كبار علماء هذه المدينة أرجوهم أن يقرأوا كتابى ويصححوا كل ما يجدون فيه من خطأ أو ضلال . ولما أتموا قراءته ، كتب كل منهم إلى شهادة مفصلة مفعمة بالمديح عبر فيها عن رضائه عن طريقي ، وشهد بحقيقة آرائى ، وحثنى على تكريس أوقات فراغى لتأليف مثل هذا الكتاب . وكان من بين علماء تبريز الذين وجهت إليهم رسائلى هذا الطاعن نفسه الذى قرأ كتابى وأقره كما فعل الآخرون . ولما رد إلى الكتاب مصحوباً بشهادات هؤلاء الأعلام ، عرضته على ذوى العلم والقضاة الذين كانوا فى البلاط السلطانى ، فرضوا عنه جميعاً دون استثناء ، ووجهوا إلى عملى أسمى آيات التكريم ، واستهلوا شهاداتهم بعبارات تجمع بين روعة البلاغة ورقة المديح هذا إلى أنهم قد أكدوا فى حضرة السلطان كل ما كتبوه عنى بهذا الصدد وقدموا له تقريراً مشرفاً عن جودة كتابى وامتياز الآراء التى احتواها . ولما عقد الرجل الذى تكلمت عنه عزمه على مهاجمتى ، سعى لدى كثير من العلماء ليحملهم على معاونته فى جهوده . ولكنه لما لم يجد أحداً يتابعه فى عدوانه ذهب ذات يوم إلى مجلس وعظ للإمام جلال الدين البخارى ، وإن لم يكن من عادته قبل هذه الفترة أن يذهب إلى مثل تلك الحجامع . وكان قد حمل معه بضع جمل صنعها بنفسه ، وزعم أنها صادرة عنى ، فناولها إلى أحد الحاضرين ورجاه أن يسأل الواعظ رأيه فيها . ولما لم يكن فى وسع البخارى أن يجيب إلا على السؤال الذى وجه إليه ، فقد أعلن استنكاره للآراء التى عبر عنها .. ولكن أحد العقلاء استوقفه لدى نزوله من فوق المنبر وقال له : يا سيدى ؟.. أسمعت قط مثل هذه الأفكار تصدر عن رشيد الدين ، وهل قرأت شيئاً من هذا القبيل فى الكتاب الذى أصدره حديثاً ؟... فأجابه البخارى بالنفى . ورد عليه ذلك الرجل قائلاً : إذن كيف جاز لك أن تصدق أقوال نمام وتقول

ما قلته في جمع عديد ؟... وفي نفس الوقت أحضر له كتابي ، فقرأه البخاري حتى آخره ، وسر به إلى أقصى حد . وقال : معاذ الله أن يتعرض مؤلف مثل هذا الكتاب للهجوم والنيمة والنقد الجائر ؟... أما من جهتي ، فإني لم أكن سيئ النية في كل ما قلت ، ولم أفعل إلا أن أجبت على سؤال وجهه إلي . ولم يكتب بذلك ، بل صعد المنبر مرة أخرى ، وسحب الكلام الذي أعلنه في الجلسة السابقة ، معتزلاً بأن الذي وجه السؤال ، والذي أملاه عليه قد غررا به لأنهما مسخا معنى الفقرة مسخاً تاماً . وفي نفس الوقت أشاد بكتابي أيما إشادة . ولما رأى خصمي أن محاولته قد فشلت ، صعد هو المنبر وألقى على الجمهور حديثاً مفعماً بالمفتريات الشنيعة يرميني فيها بالكفر ، أنا وجميع العلماء الذين جذبوا عملي وسجات شهاداتهم في رأس كتابي . وكان يأمل حين تستر وراء أدلته الخداعة الغامضة ، وعرض الأمر على مستمعيه بصورة مضللة ، أن يخدعهم ويثيرهم على هؤلاء العلماء وعلى ، ويقدمنا طعمة سائغة لأفحش الأقوال ، وأن يحصل في نفس الوقت على حسن الأحدثوة وذيوع الصيت لنفسه . ورأى بعض ذوى العقول الراجحة أنه لا يمكن أن يكون هذا العمل إلا نتيجة الغل والحسد ، فاستدعوا هذا المغتاب للمثول أمام عدد من ذوى الشخصيات البارزة ، وأرغموه على توضيح ما قاله وعلى بيان البواعث التي دفعته إلى القيام بهذا العمل والإدلاء بما لديه من أدلة تثبت صدق ما ادعى . فأنكر ما سبق له أن قاله ، وأجاب بحديث مصنوع مليء بالزيف والزخرف . ولما لم يكن هناك عالم أو شخص آخر يستطيع الكلام باتسحي ، ويرغمه على إيضاح موقفه بصورة قاطعة ، فقد انتهى الاجتماع دون الوصول إلى نتيجة .

ولما أخبرت بمفتريات خصمي ، أدركت على الفور أن حقه على منبعث عن رفضي لطلبه . ومن حيث أتى أعلم أن فطاحل العلماء في كل عصر لم يسلموا من مفتريات الحقد والنيمة ، رأيت أن أحقر كلام هذا الخصم ومسايعه ، وألا أظهر أى اكتشاف بها . ولكن كبار الرجال المعروفين بالمعيتهم وعظماء الفقهاء أجمعوا على أن السكوت في هذا الظرف الذي أريد فيه الخط من قدر العلم وذويه يعتبر جريرة لا تغتفر ، ويخالف مبادئ الدين ؛ فاجتمعوا

وحرروا مذكرة عرضوا فيها الأمر على حقيقته ، وسجلوا فيها كلماتي بنصها وكلام خصمي وفندوه بنداً بنداً . وختموا كلامهم بالقول بأن الرجل الذي يجروء على إصدار هذه المقتريات يجب أن ينظر إليه على أنه نجس وكافر . وأحضروا إلى هذه المذكرة مذيلة بتوقعاتهم . وطلبوا إلى أن أضعها في ذيل رسالتي ، وأن أترك مكاناً أبيض لكى أتيح الفرصة لذوى العلم في جميع المدن ، وفي كل العصور ليسجلوا فيها آراءهم . ثم قالوا : وذلك لأننا مقتنعون بأنهم جميعاً دون استثناء ، سيشاركوننا رأينا ، وسيجيبون نفس جوابنا على الأسئلة المعروضة عليهم » .

ونحن بعد قراءة هذا النص ، وبعد هذا القدر من الدراسة لا يسعنا إلا أن نقول إن رشيد الدين عرض قصة هذا الاتهام في أسلوب عربي فصيح جرى فيه على سبيلته دون تكلف أو تصنع ، وأنه كان يهدف إلى إظهار الحقائق بعيداً عن الأغراض والأهواء . وفي الحقيقة استطاع الكاتب في مهارة تدعو إلى الإعجاب أن يستدر عطفنا ، ويمتلك علينا مشاعرنا ، ويجعلنا نتجه معه بقلوبنا لننحى باللائمة ، ولنصب جام غضبنا على أولئك النهازين للفرص الذين يروحون لحاجة في أنفسهم يذيعون الاتهامات والمقتريات ، ويوجهونها إلى الأبرياء لينالوا منهم بغير حق . وما أكثر ما كان يحدث هذا في عصر المغول الملىء بالفتن والاضطرابات .

غير أن رشيد الدين لم يستطع أن يقنعنا بما قاله عن تنصله من اليهودية لأن هذه المسألة سبق أن ناقشناها ، وأثبتنا — دون تحيز — أنه كان حقاً ينحدر من أصل يهودى .

وليست المسألة كما يبدو لى أن شخصاً فحسب هو الذى روج هذا الاتهام ضد رشيد الدين ، وإنما المسألة فى الحقيقة أعمق من كل ما ذكر ، فنحن نعلم أن علماء الإسلام وفلاسفته الذين سبق أن طرّقوا مثل تلك الموضوعات قلما سلم الواحد منهم من لسان الطاعن أو الحاسد فاتهموا بفساد العقيدة والإلحاد إلى آخر الاتهامات المعروفة . فما بالك بشخص عرف عنه أنه كان من أصل يهودى ؟ . فإذا جاء هذا الشخص ، وتولى بنفسه حل هذه المضكلات والكتابة

في هذه الموضوعات الدينية البحتة ، كان من السهولة أن نتصور الضجة التي سوف تحدثها هذه المؤلفات في المحيط الديني ، وأنها لاشك توجد فرصة ثمينة لأعدائه للتشنيع عليه واتهامه بالإلحاد والمروق . ولكن رشيد الدين كان لبقاً إذ سلك في هذا المقام سلوكاً حكيماً بأن أرسل أول مخطوط من مؤلفاته الدينية ليطلع عليه وينقده سبعون عالماً من علماء الدين ، وكان من بين هؤلاء بعض الذين اتهموه . ورغم أن هؤلاء الخصوم قد أفحموا فلم يستطيعوا أن يظهروا عداءهم له في وضوح وصراحة ؛ غير أنهم قد اشتدت كراهيتهم وحسداهم له أكثر من ذي قبل ، وحاولوا أن يغتنموا الفرص للإيقاع به والتخلص منه (١) . واشتد الهجوم عليه بصفة خاصة على أثر ظهور كتابه « التوضيحات » الذي فسر فيه بعض آيات القرآن . يقول عماد الدين ابن كثير في ترجمته لرشيد الدين : « كانت لديه فضائل جمّة ، وقد فسر القرآن وصنف كتباً كثيرة . . . وكان يناصر الإسلام ، ولكن قد نال منه خلق كثير من الناس واهتموه على الدين وتكلموا في تفسيره هذا . ولاشك أنه كان مخبطاً مخلطاً وليس لديه علم نافع ولا عمل صالح » (٢) .

ولما رأى رشيد الدين أعداءه يمحرون به ، دعا العلماء في أواخر عام ٧٠٦ هـ لينقدوا هذا الكتاب وليقولوا فيه كلمتهم . فتقدم مائتا عالم كتب كل منهم تقريراً على الكتاب كان كله مدحاً وثناء على الكتاب ومؤلفه (٣) . ويطلق حاجي خليفة على الكتاب المذكور اسم (تفسير الرشيدى) ويقول : إنه قد قرظ عليه أكثر من مائتي عالم لكونه مشتملاً على مباحث التفسير (٤) . وقد جمعت تلك التقارير فكونت كتاباً أطلق عليه « مجموعته » تقارير (٥) . وكان هذا الكتاب أحد المصادر التي رجع إليها الأستاذ محمد على تربيت عند تأليف كتاب « دانشمندان آذربايجان » (٥) .

(١) بارتولد : مجلة العالم الإسلامي ، ص ١٠٠ .

(٢) البداية ، ج ١٤ ص ٨٧ .

(٣) انظر رشيد الدين : جامع التواريخ ، قسمت اسماعيليان و فاطميان و زاريان و داعيان

ورفيقان ، نشر محمد تقى دانش پروه و محمد مدرس زنجاني ، ص ١٣ ، طهران ١٣٣٨ هـ . ش .

(٤) كشف الظنون ، المجلد الأول ، ص ٤٤٧ طبع استانبول .

(٥) نشر هذا الكتاب في طهران سنة ١٣١٤ هجرية شمسية .

ومن هؤلاء العلماء :

١ - عبد الله بن علي بن محمد المعروف « بفلك علاء » كان من العلماء والأدباء المعروفين في تبريز . كتب شرحاً مختصراً ومفيداً بأسلوب جميل لكافية ابن الحاجب في سنة ٧٠٠ هـ بعنوان « الهادية إلى حل الكافية » وقدمه باسم الخواجه سعد الدين محمد الساجي وزير غازان خان ، كما ألف كتاباً آخر في ذلك التاريخ هو « سعادتنا » وقدمه باسم نجل الوزير المذكور . وفي أواخر رجب سنة ٧٠٦ هـ كتب تقريراً على تفسير الخواجه رشيد الدين نجزئي منه العبارة التالية :

« فإذا نظر شخص بعين الإنصاف إلى كمال النسق ، ونظام أمور العالم الذي أكمله ورتبه هذا الخدوم المؤيد رغم اختلاف الأمزجة وتشعب الآراء ولو تأمل ذلك الشخص وتدبر الفوائد القدسية واللطائف الإلهامية التي اشتملت عليها هذه الرسائل الشريفة ، لعرف أن هذا من آثار ذلك (فضل الله يؤتيه من يشاء) (١) وأن هذا الشرف لم يتح لكل شخص ، وأن هذه المعارف لم تتوفر لكل إنسان » (٢) .

٢ - همام التبريزي (٥٩٨ - ٧١٤ هـ) كان من مشاهير شعراء أذربيجان . وقد اختص بمدح أسرة الجوينين وبقول مشهور أنه كان معاصراً للخواجه نصير الدين الطوسي والعلامة قطب الدين الشيرازي والشيخ سعدى (٣) . يمتاز شعره بالسلاسة والسهولة خصوصاً غزلياته التي كان يقلد فيها الشاعر سعدى . وله بالإضافة إلى ديوانه غزليات أخرى اسمها « صحبت نامه » نظمها باسم الخواجه شرف الدين هارون بن شمس الدين الجويني صاحب الديوان . توفي في تبريز عام ٧١٤ هـ بعد أن عمر ما يقرب من مائة وست عشرة سنة . كان همام أحد العلماء المائتين الذين كتبوا تقريراً على تفسير رشيد الدين

(١) إشارة إلى الآية القرآنية : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » (سورة الجمعة ، آية ٤) .

(٢) محمد علي تربيت : دانشمندان آذربايجان ، ص ٣٠١ .

(٣) عباس اقبال : تاريخ مفصل ايران از حمله جنكيز تا تشكيل دولت تيمورى ،

عام ٧٠٦ . يقول في نهايته : « وتوضيحات المخدم أكبر وأعدل شاهد ؛ حينما طالعت أنا العبد الضعيف همام التبريزي أحسن الله عاقبته هذه الرسائل التي هي وسائل الفضلاء ، وارتويت من معينها بمشارب المعارف والحقائق نظمت هذين البيتين :

إن للناس غاية في المعالى وقفوا عندها وأنت تريد
زادك الله بسطة في المعانى مدركاً ما يرونه وتريد (١)

ولاشك أن لشهادة هؤلاء العلماء أهميتها وقيمتها إذ تثبت أن التهم التي وجهت إلى رشيد الدين كانت محض افتراء الأعداء عليه . وكل ما في الأمر أنه كما قال ابن حجر العسقلاني قد فسر القرآن على طريقة الفلاسفة فنسب إلى الإلحاد (٢) .

على أن هناك من يزعم أن رشيد الدين كان يحمى المفكرين والفلاسفة ويطلق لهم الحرية التامة في البحث والدرس ، لأنه كان يقدر حرية الفكر . ومن أجل ذلك نسب إليه أنه كان ينصر المتفلسفين الزائغين عن الإسلام فحاتم الشبهة حوله وحول أصحابه في هذا الشأن . وقد انفرد ابن الفوطى بإيراد ترجمة لعضد الدين الإيجي وعلاقته برشيد الدين تؤيد هذا الزعم . وإليك ما جاء في هذه الترجمة : « عضد الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار يعرف بالمطرز الإيجي الفارسي من البيت المؤسس على العلم والفضل والفتيا . قدم الحضرة بالسلطانية سنة ست وسبعمائة ، وحصل له القرب والاختصاص بحضرة الوزير الكامل رشيد الدين بن فضل الله بن أبي الخير بن على الهمداني . وهو يتبعه في فنون العلم والحكمة والآداب وبعد المهمة . أقام في مخيمه ينزل بنزوله ويرحل برحيله ويقول بمقاله وينتمى لأرأيه . كان يدمن شرب الخمر ويتفلسف ولا يقول بالشريعة المحمدية . وبذلك فارق أباه قاضى إيج واشتهر بالفجور وشرب الخمر وفارق اعتقاد الجمهور وأتهم رشيد الدين بذلك ونسب إلى اعتقاده فنفاه إلى كرمان ليسلم من كلام

(١) دانشمندان آذربايجان ، ص ٣٩٧ .

(٢) الدرر الكامنة ، ج ٣ ص ٢٣٢ .

الناس وهيات « (١) .

ويعلق الأستاذ الشيبى على تلك الرواية قائلاً : « وقد انفرد هذا المؤرخ بأسلوبه الجميل فى النقد الصريح وكلامه المذكور يدل على ذلك . وقد كشف فيه عن هذه الناحية من حياة عضد الدين الإيجى وأيد ما نسبته المؤرخون لرشيد الدين من حمايته لفريق من المتطرفين فى الآراء والمذاهب الفلسفية وقد شنع عليه خصومه بذلك سواء فى حياته أو بعد مقتله » (٢) .

ونحن نتردد كثيراً فى قبول هذه الرواية لأن المشهور عن عضد الدين أنه ولد بعد سنة ٧٠٠ (٣) . فإذا افترضنا أنه ولد فى سنة ٧٠١ هـ (٤) وقدم مدينة السلطانية سنة ٧٠٦ هـ على حسب رواية ابن الفوطى كان معنى هذا أنه ذهب إليها فى سن السادسة ، وهو لا يزال طفلاً لا يدرك من أمره كثيراً . ومن المقرر أن رشيد الدين قتل فى سنة ٧١٨ هـ فليس من المستساغ أن يحصل لعضد الدين القرب والاختصاص بهذا الوزير وهو لا يزال فى تلك السن المبكرة (من السادسة إلى الثامنة عشرة) ثم إن عضد الدين كان فقهاً شافعيّاً يتولى منصب القضاء (٥) ، ولا يعقل أن رجلاً فى مثل ثقافته ومنصبه يتبدل إلى هذا الحد الذى تصوره لنا رواية ابن الفوطى . ونحن إذا استثنينا هذا المصدر ، فإننا لا نجد مصدراً آخر يقول بأن عضد الدين العالم الفقيه الذى كتب فى الفلسفة وعلم الكلام والأخلاق قد فارق اعتقاد الجمهور وكان لا يقول بالشريعة الحمديدية .

كتاب أسئلة وأجوبة :

من مؤلفات رشيد الدين الأخرى التى تغلب عليها الصبغة الدينية كتاب

(١) نشر هذه الترجمة الأستاذ محمد رضا الشيبى نقلاً عن نسخة «مجمع الآداب فى معجم الأسماء والألقاب ج ٤ لابن الفوطى المحفوظة بدار الكتب الظاهرية بدمشق والموجود منها صور شمية بالمكتبة العامة ببغداد (انظر مقالة مؤرخ العراق - ابن الفوطى ص ١٤) .

(٢) نفس المصدر ونفس الصفحة .

(٣) انظر الدرر ، الكامنة ج ٢ ص ٣٢٢ .

(٤) تاريخ مفصل إيران از حله جنكيز تاشكيل دولت تيمورى ، ج ١ ص ٥١٠ .

(٥) Browne: Literary History of Persia, III, p.356 .

أسئلة وأجوبة باللغة الفارسية : وقد شاعت الأقدار الحسنة أن يسلم هذا الكتاب من الضياع . وبالرغم من أنه لم يرد ذكره في الفهرست الذى كتبه المؤلف وعدد فيه مؤلفاته إلا أن مؤرخاً (١) معاصراً لرشيد الدين ذكر هذا الكتاب ضمن المؤلفات التى أحصاها للمؤلف . وقد وفقت فى العثور على مخطوط قيم من هذا الكتاب يحتفظ به أحد فضلاء الإيرانيين هو الأستاذ « جعفر سلطان القرائى » بطهران فى مكتبته الخاصة العامرة بأنفس المخطوطات وأندر المطبوعات .

هذه النسخة ناقصة فى البداية وفى النهاية ، ولا يعلم على وجه التحقيق مقدار النقص . ويصرح المؤلف باسم الكتاب « أسئلة وأجوبة » أثناء إجابته على أسئلة شمس الدين محمد الجوهري السمناني . والنسخة مساحتها ٣٠ × ٢٤ سنتيمتر وعدد صفحاتها ٥٧٢ صفحة وتشتمل كل صفحة على ثلاثة وعشرين سطراً . كتبت بخط نسخ ونستعليق على ورق شميك أصفر اللون ، وكتبت العناوين بخط الثلث . ولم ينص على تاريخ تحريرها وإن كانت تبدو قديمة وممتازة . ويحتمل أن تكون قد كتبت فى عهد رشيد الدين نفسه إذ جاء فى مذكرات صاحب النسخة أن رسم الخط هو بعينه الذى كان متداولاً فى القرن السابع وأوائل القرن الثامن :

تشتمل النسخة المذكورة على أربع وثلاثين رسالة فى موضوعات العلوم المختلفة من طب وتفسير وفلسفة وفقه وطبيعة وغير ذلك .

وتتضمن هذه الرسائل أسئلة الجهابذة من العلماء والفقهاء التى كانوا يوجهونها إلى رشيد الدين ، كما تتضمن إجابته المستفيضة على تلك الأسئلة إذ من المعروف أن مجلس رشيد الدين كان مجلس علم وأدب يجتمع فيه العلماء والفقهاء والمثقفون من شتى الطبقات يتحاورون ويتناقشون فى الدين والفلسفة والأخلاق والطبيعة والأدب . وكثيراً ما كان السلطان أوجايتو يحضر تلك المجالس ويشترك فى توجيه الأسئلة إلى تلك النخبة الممتازة فكان رشيد الدين يغتنم تلك الفرصة ويدلى بدلوه ليطلع الحاضرين على سعة أفقه وغزارة معلوماته . ويبدو أن رشيد الدين أراد أن يجمع كل الأسئلة التى وجهت إليه

(١) انظر تاريخ وصاف ، ص ٥٣٩ .

وإجاباته عليها في مكان واحد . فلقد لاحظت أن بعض الموضوعات التي تحدثنا عنها في المؤلفات السابقة موجودة بعينها في هذا الكتاب . ومن المؤكد أن رشيد الدين قام بتدوينه بعد سنة ٧١٠ هـ لاشتماله على بعض الأسئلة التي وجهت إلى المؤلف في سنة ٧١١ هـ وذلك بعد أن كان قد فرغ من تأليف المجموعة الرشيدية وإعداد الفهرست الذي أحصى فيه مؤلفاته ولهذا جاء خيراً من ذكر هذا الكتاب .

ونظراً لأهمية تلك النسخة فإنني أثبت هنا ما اشتملت عليه من مسائل .

١ — أسئلة شرف الدين الخوارزمي بن أحمد شاه الوراوجي وهذه تشتمل على ثلاث مسائل .

٢ — أسئلة فخر الدين محمد بن محمد بن أبي نصر الحجندی وهذه تشتمل على مسألة واحدة .

٣ — أسئلة فخر الدين بن طراح وتشتمل على مسألتين .

٤ — أسئلة جمال الدين شرفشاهی وتشتمل على تسع مسائل .

٥ — سؤال مجد الدين عبد الله بن عمر الشريف التبريزي المعروف بالقاضي مجد .

٦ — سؤال شهاب الدين مقبول الرومي .

٧ — أسئلة شمس الدين محمد بن فضل الله الحجري وتشتمل على خمس مسائل .

٨ — سؤال كمال الدين حسن بن علي الفارسي .

٩ — أسئلة حمد الدين محمد بن أحمد الواعظ المعروف بسيمين وهي تدور حول مسائل الشريعة والطريقة والحقيقة والتفسير والأحاديث والمقامات والمشايخ والحكمة وأصول الكلام وقصص الأنبياء . وفي النهاية توجد قصيدة لامية في مدح رشيد الدين .

١٠ — أسئلة نظام الدين النيسابوري وتتضمن ثلاث مسائل .

١١- أسئلة صدر الدين مسعود بن سعد بن محمد الكاتب اليزدى
وتتضمن ثلاث مسائل .

١٢- أسئلة كمال الدين عرب وتتضمن مسألتين .

١٣- أسئلة المرتضى الأعظم سيد نظام الدين محمد بن المهدي بن
المرتضى بن علي الحسيني وتتضمن سبع مسائل .

١٤- أسئلة عماد الدين عبد الله بن الخوام . وقد حررت الإجابات عن
هذه الأسئلة في بغداد عام ٧١١ هـ وموضوعها حشر الأجساد ورد التناسخ
وهي مكتوبة في ٣٢ صفحة .

١٥- أسئلة مجد الدين علي شاه بن حسن الحسيني العروضي الأبرقوهي
وتتضمن أربع مسائل وجهت إلى المؤلف في مدينة السلطانية عام ٧١١ هـ .

١٦- أسئلة ملك الأطباء الحكيم الأفرنجي وهي عبارة عن سبع مسائل
في الترجمة باللغة اليونانية وتقع في ٣٨ صفحة .

١٧- سؤال نور الدين كوه كيلوثي .

١٨- سؤال عماد المطرزي .

١٩- سؤال عضد الدين المطرزي .

٢٠- سؤال شهاب الدين زاكاني .

٢١- سؤال الوزير ناصر الدين الأميرجي .

٢٢- سؤال شرف الدين قاضي سيواس .

٢٣- سؤال شمس الدين محمد الجوهري السمناني وهو عبارة عن
ثلاث مسائل وتقع في ٤٠ صفحة .

٢٤- أسئلة السلطان أوجلايتو وتشتمل على مسألتين إحداهما في باب
الهيئة والثانية في المسائل الطبيعية .

٢٥- أسئلة العلماء وكان الباعث عليها ما أشار إليه المؤلف في ديباجتها
من أنه في أواخر ربيع الثاني عام ٧٠٩ هـ كان يجتمع ذات ليلة بنخبة من

أفاضل العلماء فتوجهوا إليه بعدة أسئلة أجاب عنها إجابات شافية رأى أن يقوم بتدوينها وهي تتضمن أربعة أبحاث مرتبة (١) على النحو الآتي :-

(أ) في بيان أن الأمر على عكس ما ظن جماعة من أن الوقوف على العلوم بلا تعلم من أهلها أمر يدعو إلى العجب بل الأولى التعجب ممن وقف عليها بتعلمها من أهلها ، وشرح هذه المعاني بالأدلة والبراهين .

(ب) في بيان قولهم : « التوحيد إسقاط الإضافات » فهذا محل نظر لأنه يجب أن يقال : « إن التوحيد إضافة الإضافات » وتوضيح ذلك بالأدلة والنظائر .

(ج) في بيان أن حسن الصوت لا يحصل بالسعى إذ أنه غير كسبي والإيراد على ما قاله بقراط من أن حسن الصوت مع العقل لا يجتمعان وتزيف ما قيل في توجيه ذلك وتحقيق هذه المعاني بالبراهين .

(د) في بيان أنه يجب التشبه بصفات الله بحكم « تخلقوا بأخلاق الله » ولما كان التكبر من صفاته تعالى فلم كان تكبر الشخص أمراً غير محمود ؟ وبيان حكمة الصلوات الخمس وعدد الركعات ، وسبب تخصيصها بالأوقات المعينة ، وحكمة الوضوء وتقع هذه الأسئلة والإجابة عليها في ٥٠ صفحة .

٢٦- رسالة في تفسير آية « ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين » (٢) .

٢٧- رسالة في تفسير سورة « إنا أنزلناه في ليلة القدر » .

٢٨- رسالة في تفسير آية « ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون » (٣) .

٢٩- رسالة في بيان فوائد زيارة مقابر العظماء من رجال الدين والصالحين من عباد الله . وهذه الرسالة كتبها المؤلف جواباً على أسئلة العلامة

(١) هذه الأبحاث ، موجودة بأكملها باللغة العربية في رسالة نفائس الأفكار الملحقه بكتاب مفتاح التفاسير (مخطوط دار الكتب المصرية رقم ١٣٣ تفاسير) .

(٢) سورة السجدة ، آية ١٣ .

(٣) سورة الأنفال ، آية ٢٣ .

جمال الدين بن مطهر الحلبي حينما كان المؤلف مع السلطان أوجايتو في المدائن بالقرب من بغداد مع لفيف من العلماء يزورون قبر سلمان الفارسي .

وقد لاحظت أن الرسائل الأربع السابقة موجودة كلها باللغة العربية في رسالة نفائس الأفكار الملحقة بكتاب مفتاح التفاسير (مخطوط دار الكتب المصرية رقم ١٣٣ م تفاسير) .

٣٠- رسالة في تفسير معنى الخبر النبوي : « أنا مدينة العلم وعلى بابها » وتاريخ تأليف هذه الرسالة في يوم الجمعة ٢٣ من ربيع الثاني سنة ٧١٠ هـ .

٣١- رسالة في بيان المعقول والمنقول .

٣٢- رسالة في باب تدوير الأرض وتفسير الآية : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً » (١) ، وتفسير الآية « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت » (٢) إلى آخر السورة .

٣٣- رسالة في تفسير آية « قل لو كان البحر مدداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً » (٣) ، وآية « ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام » (٤) والآيات التى تسبقها والى تليها .

٣٤- رسالة في بيان أى الفريقين أفضل من الآخر العقلاء أم العلماء ؟

هذه الرسالة تقع فى آخر الكتاب ولكنها ليست كاملة ولا يعلم ما فيها من نقص ، وما إذا كانت هناك رسائل أخرى تليها أم أن الكتاب يقف عند هذا الحد ؟ .

وقد ذكر الأستاذ أحمد زكى وليدى أنه يوجد مخطوطان فى تركيا لكتاب أسئلة وأجوبة الأول فى مكتبة آياصوفيا رقم ٢١٨٠ فارسى والثانى فى مكتبة آدرنه - أحمد باشا الثالث رقم ١٩٣٠ .

(١) سورة الأحزاب ، آية ٧٢ .

(٢) سورة الفاشية ، آية ٨٨ .

(٣) سورة الكهف ، آية ١٠٩ .

(٤) سورة لقمان ، آية ٢٧ .

وفي نسخة آيا صوفيا يوجد فهرست مفصل (١) . وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أنه توجد بين أسئلته مواضيع تاريخية هامة ومسائل بين الأمم . وهذه المسائل تهم المسلمين بصفة عامة . وقد شغلت الترك والمغول الذين اعتنقوا الإسلام في النصف الأخير من القرن الثالث عشر . وقد أجاب رشيد الدين على هذه المسائل إجابة شافية تفيدنا من حيث تتبع الأفكار والتيارات في ذلك العصر (٢) .

(١) انظر دائرة المعارف الإسلامية ، عالم الإسلام ، باللغة التركية ، ج ٩٨ ، ص ٧١١
استانبول ، ١٩٦٣ .
(٢) انظر نفس المصدر ونفس الصفحة .

الفصل الثالث

مؤلفاته الأدبية

مجموعة رسائله :

من مؤلفات رشيد الدين ذات القيمة الكبيرة كذلك ، مجموعة رسائله ومنشئاته التي كان يحررها في شئون الإدارة والحكم ، وفي المسائل المالية والاجتماعية والأدبية . كان يرسلها إلى أبنائه وأتباعه الذين كانوا يقومون بمختلف الأعمال في دولة المغول ، ثم إلى أصدقائه من ساسة العصر وأدبائه وعظمائه الذين كانوا يعيشون في إيران وخارج حدود إيران .

وكان المستشرق الإنجليزي براون يملك مخطوطاً من تلك الرسائل وإليه يرجع الفضل في التنبيه إلى أهميتها ، ولفت الأنظار إلى ما تحويه من نكات أدبية وتاريخية والتصريح بأنها كلها جديرة بالمطالعة لأنها توقفنا على أخلاق هذا الرجل الكبير ومساعيه وأعماله (١) . ولكن براون لم يدرس لنا تلك الرسائل دراسة نقدية متفحصة ولم يحاول أن يستفيد مما جاء بها في تكملة معلوماته التي كتبها عن رشيد الدين وإنما اكتفى بإيراد فهرست لهذه الرسائل .

وقبله رأينا كاترمير يشير إلى بعض هذه الرسائل إشارة عابرة دون أن تتاح له فرصة الاطلاع عليها ، والوقوف على أهميتها القصوى بالنسبة للرجل الذي خصه بالدراسة المستفيضة ، فهو يقول : « بين المخطوطات التي تتكون منها مجموعة المرحوم « روسو » (Rousseau) والتي توجد الآن في مكتبة بطرسبورج الإمبراطورية ، وجدت مجموعة رسائل كتبها رشيد الدين وبعث بها إلى أصدقائه أو إلى أولاده وعددها خمس وعشرون رسالة » (٢) .

(١) انظر براون : التاريخ الأدبي لإيران ، ج ٣ ص ٨٠ وما بعدها .

Quatremère, P.CXX. (٢)

وفي الحقيقة كان وجود تلك الرسائل ، ثم نشرها عاملاً هاماً في سد
النقص الذي نشعر به عندما نتحدث عن المؤسسات التي أقامها رشيد الدين
وفي مقدمتها عمارة الربع الرشيدى إذ كانت المادة لا تكفى للإحاطة بهذا العمل
الخيرى العظيم .

نشر هذه الرسائل تحت عنوان « مكاتبات رشيدى » الأستاذ محمد شفيع
اللاهورى ، وعلق عليها وكتب لها حواشى مفيدة . وصدرت الطبعة الأولى
فى لاهور عام ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥ م .

ولكن مما يؤسف عليه أن الناشر اعتمد على مخطوط واحد فقط كان
ناقصاً فى عدة مواضع وخاصة المقدمات ؛ وعلى هذا جاءت المقدمة فى النسخة
المطبوعة مشوهة للغاية تنقصها عدة صفحات ، هذا فضلاً عن سقوط بعض
الأسطر فى الصفحات الأخرى من الكتاب . وقد نبه الناشر إلى وجود هذا
النقص فى مواضعه (١) . وحينما كنت فى طهران عثرت على مخطوط قديم
كامل من تلك الرسائل فى « مكتبة ملك » يرجع إلى القرن العاشر الهجرى
(سنة ٩٢٨) فأكملت مواضع النقص فى المقدمات المطبوعة ، ثم نشرتها كاملة
مصححة فى إحدى المجلات العلمية التى تصدر فى طهران (٢) . كما أكملت
النقص فى الصفحات الأخرى من طبعة لاهور .

وقد بدأت هذه المقالة بمقدمة عرفت فيها برشيد الدين ، وتحدثت فيها
عن أهم مؤلفاته التى من بينها مجموعة هذه الرسائل .

وحيث نشرت المقدمات الأخرى حرصت على أن أبين فى الحواشى
كل ما أراه ضرورياً ولازماً لإفادة القارئ ومساعدته على تفهم ما حوته من
معلومات .

(١) انظر مكاتبات رشيدى ص ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٤٢٩ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ؛ براون : تاريخ
أدبى إيران از سعدى تاجامى ، ترجمة الأستاذ على أصغر حكمت ، ص ٨٩ حاشية ٣ .
(٢) مجلة دانش ، العدد الثالث ، ص ١٥٨ - ١٦٧ السنة الثانية ١٣٢٩ هـ ش .

أما المقدمات الأخرى فهي عبارة عن :

أولاً - ديباجة جامع هذه الرسائل مولانا « محمد الأبرقوهي » (١) وهي تبدأ بالحمد لله والثناء على نبيه . ثم يبين فيها أنه كان ملتحقاً بخدمة رشيد الدين إذ كان يعمل كاتباً له ، وأنه رأى منه العطف والرعاية . وكان يواظب على الحضور مع العلماء والفضلاء الذين كان رشيد الدين يجالسهم ويحاورهم في أغلب الأوقات فيستفيد مما كان يدور في مجالسهم . ولما رأى هؤلاء العلماء يتسابقون في جمع لطائف المحاورات وبدائع المكالمات ، أراد هو الآخر أن يسير على نهجهم فجمع هذه الرسائل ورتبها ودونها كما جمع ردود ملوك الأطراف وحكام الأكثاف لتكون دليلاً على ما كان يتمتع به رشيد الدين من رفعة المكانة وعظمة الشأن .

ونضيف أخيراً أن هذه المنشئات قد جمعت في عهد وزارة غياث الدين محمد بن رشيد الدين « ومنشأني كه صاحب أعظم سعيد شهيد مغفور مبرور عليه الرحمة والغفران در سلك تحرير و تقرير آورده است . اينست و تدوين اين كتاب در زمان وزارت گوهر صدف وزارت و اختر برج ايالت سلطان الوزراء في العالمين خلاصة الماء والطين الواثق بالملك الواحد الأحد غياث الدولة والدين محمد أنار الله برهانه بود » (٢) .

ثانياً - مقدمة المؤلف وهي عبارة عن رسالة صغيرة في التوحيد تتلخص في الحمد والشكر لله والثناء على نبيه وأهل بيته والتابعين .

ثالثاً - مقدمة أخرى للمؤلف وهي أيضاً عبارة عن رسالة صغيرة في الموعظة وتتلخص في أن الإنسان إذا أراد أن ينال السعادة في الدنيا والمثوبة في الآخرة ، عليه بطاعة الله والعمل بسنة نبيه أي أنه ينقاد للأوامر ويتبع النواهي ويؤدى الفرائض .

ولكن على الرغم من أهمية تلك الرسائل واعتمادنا عليها كمصدر هام يمدنا

(١) نسبة إلى (أبرقوه) ، وهي بلدة من كورة اصطخر قرب يزد ببلاد فارس . ويكتبها بعضهم أبرقويه . وأهل فارس يسمونها وركوه (ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٨٥ وما بعدها) .

(٢) مجلة دانش ، العدد الثالث ص ١٦٣ ، السنة الثانية .

بالمعلومات التاريخية والأدبية عن تلك الفترة ؛ يجب أن نتنبه إلى أن بعضها مدخول على رشيد الدين فلا يصح أن ندخله في حسابنا . ولحسن الحظ كانت تلك الرسائل المشكوك فيها – قليلة العدد بالنسبة للمجموع الكلى البالغ ثلاثاً وخمسين رسالة .

وقد كتب المستشرق الإنجليزي ريوبن ليڤى (Reuben Levy) مقالا في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية (١) يشكك في قيمة الكثير من تلك الرسائل ويرى عدم الاعتماد عليها في الكشف عن الحقائق التاريخية ؛ ليس فقط لأنها تفتقر إلى خصائص أسلوب رشيد الدين ولغته التي تعرض عن سعة وبوفرة في كتابه جامع التواريخ ، ولكن لأنها مليئة بالمستحيلات والعبارات التي عرضت بطريقة موهلة في الغموض والمبالغة . ويستبعد ليڤى أن يعالج رجل سياسى مثل رشيد الدين الذى عرف بالحرص والحذر – الشئون المالية على هذا النحو من الإطلاق وعدم الحيلة كما يبدو في رسائله وبخاصة إذا عرفنا أنه حينما كان وزيراً لم يكن فى أى وقت بغير رقيب أو خصم (٢) .

ونحن لانقر ليڤى على ما ارتآه من الربط بين أسلوب الرسائل وبين أسلوب جامع التواريخ لأننا نعلم أن من مقتضيات البلاغة أن يجعل لكل مقام مقال فرشيد الدين حين يكتب فى التاريخ يعرف أنه يعرض حوادث عامة لا يحسن فيها التأنيق والتصنع ، ولهذا جرى على سمعيته فجاءت تعبيراته واضحة مفهومة بعيدة عن الزينة والبهرج . وخلا كتابه من عيب كبير كان يحط من قيمة التاريخ لاحالة . ولا كذلك الحال فى تحرير الرسائل التي تعتبر نوعاً من الرسائل السلطانية أو الإخوانية ، وهذه يحسن فيها التأنيق فى الأسلوب وترصيع العبارات بأبيات من الشعر واقتباسات من القرآن أو من الحديث كما يبدو ذلك واضحاً من رسائل رشيد الدين .

وأما عن الإسراف والمبالغة فى الشئون المالية الذى بدأ فى هذه الرسائل

(١) The Letters of Rashid al-Din Fadl-Allah: The Journal of the Royal Asiatic Society, April, 1946, pp.74-77 .

(٢) ليڤى : رسائل رشيد الدين ، ص ٧٤ .

والتي تبين عما كان يتمتع به رشيد الدين من جاه وثراء إلى درجة يصعب تصديقها ، فإن هناك مصادر أخرى كثيرة اتفقت مع هذه الرسائل في المبالغة في تقدير ثروة رشيد الدين وسوف نناقش هذه المصادر بعد قليل .

ومهما يكن من أمر فإن لبقى حين شرع يناقش هذه الرسائل المشكوك فيها ليبين زيفها واستحالة نسبتها إلى رشيد الدين لم يستطع أن يثبت ذلك إلا في ست رسائل (١) .

وإلى جانب تلك الرسائل الست هناك رسالتان أخريان يشك فيهما كذلك وقد نبه إليهما ناشر الكتاب (٢) .

وبعد استبعاد تلك الرسائل لنا أن نطمئن إلى ما تبقى من المجموعة فنعتمد عليها في استقاء المعلومات الصحيحة من النواحي التاريخية والسياسية والأدبية فيما يتعلق بمؤرخنا رشيد الدين .

هذه الرسائل لا تخضع لترتيب ولا لتبويب وإنما كتبت في موضوعات متنوعة تنوعاً ظريفاً حسب المناسبات ، حتى إننا لنجد فيها مسائل من كل علم وفن ، ففيها السياسة والاجتماع والطب والأدب والفلسفة والأخلاق . والقارئ لها يعرف أن المقصود بجمعها بوجه عام هو الإشادة بمجد رشيد الدين وبيان ما كان عليه من عظمة وسلطة ، وعز وجاه وما كان يتميز به من نفاذ البصيرة وحسن السياسة ، وكرم الطباع وكثرة البذل .

وتستغرق الكتب التي أرسلها إلى أولاده عدداً كبيراً من الصفحات . وكان أولاده يتولون أكبر المناصب في الإمبراطورية المغولية . ولما كان رشيد الدين حريصاً على أن يكون أولاده حكاماً صالحين ؛ كان يكتب إليهم بانتظام يبصرهم بالألاعيب السياسية ويرسم لهم الخطط القويمة التي يسرون عليها في حكم الناس ، ويبين لهم الصفات التي يجب أن يتحلّى بها الحاكم ليكون محبوباً من رعيته كإقامة العدل ، وكثرة البذل ، وتخفيف الضرائب عن كاهل

(١) نفس المصدر ، ص ٧٥ وما بعدها . .

(٢) انظر مكاتبات ، ص ١٦٩ - ١٧١ ، ص ٢٧٣ - ٢٧٨ .

الأهالى إلى غير ذلك من الأسس السليمة التى تربط بين الحاكم والمحكوم برباط من الحب والمودة .

ففى رسالة بعث بها إلى ابنه الخواجه غياث الدين محمد (١) الذى كان حاكماً على خراسان فى ذلك الوقت ، نراه يحث ابنه على المبادرة بإصلاح حال الرعية فى مختلف بلاد خراسان ، والعمل على رفع الظلم الذى كان قد حاق بهم على أيدى الطغاة من الحكام السابقين ، وتأمينهم على أموالهم وأنفسهم ، وتوخى العدالة التامة بينهم . ودعاه لأن يكون حازماً إذا تطلب الأمر ذلك . وضرب له المثل بكسرى أنوشروان فإنه . على الرغم من كفره وضلاله عرف برعاية الأيتام وتدبير مصالح الخلق وقتل الفاسدين وقمع الماردين واستئصال الجائرين وإعدام الفجار وإعلاء راية العدل وعماراة الأرض ، وإصلاح البقاع ونشر الأمن لدرجة أن النبي صلى الله عليه وسلم افتخر بعهد كسرى فقال : « ولدت فى زمن الملك العادل أنوشروان » . وفى تلك الرسالة أيضاً يتضح أن رشيد الدين على العكس مما أشيع عنه كان يحترم رجال الشيعة ، ويعظم أماكنهم المقدسة ؛ فهو هنا يأمر ابنه بأن يضع مشهد الإمام المعصوم ومرقد السيد المظلوم فى كنف الحماية والرعاية . « ومشهد امام معصوم ومرقد سيد مظلوم عليه السلام را در كنف حمايت ورعايت گيرى » .

وفى رسالة أخرى أرسلها إلى ابنه الخواجه عبد اللطيف (٢) عندما كان حاكماً على إصفهان نجده يوجه نظر ابنه إلى الصفات اللازمة لتدبير الملك وسياسة الناس فيوصيه بأن يتمسك بالمبادئ الآتية :-

- ١ - أن يصدق فى القول ويخلص فى العمل .
- ٢ - أن يصطنع مع أعدائه طريق المداراة والمواساة إذا لم تكن له طاقة على إخضاعهم .
- ٣ - أن تبني السياسة على التفحص والاستكشاف حتى تقطع أسباب العناد وتستأصل جذور الفساد .

(١) انظر مكاتبات ، ص ١٤٥ - ١٥٥ .

(٢) نفس المصدر ص ٧٠ - ٧٨ .

- ٤ — أن يتحلى بالشجاعة لأنها وقاية للنفس ولباس للعزة .
- ٥ — أن يتحلى بزيينة الكرم والسخاء ليكون مكرماً عند الخالق ومحترماً عند الخلق .
- ٦ — أن يتمسك بالأمانة لينال السعادة في الدنيا والمثوبة في الآخرة .
- ٧ — أن يراعى القناعة وعدم الانغماس في نعيم الدنيا .
- ٨ — ألا يحسد أصحاب الثروة والجاه على ثرائهم وجاههم لأن الحسود لا يسود .
- ٩ — أن يكون كتوماً للأسرار ولا يفشيها لأحد وخاصة للنساء لأنهن لا يؤتمن على سر .
- ١٠ — أن يجالس العلماء ويصاحب الفضلاء ليكتسب منهم صفاء السيرة وحسن السيرة وأن يبتعد عن مخالطة الجاهل البذئ اللئيم ؛ لأنه لا يرى من هذه الطبقة إلا لؤم الطبع وخسة الذات وخبث الصفات وقلة الديانة وعدم الأمانة .
- ١١ — أن يتوكل على الله في كل الأحوال لتوصله العناية الإلهية إلى مراده ومطلوبه .
- ١٢ — ألا يسلك في سبيل الوصول إلى الحق طرق التذلل والاستكانة .
- ١٣ — أن يعرض عن الكبر حتى يتمتع بشمرة التواضع .
- ١٤ — أن يتحرى العدل والإنصاف لأن العدل أساس الملك ، والظلم موجب لهلاك الملك .
- ١٥ — أن يتخذ الوقار والحلم ويصطنع العفو والصفح .

ورشيد في رسائله لأولاده لا يكتفى بتوجيه النصيح ورسم الخطط فيما يجب أن يتبعوه في شئون السياسة والحكم ، بل يحادثهم كذلك في الشئون الاجتماعية والصحية ، فهو في الرسالة رقم ٢٢ التي أرسلها إلى ابنه الخواجه « أمير شهاب » (١) حاكم تستر والأهواز يبحث ابنه على الاعتدال في المأكل والمشرب

(١) انظر مكاتبات ، ص ٩٣ - ١٢٢ .

والجماع والاعتناء بضروب الرياضة وتنظيم مواعيد الأكل . فرشيد هنا يتكلم بلسان الطبيب الذى يعرف تمام المعرفة ما لهذه العوامل من تأثير بالغ على الصحة العامة .

وهناك رسالة مطولة رقم ٣٦ (١) أرسلها رشيد الدين إلى صديقه الخواجه صدر الدين محمد تركه « (٢) وكانت تقوم بينهما صداقة وطيدة . ومن هذه الرسالة نعلم أن رشيد الدين كان قد أصيب بمرض هالك (٣) فرأى أن يبعث إلى صديقه يوصى بأولاده خيراً ، ويعطيه صورة جامعة ومفصلة لأملأكه وأمواله وتعداد كتبه فى مكتبة الربع الرشيدى ، ويبين له الطريقة التى ارتأها فى توزيع ثروته بن أولاده والممتلكات التى وقفها على أعمال البر وعلى عمارة الربع الرشيدى ؛ فكانت هذه الرسالة بمثابة وصية إلى صديقه ليقوم على تنفيذها إذا ما وافاه الأجل المحتوم .

ويبدو أن المرض قد اشتد على رشيد الدين فى تلك الفترة ، فظن أن نهايته قد اقتربت لذلك نحس بنغمة حزينة فى عباراته ، فهو يعيب الدنيا ويرى أنها ليست على حالة واحدة فن فرح إلى ترح ومن قبض إلى بسط ، وهو يخشى أن يموت دون أن يوصى بما يتبع فى توزيع ممتلكاته الواسعة وثروته الطائلة فإبراء لذمته كتب إلى صديقه بوصيته .

تحدث هذه الرسالة كذلك عن عدد أولاد رشيد الدين فتذكر أربعة عشر شخصاً (٤) ذكوراً وأربعاً من الإناث . بينما جاء فى كتاب ذيل جامع التواريخ أنه كان لرشيد الدين فى ذلك الوقت (يعنى فى أواخر سنة ٧١٧) ثلاثة عشر ولداً « خواجه رادر آن وقت سيزده پسر بود » . (٥) وكما قلنا يبدو

(١) نظر مكاتبات ص ٢٢٠ - ٢٤٠ .

(٢) الخواجه صدر الدين محمد تركه كان من فحول العلماء والمجاهدين المعاصرين لرشيد الدين أصله من خجند تركستان . هاجر جده من هذه المدينة إلى إيران ولما كانت لغته هى التركية عرف أبناءه بأسرة « تركه » . وصدر الدين هذا كان هو رأس الأسرة التى تقطن إصفهان (انظر مجلة يادگار ، شماره چهارم ص ٦ سال اول ، آذرماه ١٣٢٣ هجرية شمسية) .

(٣) يرجح أن رشيد الدين كتب هذه الرسالة على أثر إصابته بمرض النقرس عام ٧١٥ ذلك المرض الذى امتنع بسببه عن الذهاب إلى الديوان مدة أربعة أشهر .

(٤) انظر مكاتبات ص ٢٣٩ .

(٥) ذيل جامع التواريخ ، ص ٧٨ .

أن تاريخ تحرير هذه الرسالة كان في سنة ٧١٥ هـ . فإذا كان اطلاع حافظ آبرو فيما يختص بعدد أولاد رشيد الدين صحيحاً فلا بد وأن أحد الأبناء المذكورين يكون قد توفي فيما بين سنوات ٧١٥ ، ٧١٧ هـ .

ثم إن هذه الرسائل تأتي أهميتها من حيث أنها توقفتنا على علاقات رشيد الدين برجال العلم والأدب الذين كانوا يحضرون مجلسه فيذهبون في فنون الحديث كل مذهب يتحاورون ويتناقشون في الدين والفلسفة والأخلاق والأدب فهو في الرسالة [٥١] (١) . التي أرسلها إلى ابنه الخواجه سعد الدين حاكم قنسرين يتحدث عن كرمه الذي عم الخاص العام ، وأنه كان للخلق من مائدة إحسانه نصيب موفور ، وأنه كان ينظر إلى الكبير والصغير بعين الاحترام ولهذا كان يرسل الرسل والقصائد على وجه الاستعجال إلى العلماء والفقهاء حتى يشخصوا إليه ويقبلوا عليه . والآن ترى أفواج العلماء والأفاضل والأمجاد والأمثال فيبذل قدر ما في وسعه لاسترضائهم ومراعاتهم .

وكان العلماء يتنافسون في إهداء كتبهم إليه ، وهي كتب قيمة في العلوم العقلية والنقلية ، صيغت في عبارة محكمة منها المنظوم والمنثور ، فكان هؤلاء المؤلفون يفيدونه وينرون له الطريق بحل المشكلات والمسائل المعضلة . وبالإضافة إلى هذا كانوا يعكفون على قراءة مؤلفاته ويحررون الفصول البليغة في تقييدها واستحسانها .

« وأهل دانش وپیش که سر دفتر آفرینش اند هریک بنام این ضعیف کتابی مطبوع ورسالهٔ مصنوع در علم معقول ومنتقول بعبارتی عقل آمیز ونظم ونثری دانش انگیز نوشتند وپیوسته بافاده واستفادهٔ این فقیر حقیر مشغول می بودند ، و بحل دلائل مشکول ومسایل معضل قیام می نمودند ، ومصنفات این مشتاق را چون مطالعه می کردند ، هریک درمدح وتحسین وثنا وآفرین فصلی بلیغ بعبارتی فصیح بر آن می نوشتند » (٢) .

وكان رشيد الدين لا يضمن على هؤلاء العلماء بمال أو بجائزة بل كان

(١) انظر مكاتبات ، ص ٣١٥ - ٣١٧ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٣٧ .

يغدق عليهم العطايا والهبات ، ويكافئهم أحسن مكافأة . وكان يعتبر إهداء كتبهم إليه وتقريظهم لكتبه عملاً جليلاً ، وخدمة كبيرة يؤدونها له ، فهم بهذا يخلدون اسمه ويذيعونه في كل مكان ، فقد ألف له صديقه صدر الدين تركه كتاباً سماه « حكمت رشیدی » كما ألف كتاباً آخر اسمه « كنوز الأفراح في معرفة الأشباح والأرواح » فكافأه رشيد الدين بأن أعطاه مقداراً من النقود والبضائع والدواب واعتبر ذلك القدر قليلاً لا يوازي الجهد الذي بذله في تأليف هذين الكتابين ولهذا قدم إليه اعتذاره (١) .

ولم تقف شهرة رشيد الدين العلمية عند حدود إيران وحدها بل تجاوزتها إلى الأقطار الخارجية ؛ فكان العلماء يهدون إليه كتبهم اعترافاً بفضله وأملاً في أن ينالوا جائزته ، فهؤلاء علماء المغاربة قد سمعوا عن صيته وشهرته وعلموا شغفه بالعلم والأدب ، ووصلت إليهم أنباء جوده وسخائه ، فرغبوا في أن يتقربوا إليه ، وأن يحشروا في زمرة ندمائه وجلسائه ، ولكن نظراً لبعده الشقة لم يستطيعوا تحقيق أمنيته فاستعاضوا عن ذلك بنفائس الكتب وعصارة الأفكار يهدونها إليه ، فما أرسلوه :-

عدد المجلدات	اسم الكتاب
١٠	الأطواق المذهبة في تاريخ المغاربة ..
٥	أقوم المسالك في مذهب الإمام مالك
١	منهاج الرئاسة في علم السياسة
٢	نزهة الأبرار وروضة الأحرار في علم التصوف
٢	تحفة الأماني في علم المعاني
٣	درة اليتيم في علم التنجيم
١	ميزان الكياسة في علم الفراسة
٦	البلغة في علم اللغة
٤	تقويم الأفكار في علم الأشعار
٣	عمدة الفصحاء في أمثال البلغاء

بعد ذلك يذكر رشيد الدين أنه قرأ هذه الكتب فوجدتها تدل على ذكاء وقاد وطبع نقاد ، كما أنها دليل واضح على حسن سيرة مؤلفيها وصفاء سريرتهم وإن فصولها وأبوابها المبسوطة لحجة قاطعة على كمال الأدب وطيب العنصر . وبالإضافة إلى هذه المكرمة كانوا يكتبون الكتب ويحررون الرسائل التي لانظير لها باسم رشيد ، وإزاء سلوكهم هذا ؛ كان عليه أن يقابل جميلهم بجميل وفضلهم بفضل ، فأمر بإرسال غالى الهدايا وثمان التحف إليهم ، وكتب إلى أحد أتباعه في آسيا الصغرى ليكافئ هؤلاء الباحثين وفقاً للتفصيل الذى بينه له . وكان عدد هؤلاء العلماء عشرة منهم ستة كانوا يقيمون في أشبيلية وقرطبة وفى بعض أجزاء أخرى من الأندلس ، وكان يقيم الأربعة الآخرون في تونس وطرابلس والقيروان (١) . وهكذا كما ترى امتدت شهرة رشيد الدين من المشرق إلى المغرب .

كان رشيد الدين يتواضع للعلماء ويتقرب إليهم ، ويعمل على توطيد أسس الصداقة بينه وبينهم . يحدثننا التاريخ أنه كان يعظم الشيخ صنى الأردبيل (٢) ويحله للغاية . كما كان يتعهد بدفع نفقات ذلك الشيخ فى « أردبيل » كل سنة : كتب إلى ابنه الأمير أحمد حاكم « أردبيل » يوصيه أن يسلك مع الناس سلوكاً حسناً بحيث يرضى عنه الشيخ صنى ويكون شاكراً له « ونوعى ساذى كه جناب قطب فلك حقيقى ، وسباح بحار شريعت ، ومساح مضمار طريقت شيخ الإسلام والمسلمين ، برهان الواصلين ، قدوه صفة صفا ، گلبن دوحه

(١) انظر مكاتبات ، ص ٢٤٧ - ٢٥١ .

(٢) هو الشيخ صنى الدين أبو الفتح اسحاق بن الشيخ أمين الدين جبرئيل من المتصوفين المشهورين فى عهد أولجايتو وأبى سعيد . ولد فى سنة ٦٥٠هـ واتصل أول أمره بالعارف الكبير الشيخ تاج الدين إبراهيم الكيلانى الملقب «بالشيخ الزاهد» وصار من أتباعه ومريديه ، وتزوج من ابنته ، وسرعان ما ملع نجمه وذاع صيته واشتهر بالزهد والورع ، فلما توفى تاج الدين حل محله صنى الدين وصار له أتباع كثيرون فى كيلان وغرب أذربيجان وموقان وأران . وكان يعيش فى أردبيل معززا مكرما كما يقول حمد الله القزوينى : «زده القلوب ص ٨١» «كان أكثر أهل أردبيل يعتقدون مذهب الإمام الشافعى ومن مريدى الشيخ صنى الدين عليه الرحمة» . وكان يحله جميع عظماء عصره وعلى رأسهم الخواجه رشيد الدين فضل الله وابنه غياث الدين محمد . وأخيرا يجب أن نعرف عن صنى الدين هذا أنه كان جد الأسرة الصفوية . توفى فى ١٢ المحرم سنة ٧٣٥

وفا ، شيخ صفي الملة والدين - أدام الله تعالى بركات أنفاسه الشريفة -
از توراضی و شاكر باشد» (۱) .

وهناك دليل قوى آخر يدل على مقدار ما كان يكنه رشيد الدين لذلك
الشيخ من احترام وتقدير ففي رسالة أخرى أرسلها إليه يبثه شوقه وحنينه
وتمنى وصله وقربه كما يتضح من الآيات الآتية :

يطيرنى شوقى وكيف أطير فإن جناحى بالفراق كسير
إذا جاش جيش الشوق من كل جانب فالى سوى فيض الدموع نصير
فيارب قربنى إلى قدوة الورى فأنت على تيسير ذلك قدير
ثم يقول فى نهاية هذه الرسالة إنه رأى أن يتبرع لخاتقاه مخدومه ببعض
الأصناف من عائدات أملاكه حتى تقام الولائم فى ليلة ميلاد الرسول صلى الله
عليه وسلم ، ويدعى أعيان أردبيل ليستمعوا الوعظ الصوفى وعند الفراغ
يذكرونه بالخير (۲) .

وكان رشيد الدين ينظر إليه على أنه رجل عالم واسع الاطلاع إذا أشكل
على معاصريه أمر أو عميت عليهم مسألة ، فإنهم يلجأون إليه يستفسرون منه
ويسألونه فيرسل إليهم الجواب . وجه إليه أحد معاصريه ثلاثة أسئلة تدور
حول المسائل الطبيعية والدينية ، الأول : ما أسباب حدوث الزلازل (۳) ؟ .
وقد أجاب رشيد الدين أولاً بعقلية الرجل العالم فقال : إنها تحدث بسبب تراكم
الأشجرة الكثيفة واحتقانها داخل الأرض الصلبة ، فلا تجد منافذ تخرج منها
وأمام هذه القوة الهائلة تتحرك الأرض نتيجة لتصاعد هذه الأشجرة الكثيفة .
ثم أجاب ثانياً بعقلية رجل الدين ، فراح يعدد مظاهر قدرة الله وعظمته التى
تجعل الإنسان عاجزاً صاغراً لا يملك إلا التسليم . ويخلص من هذا إلى أن
الزلازل ليست إلا ظاهرة من تلك الظواهر . فأى عجب بعد ذلك للملك تكون
هذه الأشياء ظواهر قدرته وبراهين سطوته إذا حرك الأرض كذلك (۴) ؟ «

(۱) مكاتبات ، ص ۳۰۹ .

(۲) انظر نفس المصدر ، ص ۲۶۸ - ۲۷۲ .

(۳) نفس المصدر ص ۴۴ وما بعدها .

(۴) نفس المصدر ص ۴۸ وهذه هى العبارة الفارسية « پس چه عجب باشد كه ملكى كه

اين همه ظواهر قدرت و براهين سطوت اوست زمين را نيز در حركت آورد ؟ » .

والسؤال الثانى : أيهما أحسن المنافق أم الكافر (١) ؟ وقد أجاب بأن الكافر أحسن من المنافق بموجب قوله تعالى : « إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار » (٢) ، ومعنى هذا أن الكفار أعلى مقاماً فى النار من المنافقين رغم أن النوعين قد كتب عليهم الشقاء . ثم يؤيد قول القرآن بأدلة عقلية منها : (أ) أن الكافر لجهله المطبق يتيه فى بادية الضلالة ، أما المنافق فلا يعرف موقفه فهو ليس بكافر كما أنه ليس بمسلم . ورغم علمه بما قاله القرآن عن المنافقين « مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء » (٣) فإنه يتيه فى الضلالة ويغوى الآخرين .

(ب) الكافر مقرر ومعتزف بوجود الخالق : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » (٤) . ولكن بسبب الجهل الذى ركب فى مزاجهم يجعلون الأصنام شركاء لله كقوله تعالى : « وجعلوا لله أنداداً » (٥) وهم مع كفرهم يعظمون أندادهم . وأما المنافقون فإنهم لما لم يكونوا راسخين فى الكفر ولا ثابتين على الإسلام ؛ فإنهم لا يعظمون أمور الكفر ولا يحترمون أمور الإسلام .

(ج) البارئ عز شأنه وعظم سلطانه فى نظر الكافر نور بلا ظلمة وعادل ليس الظلم فى صفته . وأما المنافق فيستسيغ أن ينسب الجور والظلم لله .

السؤال الثالث : الاستفسار عن حقيقة الصراط الذى سوف يعبره الخلق يوم القيامة (٦) : أجاب بأن الصراط فى اللغة عبارة عن الطريق الوسط بين الإفراط والتفريط ، وهو فى الدقة مثل الخط الهندسى . وينقل عن الإمام الغزالى قوله : « الصراط المستقيم عبارة عن الوسط الحقيقى بين الأخلاق المتضادة » . قال عز وجل فى فاتحة الكتاب : « اهدنا الصراط المستقيم » .

(١) نفس المصدر ص ٤٩ .

(٢) سورة النساء ، آية ١٤٥ .

(٣) سورة النساء ، آية ١٤٣ .

(٤) سورة لقمان ، آية ٢٥ .

(٥) سورة إبراهيم ، آية ٣٠ .

(٦) انظر مكاتبات ، ص ٥٠ - ٥٢ .

وجاء فى بعض مصنفات الغزالي أن الصراط طريق ينجى الخلق من ورطات الهلاك . والصراط المستقيم عند بعض المحققين عبارة عن وسط بين الأخلاق الحميدة التى تنجى من أكدار النفس ولها صفات الملائكة ، وبين الأخلاق الذميمة التى تهلك ولها صفات الشيطان . وعلى هذا يكون الصراط وسطاً بين نقيضين ؛ فالشجاعة وسط بين التهور والحبس ، والتواضع وسط بين التكبر ودناءة الطبع ، والعفة وسط بين الشهوة والحمود . وهذا الوسط خال من الإفراط والتفريط .

وأما الصراط فى الاصطلاح القرآنى فيأتى فى بعض المواضع بمعنى الطريق الدقيق الذى يعبره الخلق يوم القيامة .

وأخيراً يجب أن ننظر إلى هذه الرسائل على أنها ثروة لغوية وأدبية قيمة تدل دلالة واضحة على مقدرة رشيد الدين الأدبية واللغوية ، وثبتت دون شك مدى اطلاعه الواسع العميق على اللغتين الفارسية والعربية والتعمق فى آدابهما . تجدد الألفاظ جيدة منتقاة والعبارات رصينة محكمة فجاء أسلوبه أدبياً راقياً ، يميل إلى الترصيع والتنميق ولكن دون إغراق فخلل أسلوبه من التكلف والتعقيد . وإذا كان أسلوبه هنا يختلف عما ألفناه فى كتاباته الأخرى ، فلا شك أن هذا أمر طبيعى كما سبق أن بينا .

ومما يجدر ذكره أن نماذج الشعر الكثيرة التى استشهد بها من اللغتين الفارسية والعربية والآيات القرآنية والأحاديث النبوية تدل على طبع وقاد وتذوق حسن لمعانى الشعر والنثر وحسن استعمالهما فى المواضع المناسبة للمقام فيكسب الأسلوب بذلك روعة وجمالاً .

الفصل الرابع

١ - الربع الرشيدى والمؤسسات الأخرى

بعد أن تحدثنا عن مؤلفات رشيد الدين العلمية والدينية والأدبية ، نرى من المناسب أن نخص المكان الممتاز الذى اختاره رشيد الدين ليكون مجالاً لنشاطه العلمى والأدبى بكلمة جامعة خصوصاً وأن هذه المؤسسة قد حظيت بأكبر قسط من عناية مؤسسها ، وكان يظن أنها ستكون المكان الأمين على آثاره ومخلفاته ، كما حرص على أن يكون فيها مقره الأبدى .

رشيد رشيد الدين هذا الربع فى أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن الهجرى (١) فى مكان يسمى « وليانكوه » (٢) شرق تبريز ، وفى الطرف الشمالى من سفح جبل « سرخاب » . ويعد هذا المكان من أحسن الأمكنة المحيطة بتبريز فهو يمتاز بارتفاعه وصفائه وبكثرة البساتين وغزارة الأشجار التى تحده من الجانبين . ولقد تحدث كبار المؤرخين عن هذا الربع وأجمعوا على عظمة بنائه واتساع رقعته . يقول حمد الله القزوينى : « إن الوزير السعيد الخواجه رشيد الدين طاب ثراه قد شيد بموضع « وليانكوه » داخل السور الغازانى - مدينة صغيرة أخرى أطلق عليها اسم الربع الرشيدى بنى فيها عمارات كثيرة عالية » (٣) .

وفى الحقيقة لم يضمن رشيد الدين لا بوقته ولا بعنائه ولا بماله فى سبيل

(١) ذكر براون أن تعميم هذا الربع قد تم سنة ١٣٠٩ هـ (٨٧٠٩) - انظر .

(Literary History of Persia, III, p.70) .

(٢) يسمى كذلك بيليان كوه (انظر أوحلى المراغى ؛ جام جم ، ص ٢٢ طهران) ؛

Le Strange: The Lands of the Eastern Caliphate, p.162 .

(٣) « وزير سعيد خواجه رشيد الدين طاب ثراه بموضع وليان كوه داخل باروى غازانى شهرجه ديگر ساخته و آنرا ربع رشيدى نام كرده و درو عمارات فراوان و عالى برآورده (انظر نزهة القلوب ، ص ٧٦) .

إعداد هذا الربع من كافة الرجوه ، وكان يهدف من وراء ذلك إلى أن يترك للأجيال اللاحقة مآثرة تخلد ذكره . ويقال إنه لم تكن هناك أبنية في العالم تضارع عمارات هذا الربع في الارتفاع ، وقد كتبت في أعلاها العبارة التالية : « حقاً إن هدم هذا البناء يكون أشق وأصعب من تشييد بناء آخر » (١) .

وفي رسالة أرسلها رشيد الدين إلى ابنه الخواجه سعد الدين حاكم قنسرين (٢) يتحدث إليه عن هذا الربع وما يحويه من عمارات ومما تهيأ له من أسباب التنظيم والترتيب والإعداد ، وما بذله في هذا السبيل حتى صار محلة مكتملة لكل أسباب الحياة الناعمة المترفة المعروفة في ذلك الوقت . ويذكر أن أسباب العمران قد تمت في هذا الربع وأخذ بهاءه ورونقه بفضل قدوم العلماء والفضلاء .

ثم يعدد محتويات الربع فيقول إنه يحتوى على ٢٤ بيتاً للضيافة فخمة عالية منيعة ، كما يشتمل على ١٥٠٠ دكان ، وأنه شيد فيه ٣٠٠٠٠ منزل جميل جذاب . كما أنشأ به حمامات طيبة الهواء وحدائق غناء وطواحين ومصانع للغزل ولصناعة الورق والصباغة ، وداراً لضرب النقود ، وألحق به مدرسة ومستشفى وداراً للسيادة ، ومكتبة عامرة بنفائس الكتب وقبة ليدهن فيها بعد موته .

وبعد هذا أحضر من كل مدينة وثمر جماعة وأسكنهم هذا الربع فكان من بينهم الحفاظ الذين عرفوا بعذوبة صوتهم والبالغ عددهم مائتان . وقد أسكن كل مائة في جوار القبة عن اليمين وعن الشمال في الحى الذى أنشأه لهم ، وعين لهم الرواتب من حاصل الأوقاف الموجودة في الجهات المختلفة : فأهل اليمين كانوا يأخذون رواتبهم من حاصل أوقاف شيراز ، بينما كان يأخذ أهل الشمال رواتبهم من حاصل أوقاف الروم . وقد اختار جماعة آخرين من القراء من أهل العراق والشام اشتهر بعضهم بمعرفة القراءات السبع ، بينما اشتهر آخرون بمعرفة القراءات العشر ، وكلفهم بأن يشتغلوا بتلاوة القرآن .

(١) « هبانا ويران كردن این عمارات از ساختن عمارت دیگر مشکل تر باشد » .

(تذكرة الشعراء ، ص ٢١٧ طبع ليدن) .

(٢) انظر مكاتبات ، ص ٣١٧ - ٣٢١ .

الكريم في دار القرآن كل يوم حتى وقت الضحى ، وعهد إليهم بأربعين من غلمان أتباعه ليعلموهم القراءة بالأحرف السبعة . وبالإضافة إلى هذا كان قد سمع جماعة عن شهرة رشيد الدين من أهل خوارزم وتبريز وغيرهم ممن امتازوا بحسن قراءتهم فحضروا إلى الربع الرشيدى . وهؤلاء كافهم بأن يرتلوا القرآن من الضحى حتى وقت الزوال .

وأما العلماء والفقهاء والمحدثون البالغ عددهم ٤٠٠ شخص ، فقد أسكنهم « حى العلماء » ، وأجرى عليهم الأرزاق اليومية والإدارات ، وقرر لهم كسوة سنوية . كما كان يدفع لهم قيمة الصابون وقيمة الحلوى . وأسكن ألف طالب من النابهن ومن عرفوا بحسن الخلق — الحى الذى أطلق عليه اسم « حى الطلبة » . وطبق عليهم النظم التى اتبعها مع العلماء . كما أسكن ٦٠٠٠ طالب آخرين مدينة تبريز وهؤلاء هرعوا من مختلف الممالك الإسلامية لتحصيل العلم . وقد أمر رشيد بأن تصرف لهم الإدارات والمرتبات من متحصل الأوقاف المختلفة حتى يطمئنوا وينصرفوا إلى أعمالهم فيفيدوا ويستفيدوا . ثم إنه عين عدد الطلبة الذين يدرسون على كل مدرس ، وفحص ميل كل طالب وما يرغب في دراسته من الفروع والأصول والعلوم النقلية والعقلية وأمر بأن تسير الدراسة وفق هذا الاختيار ، وأباح للطلاب الذين يقطنون الربع الرشيدى ومدينة تبريز أن يترددوا كل يوم على المدارس الخاصة بأبنائه . ولم تقف جهود رشيد الدين عند هذا الحد ؛ بل عمل كل ما فى وسعه لتوفير الراحة لسكان هذا الربع فأمدهم بالمياه من نهر يسمى « سراو رود » وكانت هذه المياه تضيع هدراً فى البقاع المجاورة لتبريز دون أن يستفيد منها أحد ، فحفر ترعة تكلفت نفقات باهظة إذ أنها حفرت فى قلب الصخور الصم ، وامتدت خلال جبل « سرخاب » وخلال التلال والوديان حتى وصلت إلى الربع (١) . هذا فضلاً عن الآبار التى كان يحفرها فى الصخر لجلب المياه ، والتى كان يصل عمقها إلى أكثر من ٧٠ ذراعاً (٢) .

وكان يهتم باضاءة الربع الرشيدى فبين فى إحدى فصول الوقفية وسائل الإضاءة فى هذا الربع بواسطة الشمع والقناديل والمشاعل والمصابيح كما فصل أنواع البخور ، وحدد المواقع التى تازمها الإضاءة ، وعين الأوقات التى يجب أن تضاء فيها ، وما تستغرقه تلك الإضاءة من زمن ، وتحدث عن العمال الذين يباشرون هذا العمل والشروط المتعلقة بهم (١) .

ومن مظاهر العناية بسكان الربع أنه خصص نحو ٢٢٠ من الغلمان ومثل هذا العدد من زوجاتهم من الجوارى ليقوموا على خدمة السكان . وأوصى بأن يتعلم أبناؤهم الحرف الملائمة لهم فكان منهم الخطاط والمصور والصائغ والبستاني والزارع . وهؤلاء الغلمان كانوا يجلبون من الطوائف المختلفة من هنود وروم وكرج وغيرهم . وكانت كل طائفة تسكن قرية مجاورة للربع الرشيدى (٢) . وفى إحدى الرسائل التى بعث بها رشيد الدين إلى ابنه الخواجه جلال الدين ، ذكر أنه أنشأ حديقة كبيرة بجوار الربع الرشيدى أقام فيها خمساً من القرى وأنزل فى كل قرية جنساً من هؤلاء الغلمان ليقوموا بغرس الكروم والأشجار وحفر القنوات والأنهار وقطف الثمار ، وأن أربعاً من هذه القرى قد عمرت بساكنها . وأما الخامسة فقد بقيت خالية ثم يطلب إلى ابنه جلال الدين أن يرسل أربعين من الغلمان الروم ومثلهم من الجوارى حتى يقطنوا هذه القرية ويساهموا فى الإنشاء والتعمير (٣) .

وقد اهتم رشيد الدين اهتماماً بالغاً بالخدمات الطبية فى هذا الربع فكافأ خمسين من مهرة الأطباء — كانوا قد قدموا من ديار الهند والصين ومصر والشام والولايات الأخرى — بأن يترددوا على دار الشفاء التى أنشأها ، وخصصهم بصنوف العناية وضروب الرعاية حتى يؤدوا واجبهم على الوجه الأكمل .

وكان يعنى عناية فائقة بجلب العقاقير والأدوية اللازمة للمستشفيات التى أنشأها فى مختلف الجهات ، فهو فى إحدى الرسائل التى بعث بها إلى ابنه

(١) انظر يادنامة دين شاه ايرانى ، ص ٢٦ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٥ - ٢٦ .

(٣) انظر مكاتبات ، ص ٥٢ - ٥٣ .

الخواجه جلال الدين حاكم الروم نراه قد عين له أصنافاً من الأدوية توجد هناك وطلب إليه أن يرسلها سنوياً إلى العاصمة تبريز (١) .

وفي رسالة أخرى كتبها إلى الخواجه علاء الدين هندوكان يطلب إليه أن يجد في البحث عن زيوت من أعشاب طبية خاصة توجد في ممالك مختلفة بينها له : ثم أمره بأن يرسل إلى تلك الممالك مندوبين أكفاء للتعاقد على توريد الأدوية المطلوبة ، ثم ترسل إلى دار الشفاء بالربيع الرشيدى بمجرد العثور عليها (٢) .

وكان فوق هذا يشجع على دراسة الطب ؛ فأمر بأن يدرس عشرة من الطلاب الموهوبين - الطب على يد كل طبيب ، وعهد إلى كل واحد من الكحالين والجراحين والمجبرين الذين يؤدون أعمالهم في مستشفى الربيع الرشيدى بأن يعلم خمسة من غلمانه حتى يتقنوا صنعة الكحالة والجراحة والتجبير ، وأعد لهذه الطائفة حياً يقع خلف المستشفى يسمى « حى المعالجين » .

وأما عن أرباب الحرف والصنائع الذين يجلبهم من مختلف الجهات فقد كان يعنى بهم عناية كبيرة ويتزلم في المكان المخصص لهم .

وهكذا كان هذا الربع عبارة عن جامعة كبيرة تفتح أبوابها للدارسين وتزودهم بمختلف العلوم والفنون ، وتشجعهم على البحث والدرس بما كانت تحويه مكتبتها الضخمة من نفائس الكتب في شتى أنواع العلوم . فقد كانت هذه المكتبة تضم إلى جانب مؤلفات رشيد الدين العديدة كتباً أخرى كثيرة مكتوبة بعدة لغات منها كتاب مدون باللغة التركية الجغرافية رآه نادر ميرزا مؤلف كتاب « تاريخ تبريز » وأفاد منه (٣) .

ومن الأعمال الخالدة التي تذكر لرشيد الدين كلما ذكرت الثقافة وذكر القوامون عليها ، أنه وقف مكتبته الخاصة على الربع الرشيدى وكانت تحوى ٦٠٠٠٠ مجلد في أنواع العلوم والتواريخ والأشعار والحكايات والأمثال وغير ذلك مما جمعه من إيران وتوران ومصر والمغرب والروم والصين والهند .

(١) نفس المصدر ص ٩٣ .

(٢) نفس المصدر ص ٥٤ - ٥٦ .

(٣) انظر نادر ميرزا : تاريخ وجغرافى دار السلطنة تبريز ، ص ١٤٢ طبع طهران .

هذا بالإضافة إلى ١٠٠٠ من المصاحف التي كتبت بخطوط مختلفة على يد كبار الخطاطين (٢) .

ومن ناحية الفنون كان هذا الربع معرضاً للخطوط الجميلة والصور البديعة إذ كان يجتمع فيه كبار الخطاطين ومهرة المصورين الذين جلبهم رشيد الدين من مختلف البقاع الإسلامية لاستنساخ مؤلفاته وتزيينها بالصور؛ وخصوصاً كتاب جامع التواريخ الذي لا تزال مخطوطاته المصورة شاهدة على ارتقاء هذا الفن في عصر المغول . ولقد أنفق رشيد الدين بسخاء في سبيل إعداد هذه المؤلفات وتجميلها فيقال إنه صرف أكثر من ٦٠,٠٠٠ دينار في النسخ والتحرير والزخرفة والتصوير والتجليد (٣) .

وحين شاهد الشاعر أوحدي المراغي عمارة الربع الرشیدی ، نظم في وصفها قطعاً وأشعاراً كثيرة أودعها كتابه « جام جم » الذي قدمه باسم الخواجه غياث الدين محمد بن رشيد الدين . وهذه الأشعار تنطق بما كان عليه ذلك البناء الشامخ من عظمة وجلال ، نخص منها قصيدة نظمها الشاعر تحت عنوان « در صفت سراي معمور » (في وصف القصر العامر) قال فيها (٤) :

أی همایون سراي فرخنده

که شد از رونقت طرب زنده

طاق کسری ز دفترت کسريت هشت جنت ز گلشننت قصریست
خاکت از مشک و سنگت از مرمر بادت از خلد و آبت از کوثر
وترجمتها :

أيها القصر المبارك السعيد ، الذي ازدهر فيه الطرب وانتعش بسبب رونقك وبهائك .

إن طاق كسرى جزء من إدارتك ، وإن الجئات الثماني قصر من روضتك .

(١) انظر مكاتبات ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

(٢) تاريخ وصاف ، ص ٥٣٩ .

(٣) تاريخ وصاف ، ص ٥٣٩ .

(٤) انظر جام جم ، ص ٢٠ طبع طهران سنة ١٣٠٧ هجرية شمسية .

وإن ترابك من المسك ، وحجارتك من المرمر ، وريحك من الخلد
وماءك من الكوثر .

ولما كانت هذه الأعمال الجليلة في حاجة إلى ثروة طائلة ومورد ثابت
ينفق منه على هذه المؤسسة ، كما تدفع منه مرتبات الموظفين والعمال وذلك
حتى يمكن أن تحقق الأغراض النبيلة التي أنشئت من أجلها ، فقد وقف
رشيد الدين كثيرا من الأملاك والعقار على هذا الربع وأعمال البر الأخرى .
وكانت هذه الأوقاف تقع في جهات مختلفة مثل الموصل ومراغه وإصفهان
وشيراز ويزد وبعض الأماكن الأخرى .

وكتب رشيد الدين وثيقة الوقف ونص فيها على كل ما يتصل بهذا الربع
ومؤسساته من قريب أو من بعيد ، فلم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها
فجاءت تلك الوثيقة جامعة لكل المعلومات عن هذا الربع من حيث تفصيل
أبنيته وعماراته والأملاك والأموال التي وقفت عليه ، والوجوه التي تصرف
فيها تلك الأموال ، والصفات التي يجب توافرها فيمن يشرف على هذا الربع
من المتولى والناظر والمشرف ، وشروط استخدام العمال والأشخاص الآخرين
الذين يستفيدون من أوقاف الربع الرشیدی ، والدروس التي تدرس في مدارسه
والكتب التي تكتب وتقرأ ، وتنظيم عمل الحراس ، وشروط استخدام الأطباء
الذين يعملون في المستشفى الموجود بالربع الرشیدی ، والدروس التي تدرس
لطلبة الطب ، وكيفية تركيب الدواء للمرضى ، وتحرير التذاكر الطبية وحتى
طريقة طهي الطعام للمرضى (١) .

وتوجد نسخة خطية من تلك الوقفية تملكها إحدى الأسر العريقة في
تبريز هي أسرة النخجواني ، ويبدو أنها كتبت بخط رشيد الدين نفسه إذ نص
في آخرها على أن تاريخ تحريرها كان في غرة ربيع الأول سنة ٧٠٩ هـ ، وأن
كاتب الوقفية هو فضل الله بن أبي الخير بن عالي المشتهر بالرشيد الطيب
الهمداني . « وذلك اتفق تحريره في غرة ربيع الأول سنة تسع وسبعماية
هجرية اين وقف بدين موجب كه درين وقفية بخط خویش مبوب ومفصل

(١) انظر يادنامه^{*} دين شاه ايراني ، ص ١٨ - ١٩ .

نوشته ام کردم ، بشرائطی که بر سبیل تفصیل مشروح در قلم آورده ام .
 وبمضمون این وقفیه از اول تا آخر آن إقرار کردم ، واعتراف آوردم
 وعلم من بکیفیت وکیت هر یک از افراد این موقوفات وموقوف علیه آن
 محیط است ، وبرین جمله برخود گواه گر قتم . کتبه کاتب هذه الوثيقة فضل
 الله بن أبي الخير بن عالی المشتهر برشید الدین الطیب الهمدانی بخطه فی التاريخ
 المذكور فيه حامدا لربه ومصلياً على نبيه محمد وآله الطيبين الطاهرين أجمعين « (۱)
 وترجمته :

« وذلك اتفق تحريره في غرة ربيع الأول سنة ٧٠٩ هجرية ؛ إذ أعددت
 هذا الوقف على النحو الذي سجلته في هذه الوقفية مبوباً ومفصلاً ، وبالشروط
 التي شرحتها على سبيل التفصيل . وقد أقررت مضمون هذه الوقفية من أولها
 إلى آخرها ، واعترفت بها . وأحطت علماً بکیفیه وکیت کل واحد من أفراد
 هذه الموقوفات والموقوف علیه ، وشهدت بنفسی علیها کلها . کتبه کاتب
 هذه الوقفية فضل الله بن أبي الخير بن عالی المشتهر بالرشید الطیب الهمدانی
 بخطه فی التاريخ المذكور فيه ، حامداً لربه ومصلياً على نبيه وآله الطيبين
 الطاهرين أجمعين » .

هذا الربع الذي بذل فيه رشيد الدين ما بذل من جهد ومال تعرض
 بأكمله للغارة والنهب على أثر مقتله عام ٧١٨ هـ ، فأصبح أثراً بعد عين يسجل
 على الرعاع جهلهم وحمقهم ، وعدم فهمهم لما كانت تؤديه لهم تلك الأعمال
 من جليل الخدمات وعظيم المنافع .

ولكن ذلك الدمار كان إلى حين إذ دبت الحياة إلى الربع مرة أخرى
 عندما آلت السيطرة إلى الخواجه غياث الدين محمد بن رشيد الدين على أثر
 توليته الوزارة للسلطان أبي سعيد ، بل إن هذا الوزير قد زاد عليه عمارات
 أخرى كثيرة .

ولكن ازدهار تلك المؤسسة الكبيرة كان مرهوناً ببقاء الوزير غياث الدين
 إذ لم يكد يذاع نبأ القبض عليه وقتله في ٢١ من رمضان عام ٧٣٦ هـ

(۱) نفس المصدر ، ص ٣٠ .

وفي سنة ٧٩٣ هـ استولى محمود الخلخالي على مملكة تبريز وسكن الربع الرشيدى لمدة ستة شهور .

وفي سنة ١٠١٩ رأى الشاه عباس الأول ضرورة إصلاح العمارات المتهدمة وتعميرها في تبريز خصوصاً شنب غازان الذى كان قد تطرق إليه البلى . ثم ذهب إلى الربع الرشيدى وحوله إلى حصن منيع ونقل إليه حاكم تبريز (١) .

وجاء في أقوال السائح الفرنسى شاردان الذى زار مدينة تبريز في سنة ١٠٨٤ أنه يظهر خارج تبريز جهة الشرق آثار قلعة خربة اسمها « الرشيدية » وكان الشاه عباس قد عمر هذه القلعة وأوصلها إلى حالتها الأولى من العمران . ولكن سلاطين الصفويين بعده لم يروا من المصلحة تعمير هذه القلعة فتركوها على حالها حتى خربت (٢) .

ولا زالت أطلال هذا الربع قائمة للآن شرقي تبريز تحكى أنها كانت يوماً ما تمثل أعظم مؤسسة لأعمال الخير والبر في إيران ، وأن تاريخ هذا الإقليم الحافل ، سواء قبل الإسلام أو بعده ، لم يشهد بناء أقيم لنفع الإنسانية بهذه الدرجة من العظمة والروعة كهذا البناء . وللآن يطلق الناس على هذا المكان اسم « الرشيدية » (٣) .

أما عن المؤسسات الأخرى فعندما أقام السلطان أوجليتو مدينة « السلطانية » هذا حذوه الأمراء والوزراء والعظماء ، وأسرع كل منهم يساهم في تجميل المدينة ، ويعمل على توسيع رقعتها وذلك بإقامة المباني وتشيد العمارات العالية . وكان في مقدمة هؤلاء الوزير رشيد الدين إذ شيد محلة أخرى في المدينة الجديدة كالحي الذى أنشأه شرقي تبريز ، كانت تضم ما يقرب من الألف منزل وعمارات أخرى عالية تزينها منارتان كبيرتان أقيمتا على طرفي إيوان ، وهناك أيضاً أقام مدرسة ومستشفى ومسجداً ، ووقف على هذه الأبنية العمارات

(١) انظر تاريخ عالم آراى عباسى ، ص ٥٨٤ .

(٢) انظر مرآة البلدان ناصرى ، ج ١ ص ٣٥٤ .

(٣) انظر يادنامه دين شاه ايرانى ، ص ١٨ .

الكثيرة . وقد ظل بعضها باقياً مدة طويلة إذ شاهدها المؤرخ حافظ آبرو في عهد شاهرخ بن تيمور (١) .

وفي أرزنجان أقام رشيد الدين مدرسة لتعليم علوم الدين كالفقه والحديث والتفسير والأصول وعلم الكلام وأنواع العلوم العقلية . وعهد بشئون التدريس إلى مولانا محمد الرومى من أفاضل العلماء فى عصره (٢) .

كما شيد أبنية أخرى فى كثير من الجهات منها همدان والبصرة وديار بكر ووقف عليها أملاكاً كثيرة . يقول ناصر الدين المنشى اليردى : « وهو الذى أعلى معالم الخيرات وأحيى مراسم الحسنات ، وأسّس أبواب البر وأرسى القواعد لأماكن الخير من مساجد وخانات ومدارس وأربطة كما بنى الأبنية الفاخرة ، وأجرى أنواع الصدقات والمبرات » (٣) .

وإن الإنسان ليعجب ويسأل فى دهشة : كيف استطاع رشيد بمفرده أن يجمع الأموال الطائلة التى تلزم للإنفاق على هذه الأعمال الخيرية ؟

إن الجواب على هذا السؤال يسهل إذا ما علمنا أن رشيد قد أمضى نحو خمسين عاماً من عمره فى البلاط المغولى (٤) . وفى الجزء الأكبر من تلك المدة كان يتولى المنصب الأول فى الدولة ، وكان يحوز رضاء رؤسائه الذين تركوه يتصرف كيفما شاء فى إدارة دفة الحكم ، ولم يضمنوا عليه بمال أو عقار . يقول صاحب مسالك الأبصار : « وحدثنى شيخنا فريد الدهر أبو الثنا محمود ابن أبى القاسم الإصفهاني أطل الله بقاءه أن خواجا رشيد الدين ألف كتاباً سماه جامع التواريخ ، وقدمه للسلطان خدابنده وقال له : إن أرسطو عمل كتابه المسمى وقدمه للإسكندر فأجازه عليه ألف ألف دينار . وما أنت ممن ترضى أن تكون دون الإسكندر لأرسطو فأخذ به خواجا رشيد أملاكاً

(١) ذيل جامع التواريخ ، ص ١٠ .

(٢) انظر مكاتبات ، ص ١٧٢ .

(٣) درة الأخبار ولعة الأنوار ، ص ١٧٢ .

(٤) انظر Quatremère, P.XVIII.

وعقاراً قيمتها قدر المبلغ ثلاث مرات . قال والأملاك إلى الآن في يد أولاده وذريته» (١) .

هذه الرواية قد ورد ما يشبهها في كتاب العيني إذ يقول عندما راح يعدد مؤلفات رشيد الدين وكتاب سماه التوضيحات تتضمن رسائل متفرقة كل رسالة في معنى من المعاني . وأخذ عليه خطوط العلماء بأنه لم يصنف كتاب أجود منه ، وقدمه إلى خربندا ، وقرر بين يديه أن أرسطاليس لم يكن في زمانه أعلم منه ، وكان مشيراً ووزيراً عند الإسكندر ، وصنف باسمه كتاباً فأعطاه جائزته ألف ألف دينار ، وجعل له في كل سنة مائة ألف دينار . واتفق الناس كلهم بأنك أعظم من الإسكندر ، وأن كتابي أجود من كتاب أرسطاليس . فقال الملك خربندا : أنا أعمل معك بأكثر من الذي عمل الإسكندر مع أرسطاليس ، فرسم أن يعطى من المال النقد ألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار . وقال له : إن شئت أن تأخذ هذا المال أو تأخذ بقيمته أملاكاً نفيسة من أملاكى . فقال : آخذ أملاكاً ، فعينوا له أملاكاً تغل في كل سنة مائة وخمسين ألف دينار» (٢) .

ومهما يكن في هاتين الروايتين من مبالغة ، فإن الأمر الذى لاشك فيه أن السلطان أولجايو أعطى رشيد الدين الشيء الكثير من الأملاك والهدايا والأموال التى لا تعد ولا تحصى . ورشيد الدين نفسه يؤكد أنه لا يوجد شخص آخر قط أغدق على أحد أتباعه مثلما أغدق على هذا السلطان (٣) .

وعند ما احتدم النزاع بين رشيد الدين وعلى شاه فى عهد السلطان أولجايو صار على شاه يعدد للسلطان ما يدخل جيب رشيد من الأموال بغية تأليب عليه : فهو يستولى على الأموال التى يحصلها من أملاك الربع الرشيدى ومن الأوقاف الغازانية كما يأخذ الشيء الكثير من المال الخاص بمدينة يزد

(١) انظر بلوشيه : مقدمة تاريخ المغول ، ص ١٣٤ نقلا عن مخطوط المكتبة الأهلية بباريس تحت رقم (2325) .

(٢) عقد الجمان ، م ج ٢٣ ، صور شمسية . دار الكتب المصرية ، ورقة ١٦٤ - ١٦٥ رقم ١٥٨٤ تاريخ .

(٣) انظر Quatremère, P.XIX.

ومن مخصصات الخواتين : وينعم السلطان عليه سنوياً بمبلغ ثمانية تومانات مكافأة له على تأليفه كتاب جامع التواريخ . كما يدخل جيبه ثلث محصولات بغداد وتبريز من القسم الذى يشرف عليه على شاه . هذا بالإضافة إلى ما يأخذه من رشا وهدايا من العمال والرعايا يوماً فيوماً لدرجة أن رشيداً هذا الشخص النكرة الذى لم يكن فى استطاعة أبيه وجده أن يشتريا عبداً أسود ، قد صار له مائتان من الغلمان الأتراك يمتلك كل منهم « تومانا » (عشرة آلاف دينار) ومثل هذا القدر من الأملاك . فهذه جميعها أموال السلطان يسرقها لنفسه « (١) .

وجاء فى كتاب الدرر الكامنة أن رشيد الدين بنى عدة من الخوانق والمدارس وكان له من الأموال من كل جنس ونوع الكثير سوى ما كله « (٢) .

ويقول العيني : « وضبطت ضياعه فكانت أربعة آلاف ضيعة مفرقة فى ملك التتار . وأما أملاكه فكان عددها فى ستة عشر ألف موضع ما بين دكان ودار وبستان وخلف ما يزيد على خمسين ألف كتاب « (٣) .

ومما تقدم يتبين أن هذا الثراء الفاحش الذى يكاد لا يصدق العقل قد تحدث عنه أكثر من مؤرخ ؛ الأمر الذى يجعلنا نميل إلى التسايم بأن رشيد الدين كان يمتلك حقاً ثروة طائلة أنفقها جميعها فى أعمال الخير والبر ونشر الثقافة .

(١) پادشاه را معلوم ومقرر شد که از مال مستدرکات عالم ربعی رشید می برد بچند وجه : از حق تقرير که وجوه نقد رایج آنست ، واز مال اوقاف غازانی ، واز مال شهر یزد چندین ، واز مال خواتین چندین . واز انعام پادشاه جایزه جامع التواریخ هشت تومان هرسال ، واز بغداد وتبریز که قسم منست ثلثی از مستدرکات ومحصولات آنجا برشید عاید میشود بغیر رشوت وخدمتی که روز بروز از عمال ورعايا میگرد بی حصر وعد چنانکه از نواب او مجهولی بی مایه وهنر از حرارت بوزارت افتاده که پدر وجد او هرگز قدرت ومکنت بهای غلامی سیاه ندا شتندی . اکنون دویست غلام ترک ومغول دارد هر یک بایک تومان مال وبیشتر که بمکسب میدهند . وأملاک وأسباب مثل آن ... این همه مال پادشاه است که اومی رایید . (بلوشیه : مقدمة تاریخ المغول ص ۳۶ نقلا عن خطوط تاریخ اوبلخاتیو المحفوظ بالمکتبة الأهلية ببایرس) .

(٢) ابن حجر العسقلانی : الدرر الكامنة ، ج ۳ ص ۲۳۳ .

(٣) عقد الجمان ، م ۱ ج ۲۳ ، صوره شسیه . دار الکتب المصریة ، ورقة ۱۶۴

رقم ۱۵۸۴ تاریخ .

٢ - جهود رشيد الدين في سبيل المحافظة على آثاره :

بعد أن تحدثنا عن المؤلفات التي كتبها رشيد الدين ، والمؤسسات التي أقامها لم يبق أمامنا إلا أن نشير إلى ضروب الاحتياطات التي اتخذها وكان يعتقد أنها كفيلة بحفظ آثاره العلمية والتاريخية والدينية مصانة من العبث والضياع ، يتداولها الأعقاب جيلا بعد جيل فتكون لصاحبها على الدوام رمز تمجيد وتحليل .

لقد سجلت لنا الوصية التي تركها المؤلف - تلك الاحتياطات . ونظراً لأهميتها وغرابتها رأينا أن نورد نصها بأسره كما وجدت في مقدمة المجموعة الرشيدية التي تشتمل على مؤلفات رشيد الدين الدينية وإليك نص هذه الوثيقة (١).

« ومن جملة الشرائط التي شرطها المصنف - عز نصره - في وقفية أبواب بره الموسومة بالربع الرشيدى ، وقد ألحقها بالآخرة هي أن المتولى لتلك الأوقاف يستكتب كل سنة نسخة مكاملة من مصنفاتي بموجب هذا التفصيل : كتاب المجموعة الرشيدية : المشتملة على أربعة كتب - التوضيحات والسلطانية واللطائف ومفتاح التفاسير - نسختان : العربية واحدة والفارسية واحدة .

كتاب جامع التواريخ : عدد مجلداته موكول إلى رأى المتولى وعلى حسب المصلحة بحيث لا يندرس سريعاً . نسختان : العربية واحدة والفارسية واحدة .

كتاب بيان الحقائق : نسختان - العربية واحدة والفارسية واحدة .

كتاب الآثار والأحياء : نسختان - العربية واحدة والفارسية واحدة .

يستكتب بموجب ما شرحناه كل سنة نسخة مكاملة على قرطاس في غاية الجودة واللطافة وقطع كبير بغدادى بخط مليح صحيح . ثم يقابل بنسخة الأصل الموضوعة في الربع الرشيدى على وجه لا يبق فيه غلط ولا تصحيف . وينبغي أن تكون تلك النسخ بأسرها متكلفة على منوال النسخ الأصول ، وأن يكون

(١) انظر كاتمير ، ص ١٦٥ - ١٧٤ . (CLXV-CLXXIV)

جلودها من أديم أو ما شاكلة . وأجرة الكتابة ووجه المصالح تجعل من نصف حاصل موقوفات المستجد المتعلقة بأبواب برنا هذه . ويجب أن يختار المتولى الناسخين السريعي الكتابة الجيدى الخط من الفضلاء والأدباء بحيث تم جميع النسخ التى يجب كتابتها فى السنة بتمام تلك السنة ، مجلدة مذهبة مهذبة لثلا يقع التأخير والإهمال . ومواضع أولئك الناسخين ومساكنهم إنما يعينها المتولى من جملة مواضع أبواب البر التى لم تتعين لطائفة معينة أو لأمر معين . وإذا تمت تلك النسخ أحضر جميعها فى صفة الروضة ، ويوضع كل منها على مرفع بين المنبر والمحراب ويدعى للمصنف بهذا الدعاء : « اللهم يا ملهم الأسرار ويا معلم الأخبار والآثار كما وفقت عبدك المفتقر إلى رحمتك الواسعة رشيد الطيب لتصنيف هذه الكتب المشتملة على التحقيقات المقوية لقواعد الإسلام والتدقيقات الممهدة لبيان الحكم والأحكام المفيدة للمتأملين فى بدائع المصنوعات النافعة للمتفكرين فى غرائب المخلوقات ، ووفقته أيضاً لأن وقف بعض أملاكه شرطاً أن يتخذ من منالها نسخ من هذه الكتب لينتفع بها المسلمون من أهل البلدان فى كل حين وأوان . فتقبل اللهم كله منه قبولاً حسناً ، واجعل سعيه مشكوراً وذنبه مغفوراً . واغفر للساعين فى إتمام هذا الخبر والمستفيدين من هذه الكتب والناظرين فيها والعاملين بما فى مطاويها . وآته الحسنة فى الدنيا والآخرة إنك أهل التقوى وأهل المغفرة » .

وأيضاً يكتب فى آخر كل نسخة من تلك النسخ هذا الدعاء المذكور ثم يكتب بعد ذلك هذا التحميد وهذه الكلمات :-

« أما بعد حمد الله الملك العلام ، الدائم نعمه بلا انقطاع وانصرام والصلاة والسلام على نبيه المبعوث إلى كافة الأنام محمد وآله وصحبه الكرام فإنه يقول العبد الضعيف المحتاج إلى رحمة الله تعالى فضل الله بن أبى الخير ابن على الحمدانى المشتهر برشيد الطيب جزاه الله خيراً أنى بتوفيق الله تعالى وحسن تيسيره صنف هذا الكتاب تبصرة لمن تبصر وتذكرة لمن أراد أن يذكر ، واستكتبت هذه النسخة من حاصل ما وقفته من أملاكى ، وشرطت أن يتخذ كل سنة من حاصلها نسخة من هذا الكتاب وسائر الكتب التى هى

من مؤلفاتي ليكون وقفاً على المسلمين من أهل بلدة كذا . والمأمول من كمال
أفضال العلماء المحققين أن يشرحوا ويدينوا للمبتدئين ما يتعسر منه عليهم بحيث
يقفون على جميع ذلك وقوفاً تاماً ، ولا يبقى لهم فيها شك وارتياب . إن وجدوا
فيه سهواً أو غلطاً أصلحوه تفضلاً وتكرماً . ثم يكتب المتولى على ظهر ورق
كتبت عليه هذه الكلمات : « إن هذا الكتاب الفلاني إنما كتب لأهل البلدة
الفلانية في أيام دولة فلان ليكون وقفاً عليهم ثم على عموم المسلمين الذين
يسكنون هناك . ويجب على كل متولى أن يكتب نسبه أباً عن جد إلى الواقف
لثلا ينسى الناس الواقف في الدعاء . ثم تعرض تلك النسخ على قضاة تبريز
ليثبتوا صورة الحال على مكتوب ويشرفوه بتوقيعهم ويساموه إلى المتولى .
وينبغي أن يكون عند كل قاض من قضاة تبريز مكتوب مشتمل على هذه
المعاني . ويجب أن يكون خط المتولى والمشرف والناظر الذي هو شبيهه نائب
المتولى أو خط نواب هؤلاء على ذلك المكتوب ليكون هذا الأمر مضبوطاً
كل سنة ولا يتطرق إليه وهن ولا خلل . »

« الشرط الآخر أن هذه النسخ بعد تمامها إنما يبيعها المتولى لتلك الأوقاف
إلى بلدة من معظمات بلاد الإسلام — العربية إلى بلاد العرب والفارسية إلى
بلاد العجم . ويتدئ من البلاد بمعظمها ثم بما دونها على وفق رأيه ليكون
وقفاً على أهل تلك البلدة بالموجب المذكور . وإذا حملت تلك النسخ إلى تلك
البلدة يجب أن توضع في مدرسة لما مدرس مشار إليه بفنون العلوم باختيار
قضاة تلك البلدة وأئمتها وعلمائها ليقرأها المتعلمون والراغبون فيه على ذلك
المدرس . وإن شاء أحد أن يستنسخها دفعها إليه ذلك المدرس بعد أن يأخذ
الرهن ، وكذا إن أراد استعارتها لأجل المطالعة أخذ الرهن أيضاً . وكلما
فرغ المتولى من بعث جميع النسخ إلى جميع معظمات البلاد استأنف العمل
ويبعث مرة أخرى على الترتيب الأول . وعند كل بعث توضع النسخ في الصفة
الكبيرة التي هناك في الروضة بين المنبر والمحراب على مرفع . ويقرأ الدعاء
المذكور على القاعدة المذكورة ثم يبيعها . ويجب أن يكتب على ظهر كل
نسخة يراد بعثها إلى بلدة هذه الشروط التي ذكرناها ، ومصالح هذه النسخ
وما يحتاج إليها وأجرة كتابتها إنما يعينها المتولى في كل زمان على ما يرى فيه

المصلحة . وأيضاً قد شرطنا أن يستنسخ المتولى من جملة هذه الكتب دون الأصل الموضوع في قبة الربع الرشيدى من الكتاب الموسوم بالمجموعة الرشيدية وكتاب بيان الحقائق وكتاب الأحياء والآثار من كل منها نسخة فارسية ونسخة عربية ، غير ما اشترط استنساخها للبعث إلى البلدان . وهذه النسخ تكون دائماً عند المدرس الساكن في روضة الربع الرشيدى ويدرس كل يوم منها شيئاً . وكل فقيه يكون في تلك البقعة يجب أن يكتب من هذه الكتب نسخة بقطع كبير بغدادى إن شاء بالعربية وإن شاء بالفارسية . ويجب أن يكتبها ذلك الفقيه في مدة شرط إقامة الفقهاء فيها ؛ فان أتمها قبل الميعاد المذكور أو يكتب أكثر من واحدة كان سعيه أجمل . وكل فقيه يقصر في كتابتها وجب على المتولى أن يخرج من تلك البقعة وينصب مكانه فقيهاً آخر غير مقصر . وإذا تمت تلك النسخ كانت ملكاً لذلك الفقيه ولا منازعة لأحد في ذلك إن شاء وهبها وإن شاء باعها وإن شاء حفظها لنفسه . وكما أنا أجزنا ورخصنا في الاستنساخ من نسخة الأصل الموضوع في القبة بشرط ألا تخرج من الربع الرشيدى فكذلك أجزنا أن يستنسخ الراغبون من هذه النسخة التى عند المدرس لكن بالشرط المذكور وهو ألا تخرج من الربع .

والفقهاء والساكنون في البقعة مقدمون على غيرهم إذا أرادوا الاستنساخ فهذه الشروط كانت قد سقطت من القلم وقد كتبناها على سبيل الإلحاق :
فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلون إن الله سميع عليم .

مما سبق يتبين لنا أن أهم الشروط التى تضمنتها هذه الوثيقة هى : —

١ — أن تنسخ عدة نسخ من مؤلفات رشيد الدين توضع تحت تصرف العلماء والأدباء والأصدقاء والمعارف يتداولونها وينقلون منها ما يشاءون .

٢ — تترجم جميع مؤلفاته الفارسية إلى العربية ، والعربية إلى الفارسية وتكتب نسخ متعددة منها باللغتين المذكورتين وتوضع في مكتبة المسجد المالحق بالربع الرشيدى ، ويباح للقراء من الطلبة والمتعلمين الاطلاع عليها والإفادة منها .

٣ — يرصد مبلغ لأجل استنساخ نسخة كاملة سنوياً من كل مؤلف

من مؤلفاته بالعربية والفارسية ، ثم ترسل إلى كل مدينة من مدن العالم الإسلامى الهامة .

٤ - تكتب هذه النسخ فى أحسن أنواع الورق البغدادى وبأجمل وأوضح خط ثم تراجع على نسخ الأصل بغاية العناية . ويجب أن تراعى الدقة التامة فى اختيار المحررين والنساخين الذين يعهد إليهم القيام بهذا العمل .

٥ - تكتب صيغة الدعاء السالفة الذكر فى نهاية كل نسخة ويلحق بها مناجاة مختصرة كتبها المؤلف نفسه . ثم تأتى بعد ذلك خاتمة بقلم المتولى الذى تم تحت إشرافه تحرير هذه النسخة تتضمن تاريخ التحرير واسم المدينة التى استنسخت من أجلها ، وكذلك اسم ونسب المتولى حتى يدعى له أيضاً بالخير .

٦ - بعد انتهاء هذه المراسم يحمل الكتاب إلى قضاة تبريز ليشهدوا بأن جميع الإجراءات والشروط التى نص عليها المؤلف قد روعيت فى إنجاز هذا العمل .

٧ - تحمل النسخة بعد ذلك وترسل إلى المدينة المقصودة حيث تودع فى مكتبها العامة حتى يستطيع طلاب العلم وأهل الفضل الاطلاع عليها أو استعارتها بعد دفع تأمين معين .

هذه الشروط تؤكد لنا أن رشيد الدين لم يهمل اتخاذ أى احتياطات يتطلبه المقام فى سبيل المحافظة على آثاره . وكم كنا نود أن نتجسس تلك الجهود فى إيصال هذه الآثار إلينا كاملة سليمة فلا يجرى عليها ما جرى للآثار القيمة التى فقدت إلى الأبد وحرم منها أولئك المتعطشون إلى الثقافة ، الذين يقدرون العلم ويتوقون إلى الاطلاع على آثار السلف والانتفاع بما فيه من متعة عقلية . ولكن مع الأسف الشديد لم تتحقق تلك الأمانى الحميلة إذ ضاع الجزء الأكبر من مؤلفات هذا الرجل العبقري على أثر مقتله وتعرض أمواله وممتلكاته للنهب والغارة . يقول كاترمير (١) : « الآن قد ضاع الجزء الأكبر من مؤلفات هذا المؤرخ العالم ، فإن الإجراءات التى اتخذها لم يكتب لها النجاح أكثر

مما كتب للاحتياطات التي اتخذها الإمبراطور « تاسيت » (١) في سبيل المحافظة على آثار قريبه المشهور (٢) ، والتي ذهبت أدراج الرياح ، إن تصارييف الزمن وتوحش البشر هما الوباءان الخيفان اللذان سلبانا كثيراً من جلائل المؤلفات القديمة . كما حرمانا آلاف الآثار القيمة التي وإن كانت أقل من السابقة إلا أنها تعد بدون شك حائزة للدرجة الأولى من حيث المنفعة والفائدة إذا ما فقدت وضاعت ، بينما نجد مؤلفات ضخمة عديمة الفائدة كلها لغو وعبث قد انتشرت في كل مكان وحملت المكتبات عبئاً ثقيلاً . ومن هنا كان فقد هذه النسخ القيمة في نظر العلماء خسارة فادحة تثير الشجون وتدعو إلى الرثاء .

(١) (Tacitus) هو إمبراطور الروم (٢٠٠ - ٢٧٤ م) .

(٢) المراد المؤرخ اللاتيني (Tacitus) (٥٥ - ١٢٠ م) .

انخاتمة

والآن بعد أن قطعنا هذه المرحلة من الدراسة نشعر بأن رشيد الدين كان جديراً بأن يحتل مكاناً مرموقاً في تاريخ هذا الشرق بين النابغين الأفاضل من أبنائه .

ونحن إذا وصلنا إلى هذا الحد من بحث موضوعنا — ينبغي أن نجمل التحقيقات التي سبق أن عرضناها واطمأنا إليها واعتبرناها هامة وجديدة في موضوعنا .

لقد تبين لنا أن الغموض يحيط بحياة رشيد الدين من كل جانب قبل أن يتولى الوزارة مع ما له من مكانة عظيمة في التاريخ الأدبي لإيران . رأينا تاريخ مولده ونشأته الأولى وحياته الخاصة مما يخفى علينا إلى حد كبير . كذلك لم نعرف في وضوح كيف كان اتصاله بالمغول قبل أن يتولى الوزارة ، وعلى أي نحو تم . أمر اختلفت فيه الروايات كذلك :

ولكن بالرغم من هذا الغموض والتضارب في الروايات استطعنا أن نلقى ضوءاً ساطعاً على بعض الجوانب الخفية في حياة مؤرخنا . فقد ثبت لنا أن رشيد الدين كان يهودياً ثم أسلم ونهج في حياته منهج المسلم المخلص الكامل . والأدلة على ذلك مؤلفاته الدسمة في صنم الدين والعقيدة ؛ إذ أن مثل هذه المؤلفات لا يمكن أن تصدر عن شخص ملحد ، فاسد العقيدة سيئ الطوية مارق عن دينه .

كذلك هناك المبادئ التي تحدثت عن الجوانب الإنسانية في حياة رشيد الدين . فلقد كان خيراً باراً ، وكان مؤمناً وقيماً ، وكان عطوفاً رحيماً . ويمكن أن نستشف هذه السمات من الروح العالية التي ظهرت قوية في أعماله وجهوده :

وعندما تحدثنا عن رشيد الدين الوزير رأينا أن شخصيته قد وضحت

تماماً فعرّفناه سياسياً عبقرياً يمضى حقبة طويلة من حياته في خدمة سلاطين المغول ، ويتقلب في قصورهم ، ويتولى أخطر منصب في دولتهم . كان عليه أن يواجه صعوبات ، ويخوض غمار دسائس ومؤامرات وسعائيات ووشايات . ومع هذا ظل ثابتاً كالطود ، محتفظاً بكرامته ، معترساً بشخصيته فرفع بذلك قدره وأعلى منزلته ، وأجبر الجميع على احترامه .

لقد اتفق المؤرخون على أن رشيد الدين كان مجموعة من الصفات النبيلة والسجايا الحميدة . ولا شك أن الحقائق التي ذكروها عن سيرته وخلقه وكفائته ومقدرته لتعتبر مثلاً أعلى لما ينبغي أن يكون عليه الإنسان الكامل لا سيما وأنه كان يضم إلى جانب خلقه القويم ثقافة واسعة مستنيرة تجمع أنواع المعارف المختلفة من علوم وآداب . وبالرغم من تشعب هذه المعارف وتنوعها فإنها كانت تمتاز أيضاً بالدقة والعمق . يقول ابن خلدون أثناء حديثه عن تاريخ السلطان أبي سعيد : « وبدء أمره (أى أبي سعيد) بقتل أبي الطيب رشيد الدولة فضل الله بن يحيى الهمداني المتهم بقتل أبيه فقتله . وكان مقدماً في العلوم وسرياً في الغاية . وله تاريخ جمع فيه أخبار التتر وأنسابهم وقبائلهم وكتبه مشجراً كما في كتابنا هذا » (١) .

تجلت هذه الثقافة على وجه الخصوص في كتاب رشيد الدين « جامع التواريخ » الذي يمتاز بعمق مباحثه ودقة أخباره ، وإفاضة في شرح أحوال المغول وقبائلهم ، وسرد تاريخهم ، وبيان عاداتهم وتقاليدهم . وإذا كنا قد حاولنا استقصاء مصادر رشيد الدين فيما خلفه المؤرخون المسلمون قبله مما يمس موضوعه أو يقترب منه ، وعيننا بدرس ما نقله مؤرخنا عن أسلافه ، فإننا قد انتهينا إلى أن رشيد الدين رجل موضوعه وصاحب الفضل الأول في إعطائنا صورة حية صادقة عن عصر المغول وما اكتشفه من أحداث .

نعم هناك موضوعات مما يعالج رشيد الدين قد عولجت من قبل وهناك مباحث تمس بعض موضوعات علمه . ولكن هذه وتلك لا تعدو أن تكون لمحات ضئيلة مبعثرة هنا وهناك ، ولم تخرج عن كونها دراسات محدودة

(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج ٥ ص ٥٤٩ طبع بولاق ، القاهرة ١٢٨٤ هـ .

لبعض نواحي ضيقة إذا ما قيس بتلك المعلومات الواسعة الغزيرة التي تمثلت في كتابه عن تاريخ المغول .

ونحن يمكننا أن نلخص المزايا التي امتاز بها كتاب جامع التواريخ فيما يأتي :

١ — اتخذ هذا الكتاب شكل موسوعة تاريخية مفصلة لم يؤلف شخص قط مثلها لا في آسيا ولا في أوروبا في العصور الوسطى فكان بهذا أحسن وأكمل كتب التاريخ في الأدب الفارسي ، كما كان خير ممثل للاتجاه إلى التأليف في التاريخ العام الذي ساد العصر المغولي الذي كثرت فيه الموسوعات والمجاميع وتعدد المكثرون من درس الموضوعات التاريخية المختلفة حتى ليصح أن يطلق عليه عصر الموسوعات .

٢ — لم يسلك مسلك مؤرخي البلاط الذين يكتبون ما يوافق أغراض رؤسائهم وسلطينهم ، ويظهرون في تأريخهم التحيز والتلق وإخفاء الحقائق : لم يكن رشيد الدين على شاكلة هؤلاء بل التزم الحياد النزيه بقدر المستطاع .

وعندما أرخ للأُم غير الإسلامية راح يقرر في مواضع عدة من كتابه أنه يتحتم على المؤرخ أن يعرض تقاليد كل قوم حسب الصورة التي يحفظ بها الناس ، هذه التقاليد . وعلى ضوء هذا المبدأ راح يؤرخ لهؤلاء الأقوام بمقدرة تدعو إلى الإعجاب . ورغم أنه كان كاتباً مسلماً وبرهن على تمسكه بالإسلام إلا أنه تجنب التعصب ، ووفى هذه الشعوب حقها من البحث والدرس .

٣ — هيأت الظروف لرشيد الدين فرصة الاطلاع على الوثائق التاريخية المكتوبة والإفادة منها على نطاق واسع مما جعل كتابه جديراً بثقة الباحثين والدارسين بالقياس إلى غيره من المصادر خصوصاً إذا علمنا أن هذه الميزة لم تيسر لغيره ممن كتبوا عن تاريخ المغول من السابقين أو المعاصرين .

كذلك عندما أرخ رشيد الدين لشعوب العالم المختلفة كان يستمد معلوماته من أوثق المصادر وأندرها ، ومن أقوال العلماء والمتخصصين في تاريخ كل أمة .

٤ — في المجلد الأول تناول رشيد الدين الحديث عن المغول فذكر أصلهم ونشأتهم وقبائلهم وعاداتهم وتقاليدهم على نحو مفصل لم نشهده في أي

مرجع آخر. وتبدو أهمية هذا الكتاب على وجه الخصوص في وصف الأحداث التي كان يعاصرها هذا المؤرخ .

٥ - لم تقتصر أهمية كتاب جامع التواريخ على المجلد الأول المتعلق بتاريخ المغول فحسب بل إن المؤلف قد وفق أيضاً في إعطائنا معلومات مفيدة في بعض الأقسام التي يحتويها المجلد الثاني المتعلق بالتاريخ العام ؛ فقد كتب في تاريخ الإسماعيلية مادة دسمة ، وذكر خلاصة وافية لكتاب « سرگذشت سيدنا » الذي يشتمل على معلومات مفيدة عن تاريخ الحسن بن الصباح مؤسس هذه الجماعة .

كذلك أمكننا أن نحصل على معلومات جديدة عن مناطق كانت مجهولة لدينا ، وفي تأريخه للصين والفرنجة والهند ساق أخباراً عجيبة .

٦ - بالإضافة إلى الناحية التاريخية ترد بالكتاب إشارات جغرافية هامة عن مناطق كنا لا نكاد نعرف عنها شيئاً يذكر ولم يقف مؤرخنا عند هذا الحد بل أضاف إلى ملاحظاته الشخصية القيمة ما استطاع أن يجمعه عن مواقع المدن وطبيعة الجو وحاصلات الأرض والعادات والتقاليد الخاصة . يقول كاترمير : « لن أقف طويلاً للبرهنة على ما للمؤلف رشيد من أهمية عظيمة فهذا المؤلف الذي عمل في أحسن الظروف وملاءمة وبوسائل لم تجتمع لأى مؤلف آخر قط - يقدم لنا ولأول مرة مؤلفاً كاملاً في التاريخ العام والجغرافيا للأمم آسيا » (١) .

٧ - استعان رشيد الدين بالتصوير في شرح الأحداث التاريخية واستخدم الصور على نطاق واسع. بحيث وجدنا أكثر صور المدرسة المغولية ممثلة في مخطوطات كتاب جامع التواريخ . ولاشك أن ازدهار فن التصوير في عهد المغول يرجع إلى حد كبير إلى جهود هذا المؤرخ .

٨ - أرخ رشيد الدين حسب الموضوعات والدول فكنا نجد الأحداث عنده مرتبة متصلة ، والموضوع وحدة كاملة يستطيع الباحث أن يلم بأطرافه في يسر وسهولة بخلاف غيره من المؤرخين الذين أرخوا حسب السنين فحشدوا

حوادث كل سنة رغم تنافرها وتباعدها فكانت تبدو مشتتة مقطعة تدعو في تتبعها إلى السأم والملل .

نخلص من هذا إلى ابْجهر بهذه الحقيقة وهى أن رشيد الدين يتفوق في كثير من أقسام كتابه على المؤرخين المسلمين تفوقاً عظيماً من حيث الدقة والتحقيق ؛ ولعل ذلك يرجع إلى المصادر الفريدة التى اطلع عليها . هذا بالإضافة إلى الوثائق والمستندات التى اعتمد عليها إلى حد كبير . يقول براون : « ليست قيمة كتاب جامع التواريخ قاصرة فقط على سعة الموضوعات التى يعالجها ، أو على الدقة التى وضحت فيما اشتمل عليه من محتويات استمدت من المصادر الموثوق بها سواء أكانت مكتوبة أم شفوية ، ولكن لما فيه أيضاً من جدة وابتكار . وفى عالم التاريخ لا نستطيع أن نقول إن أى أثر نثرى فارسى يمكن أن يقارن بهذا الكتاب من حيث القدر والقيمة » (١) .

لم تقف جهود رشيد الدين عند هذا الحد ، بل امتدت ثقافته إلى كثير من فروع العلم والأدب .

كتب فى صميم الدين والعقيدة مؤلفات قيمة تناولت تفسير القرآن وإعجازه وفصاحته ، وعالجت أهم مشاكل الفلاسفة كالبحث فى الروح والعقل والحلم والأحلام والخير والشر والجبر والقدرة والتناسخ وحشر الأجساد والإلهام والوحى والمعجزة والنبوة والمبدأ والمعاد ، ففتح بذلك ميادين واسعة للفلاسفة والمفكرين والأدباء ، وأعاد العقلية الإسلامية إلى سابق نشاطها الفلسفى والثقافى ، وأنقذها بذلك من التحجر والجمود الذى كان قد خيم عليها منذ القرن الرابع الهجرى .

كذلك ترجم عن الصينيين كتباً كثيرة فى المسائل العلمية والطبية وفتح بذلك فى إيران باباً جديداً نحو الاهتمام بثقافة الأقوام الأخرى غير الرومان واليونان والهنود .

ولكن من الإنصاف أن نذكر فضل العالم الكبير نصير الدين الطوسى

(١) براون : التاريخ الأدبى لإيران ، ج ٣ ص ٧٥

في هذا الميدان أيضاً ، إذ شملت مؤلفاته بعض المعلومات عن علم النجوم مستقاة من مصادر صينية ، غير أن هذه المحاولة كانت على نطاق ضيق وجاءت أشبه بالكتب المدرسية التي لا تفيد فائدة كبيرة .

أما رشيد الدين فله الفضل في نقل هذه الثقافات على أوسع نطاق إلى هذه الديار . يقول (١) في مقدمة كتاب طب أهل الخطا : « من قديم الزمن إلى يومنا هذا لم يترجم شخص قط عن المصادر الصينية ، ولم يؤلف العلماء أو يصنفوا شيئاً يذكر عن ثقافة الصينيين اللهم إلا إذا استثنينا مولانا الأعظم الخواجه « نصير » أفضل رجال عصره وأعظمهم وأكملهم فقد شاء في عهد الملك العادل هولاكو وبناء على أمره - أن يقف على بعض المعلومات عن التنجيم عند الصينيين من عالم صيني قدم مع هولاكو من منغوليا القريبة من إقليم الخطا ، وضمنها كتابه « زيج (٢) ايلخاني » الذي قدمه باسم هولاكو . وهو الذي يجري عليه المغول الآن في تقدير أوقاتهم . ولكنه مع هذا لم يوف الموضوع حقه ، وقصر بعض الشيء دون قصد ؛ إذ خالف ما يجري عليه حكماء الخطا لأن الناس قد ظنوا خطأ أن ما عند هؤلاء القوم من علم النجوم إنما يقف عند هذا الحد . وبذلك صارت معلوماتهم قاصرة عما كان عند الصينيين من علم الهيئة وما يتعلق به . ولاشك أن هذا القدر من المعلومات التي أمد بها العالم الصيني - الخواجه نصير الدين إنما هو كل ما أحاط به علمه مأخوذاً عن مختصر يتعلمه المبتدئون » .

ورشيد الدين لم يقف عند الترجمة فحسب ، بل صار يحدثنا في مقدمة ترجمته عن الصينيين ولغاتهم وحضاراتهم . وهو من أجل هذا جدير بشكرنا واحترامنا لأنه بعمله هذا إنما يؤلف بين القلوب ، ويقرب العقول إلى العقول ويعرف الشعوب للشعوب فتتم بذلك الثقافة ، ويحسن العلم بأحوال الأمم على اختلاف أنواعها .

(١) انظر مجله دانشكده ادبيات تهران ، العدد الأول ، السنة الثالثة ، ص ١٦ ، طهران مهر ١٣٣٤ هـ . ش = اكتوبر ١٩٥٥ نقلا عن مخطوط طب اهل الخطا .
(٢) كلمة زيج تأتي بمعنى تقويم .

أما رشيد الدين الأديب فقد تمثل لنا في مجموعة رسائله ومنشئاته التي كان يحررها في شئون الإدارة والحكم ، وفي المسائل المالية والاجتماعية والأدبية وكان يرسلها إلى أبنائه وأتباعه الذين كانوا يقومون بمختلف الأعمال في دولة المغول ، ثم إلى أصدقائه من ساسة العصر وأدبائه وعظمائه الذين كانوا يعيشون في إيران وخارج إيران .

ولا شك أن لهذه الرسائل قيمة كبيرة تتضح فيما يأتي :

١ - من الناحية التاريخية تفيدنا في ضبط الحوادث ، وتكشف عن الدور الهام الذي كان يلعبه رشيد الدين في شئون السياسة والحكم .

٢ - تبين لنا جهود رشيد الدين في سبيل تشجيع العلماء وتكريم الأدباء خصوصاً أولئك الذين كانوا يحضرون مجلسه ، ويتناقشون في مختلف الشئون العلمية والأدبية . كما أنها تكشف لنا عن منزلة هذا الرجل في نفوس رجال العلم والأدب ، وكيف كانوا يتنافسون في إهداء كتبهم إليه ، وكيف أنهم كانوا يواظبون على قراءة مؤلفاته ، ويحررون المقالات البليغة في تقييدها واستحسانها .

٣ - تعد هذه الرسائل ثروة لغوية وأدبية قيمة ، وتدل دلالة واضحة على مقدرة محررها ، وثبتت دون شك أنه كان مطلعاً اطلاعاً واسعاً على اللغتين الفارسية والعربية وآدابهما .

٤ - وضعت هذه الرسائل تحت أيدينا - مادة غزيرة عن أفعال الخير والبر التي نهض بها رشيد الدين وكشفت عن مساعيه الحميدة في سبيل تيسير العلم والتشجيع على الإقبال عليه ، وبينت لنا إلى أي مدى ساهم رشيد الدين في تقديره للعلم والعلماء وطلاب العلم ، إلى جانب توفيقه في خدمة العامة .

ولكن يا للأسف ؟.. لقد قتل هذا الرجل العالم - رغم أفضاله العديدة - نتيجة الدس والتآمر والجهل والتعصب وهو في الثالثة والسبعين من عمره . مدة قصيرة في حساب الزمن ، ولكنها تعد أجيالاً وأجيالاً ، بل قرونًا وقرونًا في عداد الخلود والبقاء . وكيف لا يكون ذلك ونحن لا نزال نستفيد من تراثه ونستعيد سيرته ، ونتأسى بخلفه ، ونعجب لصنيعه .

وبعد ، فإننى لست نادماً أبداً على ما بذلت من وقت وجهد فى سبيل
رسم هذه الصورة لمؤرخنا رشيد الدين ؛ لأنه رجل فذ عبقرى حسنت نيته
فى خدمة الإنسانية ، فكان على أن أوفيه حقه من البحث والدرس ، وأن أرفع
صورته إلى مكان التجلة والتوقير ، وأجعلها تحتل مكانها اللائق بها بين صور
الأعلام النابهين من أبناء هذا الشرق .

غير أننى أشعر فى قرارة نفسى بأنه لا يمكن أن يكون هذا البحث قد
استقصى كل شىء عن رشيد الدين . وإذن فلن يكون هو آخر ما يكتب عن
هذا الرجل ؛ ذلك لأن العارفين بالتأليف العلمى الحديث يدركون تمام الإدراك
أن الموضوع الواحد فى علم من العلوم – كائناً ما كان – يمكن بل ينبغى أن
يظل ميداناً مفتوحاً للاجتهاد والتعديل بالحذف والإضافة جيلاً بعد جيل
على شرط الإحسان والتدرج دائماً نحو الكمال . وفى سبيل ذلك فليتنافس
المتنافسون . وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

مصادر البحث

مصادر البحث

مرتبة حسب أحرف الهجاء بالنسبة لأسماء المؤلفين

أولا : المصادر الفارسية والتركية

- آملی : (شمس الدین محمد بن محمود) :
- (۱) نفایس الفنون فی عرایس العیون ، طهران ۱۳۰۹ هـ .
- ابن أبی الرضاء آوی : (حسین بن محمد) .
- (۲) ترجمه محاسن اصفهان (کتبت فی سنة ۷۲۹) ، نشر عباس إقبال ، طهران ۱۳۲۸ هـ.ش .
- ابن البلخی .
- (۳) فار سنامه (ألف ما بین سنوات ۵۰۰ - ۵۱۰) ، نشر سید جلال الدین طهرانی ، طهران ۱۳۵۳ هـ = ۱۳۱۳ هـ.ش .
- ابن المهنا : (السید جمال الدین) .
- (۴) حلیة الإنسان وحلیة اللسان (يعرف بابن مهنا لغتی) فارسی ، تورکجه مغولخه ، استانبول ۱۲۳۸ - ۱۲۴۰ هـ .
- ابن یوسف شیرازی : (ضیاء الدین حدائق) :
- (۵) فهرست کتابخانه مدرسه عالی سپهسالار ، جلد دوم ، طهران ۱۳۱۶ - ۱۳۱۸ هـ.ش .
- أبو الغازی بهادرخان :
- (۶) شجرة ترك ، نشر بارون ده میزون ، بطرسبورج ، ۱۲۷۸ هـ = ۱۸۷۱ م .
- أبو القاسم سحاب :
- (۷) فرهنگ خاور شناسان در شرح حال و خدمات دانشمندان ایران شناس و مستشرقین طهران ۱۳۱۷ هـ.ش .
- اسکندر بیک ترککانی منشی :
- (۸) تاریخ عالم آرای عباسی ، طهران ۱۳۱۴ هـ .
- إقبال (عباس) :
- (۹) تاریخ مفصل ایران ، جلد اول : از حمله جنکیز تا تشکیل دولت تیموری ، طهران ۱۳۱۲ هـ.ش .

پارتولد : (ت ۱۹۲۷) :

(۱۰) تذکره جغرافیای تاریخی ایران ، ترجمه حمزه سردادور (طالب زاده) ،

طهران ۱۳۰۸ ه. ش .

پراون : (ت ۱۹۲۶) ادوارد .

(۱۱) از سعدی تاجای : تاریخ ادبی ایران از نیمه قرن هفتم هجری تا آخر قرن نهم

هجری (عصر استیلای مغول و تاتار) ، ترجمه علی اصغر حکمت ، طهران

۱۳۲۷ ه. ش = ۱۹۴۸ م .

البناکتی : (ت ۷۳۵) فخر الدین أبو سلیمان :

(۱۲) روضة أولى الالباب فی تواریخ الأكابر والأنساب ، نسخه خطیه بمکتبه مجلس

النواب ایرانی (کتابخانه مجلس شورای ملی) تحت رقم ۵۴۶۹ - تم نسخها فی سنة

۱۲۷۰ ه .

(۱۳) روضة أولى الالباب فی تواریخ الأكابر والأنساب ، نسخه خطیه بمکتبه ملک

ب طهران .

بهار : (محمد تقی ملک الشعراء) .

(۱۴) سبک شناسی یا تاریخ تطور نثر فارسی ، ۳ أجزاء ، طهران ۱۳۲۱ - ۱۳۲۶

ه. ش .

البیضاوی (ت ۶۸۵) القاضی ناصر الدین عبد الله بن عمر .

(۱۵) نظام التواریخ ، نشر وتصحیح بهمن کریمی ، طهران ۱۳۱۴ ه. ش .

البیهقی : (ت ۵۶۵) أبو الحسن علی بن زید المعروف بابن فندق .

(۱۶) تاریخ بیهق ، نشر أحمد بهمنیار ، طهران ۱۳۱۷ ه. ش .

تربیت : (محمد علی) .

(۱۷) دانشمندان آذربایجان ، طهران ۱۳۱۴ ه. ش .

جای : (ت ۸۹۸) نور الدین عبد الرحمن .

(۱۸) نفحات الأنس (ألف سنة ۸۸۱) ، لکهنو ۱۹۱۵ م .

الجوزجانی : (ت ۶۹۸) أبو عمر منهاج الدین عثمان بن سراج الدین .

(۱۹) طبقات ناصری (ألف فی الفترة ما بین عامی ۶۵۷ - ۶۵۸) (نشر ولیم ناسولیس

ومولوی خادم حسین ومولوی عبد الحی ، کلکته ۱۸۶۴ م .

الجوبنی : (ت ۶۸۱) علاء الدین عطا ملک بن بهاء الدین محمد .

(۲۰) تاریخ جهانگشای (ألف ما بین سنة ۶۵۰ - ۶۵۸) ، نشر وتصحیح محمد بن

عبد الوهاب القزوی ، لیدن ۱۳۲۹ - ۱۳۵۵ ه = ۱۹۱۱ - ۱۹۳۷ م .

حاجی خلیفه : (ت ۱۰۶۷ ه = ۱۶۵۷ م) مصطفی بن عبد الله الشهیر بجاجی خلیفه أو کاتب

چلبی .

(۲۱) تقویم التواریخ ، نسخه خطیه بمکتبه مجلس النواب ایرانی بطهران ، تحت رقم

۱۲۲۴ .

- (٢٢) جهان نما ، استانبول ١١٤٥ هـ .
- حافظ ابرو : (ت ٨٣٣) عبد الله بن لطف الله بن عبد الرشيد :
- (٢٣) ذيل جامع التواريخ رشيدى (ألف سنة ٨٢٠) ، نشر وتصحيح الدكتور « خانبايا بيانى » طهران ١٣١٧ هـ . ش .
- (٢٤) ذيل كتاب ظفرنامه نظام الدين شامى (ألف سنة ٨١٤ هـ) نشر وتصحيح الدكتور كريمى ، طهران ١٣٢٨ هـ . ش .
- (٢٥) زبدة التواريخ بايسنغرى ، نسخة خطية بمكتبة ملك بطهران .
- (٢٦) مجمع التواريخ (ألف سنة ٨٢٦ هـ) ربع سوم ، نسخة خطية بالمكتبة الأهلية « كتابخانه ملي » بطهران تحت رقم ١٥٧٨ . تم نسخها في سنة ٨٣٠ هـ .
- خواجهوى كرماني : (ت ٧٥٣) كال الدين أبو العطا محمود بن على :
- (٢٧) روضة الأنوار ، نشر ح. كوهي كرماني ، طهران ١٣٠٦ هـ . ش .
- خراساني : (بديع الزمان) :
- (٢٨) منتخبات أدبيات فارسي ، طهران ١٣١٤ هـ . ش .
- خونديمير : (ت ٩٤٢) غياث الدين محمد بن همام الدين :
- (٢٩) حبيب السير في أخبار أفراد البشر (ألف سنة ٩٣٠) بمباي ١٢٧١ - ١٢٧٣ هـ .
- (٣٠) خلاصة الأخبار في بيان أحوال الأخيار ، نسخة خطية بمكتبة جعفر سلطان القرائى الخاصة ، بطهران . تم نسخها في سنة ١٠٣٣ هـ .
- (٣١) دستور الوزراء ، نشر وتصحيح سعيد نفيسى ، طهران ١٣١٧ هـ . ش .
- دولتشاه : (أمير دولتشاه بن علاء الدولة بختيارشاه الغازي السمرقندى) :
- (٣٢) تذكرة الشعراء (ألف سنة ٨٩٢) ، نشر وتصحيح براون ، ليدن ١٣١٨ هـ = ١٩٠٠ م .
- رازى : (حيدر) :
- (٣٣) مجمع التواريخ أو تاريخ حيدرى (ألف سنة ١٠٢٨) ، نسخة خطية بمكتبة سعيد نفيسى الخاصة بطهران .
- الرازى : (شمس الدين محمد بن قيس) :
- (٣٤) المعجم في معايير أشعار العجم ، نشر محمد بن عبد الوهاب القزوينى ، طهران ١٣١٤ هـ . ش .
- الراوندى : (محمد بن على بن سليمان) :
- (٣٥) راحة الصدور وآية السرور (ألف سنة ٥٩٩) ، نشر وتصحيح محمد إقبال ، ليدن ١٩٢١ م .
- رشيد الدين (ت ٧١٨) فضل الله بن عماد الدولة أبى الخير بن موفق الدولة :

(۳۶) أسئلة وأجوبة ، نسخة خطية بمكتبة الأستاذ جعفر سلطان القرائی الخاصة بطهران
(۳۷) تاریخ افرنج . باب سیم از قسم دوم از تاریخ افرنج در معرفت ولایت افرنج
وبهار و جزایر آن . و باب چهارم در ولادت مسیح علیه السلام و حکایت حادثه
او ، و ذکر پاپان و قیصره که پاشاهان افرنج اند ، نشر کارل یان ، لیدن
۱۳۷۵ هـ = ۱۹۴۱ م .

(۳۸) تاریخ مبارک غازانی (داستان غازان خان) ، نشر کارل یان ، هرتفورد بانجلترا
۱۳۵۸ هـ = ۱۹۴۰ م .

(۳۹) تاریخ یهود ، صور شمسیة من مخطوط جامع التواریخ المحفوظ بمتحف طوب
قاہو سرای باستانبول و مدرجة ضمن مكتبة ییلدیز تحت رقم ۱۶۵۴ . تم نسخه
فی سنة ۷۱۷ هـ .

(۴۰) جامع التواریخ . در تاریخ قبایل ترك و مغول و اجداد جنكيز خان ، و تاریخ
أحوال خود جنكيز خان از ابتداء ولادت او إلى حين وفات او ، ۳ أجزاء ،
نشر برزین . بطرسبورج ۱۸۵۸ - ۱۸۸۸ م .

(۴۱) جامع التواریخ ، جلد دوم در تاریخ پادشاهان مغول از اوكتای قآن تا تیمور
قآن ، نشر ادگار بلوشیه ، لیدن ۱۳۲۹ هـ = ۱۹۱۱ م .

(۴۲) جامع التواریخ ، تاریخ بولاکو خان ، نشر کاترمیر ، باریس ۱۸۳۶ .

(۴۳) جامع التواریخ ، مغول ایران ، نشر معهد الدراسات الشرقية بأذربيجان السوفيتية
باکو ۱۹۵۷ .

(۴۴) جامع التواریخ ، ج ۱ ، ۲ ، نشر الدكتور بهمن کریمی ، طهران ۱۳۳۸ هـ.ش =
۱۹۵۹ .

(۴۵) جامع التواریخ ، نسخة خطية بالمكتبة الأهلية بطهران تحت رقم ۸۶۹ .

(۴۶) جامع التواریخ ، نسخة خطية بمكتبة مشهد (کتابخانه آستانه قدس رضوی) ،
تحت رقم ۴۱۰۱ . تم نسخها فی سنة ۱۳۰۰ هـ .

(۴۷) سوانح الأفكار رشیدی ، نسخة خطية بمكتبة ملك بطهران . تم نسخها فی سنة ۹۲۸ .

(۴۸) لطایف الحقایق ، نسخة خطية بمكتبة ملك بطهران . تم نسخها فی سنة ۷۰۸ .

ووان بخش : (سید کاظم) :

(۴۹) زندگانی و شخصیت خواجه نصیر الدین طوسی ، طهران ۱۳۲۹ هـ.ش .

زركوب شیرازی : (أبو العباس أحمد بن أبي الخير) :

(۵۰) شیراز نامه (مؤلف فی القرن الثامن) ، نشر بهمن کریمی ، طهران ۱۳۵۰ هـ =

۱۳۱۰ هـ.ش .

سام میرزا : (ت ۹۸۴) أبو النصر بن الشاه إسماعیل الصفوی :

(۵۱) تحفهء سامى ، طهران ۱۳۱۴ هـ. ش .

سامى (شمس الدين) :

(۵۲) قاموس تركى ، ايكنجى جلد . استانبول ۱۳۱۷ هـ .

سعدى شيرازى : (ت ۶۹۴) مشرف الدين بن مصلح الدين عبد الله :

(۵۳) بوستان (الف سنة ۶۵۵) ، نشر فروغى ، طهران ۱۳۱۶ هـ. ش .

(۵۴) كليات ، نشر محمود علمى ، طهران ۱۳۲۸ هـ. ش .

(۵۵) مواعظ سعدى ، نشر فروغى ، طهران ۱۳۱۶ هـ. ش .

السمرقندى : (ت ۸۸۷) عبد الرزاق :

(۵۶) مطلع السعدين وجميع البحرين ، نسخة خطية بالمكتبة الأهلية بطهران تحت رقم ۹۷۹ .

تم نسخها فى سنة ۱۰۳۲ هـ .

الشبانكارى : (محمد بن على بن الشيخ محمد بن الحسن بن أبى بكر) :

(۵۷) مجمع الأنساب (المختصر) ، نسخة خطية بمكتبة سعيد نفيسى الخاصة . تم نسخها

فى سنة ۱۰۶۷ هـ .

(۵۸) مجمع الأنساب (المطول) ، نسخة خطية بمكتبة جعفر سلطان القرائى بطهران .

تم نسخها فى سنة ۷۵۰ هـ .

شفق : (رضا زاده) دكتور :

(۵۹) تاريخ أدبيات إيران ، طهران ۱۳۲۱ هـ. ش .

شمس منشى : (شمس الدين محمد بن هندوشاه نججوانى) :

(۶۰) دستور الكاتب فى تعيين المراتب ، نسخة خطية بمكتبة مدرسة على سپهسالار بطهران

تحت رقم ۳۰۹ .

صادق اصفهانى : (محمد بن محمد آزادنى) :

(۶۱) شاهد صادق نسخة خطية بمكتبة مجلس النواب الإيرانى بطهران تحت رقم ۵۵۰۹

تم نسخها فى سنة ۱۳۱۴ هـ .

صفا : (ذبيح الله) دكتور :

(۶۲) حماسهء سرائى در ایران از قديمترين عهد تاريخى تا قرن چهاردهم هجرى - طهران

۱۳۲۴ هـ. ش .

صنيع الدولة : (محمد حسن) :

(۶۳) مرآة البلدان ناصرى ، أربعة أجزاء ، طهران ۱۲۹۴ هـ .

على شير نوائى : (ت ۹۰۶) أمير نظام الدين :

(۶۴) مجالس النفائس (مؤلف أصلا باللغة التركية الخطائية ثم ترجم إلى الفارسية) ، نشر

وتصحیح على أصغر حکمت ، طهران ۱۳۲۳ هـ. ش .

غنى : (قاسم) دكتور :

- (۶۵) بحث در آثار و افکار و احوال حافظ ، جلد اول ، طهران ۱۳۶۱ هـ = ۱۳۲۱ ش.هـ .
- (۶۶) تاریخ تصوف در اسلام ، طهران ۱۳۶۲ هـ = ۱۳۲۲ ش.هـ .
- قاضی ششتری : (ت ۱۰۱۹ هـ) نور الله بن شریف المرعشی :
- (۶۷) مجالس المؤمنین (ألف سنة ۱۰۱۰ هـ) ، طهران ۱۲۹۹ هـ .
- قدری (حسین قاضی) :
- (۶۸) بیوک ترک لغتی ، استانبول ۱۹۲۷ - ۱۹۲۸ .
- قزوینی : (ت ۷۵۰) حمد الله بن ابی بکر بن أحمد بن نصر :
- (۶۹) تاریخ گزیده (ألف سنة ۷۳۰) ، نشر و تحقیق براون ، لیدن ۱۳۲۸ هـ = ۱۹۱۰ م .
- (۷۰) نزهة القلوب (ألف سنة ۷۴۰) ، نشر Le Strange ، لیدن ۱۳۳۱ هـ = ۱۹۱۳ م .
- القزوينی : (محمد بن عبد الوهاب) :
- (۷۱) بیست مقاله ، جلد دوم ، نشر عباس إقبال ، طهران ۱۳۱۳ هـ .ش .
- الکرمی الآقسرائی : (محمود بن محمد) :
- (۷۲) مسامرة الأخبار ومسامرة الأخیار ، نشر عثمان توران ، انقره ۱۹۴۴ .
- لین پول : (استانی) :
- (۷۳) الدول الإسلامية ، ترجمه إلى الفارسية عباس إقبال تحت عنوان « طبقات سلاطین اسلام » طهران ۱۳۲۸ هـ .ش .
- (۷۴) مجله " دانشکده " ادبیات طهران ، شماره ۲ ، سال دوم ، طهران دی ماه ۱۳۳۳ هـ .ش .
- (۷۵) مجموعه " علم ایرانی در زراعت و فلاحت و باغبانی و غیره " ، نشر عبد الغفار المعروف بنجم البولة ، طهران ۱۳۲۳ هـ .
- محمد بن ابراهیم :
- (۷۶) تاریخ سلجوقیان کرمان ، نشر هوتما ، لیدن ۱۸۸۶ م .
- منتجب الدین منشی کرمانی یزدی : (ناصر الدین بن عمدة الملك) .
- (۷۷) درة الأخبار و لمعة الأنوار (ألف سنة ۷۲۹ - ۷۳۰) ، طهران ۱۳۱۸ هـ .ش .
- (۷۸) سبط العلی للحضرة العلیا در تاریخ قراختانیان کرمان (ألف فی الفترة ما بین ۷۱۵ - ۷۲۰) ، نشر عباس إقبال ، طهران ۱۳۲۸ هـ .ش .
- میرخواند : (ت ۹۰۳) محمد بن خاوند شاه بن محمود :
- (۷۹) روضة الصفا ، چاپ پنجم ، لکهنو ۱۳۳۲ هـ = ۱۹۱۵ م .
- فادر میرزا :

(۸۰) تاریخ وجغرافی دار السلطنة تبریز ، نشر لسان الملك الشهير بسپهر ، طهران ۱۳۲۳ ه.ش.

نخبوانی : (هندوشاه بن سنجر) :

(۸۱) تجارب السلف (ألف سنة ۷۲۴) ، نشر عباس إقبال ، طهران ۱۳۱۳ ه.ش .

نصیر الدین طوسی : (ت ۶۷۲) محمد بن محمد حسن :

(۸۲) أساس الاقتباس ، طهران ۱۳۲۶ ه.ش .

(۸۳) أخلاق ناصری : (ألف سنة ۶۳۳) ، نشر جلال همائی ، طهران ۱۳۲۰ ه.ش .

نظام عروضی سمرقندی : (أحمد بن عمر بن علی) :

(۸۴) چهار مقاله (ألف سنة ۵۵۰) ، نشر محمد بن عبد الوهاب القزوينی ، لیدن

۱۳۲۷ ه = ۱۹۰۹ م .

نعمانی : (شبلی) :

(۸۵) شعر الهجم یا تاریخ شعرا وأدبیات ایران ، جلد دوم ، ترجمة سيد محمد تقی فخر

داعی گیلانی ، طهران ۱۳۲۷ ه.ش .

نقیسی : (سعید) :

(۸۶) أحوال ومنتخب أشعار خواجوی کرمانی ، طهران ۱۳۰۷ ه.ش .

نوائی : (عبد الحسین) :

(۸۷) رجال کتاب حبیب السیر از حمله مغول تا مرگ شاه اسماعیل اول ، طهران ۱۳۲۴ ه.ش .

نور : (رضا) :

(۸۸) تورك تاريخی ، ایکنجی جلد ، استانبول ۱۳۴۲ ه = ۱۹۲۴ م .

هدایت : (رضا قلیخان) :

(۸۹) ریاض العارفین ، طهران ۱۳۲۶ ه.ش .

(۹۰) مجمع الفصحاء ، طهران ۱۲۹۲ ه .

المروی : (سیف بن محمد بن یعقوب) :

(۹۱) تاریخ نامه هراة (ألف مابین سنوات ۷۱۸ - ۷۲۲) ، نشر محمد زبیر الصدیقی ،

کلکته ۱۳۶۲ ه = ۱۹۴۳ م .

هورن : (پول) :

(۹۲) تاریخ مختصر ایران ، ترجمة رضا زاده شفق ، طهران ۱۳۱۴ ه.ش .

وصاف الحضرة : (أديب شرف الدين عبد الله بن فضل الله الشيرازی) :

(۹۳) تاریخ وصاف ، بمبای ۱۲۶۹ ه .

ولسن : (کریستی) :

(۹۴) تاریخ صنایع ایران ، ترجمة عبد الله فريار ، طهران ۱۳۱۷ ه.ش .

(۹۵) یادنامهٔ دینشاه ایرانی ، بمبای ۱۹۴۳ .

یاسمی : (رشید) :

(۹۶) تتبع وانتقاد أحوال وآثار سلمان ساوجی ، طهران ۱۳۰۳ هـ . ش .

یزدی : (ت ۸۵۸) شرف الدین علی :

(۹۷) مقدمة ظفرنامه ، نسخة خطیة بمكتبة سعيد نفیسی الخاصة بطهران .

یزدی : (ت ۷۸۹) معین الدین بن جلال الدین :

(۹۸) مواهب الهی (ألفت فی حدود سنة ۷۶۷) ، نشر سعيد نفیسی ، طهران ۱۳۲۶

هـ . ش .

ثانياً — المصادر العربية

بارتولد :

(٩٩) تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، نقله إلى العربية ، الدكتور أحمد السعيد سليمان ،
القاهرة ١٩٥٨ .

البديسي : شرف خان :

(١٠٠) شرفنامه : نقله إلى العربية ، المرحوم محمد علي عوفى ، الجزء الثانى القاهرة ١٩٦٢ .
بروكلمان : (كارل) :

(١٠١) تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقله إلى العربية الدكتور نبيه أمين فارس ومثير
البلعكي ، بيروت ١٩٤٩ .

البغدادى : (إساعيل باشا) :

(١٠٢) أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، المجلد الأول ، استانبول ١٩٥١ م .

ابن أبي الفضائل (٦٧٢ هـ = ١٢٧٣ م) مفضل :

(١٠٣) النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد . نشر بلوشيه ، باريس
١٩٣٠ ، ١٩١١ .

ابن الأثير الجزرى : (ت ٦٣٠ هـ = ١٢٣٢ م) على بن أحمد بن أبي الكرم :

(١٠٤) الكامل فى التاريخ ، طبعة المطبعة الدمشقية والمكتبة التجارية ، القاهرة ، ١٣٤٨ -
١٣٥٨ هـ .

ابن بطوطة : (ت ٧٧٩ هـ = ١٣٧٧ م) أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتى الطنجى :

(١٠٥) رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ج ١
ببلاق ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٨ م ، ج ٢ ، طبع باريس ١٨٥٣ هـ = ١٨٦٩ م .

ابن حجر العسقلانى : (ت ٨٥٣ هـ = ١٤٤٩ م) القاضى شهاب الدين أحمد بن على بن عمر :

(١٠٦) الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، ٤ أجزاء ، طبع حيدر آباد ، الهند ،
١٣٥٠ هـ = ١٩٤٨ .

ابن خلدون : (ت ٨٠٨ هـ = ١٤٠٥ - ١٤٠٦ م) قاضى القضاة ولى الدين عبد الرحمن بن محمد

(١٠٧) مقدمة ابن خلدون ، الطبعة الأزهرية ، القاهرة ١٣٤٨ هـ = ١٩٣٠ م .

(١٠٨) المعبر وديوان المبتدأ والخبر ، يعرف بتاريخ ابن خلدون ، القاهرة ١٢٨٤ هـ =
١٨٦٧ م .

ابن خلكان : (ت ٦٨١ هـ = ١٢٨٢ م) شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر الشافعي :

(١٠٩) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، نشر مكتبة النهضة ، القاهرة ١٩٤٨ م .
ابن شاعر الكتبي : (ت ٧٦٤ هـ = ١٣٦٢ م) فخر الدين محمد بن أحمد الكتبي :

(١١٠) عيون التراخي ، نسخة خطية بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٤٩ .

(١١١) فوات الوفيات ، بولاق ، ١٢٨٣ هـ = ١٨٦٦ م) .
ابن طباطبا : (محمد بن علي المعروف باسم ابن الطقطقي) :

(١١٢) الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٨ م .
ابن العبري : (ت ٦٨٥ هـ = ١٢٨٦ م) غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون الطيب الملقب
المعروف بابن العبري :

(١١٣) تاريخ مختصر الدول ، بيروت ١٣٠٨ هـ = ١٨٩٠ م .
ابن عتبة : (أحمد بن علي بن الحسين بن مهنا) :

(١١٤) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، بمبائ ١٣١٨ هـ .
ابن علي بن داود بن يوسف بن عمر : (ت ٧٧٨) : عباس (الملك الأفضل) :

(١١٥) نزهة العيون في تاريخ طوائف القرون ، الجزء الثاني ، مخطوط محفوظ بدار
الكتب المصرية تحت رقم ٤٩٦٤ تاريخ .

ابن العماد الحنبلي : (ت ١٠٨٩ هـ) أبو الفلاح عبد الحى :

(١١٦) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ٦ ، القاهرة ١٣٥١ هـ .
ابن الفوطى : (ت ٧٢٣) كمال الدين عبد الرزاق :

(١١٧) الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، نشر مصطفى جواد ، بغداد
١٣٥١ هـ .

ابن كثير : (ت ٧٧٤) عماد الدين أبو الفداء إسماعيل :

(١١٨) البداية والنهاية في التاريخ ، القاهرة ١٣٥١ - ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٢ - ١٩٣٩ م .
ابن الوردي : (ت : ٧٥٠ هـ = ١٣٤٩ م) زين الدين عمر :

(١١٩) تنمة المختصر في أخبار البشر ، القاهرة ١٢٥٨ هـ = ١٨٦٨ م .

أبو شامة : (ت ٦٦٥ هـ = ١٢٦٧ - ١٢٦٨ م) عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن شهاب
الدين المعروف بأبي شامة المقدسي الدمشقي .

(١٢٠) تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، القاهرة ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م
أبو الفداء (٧٣٢ هـ = ١٣٣١ م) إسماعيل بن علي عماد الدين صاحب حماه :

- (١٢١) المختصر في أخبار البشر ، ٤ أجزاء ، القسطنطينية ١٢٨٦ هـ .
- أبو المحاسن : (٨٧٤ هـ = ١٨٩٦ م) جمال الدين يوسف بن تغرى بردى :
- (١٢٢) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، نسخة خطية بدار الكتب المصرية ج ٢ ق ٣ تحت رقم ١١١٣ تاريخ .
- (١٢٣) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، طبع دار الكتب المصرية ١٩٢٩ - ١٩٤٠ م .
- أرنولد : (ت.و) سير :
- (١٢٤) الدعوة إلى الإسلام (بحث في تاريخ نشر العقيدة) ترجمه إلى العربية حسن إبراهيم وعبد المجيد عابدين ، وإسماعيل النحراوى ، القاهرة ١٩٤٧ .
- إصفهاني : (محمد باقر) :
- (١٢٥) روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات طهران ١٣٠٦ هـ .
- براون : (ت ١٩٢٦) إدوارد جرانفيل :
- (١٢٦) تاريخ الأدب في إيران من الفردوسى إلى السعدى ، ترجمه إلى العربية الدكتور إبراهيم أمين الشواربى ، القاهرة ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م .
- (١٢٧) تاريخ سلاطين المماليك ، نشر ك.ف. زترستين . لندن ١٩١٩ .
- تقى الدين الفاسى : (ت ٨٣٢) أبو الطيب محمد بن على الفاسى المكي المالكي :
- (١٢٨) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، نسخة خطية بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٤٤ م .
- جمال عبد الناصر : الرئيس :
- (١٢٩) الميثاق الوطنى ، طبع مصلحة الاستعلامات بالقاهرة .
- حاجى خليفة : (ت ١٠٦٧ هـ = ١٦٥٧ م) مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجى خليفة أو كاتب جلبي .
- (١٣٠) كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، استانبول ١٣٦٠ - ١٣٦٢ هـ = ١٩٤١ - ١٩٤٣ م .
- حسن : (حسن إبراهيم) دكتور ، وحسن : (على إبراهيم) : دكتور
- (١٣١) النظم الإسلامية ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م .
- حسن : (زكى محمد) دكتور :
- (١٣٢) التصوير وأعلام المصورين في الإسلام ، مقال نشر بمجلة المقتطف ، عدد أكتوبر سنة ١٩٣٨ .
- (١٣٣) فنون الإسلام ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٤٨ .

- (١٣٤) الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي ، القاهرة ١٣٥٥ هـ = ١٩٤٠ م .
حسن : (على إبراهيم) دكتور :
- (١٣٥) استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ المصري الوسيط ، القاهرة ١٩٤٩ م .
- (١٣٦) دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر محمد بوجه خاص ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٤٨ م .
دى بور : (ت.ج) :
- (١٣٧) تاريخ الفلسفة في الإسلام ، نقله إلى العربية الدكتور محمد عبد الهادى أبوريده
طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٨ م .
الذهبي : (ت ٧٤٨) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان :
- (١٣٨) دول الإسلام ، الجزء الثانى ، الطبعة الأولى ، حيدر آباد الدكن ١٣٣٧ هـ .
الراوندى : محمد بن على بن سليمان :
- (١٣٩) راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، نقله إلى العربية الأستاذ الدكتور إبراهيم أمين الشواربى والدكتور عبد النعيم محمد حسنين والدكتور فؤاد عبد المعطى الصياد ، القاهرة ١٩٦٠ .
رشيد الدين : (ت ٧١٨) فضل الله بن عماد الدولة أبى الخير بن موفق الدولة :
- (١٤٠) تاريخ الغازانى باللغة العربية ، صور شمسية بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٨٩ تاريخ .
- (١٤١) جامع التواريخ ، تاريخ المغول ، المجلد الثانى - الجزء الأول ، تاريخ هولاءكو مع مقدمة كاترمير ، نقله عن الفارسية الأستاذ محمد صادق نشأت ، الأستاذ الدكتور محمد موسى هندواى ، الدكتور فؤاد عبد المعطى الصياد ، وترجم مقدمة كاترمير عن الفرنسية الأستاذ الدكتور محمد محمد القصاص ، القاهرة ١٩٦٠ .
- (١٤٢) مفتاح التفاسير ، نسخة خطية بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٣ م تفاسير .
زامبور :
- (١٤٣) معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامى ، الجزء الثانى ، نقله إلى العربية الدكتور زكى محمد حسن والدكتور حسن أحمد محمود ، القاهرة ١٩٥٢ .
زيادة : (محمد مصطفى) دكتور :
- (١٤٤) المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادى (القرن التاسع الهجرى) ، القاهرة ١٩٤٩ م .
زيدان : (جورجى) :
- (١٤٥) تاريخ آداب اللغة العربية ، الجزء الثالث ، القاهرة ١٩٣١ م .
السبكي : (ت ٧٧١) تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين :

- (١٤٦) طبقات الشافعية ، الجزء الخامس ، القاهرة ١٣٢٤ هـ .
- السماعى : (القاضى أبو سعيد عبد الحكيم بن أبى بكر) :
- (١٤٧) الأنساب ، نشر مارجليوث Margoliouth لندن ١٩١٢ .
- السيوطى : (ت ٩١١ هـ = ١٥٠٥ م) جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد :
- (١٤٨) بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، القاهرة ١٣٢٦ هـ .
- (١٤٩) تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ م ، الشيبى : (محمد رضا) :
- (١٥٠) مؤرخ العراق - ابن الفوطى (٦٤٢ - ٧٢٣) محاضرة تاريخية ، بغداد ١٩٤٠ م ، الشواربى : (إبراهيم أمين) دكتور :
- (١٥١) حافظ الشيرازى ، طبع دار المعارف ، القاهرة ١٩٤٤ .
- (١٥٢) العربية فى إيران ، بحث نشر فى حوليات كلية الآداب ، جامعة عين شمس (إبراهيم باشا الكبير سابقاً) المجلد الأول سنة ١٩٥١ .
- (١٥٣) مصادر فارسية فى التاريخ الإسلامى ، بحث علمى مطول مستخرج من كلية الآداب ، جامعة القاهرة (فؤاد الأول سابقاً) المجلد السابع سنة ١٩٤٤ .
- طوقان : (قدرى حافظ) :
- (١٥٤) الأثر العلمى للحضارة الإسلامية وأعظم علمائها مقال نشر فى مجلة المقتطف عدد أكتوبر ١٩٣٨ .
- العزاوى : (عباس) :
- (١٥٥) تاريخ العراق بين احتلالين ، الجزء الأول « حكومة المغول » بغداد ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٥ م .
- المش : (يوسف) :
- (١٥٦) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، « التاريخ وملحقاته » ، دمشق ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م .
- العمري (ت ٧٤٢ هـ = ١٣٤١ م) ابن فضل الله :
- (١٥٧) مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، صوز شمسية الجزء السادس عشر بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٥٩ معارف عامة .
- عنان : (محمد عبد الله) :
- (١٥٨) ابن خلدون حياته وتراثه الفكرى ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٣ م .
- العينى^١ : (ت ٨٥٥ هـ = ١٤٥١ م) بدر الدين محمود :
- (١٥٩) عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، صوز شمسية ، الجزء الثالث والعشرون ، دار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ .

(١٦٠) فهرس الكتب العربية الموجودة بدار الكتب المصرية ، الجزء الخامس ، القاهرة

١٣٤٨ هـ = ١٩٣٠ م .

نؤاد عبد المعطى الصياد (دكتور) :

(١٦١) المغول فى التاريخ ، الكتاب العاشر من سلسلة المكتبة التاريخية ، بإشراف الأستاذ

الدكتور أحمد عزت عبد الكريم ، القاهرة ١٩٦٠ .

الفيومى (المتوفى فى نيف وسبعين وسبعائة) أحمد بن على محمد بن على : المقرئ المعروف بالفيومى ..

(١٦٢) نثر الجان فى تراجم الأعيان ، مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم

١٧٤٦ تاريخ .

القزوينى : (زكريا بن محمد بن محمود) :

(١٦٣) آثار البلاد وأخبار العباد ، نشر وستنفلد Wustenfled طبع جوتنجن

١٨٤٨ .

القلقشندى : (ت ٨٢١ هـ = ١٤١٨ م) أبو العباس أحمد :

(١٦٤) صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، القاهرة ١٣٣٣ هـ = ١٩١٤ م .

(١٦٥) الكتاب المقدس (أى كتب العهد القديم والعهد الجديد) ، نشر جمعية التوراة

البريطانية والأجنبية ، طبع كامبريدج .

لسترانج : (ج) :

(١٦٦) بغداد فى عهد الخلافة العباسية ، نقله إلى العربية بشر يوسف فرنسيس ، الطبعة

الأولى ، بغداد ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦ م .

المقريزى : (ت ٨٤٥ هـ = ١٤٤١ م) تقى الدين أحمد بن على :

(١٦٧) السلوك لمعرفة دول الملوك ، نشر الدكتور محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ١٣٥٣ -

١٣٥٨ هـ = ١٩٣٤ - ١٩٣٩ م .

(١٦٨) المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار ، القاهرة ١٢٧٠ هـ = ١٨٥٣ م .

موير : (وليم) سير :

(١٦٩) تاريخ دولة المماليك ، ترجمه إلى العربية محمود عابدين وسليم حسن ، الطبعة

الأولى ، القاهرة ١٣٤٢ هـ = ١٩٢٤ م .

النسوى : (نور الدين محمد بن أحمد بن على بن محمد المنشى) :

(١٧٠) سيرة السلطان جلال الدين منكبرق ، باريس ١٣٠٩ هـ = ١٨٩١ م .

التويرى : (ت ٧٣٢ هـ = ١٣٣٢ م) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب :

(١٧١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، الجزء الثاني والثلاثون، صور شمسية بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٤٩ معارف عامة .

جياقوت : (ت ٦٢٦ هـ = ١٢٢٩ م) شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي :

(١٧٢) معجم الأدباء ، نشر فريد رفاعي ، القاهرة ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦ م .

(١٧٣) معجم البلدان ، نشر « وستنفلد » ليزج ١٨٦٦ - ١٨٧٠ م .

ثالثاً — المصادر الأوروبية

Ashraful Hukk: Mohammed

A Descriptive Catalogue of the Arabic and Persian (١٧٤)
Manuscripts in Edinburch University Library, Edinburch,
1925.

Barthold:

Mir Islama, I, St. Petersburg, 1912. (١٧٥)

Turkestan Down to the Mongol Invasion, 1928. (١٧٦)

Bayani:

Hafiz Abru: Chronique des Rois Mongols en Iran, (١٧٧)
Paris, 1936.

Berthels:

The Encyclopaedia of Islam, London, 1936, pp. (١٧٨)
1124-1125.

Bertold: Spuler

Die Monoglen In Iran, Leipzig, 1939. (١٧٩)

Bloch: E.

Catalogue des Manuscrits persans de la Biblioithèque (١٨٠)
Nationale, Vol. I, Paris, 1925.

Introduction à l'Histoire des Mongols de Fadlallah (١٨١)
Rashid El Din, Leiden 1910.

Des Enluminures des Miniatures Orientaux, Paris, (١٨٢)
1926.

Bretschneider: E.

Mediaeval Researches from Eastern Asiatic Sources, (١٨٣)
St. Petersburg, 1887.

Brockelman.

Geschichte der Arabischen Litteratur, Vol. II, (۱۸۴)
Weimair, ۱۸۹۸-۱۹۰۲.

Browne: E.G.

A History of Persian Literature under Tartar Domi. (۱۸۵)
nion Chmbridge, ۱۹۲۰.

A Literary History of Parsia, Vol. II & III, Camb- (۱۸۶)
ridge, ۱۹۲۸.

Suggestions for a complete edition of the Jami'ul (۱۸۷)
t-Tawarkh of Rashid'd Din fadl Allah. The Journal of the
Royal Asiatic Society, January. ۱۹۰۸.

Browne: Laurence E.

The Eclipse of Christianity in Asia Cambridge, ۱۹۳۳. (۱۸۸)

Bulletin of The School of Oriental Studies, London (۱۸۹)
Institution, Vol. VII, Part I, ۱۹۳۳. pp. ۴۱-۴۸. A Qasida on
the Destruction of Bagdad by the Mongols.

Catalogue of the International Exhibition of Persian (۱۹۰)
Art. London ۱۹۳۱.

Dimand. M.S:

A Handbook of Mohammadan Art, Second Edition, (۱۹۱)
New York, ۱۹۱۷.

D'ohsson: M.Le Baron.

Histoire des Mongols depuis Tchinguiz-Khan jusqu'a (۱۹۲)
Timour Bey ou Tamerlan, Paris ۱۸۲۴.

Dorn:

Catalogue des Manuscrits et Xylographs Orientuax de (۱۹۳)
la Bibliothéque Imperiale Publique des St. Pétersbourg, ۱۸۵۲.

Elgood: Cyril.

A Medical History of Persia & the Eastern (۱۹۴)
Caliphate from the earliest times until the year A.D. ۱۹۳۲.
Cambridge, ۱۹۵۱.

Ethé:

Catalogue of the Persian Manuscripts in the Library (190)
of India Office, Oxford, 1903.

Fischel: W.Dr.

Rashid al daula Judischen Ursprung Monatschrift (196)
fur Geschichte und Wissenschaft des Judenthums, January,
1937 pp. 147-154.

Grousset: René.

L'Empire des Steppes, Paris, 1948. (197)

Hitti: Philip.

History of Syria, London 1951. (198)

Howorth: H.H.

History of the Mongols, London 1876. (199)

Lamb: Harold.

The Crusades, The Flame of Islam, London, 1931. (200)

Lane Poole: Stanley:

Catalogue of the Collection of Arabic Coins preserved (201)
in the Khedivial Library at Cairo, London, 1897.

Le Strange: G.

The Lands of the Eastern Caliphate, Cambridge, 1930. (202)

Levy: Reuben.

Persian Literature, an introduction, Oxford 1945 (203)

The Letters of Reshid al Din Fadl-Allah (The Journal (204)
of the Royal Asiatic Society, April, 1946).

Malcolm:

The History of Persia, Vol. I, London 1829. (205)

Minorsky:

Bulletin of the School of Oriental Studies, University (206)
of London ,Vol. VIII Part I, 1935, pp. 255-257.

Morley:

Letters to the Secretary of the Royal Asiatic Society (۲۰۷)
on the Discovery of the Part of the Second Volume of Jam'ul
Tawarikh supposed to be lost. (J.R.A.S., 1841, pp 11-43).

Nicholson: Reynold:

A Literary History of the Arabs London, 1923. (۲۰۸)

Pauthier:

Le Livre de Marco Polo, Paris, 1865. (۲۰۹)

Pope: Arthur Upham

A Survey of Persian Art, Oxford, 1938. (۲۱۰)

Prawdin: Michael.

L'Empire Mongol et Tamerlan, Paris 1937. (۲۱۱)

Quatremère: Etienne-Marc.

Extrait de L'Histoire des Mongols de Rāshid-Eldīn. (۲۱۲)
Texte Persan à L'Usage des Eleves de L'Ecole Royale Paris,
1844.

Histoire des Mongols de la Perse, écrite en Persan par (۲۱۳)
Raschid-ed-dīn, publiée, traduite en français, accompagnée
des notes et d'un mémoire sur la vie et les ouvrages de
L'auteur Paris, 1836.

Rashid Al-Din

Histoire Universelle. (1) Histoire Des Francs, Texte (۲۱۴)
Persan avec Traduction et Annotations par Karl Jahn,
Leiden 1951.

Rieu: Charles. Dr.

Catalogue of the Persian Manuscripts in the British (۲۱۵)
Museum, London 1879.

Supplement to the Cat. of the Persian MSS in the (۲۱۶)
Brit. Mus. London, 1895.

Sauvaget- J.

Introduction à l'Histoire de L'Orient Musulman. (۲۱۷)
Eléments de Bibliographie, Paris, 1943.

Storey: C.A.

Persian Literature, Section II, Fasciculus I, London (۲۱۸)
1935.

Sykes. Sir Percy.

A History of Persia, Oxford, 1922. (۲۱۹)

Tadhkirat Al-Muluk, translated and explained by V. (۲۲۰)
Minorsky. Gibb Memorial New Series, XVI, London 1943.

Victor Rosen: Baron.

Collections Scientifiques (Manuscripts pers). Vol. III, (۲۲۱)
Saint Pétersbourg, 1886.

كشاف الكتاب

أَسْمَاءُ الرِّجَالِ

(١)

آباقاخان بن هولاكوخان : ١٠ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٧٤ ، ٩٩ ، ١١٨ ، ٢٥١ ،

٢٦٢ ، ٢٩٥ ، ٣٥٣ ، ٣٥٦ ، ٣٦٠

إبراهيم (عليه السلام) : ٢٧٠ ، ٢٧١

إبراهيم أمين الشواربي (دكتور) : ١٢ ، ١٣ ، ١٦ ، ٤٥ ، ٩١ ، ١٨٨ ، ١٩٤ ،

٢٠٨ ، ٢٢١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٨ ، ٢٧٧ ، ٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٦ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩

ابن أبي القضاثل : ١٣

ابن الأثير : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤١ ، ٢٤٧ ، ٢٦٦ ، ٢٩١ ،

٢٩٢ ، ٣٨٥

ابن بطوطة : ٨٤ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٤٨ ، ١٧١

ابن تغري بردى : ٩٢ ، ٣٨٥

ابن الحاجب : ٢٠٨ ، ٢٠٩

ابن حجر العسقلاني : ٩٢ ، ٩٨ ، ١١٢ ، ٤١٠ ، ٤٤٤

ابن خلدون : ٤٠ ، ٥٣ ، ١٠٠ ، ١١٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧ ،

٢٨٨ ، ٣٠٣

ابن خلكان : ٩٢ ، ١٨٠ ، ٢٢٤

ابن شاكر الكتبي : ٢٩٣ ، ٣٤١

ابن طباطبا : ١١٥ ، ١١٨

ابن العبري : ٣٢ ، ٣٩ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ١٠١ ، ١٠٣

ابن العلقمي : انظر مؤيد الدين

ابن العماد : ١٧٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٢

ابن فندق : ٢٠٤ ، ٢٦٨

ابن القوطى : ٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٤١٠ ، ٤١١

ابن كثير : ٩٨ ، ١١٢ ، ١٦٣ ، ٤٠٨

ابن المهدى : ٣٧٦

ابن الوردى : ٣٧ ، ٦٩ ، ١١٢ ، ١٦٣

أبو اسحاق اينجو (الأمير) : ٢٠٢ ، ٢٠٥

أبو بكر (رضى الله عنه) : ١٤٤ ، ١٤٨

أبو بكر آقا : ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨٦

أبو بكر بن سعد بن زنگى (السلغرى) : ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٥ ، ٤١ ، ٢٣١ ، ٣٧٦

أبو بكر بن المستعصم : ٣٧

أبو حامد أوحى الدين الكرمانى : ٢٠٦

أبو حامد محمد بن إبراهيم : ٢٦٨

أبو الحسن على بن الحسين المسعودى : ٢٩٣

أبو الحسن على بن محمد الجزرى : انظر ابن الأثير

أبو الخير ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوى : انظر البيضاوى

أبو الريحان البيرونى : انظر البيرونى

أبو سعيد بهادر خان بن اوجايتو خان (السلطان) : ٢ ، ٨٤ ، ٩١ ، ٩٨ ، ١٥٩ ،

١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ،

١٨٧ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ،

٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٣٣ ، ٢٤٤ ، ٢٨٠ ،

٢٨١ ، ٢٩٦ ، ٣١١ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣٢٦ ، ٣٢٩ ، ٣٤٦ ، ٣٦٤ ، ٤٢٨ ،

٤٣٩ ، ٤٥٦

أبو سعيد گوركان : ٩١ ، ١٢٢

أبو سهل الصعلوكى : ١١١

أبو العباس بن المستعصم : ٣٨

أبو على محمد البلعمى : انظر البلعمى

أبو عمر منهاج الدين بن سراج الدين : انظر الجوزجاني

أبو الغازي بهادرخان : ٣٢ ، ٣١٠

أبو الفتح محمود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين : ٢٦٦

أبو الفداء : ٤٠ ، ٤٩ ، ٥٥ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١

أبو الفرج الزنجاني : ٣٢٥

أبو الفضل عبد الرحمن بن المستعصم : ٣٨

أبو المحاسن : انظر ابن تغري بردي

أحمد آتش : ٣٥٧ ، ٣٦١ ، ٣٥٥

أحمد أمين : ٢١٨

أحمد التبريزي : ١٨٤

أحمد تكودار بن هولاكوخان (السلطان) : ١٠ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ،

٢٦٢ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٦ ، ٣٦٠

أحمد باشا الثالث : ٤١٦

أحمد بن رشيد الدين : ٢١٢ ، ٤٢٨

أحمد بن علي بن الحسين : ١٥٧

أحمد بن محمد البخاري : ٢٥٥ ، ٢٥٨

أحمد بن المستعصم : ٣٨٠

أحمد زكي وليدي طوغان : ٨٩ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٩٥ ، ٣٠٣ ، ٤١٦

أحمد السعيد سليمان (دكتور) : ٥

آدم (عليه السلام) : ٢٤ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٥٢ ، ٢٦٠ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ،

٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣٦٠

ادوارد براون : انظر براون

ارپاخان : ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢١٢

ارسطو : ١١٢ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣

ارغون خان بن آباخان (السلطان) : ١٠ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٥ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ،

٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ٩٩ ، ١١٩ ، ١٤١ ، ١٨٣ ،
٢٢٧ ، ٢٣١ ، ٢٤٢ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٦ ، ٣٦٠

أرنلس : ٣٥٥

اريق بوكابن تولى خان : ١٩٩

استر : ٩٠

استورى : ٣٦٦

اسكندر المقدونى : ٢٧ ، ١٧١ ، ٢٢٢ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣

اسماعيل افشار : ٢٥٧ ، ٢٦٧

اسماعيل باشا البغدادى : ٩٩

اسماعيل الصفوى (الشاه) : ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧

اشپولر : ٢٣٤ ، ٣١٨

الأشرف بن تيمورتاش بن چوپان : ٤٤٠

الأشرف بن الملك الغازى : ٤٦

الأشرف موسى الأيوبى : ٢٤ ، ٤٩

الأشعرى (أبو موسى) : ١١١

آصف بن برخيا : ١١١

افلاطون : ١١٢

إقبال الشرابى : ٣٥

الافرنك بن كيخاتوخان : ١٣٧

الان قوا : ٢٦٢

الأفضل عباس بن على (الملك) : ٩٨ ، ١١٢ ، ١٧٩

الجاى توقا : انظر أوجايتوخان .

إمام الدين عمر : ٢٣١

أميرخان : ٣٣٦

أمير شهاب بن رشيد الدين : ٤٢٤

أمين الخولى : ٣٩٠

أمين الدين نصر : ٣١٥

أوحدى المراغى : ٢٠٦ ، ٤٣٢ ، ٤٣٧

أوغوز خان : ٢٩٩ ، ٣٦١

اوكتاي قآن بن جنكيز خان : ١١٧ ، ٢٢٩ ، ٢٦٢ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦

٣٥٩

أولجايتو خان (السلطان محمد خدا بنده) : ٢ ، ٣ ، ٨ ، ٦١ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٩٣ ،

٩٧ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١١٢ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ،

١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ،

١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ،

١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ٢٠٤ ، ٢١١ ، ٢٣٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٨ ،

٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٣ ،

٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٤ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٩٦ ، ٣٢١ ، ٣٢٦ ،

٣٤٦ ، ٣٥٦ ، ٣٦٠ ، ٣٦٤ ، ٣٦٧ ، ٣٧٧ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ ،

٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٤٠١ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤١٢ ، ٤١٤ ، ٤١٦ ، ٤٢٨ ، ٤٤١ ،

٤٤٣

أولوغ بك : ٣٥٨

اويس الجلايري بن الشيخ حسن بزرگ (السلطان) : ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٤٤٠

أيبك (الملك المعز) : ٥٣

ايرپخين : ١٦٨

ايسن قتلغ نويان : ١٤٨ ، ١٨٤ ، ٢٠٤

ايسوقا بن أبي بكر آقا : ١٨٦

ايلدوزميش (زوجة أولجايتو) : ١٤٢

ايولوس داپيرا : ٢٧٤

(ب)

بابر : ٣٣٥ ، ٣٣٧

بارتولد : ٥ ، ٦ ، ٨ ، ٩ ، ٢٥ ، ٨٣ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٢١ ، ١٨٤ ،

١٨٥ ، ١٨٨ ، ٢٢٦ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٦٦ ، ٣٨٤ ، ٣٨٧ ، ٤٠٨ ، ٣٩٧

الباقلائی : ١١١

باجو : ٢٧ ، ٣٥ ، ٤١ ، ٤٨

بايدر : ٥٣ ، ٥٤

بايدوخان (السلطان) : ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ١١٩

بايسنقر بن شاه رخ بن تيمور لنگت : ٣٢٥ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٦٦

بايقرا بن الشيخ عمر بن تيمور : ٣٣٢

بدر الدين : ١٦٢ ، ١٦٣

بدر الدين لؤلؤ (ملك الماوصل) : ٣٥ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٤٧

البديسي : انظر شرفخان البديسي .

بديع الزمان الخراساني : ٢٩٦

بديع الزمان ميرزا بن السلطان حسين ميرزا بايقرا : ٣٣٥

براون : ٩ ، ١٣ ، ٤٥ ، ٥٩ ، ٧٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٢١ ، ٢٣١ ،

٢٣٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٣٣ ، ٣٤٥ ، ٣٥١ ،

٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٣٢ ، ٤٥٩

برتلز : ١٤٩ ، ٣٠١ ، ٣٥٤

برتلز : انظر برتلز .

برزين : ٦ ، ٧ ، ٩ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ،

٣٥٩ ، ٣٦٤ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠

بركه خان : ٥١

برهان الدين مسعودييك : ١١٨

بروکلمان : ۲۱۹، ۳۸۸

بزرجمهر : ۱۱۱

بشیر یوسف فرنسیس : ۳۸، ۳۲۰

بغداد خاتون : ۱۹۶، ۱۹۷

بقراط : ۴۱۵

البلعمی : ۳۲۶

بلبان الطبخی : ۱۲۸

بلوشیه : ۷، ۸، ۹، ۱۰، ۱۱، ۹۶، ۱۰۱، ۱۰۳، ۱۵۳، ۱۵۷، ۱۶۷،

۱۶۸، ۱۸۱، ۲۴۴، ۲۴۵، ۲۴۶، ۲۴۷، ۲۴۸، ۲۵۰، ۲۵۱، ۲۵۲،

۲۵۳، ۲۵۴، ۲۵۵، ۲۵۶، ۲۵۷، ۲۷۰، ۲۷۸، ۲۸۴، ۳۰۰، ۳۰۱،

۳۰۵، ۳۰۹، ۳۴۵، ۳۵۱، ۳۵۲، ۳۵۶، ۳۵۹، ۳۶۴، ۳۶۶، ۳۶۷،

۳۸۵، ۳۹۷، ۳۹۸، ۴۴۴

البناکتی : انظر فخرالدين البناکتی .

بهاء الدين محمد بن شمس الدين الجوينی : ۵۹، ۱۱۸

بهار (ملك الشعراء) : ۲۳۰، ۲۴۸، ۲۶۹، ۲۷۶، ۲۷۸، ۳۸۰، ۳۸۱، ۳۸۲

بهزاد : ۳۳۲

بهمن کریمی : ۳۵۵، ۳۵۶، ۳۵۹، ۳۷۰

بوتیه : ۴۰

بورتاج قودجین : ۲۴۲

بورکی : ۲۴۲

بوهیمند : ۴۷، ۴۹، ۵۱

بیانی : ۳۲۶، ۳۲۵

بیرس البندقداری : ۴۳، ۵۳، ۵۹، ۶۷

البیرونی : ۱۰۰، ۲۵۶، ۲۷۵، ۲۷۶، ۳۰۳

البیضاوی : ۲۳۱، ۲۳۲، ۲۳۸، ۳۱۴

(پ)

پولاد چینگ سیانگ : ۲، ۲۴۲، ۲۴۳، ۲۴۴، ۲۴۷، ۲۶۴.

پول هورن : ۱۲۹

پیپر سلطان بن رشید الدین : ۲۰۰، ۲۱۱، ۲۱۲

(ت)

تاج الدین ابراهیم کیلانی : ۴۲۸

تاج الدین أبو الفضل (نقیب الأشراف) : ۱۵۷، ۱۵۹، ۱۶۰، ۱۶۱

تاج الدین اسماعیل بن أبی الیسر : ۴۴

تاج الدین الآوجی : ۱۴۷، ۱۵۴، ۱۵۹

تاج الدین بن الدویدار الکبیر : ۳۶

تاج الدین مؤمنی : ۴۰۱

تاسیت (إمبراطور الروم) : ۴۵۰

تقی الدین بن تیمیة : ۱۳۰

تکودار : انظر أحمد تکودار

تمودر : انظر أولجایتو خان.

تورانشاه : ۴۹

توقماق : ۱۶۹

توقناق : ۱۷۸

تولوی خان بن جنکیز خان : ۲۵، ۲۶۲، ۳۵۲، ۳۵۹

توماس الدوتشی : ۱۶۲

تیمورتاش بن چوپان : ۱۷۳، ۱۸۶، ۲۱۱

تیمور قان بن چیم کیم : ۲۶۲، ۳۶۰

تیمور لنگ : ۹۱، ۱۸۵، ۲۹۹، ۳۲۵، ۳۲۶، ۳۲۸، ۳۲۹، ۳۳۰، ۳۳۲،

۳۶۴، ۳۵۴

(ج)

جانی بیک خان القبیجی : ۴۴۰

الجامی : ۳۳۵

جب : ۳۵۲، ۳۴۵، ۳۲۰، ۳۱۸

جعفر سلطان القرائی : ۱۴، ۱۵، ۹۳، ۱۲۴، ۱۴۸، ۱۶۴، ۲۰۷، ۳۳۴، ۳۸۶

. ۳۸۶

جغتای بن جنکیز خان : ۲۲۹، ۲۶۲، ۳۵۲، ۳۵۹

جلال الدین ابراهیم : ۱۵۸

جلال الدین الأکولی : ۱۴۳

جلال الدین البخاری : ۴۰۵

جلال الدین بن الحران الموصلی : ۱۸۱، ۱۸۲

جلال الدین حمد الله المستوفی : ۱۵۶

جلال الدین خوارزمشاه : ۲۴، ۵۳، ۲۲۴، ۲۲۵، ۲۲۶، ۲۳۶، ۲۳۷، ۲۶۹

جلال الدین بن رشید الدین : ۱۶۸، ۱۷۳، ۲۱۱، ۴۳۵، ۴۳۶

جلال الدین بن الفقیه : ۱۵۸

جلال الدین الطهرانی : ۳۴۷

جلال الدین منکبرقی : انظر جلال الدین خوارزمشاه

جمال الدین الأفرم : ۱۶۲

جمال الدین بن المطهر : انظر جمال الدین الحلّی .

جمال الدین الدستجردانی : ۶۹، ۷۷، ۷۸، ۸۴، ۱۱۹

جمال الدین الحلّی : ۱۴۷، ۱۴۸، ۴۱۶

جمال الدین شرفشاهی : ۴۱۳

جمال الدین محمد بن سلیمان النقیب المقدسی : ۶۶

جمال عبد الناصر (الرئيس) : ۵۶

جنکیز خان : ۱، ۶، ۹، ۱۴، ۲۵، ۳۲، ۶۲، ۷۷، ۱۱۶، ۱۱۷، ۱۴۶، ۴۹۹

، ۲۴۲ ، ۲۳۷ ، ۲۳۶ ، ۲۳۵ ، ۲۲۹ ، ۲۲۸ ، ۲۲۷ ، ۲۲۲ ، ۲۱۸ ، ۱۴۷
 ، ۳۲۹ ، ۳۲۲ ، ۲۹۹ ، ۲۹۸ ، ۲۹۷ ، ۲۹۶ ، ۲۹۵ ، ۲۶۲ ، ۲۵۹ ، ۲۵۱
 ، ۳۶۸ ، ۳۶۴ ، ۳۵۹ ، ۳۵۶ ، ۳۵۵ ، ۳۵۴ ، ۳۵۱ ، ۳۴۹ ، ۳۴۷ ، ۳۴۳
 ، ۳۶۹

جوجی بن جنکیز خان : ۹۲ ، ۲۲۹ ، ۲۶۲ ، ۳۵۲ ، ۳۵۹ ، ۳۶۷

جورجی زیدان : ۴۲ ، ۲۸۷ ، ۲۹۲

جورماغون : ۲۷ ، ۳۵

الجوزجانی : ۲۴ ، ۲۸ ، ۲۲۶ ، ۲۲۷ ، ۲۲۸ ، ۳۰۷ ، ۳۲۳

جولیان الصيداوی : ۵۱

الجوینی : انظر علاء الدین عطا ملک الجوینی

(چ)

چوپان (الأمير) : ۱۳۷ ، ۱۴۸ ، ۱۶۷ ، ۱۷۲ ، ۱۷۳ ، ۱۷۴ ، ۱۷۵ ، ۱۷۶ ،

، ۱۷۷ ، ۱۷۸ ، ۱۸۰ ، ۱۸۱ ، ۱۸۶ ، ۱۸۸ ، ۱۹۲ ، ۱۹۳ ، ۱۹۴ ، ۱۹۷ ،

۲۱۱

(ح)

الحاجی بولوادج : ۱۸۷

حاجی خلیفة : ۹۱ ، ۱۷۹ ، ۲۳۴ ، ۲۴۴ ، ۳۱۶ ، ۳۱۷ ، ۳۱۸ ، ۳۲۰ ، ۳۳۴ ،

۴۰۸

حافظ آبرو : ۱۱۲ ، ۱۴۲ ، ۱۴۸ ، ۱۵۵ ، ۱۵۷ ، ۱۵۹ ، ۱۶۰ ، ۱۶۴ ، ۱۶۹ ،

، ۱۷۴ ، ۱۷۸ ، ۱۷۹ ، ۱۸۱ ، ۱۸۲ ، ۱۸۳ ، ۱۸۴ ، ۱۸۶ ، ۱۸۸ ، ۱۹۲ ،

، ۱۹۶ ، ۱۹۹ ، ۲۵۰ ، ۲۵۵ ، ۲۵۶ ، ۲۸۰ ، ۳۰۵ ، ۳۵۸ ، ۳۶۴ ، ۳۶۸ ،

، ۴۲۶ ، ۴۴۰ ، ۴۴۲ .

حافظ حمدی : ۱۱۷

حافظ شیرازی : ۱۲ ، ۱۳ ، ۱۸۸ ، ۱۹۴ ، ۲۰۵ ، ۲۰۸

حسن إبراهيم حسن (دكتور) : ۴۳

حسن بزرگ (الشیخ) : ۲۰۹ ، ۲۱۲ ، ۲۱۳

الحسن بن الصباح : ۲۲ ، ۳۰ ، ۳۱ ، ۲۶۹ ، ۳۰۰ ، ۳۵۸ ، ۴۵۸

حسین بن أبی الرضا الآوی : ۲۰۳

حسین بن أویس (السلطان) : ۲۱۰

حسین بن الشیخ حسن بزرگ : ۲۱۳

الحسین بن علی (رضی الله عنهما) : ۱۳۳ ، ۱۷۱

حسین کاظم قدری : ۱۴۰

حسین الگورکانی : ۱۵۰

حسین مجیب المصری (دکتر) : ۱۶

حسین میرزا بابقرا (السلطان) : ۳۳۱ ، ۳۳۲ ، ۳۳۷

حمد الله المستوفی القزوينی : ۸ ، ۲۲ ، ۲۶ ، ۷۸ ، ۱۲۵ ، ۱۲۶ ، ۱۴۱ ، ۱۵۵ ،

۱۵۶ ، ۱۶۹ ، ۱۷۹ ، ۱۸۸ ، ۱۹۳ ، ۱۹۵ ، ۲۰۵ ، ۲۳۰ ، ۲۴۶ ، ۳۱۵ ،

۳۱۸ ، ۳۱۹ ، ۳۲۰ ، ۳۵۱ ، ۳۶۳ ، ۴۲۸ ، ۴۳۲ ، ۴۳۴

حمزة طاهر : ۹ ، ۲۵ ، ۲۷۶ ، ۲۸۳ ، ۲۸۸

حیدر الرازی : ۲۷۴ ، ۳۳۹ ، ۳۴۰

(خ)

خاتم المرسلین : انظر محمد (صلی الله علیه وسلم) .

خاتم النبیین : انظر محمد (صلی الله علیه وسلم) .

خدا بنده : انظر أوجایتو خان

خربنده : انظر أوجایتو خان

خورشاه : انظر رکن الدولة خورشاه

خوندمیر : ۱۱۲ ، ۱۲۴ ، ۱۴۸ ، ۱۶۵ ، ۱۶۶ ، ۱۷۷ ، ۱۷۸ ، ۱۷۹ ، ۱۹۶ ،

۲۱۲ ، ۲۱۳ ، ۲۳۲ ، ۲۴۳ ، ۳۰۲ ، ۳۱۰ ، ۳۱۹ ، ۳۲۵ ، ۳۲۸ ، ۳۳۱ ،

۳۳۳ ، ۳۳۴ ، ۳۳۵ ، ۳۳۶ ، ۳۳۷ ، ۳۳۸ ، ۳۳۹

(د)

دانش پړوه : انظر محمد تقی دانش پړوه

داود (عليه السلام) : ۲۷۰

درېلو : ۴ ، ۳۹۷

دلشاد خاتون : ۱۹۷ ، ۱۲۱۰

دلغندی : ۱۷۸ ، ۱۸۶

دمشق خواجه بن چوپان : ۱۹۳ ، ۱۹۷

دورمش خان : ۳۳۶

دوسون : ۲۴۷

دوقوز خاتون (زوجه هولا کو خان) : ۴۷

دولت شاه : ۸۵ ، ۹۱ ، ۱۱۲ ، ۲۴۷ ، ۳۱۰ ، ۳۱۱

الدویدار الصغیر : انظر مجاهد الدین أبیک

ده میزون : ۹۲

دیبور : ۲۹۳

دیوکس : ۹۰

(ذ)

ذبیح الله صفا : ۳۱۹

الذهبی : ۳۷ ، ۴۴ ، ۵۰ ، ۷۱ ، ۱۳۱ ، ۱۶۳

ذوالکفل (النبی) : ۱۵۷

(ر)

رافرتی : ۲۲۶

الراونندی : ۲۵۶ ، ۲۶۷

رئیس الدولة : ۳۰

ربيعی الهوشنجی : ۳۲۳ ، ۳۲۴

«الرسول) : انظر محمد (صلى الله عليه وسلم)

رشيد الحق والدنيا والدين : انظر رشيد الدين فضل الله

رشيد الخوافي : ٣٦٧

رشيد الدولة : انظر رشيد الدين فضل الله

رشيد الطيب : انظر رشيد الدين فضل الله

رشيد ياسمي : ٩ ، ٢٠٩

رشيد للدين فضل الله ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ،

١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٨ ، ٧٠ ،

٧٢ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ،

٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ،

١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ،

١١٢ ، ١١٣ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ،

١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ،

١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ،

١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ،

١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ،

١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ،

٢٠٤ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ،

٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ،

٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ،

٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ،

٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ،

٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ،

٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ،

٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ،

٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ،

٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ،

٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦٢ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ،

، ٣٨٦ ، ٣٨٥ ، ٣٨٤ ، ٣٨٣ ، ٣٨٢ ، ٣٨١ ، ٣٧٨ ، ٣٧٧ ، ٣٧٦ ، ٣٧٥
 ، ٣٩٨ ، ٣٩٧ ، ٣٩٦ ، ٣٩٤ ، ٣٩٣ ، ٣٩١ ، ٣٩٠ ، ٣٨٩ ، ٣٨٨ ، ٣٨٧
 ، ٤١٣ ، ٤١٢ ، ٤١١ ، ٤١٠ ، ٤٠٩ ، ٤٠٨ ، ٤٠٧ ، ٤٠٥ ، ٤٠٠ ، ٣٩٩
 ، ٤٢٦ ، ٤٢٥ ، ٤٢٤ ، ٤٢٣ ، ٤٢٢ ، ٤٢١ ، ٤٢٠ ، ٤١٩ ، ٤١٨ ، ٤١٧
 ، ٤٣٨ ، ٤٣٧ ، ٤٣٦ ، ٤٣٥ ، ٤٣٤ ، ٤٣٣ ، ٤٣٢ ، ٤٣١ ، ٤٢٩ ، ٤٢٨
 ، ٤٥٧ ، ٤٥٥ ، ٤٤٩ ، ٤٤٨ ، ٤٤٦ ، ٤٤٥ ، ٤٤٤ ، ٤٤٣ ، ٤٤٢ ، ٤٣٩
 ، ٤٦٢ ، ٤٦١ ، ٤٦٠ ، ٤٥٩ ، ٤٥٨

رضا زاده شفق (دكتور) : ١٠٩ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٣٠٧

رضا قلی خان : ٣٣٣

رکن الدین أوحدی المراغی : انظر أوحدی المراغی .

رکن الدولة خورشاه : ٢٩ ، ٣٠

رکن الدین صاین : ١٩٢

رکن الدین قلج أرسلان : ٤١

روسو : ٤١٨

روماسکفتش : ٢٨٣ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥

ریو : ٢٥٠ ، ٣١٩ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧

ریوبن لیثی : ١٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢

(ز)

زامبور : ٥٨

زترستین : ١٣٧

زکریا القزوينی : ٢٢٤ ، ٣١٥

زکی حسن (دكتور) : ٣٠٤٠ ، ٣٠٥

زکی ولیدی طوغان : ١٠٠ ، ٣٥٦

زنبوری : ۱۷۸ ، ۱۸۶

زین الدین علی بن صاعد : ۶۵

زین محمد : ۳۱۵

(س)

ساکیمونی : ۲۷۶ ، ۲۷۷ ، ۳۶۲

السبکی : ۲۳۲

سعد بن أبی بکر (الأتابک) : ۴۱

سعد الدواة اليهودی : ۶۱ ، ۶۲ ، ۶۳ ، ۶۴ ، ۶۵ ، ۹۹ ، ۱۰۰ ، ۱۱۹ ، ۳۴۲

السعدی : انظر سعدی الشیرازی

سعدی الشیرازی : ۱۳ ، ۲۶ ، ۴۵ ، ۲۳۱ ، ۳۰۷

سعد الدین بن رشید الدین : ۲۱۲ ، ۴۲۶ ، ۴۳۳

سعید بن رشید الدین : ۲۱۲

سعد الدین محمد الساجی : ۱۲۴ ، ۱۲۵ ، ۱۳۰ ، ۱۳۲ ، ۱۳۳ ، ۱۳۴ ، ۱۴۰ ،

۱۴۲ ، ۱۴۹ ، ۱۵۰ ، ۱۵۱ ، ۱۵۲ ، ۱۵۳ ، ۱۵۴ ، ۱۵۵ ، ۱۵۷ ، ۱۶۸ ،

۱۷۱ ، ۴۰۹

سعد الدین محمد بن المؤید بن حمويه الجوينی : ۷۰

سعید الخوری الشورتونی : ۱۶۴

سعید نفیسی : ۱۵ ، ۲۳ ، ۹۷ ، ۱۱۲ ، ۱۳۸ ، ۱۵۰ ، ۱۶۹ ، ۱۷۱ ، ۱۸۰ ،

۱۹۸ ، ۲۰۵ ، ۲۰۶ ، ۲۰۷ ، ۳۳۵ ، ۳۳۷ ، ۳۴۰

سلمان الساجی بن علاء الدین محمد : ۲۰۹ ، ۲۱۰ ، ۴۴۰

سلمان الفارسی : ۴۱۶

سلیمان شاه : ۳۳ ، ۳۵ ، ۳۶ ، ۳۷

سلیم الأول : ۴۳ ، ۳۳۵

سلیم حسن : ۱۲۹ ، ۱۶۲

منبأء (مؤرخ أرمنى) : ١٣٥
 سنجر السلجوقى (السلطان) : ١٢٧
 سنقر : ٤٨
 سونج (الأمير) : ١٦٤ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٦
 سونجاق نويان : ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٨
 سيد برهان الدين (والء المؤرخ ميرخوانء) : ٣٣١
 سيد جلال الدين الطهرانى : ٢٠٣
 سيد خوانء شاه : انظر سيد برهان الدين
 سيد محمد الرضوى : ٢٨٠
 سيد محمد كاظم : ٣٢٤
 سيف بن محمد بن يعقوب الهروى : ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤
 سيف الدين قبيجق : ١٢٨ ، ١٣٠
 السيوطى : ٢٥ ، ٢٣٢ ، ٣٨٥

(ش.)

شاردان : ٤٤١
 الشافعى (الإمام) : ١١١ ، ١٥٩ ، ٤٢٨
 شاهرخ بن تيمور : ٢٨٠ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ،
 ٤٤٢
 الشبانكارى : انظر محمد بن على الشبانكارى .
 الشيبى : انظر محمد رضا الشيبى
 شجاع بن مبارز الدين المظفرى (الشاه) : ٢٠٨ ، ٢١٠
 شرف خان البلىسى : ١٢٥
 شرف الدين الخوارزمى بن أحمد شاه الوراوى : ٤١٣
 شرف الدين عبد الله بن الجوزى : ٣٤

- شرف الدين على بن السيد تاج الدين : ١٥٨
- شرف الدين قاضي سيواس : ٤١٤
- شرف الدين هارون بن شمس الدين الجويني : ٤٠٩
- شرف الدين اليزدي : ١٣٨٠
- شعيب (عليه السلام) : ٣٩٤
- شمدة : ٢٩٧
- شمس الدين أبو عبد الله الذهبي : انظر الذهبي
- شمس الدين أحمد الكافي القزويني : ٢٨
- شمس الدين التتمش : ٢٢٦ ، ٢٢٧
- شمس الدين الحسين بن السيد تاج الدين : ١٥٨
- شمس الدين سامي : ٩١
- شمس الدين السهروردي : ١٤٣ ، ٢٠٤
- شمس الدين عبد اللطيف بن رشيد الدين : ٢١١
- شمس الدين كرت : ٢٨
- شمس الدين محمد بن فضل الله الحجري : ٤١٣
- شمس الدين محمد بن قيس الرازي : ٢٦
- شمس الدين محمد الجوهري السمناني : ٤١٢ ، ٤١٣
- شمس الدين محمد الجويني : ٥٩ ، ٦١ ، ١١٨ ، ١٨٣
- شمس الدين محمد زكريا : ٢١٢ ، ٢١٣
- شمس الدين محمد الكاشاني : ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨
- شهاب الدين بن رشيد الدين : ٢١٢
- شهاب الدين زاكاني : ٤١٤
- شهاب الدين عبد الله بن لطف الله بن عبد الرشيد الخوافي : انظر حافظ آبرو
- شهاب الدين العمري : ٩٨
- شهاب الدين مقبول الرومي : ٤١٣

الشواربي : انظر ابراهيم أمين الشواربي .

الشياني : ٣٣٥ ، ٣٣٧

(ص)

صادق الإصفهاني : ٢٢٧ ، ٣١١

الصالح بن بدر الدين لؤلؤ : ٤٧ ، ٤٨

صدرجهان : انظر صدر الدين أحمد الخالدي الزنجاني

صدر الدين ابراهيم بن حمويه الجويني : ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣

صدر الدين أحمد الخالدي الزنجاني : ٦٨ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣

٨٤ ، ١٠٣ ، ١٢٥ ، ١٤٥ ، ٢٣٢

صدر الدين محمد تركه : ٤٢٥ ، ٤٢٧

صدر الدين مسعود بن سعد بن محمد الكاتب اليزدي : ٤١٤

صفي الدين الأردبيلي : ٤٢٨ ، ٤٢٩

صفي الملك : ٥٩

الصقاعي : ٩٢ ، ٩٧ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣

صلاح الدين الأيوبي : ٤٦

(ض)

ضياء الملك : ١٧٥

(ط)

الطبري : ٢٦٦ ، ٣٢٦ ، ٣٨٥

طرمطار بن بايجو بخشي : ١٤٦ ، ١٤٧

طغاجار : ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٧ ، ٢٣٢

طغاجر : انظر طغاجار

طغرل بن أرسلان : ٢٦٨

طه بدر (دكتور) : ٣٩٦ ، ١٢٩ :

طيفور بن أوجلايتو خان : ١٤٣

(ع)

عباس إقبال : ٢٠٤ ، ٢٣٢ ، ٣٤٣ ، ٤٠٩

عباس الأول (الشاه) : ٤٤١

عباس الغزاوى : ١٧٦ ، ٢٩٩ ، ٣٦٨

عبد الحسين نوائى : ٣٣٥

عبد الرحمن بن ركن الدولة أحمد بن عبد الغفار الإيجى : ٢٠٨

عبد الرحمن بن عبد الجبار القامى : ٣٢٣

عبد الرحمن الجامى : انظر الجامى

عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد الصابونى : انظر ابن القوطى

عبد الرزاق السمرقندى : ٩١ ، ٢٥٦ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٣١

عبد الغفار : انظر نجم الدولة

عبد القادر قره خان (دكتور) : ٣٠٥ ، ٣٥٧

عبد الكريم على أوغلو على زاده : ٢٨٣

عبد اللطيف بن رشيد الدين : ١٦٤ ، ١٧٤ ، ٤٢٣

عبد الله بن على بن محمد فلك علاء : ٤٠٩

عبد الله فريار : ٣٠٤ ، ٣٠٦

عبد الله الكاشانى : ٨ ، ٦١ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ،

١٦٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ،

٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٤ ، ٣٠٢

عبد المؤمن بن رشيد الدين : ٢١٢

عبد النعم محمد حسنين (دكتور) : ٢٦٨

العنبي : ٢٣٥

عثمان (رضى الله عنه) : ١٤٤ ، ٢٦٦

عز الدين ابراهيم بن رشيد الدين : ١٧٤ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢١١

عز الدين أبيك الأفرم : ١٣٤

عز الدين فضل الله : ٢٣٣

عز الدين قوهدى : ١٦٧ ، ١٧٥

عز الدين كيكائوس : ٤١

عزرا : ٢٧١

عضد الدين الايجي : ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١

عضد الدين المطرزي : ٤١٤

عطا ملك الجويني : انظر علاء الدين عطا ملك الجويني

علاء الدولة السمناني : ٢٠٥

علاء الدين عطا ملك الجويني : ٢٤ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٧٠ ، ١١٨ ، ٢١٧ ،

٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٧ ، ٢٥٦ ، ٢٦٩ ، ٢٩١ ،

٣٠٧ ، ٣٠٩ ، ٣٢٣ ، ٣٤١ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٦٣ ، ٣٦٧

علاء الدين (نائب رشيد الدين) : ١٦٧ ، ١٧٥

علاء الدين محمد بن عماد الدين المستوفي : ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٧

علاء الدين محمد خوارزمشاه : ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٢ ، ١١٧

علاء الدين هندو : ١٧٥ ، ٤٣٦

على ابراهيم حسن (دكتور) : ٥٢ ، ١٢٨

على أصغر حكمت : ٣٢٥ ، ٣٣٢ ، ٣٦٨ ، ٤١٩

على بن أبى طالب (أمير المؤمنين) : ٣٥ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ٢٦٦ ، ٣٧٨ ، ٣٩٤

على بن رشيد الدين : ٢١٢

على بادشاه : ١٩٩ ، ٢٠٠

على شاه الجيلاني : ٢ ، ١١٠ ، ١٢٣ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،

١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٧٩

١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ٢٥٧ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤

علي زاده : ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٦٣

علي شيرنوائى : ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤

عبيد الدولة : ٩٠

عماد الدين بن كثير : انظر ابن كثير

عماد الدين عبد الله بن الخوام : ٤١٤

عماد الدين المطرزي : ٤١٤

عمر بن الخطاب (أمير المؤمنين) : ١٤٤ ، ١٤٨ ، ٢٦٦

عمر بن عبد العزيز (رضى الله عنه) : ١١١

العيني : ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٧٠ ، ٤٤٤

(غ)

غازان خان (محمود) بن أرغون : ٦٤ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥

٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٩٨ ، ١٠٥

١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨

١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨

١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٦٥ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٩٨ ، ٢١٩

٢١٩ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧

٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٩ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧

٢٩٧ ، ٣٠٥ ، ٣١٠ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٥

٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٤ ، ٣٦٧ ، ٣٧٤ ، ٣٨٠ ، ٣٨٥ ، ٣٩٦ ، ٤٠٣ ، ٤٠٩

الغزالي : ١١١ ، ٣٨٨ ، ٤٣٠ ، ٤٣١

غياث الدين كرت : ١٩٤ ، ٣٢١ ، ٣٢٢

غياث الدين محمد بن رشيد الدين : ٩٨ ، ١١٩ ، ١٧٢ ، ١٨٥ ، ١٩١ ، ١٩٢ ،

١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ،

٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٨١ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٤٢٠ ، ٤٢٣ ، ٤٢٨ ،

٤٣٧ ، ٤٣٩

غياث الدين محمد بن يوسف الحسيني : ٣٣٦

غياث الدين منكبرتي : ٢٢٥

(ف)

فخر الدين البناكتي : ٨ ، ١٤٠ ، ٢٠٦ ، ٢٥٦ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ،

٣١٣ ، ٣١٤

فخر الدين الرازي : ١١١ ، ٢٠٤ ، ٤٠٤

فخر الدين بن طراح : ٤١٣

فخر الدين كرت : ٧٨ ، ٧٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٢

فخر الدين محمد بن محمد بن أبي النصر الخجندی : ٤١٣

الفردوسي : ١٣ ، ٣١٩

فرهاد ميرزا : ٣٣٣ ، ٣٣٤

فريد الدين العطار : ٣٨٥

فصيح الخوافي : ١٢٥ ، ١٧٠ ، ١٩٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩

فضل الله بن أبي الخير بن علي الطيب الطهماني : انظر رشيد الدين فضل الله

فضل الله بن أبي الفخر الصقاعي : انظر انصقاعي

فضل الله بن عبد الله الشيرازي : ٨ ، ٤٠ ، ٦٢ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١١١ ، ١٢٤ ،

١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٢ ،

١٦٣ ، ١٧١ ، ١٨٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٢٥٢ ،

٣٠٣ ، ٣١٨ ، ٣٣٣ ، ٣٧٦ ، ٣٧٨ ، ٤١٢

فلاديمير مينورسكي : انظر مينورسكي

فؤاد عبد المعطى الصياد (دكتور) : ٢٢٩ ، ٢٦٨

فون همر : ١٠١

فيروز بن يزدجرد : ٢٢٤

فیشل : ١٠

فيكتور روزن : ٢٧٠

فيليب لوبل : ١٦٢

الفيومي : ١٨١

(ق)

قتلغوقا : ١٥٦

قتلغ شاه : ٨١ ، ٨٢ ، ١٢٤ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ،

١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٦

قراستقر : ١٦٢

القزويني : انظر حمد الله المستوفى القزويني .

قطب الدين الشيرازي : ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ١٣٢ ، ٤٠٩ ،

قطز : ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٦

القلقشندی : ١٢٠

قلاوون : انظر الناصر محمد بن قلاوون

قليج أرسلان : ٢٨

قوبيلای بن تولوی خان : ٤٠ ، ٥١ ، ٦٧ ، ٩٣ ، ٢٤٢ ، ٢٦٢ ، ٣٥٢ ، ٣٦٠ ،

٣٦٤

قوبيلای قاآن : انظر قوبيلای بن تولوی خان .

(ك)

کاترمير : ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١١ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ،

٣٩ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٦١ ،

١٩٦ ، ٢١٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٧٩ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ،

۲۹۷ ، ۲۹۸ ، ۳۱۴ ، ۳۴۲ ، ۳۴۵ ، ۳۴۶ ، ۳۴۷ ، ۳۴۸ ، ۳۵۲ ، ۳۵۵

۳۵۶ ، ۳۶۰ ، ۳۹۷ ، ۴۰۰ ، ۴۱۸ ، ۴۴۵ ، ۴۴۹

کارل یان : ۱۰ ، ۱۱ ، ۱۲۴ ، ۱۲۷ ، ۲۴۳ ، ۲۷۱ ، ۲۷۳ ، ۲۷۴ ، ۳۰۱

۳۵۲ ، ۳۵۶ ، ۳۵۷ ، ۳۶۰ ، ۳۶۲

الکاشانی : انظر عبد الله الكاشاني .

۲۷۳ : انظر عبد الله الكاشاني

الکامل محمد بن الملك المظفر (الملك) : ۴۸

۲۷۳ : انظر عبد الله الكاشاني

کتبغا : ۱۲۸ ، ۱۲۹

۲۷۳ : انظر عبد الله الكاشاني

کریستی ویلسون : ۳۰۴ ، ۳۰۶

()

الکرم الآقسرائی : ۱۳۸

۲۷۳ : انظر عبد الله الكاشاني

کرم الدین حبیب الله الساجی : ۳۳۶

۲۷۳ : انظر عبد الله الكاشاني

کرمی : انظر بهمن کریمی

کسری أنوشروان : ۲۴۳

۲۷۳ : انظر عبد الله الكاشاني

کلیمنت الخامس (البابا) : ۱۶۲

کمال الدین أبو العطاء محمود بن علی الكرمانی : ۲۰۵

کمال الدین حسن بن علی الفارسی : ۴۱۳

کمال الدین عرب : ۴۱۴

کمالشیری : ۲۷۶

کورکیس عواد : ۳۲۰

۲۷۳ : انظر عبد الله الكاشاني

کوهی کرمانی : ۲۰۵

۲۷۳ : انظر عبد الله الكاشاني

کیتوبوقا : ۳۵ ، ۴۸ ، ۵۰ ، ۵۱ ، ۵۲ ، ۵۳ ، ۵۴

کیخاتوخان بن آباقا خان : ۶۵ ، ۶۸ ، ۶۹ ، ۷۷ ، ۷۹ ، ۸۲ ، ۹۹ ، ۱۰۳

۲۷۳ : انظر عبد الله الكاشاني

۲۳۳ ، ۲۶۳ ، ۳۵۲ ، ۳۵۳ ، ۳۵۶ ، ۳۶۰

کیکاوس : ۲۸

کیوک خان بن اؤکتای قا آآن : ۲۲۹ ، ۲۶۲ ، ۳۵۲ ، ۳۵۹

(گ)

۲۷۳ : انظر عبد الله الكاشاني

گیومرث : ۲۶۵

(ل)

ل . استرانج : ۳۲۰

[لاجین : ۱۲۸ ، ۱۲۹]

لقمان : ۱۵۳

اللاما شیخون : ۲۹۰

اللاما فنچو : ۲۹۰

اللاما فوهین : ۲۹۰

لولو : ۱۵۶

لويس فيليب : ۳۴۵

لیناچی : ۲۷۰ ، ۲۹۰

لیٹی : انظر ریون لیٹی

(م)

مارتینس اوبافینسیس : ۲۷۴

مارکوپولو : ۴۰۴ ، ۴۰۶

مالک (الإمام) : ۴۲۷

مبارز الدین محمد : ۲۰۸

مجاهد الدین أیك (الدویدار الصغیر) : ۳۵ ، ۳۶ ، ۳۷

مجد الدین بن رشید الدین : ۲۱۲

مجد الدین عالی شاه : ۴۱۴

مجد الدین عبد الله : ۴۱۳

مجد الملك الیزدی : ۵۹ ، ۶۸ ، ۷۷

محمد الأبرقوهی : ۴۲۰

محمد إقبال : ۲۶۷

محمد الآملی : ۱۴۲

محمد الأمين : ۳۹۸

محمد بابر شاه : انظر بابر

محمد بن جرير الطبري : انظر الطبري

محمد بن الحسين القاسي : ١٨٧

محمد بن حمزة : انظر رشيد الخوافي

محمد بن خاوندشاه : انظر ميرخواند

محمد بن عبد الوهاب القزويني : ٢٠٣ ، ٢١٨ ، ٢٦٩ ، ٣٥٠ ، ٣٦٢

محمد بن علي الشبانكارى : ٨ ، ٩٧ ، ١٥٠ ، ١٦٩ ، ١٨٠ ، ١٩٨ ، ٢٠٦

محمد بن مودود : ١٩٢

محمد تقي دانش پروه : ٣٠١ ، ٣٥٨ ، ٣٦١ ، ٤٠٨

محمد خان (السلطان) : ٢١٢

محمد خان الشيباني : انظر الشيباني

محمد خدا بنده : انظر اولجايتو خان

محمد الدويدار (الأمير) : ١٥٧

محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ٢٥١ ، ٢٦٠ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٧٧ ،

٢٧٨ ، ٣٠٤ ، ٣١١ ، ٣١٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٢ ، ٣٣٧ ، ٣٦١ ،

٣٦٤ ، ٣٦٩ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٨ ، ٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ،

٤٢٣ ، ٤٢٩ ، ٤٣٩

محمد رضا الشيباني : ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٤١١

محمد الرومي : ٤٤٢

محمد زبير الصديق : ٣٢٢

محمد زرگر : ١٥٧

محمد شفيع اللاهوري : ١٠ ، ٤١٩

محمد صادق نشأت : ١٥

محمد عبد الله عنان : ٢٨٧

محمد عبد الهادي أبو ريده (دكتور) : ٢٩٣

محمد علي تريبيت : ٢٠٠ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩

محمد علی عوفی : ۶۹ ، ۱۲۵

محمد علی ناصح : ۲۷۹

محمد محمد القصاص (دكتور) : ۱۶

محمد مهدي علام (دكتور) : ۱۶

محمود بن أبي إلياس الشيرازي : ۳۷۶

محمود بن أبي القاسم الإصفهاني : ۴۴۲

محمود بن رشيد الدين : ۲۱۲

محمود مبارز الدين (الشاه) : ۲۰۸

محمود بن مودود : انظر قطر

محمود الحلخالي : ۴۴۱

محمود الخوارزمي : ۱۱۷

محمود عابدين : ۱۲۹ ، ۱۶۲

محمود غازان خان : انظر غازان خان

محمود الغزنوي : ۲۷۵

محمود گیتی : ۳۱۷

محمود بلواج : ۱۱۷

محمود ميرزا بن أبي سعيد بزرگان : ۲۳۴

مدرسی زنجانی : انظر محمد مدرسی

مراد الثاني : ۲۹۹

المرتضى الأعظم : ۴۱۴

مردخای : ۹۰

مریم (والدة المسيح عليهما السلام) : ۲۷۱

المسترشد بالله : ۱۱۱

المستعصم بالله : ۲۳ ، ۳۴ ، ۳۵ ، ۳۷ ، ۳۹ ، ۴۰ ، ۴۵ ، ۲۵۱ ، ۲۶۵ ، ۲۷۷ ،

۲۷۸ ، ۳۲۸ ، ۳۲۹ ، ۳۶۱ ، ۳۶۴

المستنصر بالله : ۲۳

المسيح (عليه السلام) : ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٣٥٧

مصطفى جواد : ٣٤٢

معز الدين أبو الفتح ملكشاه السلجوقي (السلطان) : ٢٠٣

معز الدين أويس بن حسن بزرگ : انظر أويس بن الشيخ حسن بزرگ .

معن بن زائدة الشيباني : ٣٤١

معين الدين الخراساني : ٨١

معين الدين اليزدي : ٣١٧

المغيرة بن شعبة : ٩٠

مفضل بن سعد بن الحسين المافروخي : ٢٠٣

المقريزي : ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ١٠٠ ، ١٣٧ ، ١٧٩ ، ٢٢٩ ، ٣٨٥

المكتفي : ٣٢٧

ملك الأطباء الحكيم الافرنجي : ٤١٨

الملك السعيد : ٤٨

ملكولم : ٧٣ ، ٧٤

منتجب الدين : انظر ناصر الدين بن عمدة الملك المنشي الكرمانى اليزدى

منصور بن نوح بن نصر الساماني (الأمير) : ٣٢٦

منكوقا آن بن تولوى بن جنكيزخان : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٢٢٩

مورلى : ٢٦٢ ، ٣٥٢

منهاج السراج الجوزجاني : انظر الجوزجاني .

مورلى : ٩٦ ، ٢٩٣ ، ٣٠٤ ، ٣١٠ ، ٣٦٦

موسى (عليه السلام) : ٢٧٠

موسى خان : ١٩٩ ، ٢١٣

موسى الكاظم : ٣٨

موفق الدولة : ٣٠ ، ٩٠ ، ٩٥ ، ٩٦

موفق الدين (الطبيب) : ١٨٢

مولر : ۳۱۴

مؤید الدین بن العلقمی : ۳۵

مویر : ۱۶۲

میرانشاه بن تیمورلنک : ۱۰۳ ، ۱۸۵

میرخواند : ۳۰ ، ۹۵ ، ۱۱۲ ، ۱۲۴ ، ۱۶۰ ، ۱۹۷ ، ۲۳۴ ، ۳۰۲ ، ۳۱۰ ، ۳۳۱

۳۳۴ ، ۳۳۳ ، ۳۳۲ ، ۳۳۱

مینورسکی : ۱۶ ، ۲۰۹ ، ۳۲۱ ، ۳۶۷ ، ۳۶۹

(ن)

نادر میرزا : ۴۳۶

نارین داود : ۱۳۵

ناری طغای : ۱۹۶ ، ۱۹۷

الناصر محمد بن قلاون : ۴۶ ، ۴۷ ، ۴۹ ، ۵۰ ، ۶۰ ، ۶۷ ، ۱۳۳ ، ۱۳۶ ، ۱۸۷ ، ۱۶۲

۱۸۷ ، ۱۶۲

ناصر الدین الأرمیجی : ۴۱۴

ناصر الدین بن عمدة الملك المنشی الكرمانی الیزدی : ۱۳۹ ، ۱۴۳ ، ۱۴۹ ، ۱۹۱ ، ۴۴۲ ، ۲۰۴

۴۴۲ ، ۲۰۴

ناصر الدین سبکتگین : ۲۶۶

ناصر الدین شاه (القاجاری) : ۳۳۳

ناصر الدین قباچه : ۲۲۶

ناصر الدین (ناصری) محمود شاه (السلطان) : ۲۸ ، ۳۵ ، ۲۲۷

نایان (أمير مغولی) : ۴۰

النبي (صلى الله عليه وسلم) : انظر محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

نجم الدولة (عبد الغفار) : ۳۸۰

نجيب الدولة اليهودی : ۱۰۱ ، ۱۰۲ ، ۱۵۶ ، ۱۵۷ ، ۱۶۰

نجيب الدين (حفيد رشيد الدين) : ۲۱۳

نجيب العقيبي : ٥ ، ٦

النسوى : ٢٤ ، ١١٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٧

نصير الدين الطوسي (الخواجه) : ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٩٥ ، ٩٦ ،

٢٠٤ ، ٢١٩ ، ٢٢٩ ، ٣٤١ ، ٤٠٩ ، ٤٥٩

نظام الدين الشامي : ٣٢٦ ، ٣٣٠

نظام الدين عبد الملك المراغي : ١٤٥ ، ١٤٧

نظام الدين التيسابوري : ٤١٣

نوح (عليه السلام) : ٢٤٥ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٣٦٠

نور الدين الششتري (القاضي) : ١٤٤

نور الدين كوه كيلوثي : ١٤٤

نوروز بن أرغون آقا (الأمير) : ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٢ ،

٨٣ ، ١٢١

نورين : ١٢٤

النويري : ٤٠ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١٣٠

نيقولا : ٦٠

(ه)

هبة الله : ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١

هدايت : انظر رضا قلي خان

هرقداق : ٧٨ ، ٨٣

همايون بن بابر : ٣٣٥

همام الدين محمد بن برهان الدين محمد الشيرازي : ٣٣٤ ، ٤٠٩ ، ٤١٠

هورث : ٨٥ ، ٩٦ ، ١٣١ ، ٣٢١

هولاكو بن تولوي : ٢ ، ٥ ، ١٢ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ،

٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ،

٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٩٥ ، ١١٨ ، ١٢٠ ،

۱۲۸ ، ۱۶۸ ، ۱۸۴ ، ۱۹۹ ، ۲۱۹ ، ۲۲۲ ، ۲۲۸ ، ۲۲۹ ، ۲۳۳ ، ۲۵۱ ،
 ۲۵۹ ، ۲۶۲ ، ۲۷۰ ، ۲۷۹ ، ۲۸۵ ، ۲۹۵ ، ۳۰۵ ، ۳۱۲ ، ۳۴۱ ، ۳۴۶ ،
 ۳۵۲ ، ۳۵۶ ، ۳۵۹ ، ۳۶۰ ، ۳۶۴ ، ۴۰۰ ، ۴۶۰

هیتوم : ۴۷ ، ۴۹

هیتون : ۱۳۵

هیرودوت : ۹۰

(و)

وصاف (وصاف الحضرة) : انظر فضل الله بن عبد الله الشيرازی

(ی)

یازجی أوغلی : ۲۹۹

یافث بن نوح : ۲۶۱

یاقوت الحموی : ۲۶۸ ، ۴۲۰

یحیی الخشاب (دکتور) : ۵ ، ۱۲ ، ۱۷

یزدجرد بن شهر یار : ۲۶۵ ، ۳۲۸

یسو کای بهادر : ۲۴۸ ، ۲۶۴

یشموت : ۴۸

یکسون : ۲۷۰

أَسْمَاءُ الْبُلْدَانِ وَالْأَمَكْنَةِ

(١)

أبرقوه : ٢٠٨ ، ٤٢٠

أبلستين : ٥٩

الإبنين : ٢٧٢

أبهر : ١٤١ ، ١٥٦ ، ٣١٥

أبيورد : ٢٢٤

أدنبره : ٣٠٣

آذربيجان : ٤٣ ، ٤٨ ، ٥٥ ، ٦٤ ، ١٤٨ ، ١٧٦ ، ١٨٥ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩

٢١٩ ، ٢٢٥ ، ٢٤١ ، ٣٤٦ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٩ ، ٣٦٣ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠

٤٢٨ ، ٤١٠

اران : ٢٤٢ ، ٤٢٨

أردبيل : ١٣٥ ، ٢١٢ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩

ارزنجان : ٤٤٢

أرض الجبال : ٣١٥

أرمينية : ٤٩ ، ٣٥٥

استانبول : ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٣٠٥ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦٨ ، ٣٧٣

اسكتلندا : ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣١٥

آسيا : ١ ، ٢١٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٧ ، ٣٤٤ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨

آسيا الصغرى : ٢٨ ، ١٨٦ ، ٢١١ ، ٢٢٠ ، ٢٢٩ ، ٣١٩ ، ٤٢٨

آسيا الوسطى : ٦ ، ٢٨٣ ، ٢٩٣ ، ٣٣٩ ، ٣٥٥

أشبيلية : ٤٢٨

اصطخر : ٤٢٠

اصفهان : ٥٩ ، ١٤٨ ، ١٥٦ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٣٢٠ ، ٤٢٣ ، ٤٢٥

أفغانستان : ٢٢٧ ، ٣٩٨

آق سرا : ٤١

آلموت : ٢٢ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٩٥ ، ٢٢٩ ، ٢٧٠

آمد : ٤٨

انجلترا : ١٢ ، ٣١٠ ، ٣١٥

الأندلس : ٤٢٨

انطاكية : ٤٧ ، ٥١

انقره : ١٣٨ ، ٣٥٧ ، ٣٦١

الأهواز : ٢١٢ ، ٤٢٤

أوجان : ١٨٧ ،

اوراسيا : ١ ، ٤ ، ٢٤٩

اوروبا : ١ ، ٦٧ ، ١٦٢ ، ٢١٨ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٩٧

٣٠٠ ، ٣٠٢ ، ٤٥٧

اوزبكستان : ٣٥٤

اومه : ١٧٩

ايبيريا : ٢٧٢

ايج : ٢٠٨

ايران : ١ ، ٢ ، ٦ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ،

٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٥١ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٧ ، ٧٠ ،

٧١ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ٩٧ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ،

١١٢ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ،

١٩٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ،

٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ،

، ۲۹۹ ، ۲۹۴ ، ۲۹۳ ، ۲۸۴ ، ۲۸۳ ، ۲۸۰ ، ۲۷۹ ، ۲۶۶ ، ۲۶۲ ، ۲۵۲
 ، ۳۱۸ ، ۳۱۷ ، ۳۱۶ ، ۳۱۵ ، ۳۱۲ ، ۳۱۰ ، ۳۰۶ ، ۳۰۳ ، ۳۰۱ ، ۳۰۰
 ، ۳۴۵ ، ۳۴۴ ، ۳۳۸ ، ۳۳۷ ، ۳۳۳ ، ۳۳۲ ، ۳۳۱ ، ۳۲۹ ، ۳۲۱ ، ۳۱۹
 ، ۳۷۳ ، ۳۶۷ ، ۳۶۳ ، ۳۶۱ ، ۳۵۹ ، ۳۵۵ ، ۳۵۴ ، ۳۵۳ ، ۳۵۱ ، ۳۴۶
 ، ۴۴۱ ، ۴۳۶ ، ۴۲۷ ، ۴۲۵ ، ۴۱۸ ، ۴۱۱ ، ۳۹۶ ، ۳۸۲ ، ۳۸۱ ، ۳۷۵
 ۴۶۱ ، ۴۵۹ ، ۴۵۵

ایرلندا : ۳۱۵ ، ۳۰۱

(ب)

باریس : ۷ ، ۸۴ ، ۹۲ ، ۹۹ ، ۱۰۶ ، ۱۶۲ ، ۱۸۱ ، ۲۴۴ ، ۲۵۵ ، ۳۰۴
 ۴۴۷ ، ۳۶۷ ، ۳۹۷ ، ۳۹۸ ، ۳۹۹ ، ۴۰۰ ، ۴۴۳

باکو : ۲۸۳ ، ۳۵۳ ، ۳۵۴

بحر الخزر : ۲۲

بحر قزوین : ۲۹۴

بخاری : ۴۲ ، ۱۱۸ ، ۲۸۹ ، ۳۲۰ ، ۳۳۱

براغ : ۱۰ ، ۳۵۳

البرتغال : ۳۱۵

برقول : ۳

بشت : ۳۳۵

البصرة : ۳۷ ، ۴۴۲

بطرسبورج : ۵ ، ۹ ، ۹۲ ، ۳۴۷ ، ۴۱۸

بغداد : ۲۳ ، ۳۲ ، ۳۴ ، ۳۵ ، ۳۶ ، ۳۹ ، ۴۰ ، ۴۱ ، ۴۲ ، ۴۳ ، ۴۴ ، ۴۵ ، ۴۷
 ، ۶۴ ، ۶۵ ، ۹۸ ، ۱۱۸ ، ۱۳۶ ، ۱۴۱ ، ۱۵۱ ، ۱۵۴ ، ۱۵۵ ، ۱۵۷ ، ۱۵۸
 ، ۱۵۹ ، ۱۷۶ ، ۲۰۵ ، ۲۱۲ ، ۲۲۱ ، ۲۲۳ ، ۲۲۷ ، ۲۲۹ ، ۲۳۳ ، ۲۹۴
 ، ۲۹۵ ، ۳۱۳ ، ۳۲۰ ، ۳۲۶ ، ۳۴۱ ، ۳۴۲ ، ۳۸۱ ، ۴۱۱ ، ۴۱۴ ، ۴۴۴ ، ۴۱۶

بکین : ۲۹۴

بلاد الروم : ١٣٥ ، ١٧٣ ، ١٨٥ ، ٢١١

بلخ : ٣٣١

بمبای : ١٦٥ ، ٣٣٣ ، ٣٣٩

بناکت : ٣١٠

بنجاب : ٣٩٨

بولاق : ٢٢٩ ، ٤٥٦

بولندا : ٣١٥

بوهيميا : ٢٧٢ ، ٣١٥

بيت المقدس : ٤٧ ، ٥١ ، ٣١٩

البيرة : ٤٤٩

بيروت : ١٦٤

بيسان : ٥٤

بيش بالغ : ٣

البيضا : ٢٣١

بيهق : ٣٢٠

(ت)

تای جان جیو (مدینة) : ٢٩٠

التبت : ٣ ، ٧٦ ، ٢٨٤ ، ٣٠١

تبریز : ٢ ، ٣ ، ٥٨ ، ٧٤ ، ٩١ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ ،

١٣٨ ، ١٤١ ، ١٦٦ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ،

٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٣١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨٠ ، ٣٠٣ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ،

٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٤٠١ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٩ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٦ ، ٤٣٨ ،

٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٤ ، ٤٤٧ ، ٤٤٩

ترکستان : ٣ ، ٩ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ١١٧ ، ٢٢٨ ، ٢٨٣ ، ٣٤٠ ، ٣٥١

ترکيا : ١٤ ، ٩٢ ، ٢٦٣ ، ٢٧٧ ، ٣٠٥ ، ٣٥٧ ، ٣٦٨ ، ٤١٦

تهران : انظر طهران

توران : ٣١٢

تورفان : ٣

تونس : ٤٢٨

(ج)

جرجان : ٣٢٠

الجزيرة : ٤٨ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥

الجزيرة العربية : ٢٩٣

جكندر : ١٧٩

جورجية : ٢٣٨ ، ٣٥٥

جيجون (نهر) : ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٩ ، ٢٣٨

جيلان : ١٤٢

(ح)

حران : ٤٨

الحرمان الشريفان : ٣١٩

حصن كيفا : ٤٦

حلب : ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٦٢ ، ٣٢٥

الحلة : ١٣٣ ، ١٥٧ ، ١٥٨

حماة : ٤٦

حمص : ٤٦ ، ٤٩ ، ١٢٩

حي الطلبة : ٤٣٤

حي العلماء : ٤٣٤

حي المعالجين : ٤٣٦

(خ)

خان باليق : ٢٩٤

الختاي : ٢٣٨

[illegible]

خجند : ۴۲۵

الرحبة : ١٠٦ ، ١١٢ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٦٢ ، ١٦٣

الرصافة : ٣٨

الركة : ١٣٤

الرملة : ١٣٥

الرها : ٤٨

روان كوشكى : ٣٥٤ ، ٣٦٨

روذبار الموت : ٢٢

روسيا : ١١٦ ، ٣٥١

روما : ٢٧٢

الرى : ٤٢ ، ٧١ ، ٧٢ ، ١٥٧ ، ٢٢٥ ، ٣٣٥

(ز)

زنجان : ١٤١ ، ١٥٦ ، ٢٠٠ ، ٣١٥

(س)

السامرا : ٥٠

ساوه : ٢٠٩ ، ٢١٠

سراو رود (نهر) : ٤٣٤

سجستان : ٣٢٠

سرچم : ٣٢٥

سرخاب : ٤٣٢ : ٤٣٤

سرخس : ١٤٠ ، ٢٢٤

سرمين : ١٣١

سروج : ٤٩

السلطانية : ٣ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٦٢ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ،

١٧٦ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٩٧ ، ٢٠٩ ، ٢٣٣ ، ٤١٠ ، ٤١١

سمرقند : ٩١ ، ١١٨ ، ٣٣١

سمنان : ٢١٢

سنجار : ١٣٥

السند : ٢٢٦ ، ٢٧٥

سه گنبدان : ٢٠٠

سوربة : ٦ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،

١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٦٢

سيحون : ٢٣٨

سيمس : ١٣٥

(ش)

الشام : ١١ ، ٢٣ ، ٣٦ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٧ ،

١٠٦ ، ١١٦ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ٢٢٣ ،

٤٠١ ، ٤٣٥

شبانكاره : ١٦٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧

شنب غازان : ١٣٨ ، ٤٤١

شيراز : ٢٥ ، ٢٦ ، ٦٥ ، ١٨٥ ، ١٩٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ،

٣٧٦ ، ٤٣٣ ، ٤٣٨

(ص)

صقلية : ٢٧٢

صيدا : ٥٢

الصين : ١ ، ٣ ، ٩ ، ١٦ ، ٥١ ، ٦٧ ، ٧٦ ، ٨٠ ، ١١٦ ، ٢٢٨ ، ٢٧٠ ،

٢٨٥ ، ٢٩٠ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ،

٣٢٩ ، ٣٥١ ، ٣٦١ ، ٣٦٥ ، ٣٧٤ ، ٣٨١ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٥٨

(ط)

طارمين : ١٥٦

طالقان : ٣٥٤ ، ٣٦٨

طبرستان : ۳۲۰

طرابلس : ۴۲۸

طشقند : ۳۵۴ ، ۳۶۸

طوپ قابو سرای : ۲۷۷ ، ۳۰۵ ، ۳۵۷ ، ۳۶۸

طوروس : ۵۹

طهران : ۱۳ ، ۱۴ ، ۱۵ ، ۱۶ ، ۲۶ ، ۴۵ ، ۶۱ ، ۹۳ ، ۱۰۷ ، ۱۱۷ ، ۱۲۴ ،
۱۳۸ ، ۱۳۹ ، ۱۴۰ ، ۱۴۷ ، ۱۴۸ ، ۱۵۰ ، ۱۵۱ ، ۱۵۵ ، ۱۵۹ ، ۱۶۰ ،
۱۶۴ ، ۱۶۷ ، ۱۶۹ ، ۱۷۰ ، ۱۷۹ ، ۱۸۲ ، ۱۸۴ ، ۱۸۸ ، ۱۹۱ ، ۱۹۴ ،
۲۰۴ ، ۲۰۶ ، ۲۰۷ ، ۲۰۸ ، ۲۰۹ ، ۲۳۷ ، ۲۶۱ ، ۲۶۵ ، ۲۶۷ ، ۲۶۹ ،
۲۷۰ ، ۲۷۱ ، ۲۷۵ ، ۲۷۸ ، ۲۸۶ ، ۲۸۹ ، ۳۰۱ ، ۳۱۱ ، ۳۱۳ ، ۳۱۴ ،
۳۲۶ ، ۳۲۷ ، ۳۳۰ ، ۳۳۲ ، ۳۳۳ ، ۳۳۴ ، ۳۳۵ ، ۳۳۹ ، ۳۴۷ ، ۳۵۱ ،
۳۵۵ ، ۳۵۸ ، ۳۵۹ ، ۳۶۱ ، ۳۶۵ ، ۳۶۷ ، ۳۶۸ ، ۳۷۰ ، ۳۷۳ ، ۳۷۴ ،
۳۷۵ ، ۳۷۶ ، ۳۸۴ ، ۳۸۵ ، ۳۸۶ ، ۳۹۵ ، ۳۹۸ ، ۳۹۹ ، ۴۰۸ ، ۴۱۲ ،
۴۱۹ ، ۴۳۶ ، ۴۳۷ ، ۴۶۰

(ع)

عانة : ۱۳۳ ، ۱۳۴

العراق : ۶۵ ، ۱۳۵ ، ۱۴۷ ، ۱۴۸ ، ۱۵۷ ، ۱۵۸ ، ۱۶۶ ، ۲۰۲ ، ۲۱۲ ،
۲۶۸ ، ۳۱۲ ، ۳۱۵ ، ۳۱۹ ، ۳۴۲

العراق العجمی : ۱۱۸ ، ۱۴۱ ، ۱۶۶

عكا : ۵۱ ، ۵۴

عين جالوت : ۱۴ ، ۵۴ ، ۵۶ ، ۵۹

(غ)

غرجستان : ۳۳۵

غزة : ۵۰ ، ۵۳ ، ۵۴ ، ۱۳۵

(ف)

فارس : ۲۵ ، ۲۹ ، ۶۸ ، ۷۷ ، ۱۱۸ ، ۱۴۸ ، ۱۵۷ ، ۱۶۶ ، ۲۰۲ ، ۲۰۶ ،
۲۰۷ ، ۲۰۸ ، ۲۲۰ ، ۲۳۲ ، ۲۳۳ ، ۲۳۴ ، ۲۳۸ ، ۲۴۲ ، ۳۳۲ ، ۳۳۷ ، ۴۲۰ ،

سمرقند : ٩١ ، ١١٨ ، ٣٣١

سمنان : ٢١٢

سنجار : ١٣٥

السند : ٢٢٦ ، ٢٧٥

سه گنبدان : ٢٠٠

سورية : ٦ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،

١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٦٢

سيحون : ٢٣٨

سيمس : ١٣٥

(ش)

الشام : ١١ ، ٢٣ ، ٣٦ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٧ ،

١٠٦ ، ١١٦ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ٢٢٣ ،

٤٠١ ، ٤٣٥

شبانكاره : ١٦٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧

شنب غازان : ١٣٨ ، ٤٤١

شيراز : ٢٥ ، ٢٦ ، ٦٥ ، ١٨٥ ، ١٩٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ،

٣٧٦ ، ٤٣٣ ، ٤٣٨

(ص)

صقلية : ٢٧٢

صيدا : ٥٢

الصين : ١ ، ٣ ، ٩ ، ١٦ ، ٥١ ، ٦٧ ، ٧٦ ، ٨٠ ، ١١٦ ، ٢٢٨ ، ٢٧٠ ،

٢٨٥ ، ٢٩٠ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ،

٣٢٩ ، ٣٥١ ، ٣٦١ ، ٣٦٥ ، ٣٧٤ ، ٣٨١ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٥٨

(ط)

طارمين : ١٥٦

طالقان : ٣٥٤ ، ٣٦٨

طبرستان : ۳۲۰

طرابلس : ۴۲۸

طشقند : ۳۵۴ ، ۳۶۸

طوپ قاپو سراي : ۲۷۷ ، ۳۰۵ ، ۳۵۷ ، ۳۶۸

طوروس : ۵۹

طهران : ۱۳ ، ۱۴ ، ۱۵ ، ۱۶ ، ۲۶ ، ۴۵ ، ۶۱ ، ۹۳ ، ۱۰۷ ، ۱۱۷ ، ۱۲۴ ،
۱۳۸ ، ۱۳۹ ، ۱۴۰ ، ۱۴۷ ، ۱۴۸ ، ۱۵۰ ، ۱۵۱ ، ۱۵۵ ، ۱۵۹ ، ۱۶۰ ،
۱۶۴ ، ۱۶۷ ، ۱۶۹ ، ۱۷۰ ، ۱۷۹ ، ۱۸۲ ، ۱۸۴ ، ۱۸۸ ، ۱۹۱ ، ۱۹۴ ،
۲۰۴ ، ۲۰۶ ، ۲۰۷ ، ۲۰۸ ، ۲۰۹ ، ۲۳۷ ، ۲۶۱ ، ۲۶۵ ، ۲۶۷ ، ۲۶۹ ،
۲۷۰ ، ۲۷۱ ، ۲۷۵ ، ۲۷۸ ، ۲۸۶ ، ۲۸۹ ، ۳۰۱ ، ۳۱۱ ، ۳۱۳ ، ۳۱۴ ،
۳۲۶ ، ۳۲۷ ، ۳۳۰ ، ۳۳۲ ، ۳۳۳ ، ۳۳۴ ، ۳۳۵ ، ۳۳۹ ، ۳۴۷ ، ۳۵۱ ،
۳۵۵ ، ۳۵۸ ، ۳۵۹ ، ۳۶۱ ، ۳۶۵ ، ۳۶۷ ، ۳۶۸ ، ۳۷۰ ، ۳۷۳ ، ۳۷۴ ،
۳۷۵ ، ۳۷۶ ، ۳۸۴ ، ۳۸۵ ، ۳۸۶ ، ۳۹۵ ، ۳۹۸ ، ۳۹۹ ، ۴۰۸ ، ۴۱۲ ،
۴۱۹ ، ۴۳۶ ، ۴۳۷ ، ۴۶۰

(ع)

عانة : ۱۳۳ ، ۱۳۴

العراق : ۶۵ ، ۱۳۵ ، ۱۴۷ ، ۱۴۸ ، ۱۵۷ ، ۱۵۸ ، ۱۶۶ ، ۲۰۲ ، ۲۱۲ ،
۲۶۸ ، ۳۱۲ ، ۳۱۵ ، ۳۱۹ ، ۳۴۲

العراق العجمي : ۱۱۸ ، ۱۴۱ ، ۱۶۶

عكا : ۵۱ ، ۵۴

عين جالوت : ۱۴ ، ۵۴ ، ۵۶ ، ۵۹

(غ)

غرجستان : ۳۳۵

غزة : ۵۰ ، ۵۳ ، ۵۴ ، ۱۳۵

(ف)

فارس : ۲۵ ، ۲۹ ، ۶۸ ، ۷۷ ، ۱۱۸ ، ۱۴۸ ، ۱۵۷ ، ۱۶۶ ، ۲۰۲ ، ۲۰۶ ،
۲۰۷ ، ۲۰۸ ، ۲۲۰ ، ۲۳۲ ، ۲۳۳ ، ۲۳۴ ، ۲۳۸ ، ۲۴۲ ، ۳۳۲ ، ۳۳۷ ، ۴۲۰ ،

الفرات : ٤٩ ، ٥٦ ، ١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٥٧ ، ١٦٢

فسا : ١٩٢

فلسطين : ٥١ ، ٥٣ ، ٥٤

(ق)

قازان : ٦

القاهرة : ١٢ ، ١٣ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٣ ، ٥٧

القبجاق : ٩ ، ٥١ ، ٢٣٨ ، ٢٤٣ ، ٣٥١

قراقورم : ٤٣

قرطبة : ٤٢٨

قره شهر : ٣

قروين : ٢٢ ، ٢٨ ، ٩٢ ، ١٣٧ ، ١٤٨ ، ١٥٦ ، ٣١٥ ، ٣١٧

القسطنطينية : ٦ ، ٤٣ ، ٣٧٦

قلعة الموت : انظر الموت

قليوب : ١٢

قنسرين : ١٣١ ، ٢١٢ ، ٤٢٦ ، ٤٣٣

قنغور آلانك : ١٤١ : ١٤٢

قهيستان : ٢٢ ، ٢٨ ، ٣١٥

القوقاز : ٥١ ، ٢٨٣

قومس : ٢٢

قيروان : ٤٢٨

قيسارية : ٥٩

(ك)

كاشغر : ١١٨

كربلاء : ٣٣٥

کردستان : ٣٥ ، ٤٨

الكرک : ۲۶

کرمان : ۲۵ ، ۸۵ ، ۱۴۸ ، ۱۶۶ ، ۲۰۵ ، ۲۰۶ ، ۲۰۸ ، ۲۱۲ ، ۲۳۴ ، ۴۱۰

کرمانشاه : ۳۵

کشف : ۱۳۵

کشمیر : ۲۴۳ ، ۲۷۶ ، ۲۷۷

الکعبة المشرفة : ۱۸۷

کلکتا : ۲۲۶

کبرج : ۱۶

الکوفة : ۱۵۷

کین چیو : ۲۹۰

(گ گ)

گجرات : ۳۳۵

گرجستان : ۲۱۱

(ل ل)

لاردماوند : ۷۱ ، ۷۲

لاهور : ۱۰

لاؤو کین : ۲۹۰

لکهنو : ۳۰

لندن : ۳۵۲

لنبنه سر (قلعة) : ۲۲

لورستان (لرستان) : ۳۵ ، ۱۶۶

ایدن : ۷ ، ۹ ، ۲۱۷ ، ۳۱۰ ، ۳۵۲ ، ۴۳۳

(م م)

مابین النهرین : ۶

المالچین : ۲۲۸ ، ۲۷۰ ، ۲۸۵ ، ۳۶۱

ماردين : ٤٨ ، ١٢٨

ما وراء النهر : ٢٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ٢٢٨ ، ٢٨٣ ، ٢٩٩ ، ٣١٠ ، ٣٩٨

المتحف البريطاني : ٣٦٦

محول : ١٥٤

المجر : ٢٧٢

المدائن : ٤١٦

مراغة : ١٦٢ ، ٢٠٠ ، ٢٠٦ ، ٢١٩ ، ٣٤١ ، ٤٣٨

مرج الصفر : ١٣٦

مرج المروج : ١٢٩ ، ١٣٦

مرو : ١٢٧ ، ١٤٠ ، ٣٢٠

مشهد : ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٣٦٤ ، ٣٦٧ ، ٤٢٣

مصر : ٦ ، ١١ ، ١٤ ، ١٧ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٣٦ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٠ ،

٥١ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٧ ، ٧٨ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ ،

١٣٥ ، ١٣٦ ، ٢١١ ، ٢٦٩ ، ٣١٢ ، ٣٨١ ، ٤٠١ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦

المغرب : ٢٦٩ ، ٤٣٦

مكتبة أدرنة : ٤١٦

مكتبة أيا صوفيا : ٣٦٨ ، ٣٧٣ ، ٤١٦ ، ٤١٧

مكتبة ملك بطهران : ١٣ ، ٤١٩

ملطية : ١٣٥

منبج : ٤٩

منغوليا : ٩ ، ٢٢٨ ، ٢٨٣ ، ٢٩٥ ، ٣٢٩ ، ٣٤٦ ، ٣٥١ ، ٤٦٠

الموصل : ٣٥ ، ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٦٢ ، ٢٢٣ ، ٤٣٨

موغان (موقان) : ٦٣ ، ١٦٦ ، ٤٢٨

المولتان : ٢٢٦

مهاجين : انظر الماجين

ميافارقين : ٤٦ ، ٤٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦

(ن)

نابلس : ۵۰ ، ۵۴

نجف : ۳۵

نخجوان : ۱۹۲

النرویج : ۲۷۲

نسا : ۲۲۴ ، ۲۲۵

نصیبین : ۴۸

ننکیاس : ۲۲۸

نهر الأردن : ۵۴

نهر تاریم : ۳

نهر جغتو : ۲۰۰ ، ۳۴۶

نهر جیحان : ۵۹

نهر العاصی : ۵۴

نهر الفرات : انظر الفرات

نیسابور : ۴۲ ، ۷۸ ، ۳۲۰

(ه)

هراة : ۷۸ ، ۷۹ ، ۹۱ ، ۱۹۴ ، ۳۲۰ ، ۳۲۱ ، ۳۲۲ ، ۳۲۵ ، ۳۳۴ ، ۳۳۶

هرمز : ۸۵ ، ۲۰۷

همدان (همدان) : ۱ ، ۳۰ ، ۳۲ ، ۳۵ ، ۹۰ ، ۹۱ ، ۹۸ ، ۹۹ ، ۳۲۵ ،

۳۷۵ ، ۴۴۲

الهند : ۷۶ ، ۲۲۰ ، ۲۲۶ ، ۲۲۷ ، ۲۴۳ ، ۲۷۴ ، ۲۷۵ ، ۲۷۶ ، ۲۷۸ ، ۲۹۵ ،

۳۰۰ ، ۳۰۲ ، ۳۰۴ ، ۳۱۱ ، ۳۳۵ ، ۳۶۲ ، ۳۸۱ ، ۳۹۸ ، ۴۳۵ ، ۴۳۶ ،

هولنده : ۳۵۲

(و)

ولیانکوه : ۴۳۲

(ی)

یزد : ۱۸۵ ، ۲۰۸ ، ۴۲۰ ، ۴۴۳

ییلدیز : ۲۷۷ ، ۳۰۵

أَسْمَاءُ الْقَبَائِلِ وَالشُّعُوبِ

(١)

الأباطرة : ٢٧٢ ، ٢٧٤

الأتابكة : ٣٢٩ ، ٣٦٥ ، ٣٧٦

الأتراك : انظر الترك

الأرمن : ٤٦ ، ٤٩ ، ٢٧٢ ، ٢٨٤

الإسماعيلية : ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٢٢٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٩ ، ٣٠٠ ، ٣٥٨ ، ٣٦٥ ،
٣٦٧ ، ٤٥٨

الإشكانيون : ٢٥١ ، ٢٦٥ ، ٣٦٠

الإفرنج : ٣ ، ١١ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٧٦ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ،
٢٨٤ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣١١ ، ٣٥٧ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥ ، ٤٥٨

الأكراد : ١٣٥

آل جلاير : انظر الجلايريين

آل كرت : ٣٢١ ، ٣٢٢

آل المظفر : ٢٠٨ ، ٣١٧

الأنبياء : ٣١١ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٢ ، ٣٣٧

أهل السنة : ١٧٠

الأوربيون : ٣٣٩

اوغوز (قبيلة) : ٢٦١

الاويغوريون : ٣ ، ١١٧ ، ٢٢٨ ، ٢٤٣ ، ٢٨٤ ، ٣٤٣

الایرانيون : ١١٧

الایلخانيون : ١١ ، ١٤ ، ٢١ ، ٤٣ ، ٥٨ ، ٦٤ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٥ ، ٨٤ ، ١١٩ ،

١٢٣ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٩ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٢٣ ، ٢٣٠ ،
٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٦٢ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٣٠٤ ، ٣١٠ ، ٣٣٢ ،
٣٣٧ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٥٤ ، ٣٦٤

الايلكانيون : ٢١٠

الأيوبيون : ٢٣ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٢٣٤

(ب)

البابوات : ٢٧٢ ، ٢٧٤

البرامكة : ٥٩ ، ١١٦

بنو إسرائيل : ١٠٠ ، ١٠٧ ، ٢٧٠ ، ٢٨٦ ، ٣٠٤ ، ٣٤٠ ، ٣٦١

بنو أمية : ٢٥١ ، ٢٦٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٢ ، ٣٣٧ ، ٣٦١

بنو خاقان (المغول) : ١٣٧

البوذية : ٢٩٧ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ، ٣٦٢

البوهيون : ٣٢

(پ)

الپيشداديون : ٢٥١ ، ٢٦٥ ، ٣٦٠

(ت)

التتار (التتر) : انظر المغول

الترك : ٣ ، ٩ ، ٤٤ ، ٩٢ ، ١٣٠ ، ١٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٦١ ،

٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٨٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٢٧ ، ٣٤٧ ،

٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٤ ، ٣٥٩ ، ٣٦١ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٤١٧ ، ٤٤٤

(ج)

الجلاليريون : ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٣٢٦

الجلوينيون : ٤٠٩

(چ)

الخطائون : ٣٣٢

(ح)

الحنابلة : ١٥٨

الحنفية : ٢٧ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٩

(خ)

الخلفاء الراشدون : ١٧١ ، ٢٣٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٧٧ ، ٣٠٤ ، ٣١١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٧

الخلفاء العباسيون : ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٤١ ، ١١٥ ، ١٣٢ ، ٢٥١ ، ٢٦٠ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٣١١ ، ٣١٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٢ ، ٣٣٧ ، ٣٦١ ، ٣٦٤
الخوارج : ١٧١

(د)

دوربان (قبيلة) : ٢٤٢

الديلم : ٢٢ ، ٣٢ ، ٢٣٢ ، ٢٦٧ ، ٣٢٩

(ر)

الرسل : ٣١١ ، ٣١٦ ، ٣٢٨ ، ٣٣٧

الروافض : ١٤٨ ، ١٧١

الروس : ٢٧٢ ، ٣٥٣

الروم (الرومان) : ٧٧ ، ١٣٥ ، ١٧٣ ، ١٨٥ ، ٢١١ ، ٤٣٥ ، ٤٥٩

(س)

الساسانيون : ٢٥١ ، ٢٦٥ ، ٣٢٨ ، ٣٦٠ ، ٣٦٤

السامانيون : ١١٦ ، ٢٦٧ ، ٣٢٩

السلجقة : ٢٢ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٧ ، ٩٠ ، ١١٦ ، ٢٣٢ ، ٢٥٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٣٠٤ ، ٣٠٧ ، ٣٢٩ ، ٣٦٥

السلغريون : ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٦٩

(ش)

الشافعية : ١٢٧ ، ١٤٤ ، ١٤٩

الشيعة : ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٧١

(ص)

الصفاريون : ٢٦٧

الصفويون : ٣٣٧ ، ٤٤١

الصقلابة : ٢٧٢

الصليبيون : ٢٣ ، ٥٦

الصينيون : ١١٧ ، ٢٨٤ ، ٣١١ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠

(ط)

الطاهريون : ٢٦٧

(ع)

العباسيون : انظر الخلفاء العباسيين .

العجم : ٤٣ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٧ ، ٣٣٢ ، ٣٣٧ ، ٤٤٧

العرب : ٢٦٦ ، ٢٧٠ ، ٢٨٤ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٧ ، ٣٣٧ ،

٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٦٧ ، ٤٤٧

(غ)

الغز : ٣٠٧

الغزنويون : ١١٦ ، ٢٣٢ ، ٢٦٧ ، ٣٠٤ ، ٣٢٩ ، ٣٦١ ، ٣٦٥

الغوريون : ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢ ، ٣٢٩

(ف)

الفهرس : ٩٦ ، ١١٥ ، ٢٤٥ ، ٢٧٠ ، ٢٨٤ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣١١ ، ٣١٦ ،

٣٢٨ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٦٠ ، ٣٦٤

الفرنجة : انظر الإفرنج

(ق)

القراخطائيون : ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٣٠٧ ، ٣٢٩

قريش : ٢٦٦

قطلونيا : ٣١٥

القياصرة : ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٣١١ ، ٣٦٢

(ك)

الكيانيون : ٢٥١ ، ٢٦٥ ، ٣٦٠

(م)

المستشرقون : ٣٤٤ ، ٣٤٥

المسلمون : ١٢٩ ، ٢٧٥ ، ٢٨١ ، ٢٨٥ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ،

٣٦٥ ، ٣٧٧ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ،

٤١٠ ، ٤١٧ ، ٤٣٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٧ ، ٤٥٧

المسيحيون : ٦٧ ، ٧٤ ، ٢٧٢ ، ٢٨٨ ، ٣١١ ، ٣١٥ ، ٣٩٦

المصريون : ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٩

المغاربة : ٤٢٧

المغول : ٢ ، ٣ ، ٧ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ،

٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٦ ،

٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ،

٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٠ ،

٨٤ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١١١ ، ١١٦ ،

١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ،

١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ،

١٤٨ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٧٢ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٩٤ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ،

٢١١ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ،

٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ،

٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩

، ٢٧٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٠ ، ٢٦٤ ، ٢٦٣ ، ٢٦٢ ، ٢٦١ ، ٢٥٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٤
 ، ٢٩٧ ، ٢٩٦ ، ٢٩٥ ، ٢٩٤ ، ٢٩١ ، ٢٨٨ ، ٢٨٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨٣ ، ٢٨٢
 ، ٣٠٩ ، ٣٠٦ ، ٣٠٥ ، ٣٠٤ ، ٣٠٣ ، ٣٠٢ ، ٣٠١ ، ٣٠٠ ، ٢٩٩ ، ٢٩٨
 ، ٣٢٢ ، ٣٢١ ، ٣٢٠ ، ٣١٩ ، ٣١٨ ، ٣١٦ ، ٣١٥ ، ٣١٢ ، ٣١١ ، ٣١٠
 ، ٣٤٩ ، ٣٤٨ ، ٣٤٧ ، ٣٤٥ ، ٣٤٢ ، ٣٤٠ ، ٣٣٧ ، ٣٣٢ ، ٣٣١ ، ٣٢٩
 ، ٣٦٦ ، ٣٦٥ ، ٣٦٤ ، ٣٦٣ ، ٣٥٩ ، ٣٥٥ ، ٣٥٤ ، ٣٥٣ ، ٣٥٢ ، ٣٥٠
 ، ٤٤٣ ، ٤٤٢ ، ٤٣٦ ، ٤١٨ ، ٤١٧ ، ٤٠٧ ، ٣٨٦ ، ٣٧٠ ، ٣٦٨ ، ٣٦٧
 ٤٦١ ، ٤٥٨ ، ٤٥٧ ، ٤٥٦ ، ٤٤٤

الملاحدة (الإسماعيلية) : ٢٨ ، ٢٩ ، ٢٣٢ ، ٣٤٦

المليديون : ٩٠

(ن)

النصارى : ٩٦ ، ٢٦٠ ، ٤٠٣

(ي)

يأجوج ومأجوج : ٢٤ ، ٢٦

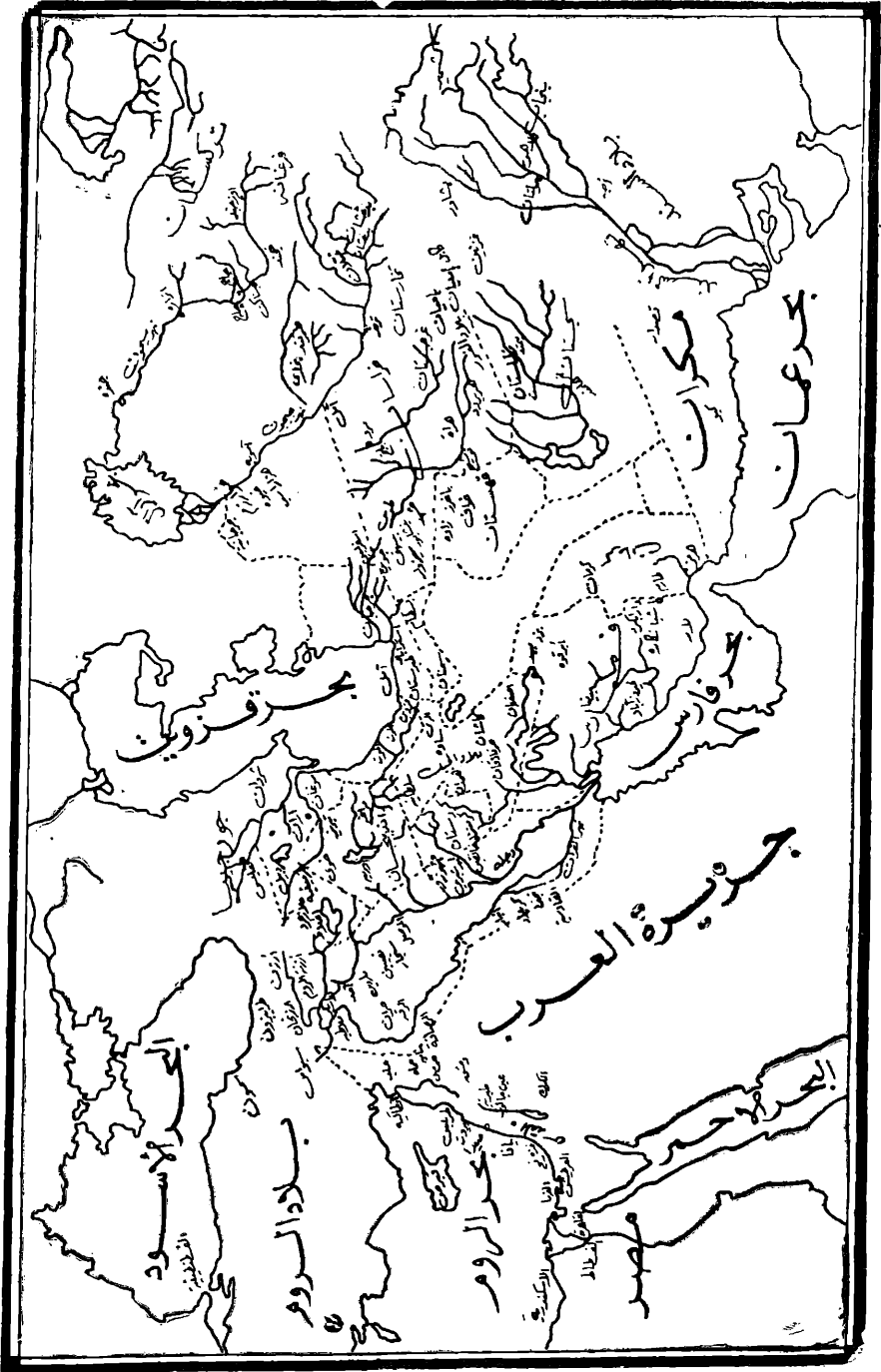
اليهود : ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ،

١٠١ ، ١٠٣ ، ١٥٧ ، ٢٥٣ ، ٢٦٠ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٣١٥ ،

٣٦٥ ، ٣٨٦ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٧ ، ٤٥٥

اليونانيون : ٩٠ ، ٢٧٢ ، ٤٥٩

الخريطة والصور

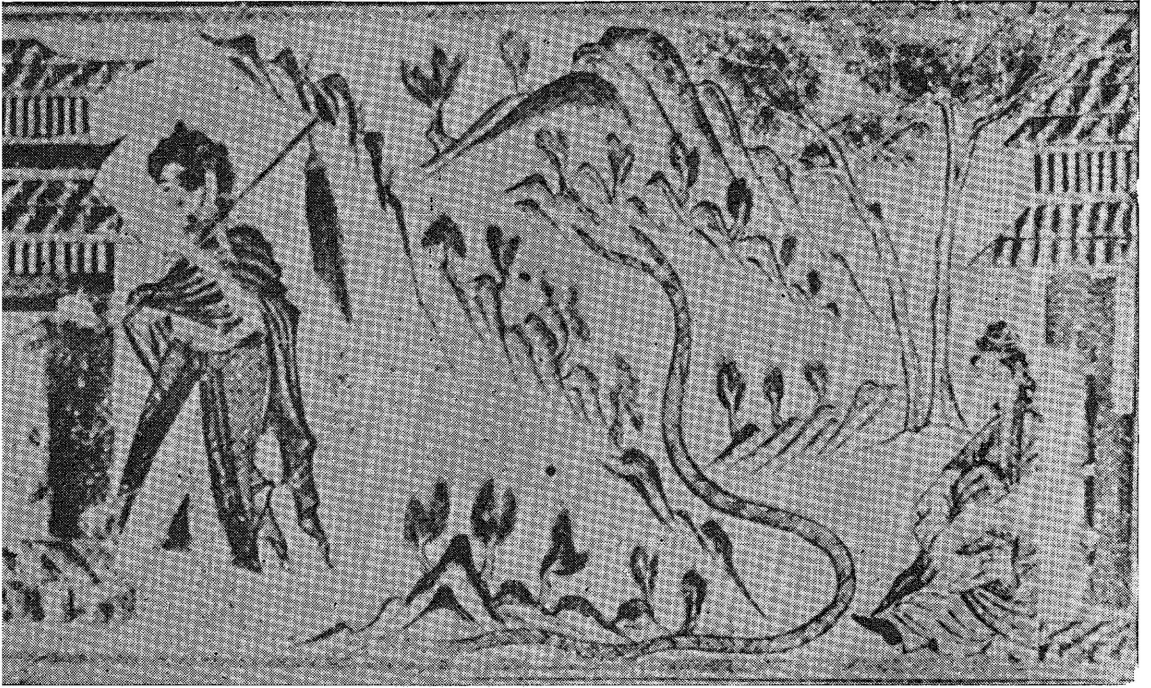


الامبراطورية المغولية في عصر رشيد الدين

أولاً - مجموعة من الصور في مخطوط كتاب
جامع التواريخ : المجلد الأول المشتمل
على تاريخ المغول



منظر احدى المعارك لجيوش المغول.



رسم الجبال فى الطريق الى التبت



منظر قتال

ثانياً – مجموعة من الصور في مخطوط كتاب
جامع التواريخ : المجلد الثاني المشتمل
على التاريخ العام

